البَصِيرَةُ
فِي
خُطَبِ السِّيرَةِ

بسم الله الرحمن الرحيم

اسم الكتاب: البصيرة في خطب السيرة
تأليف فضيلة الشيخ : فيصل الحاشدي
رقم الإيداع: ٢٠١٩/٩٨٠٥١.
نوع الطباعة: لون واحد.
عدد الصفحات: ٤٨٠.
القياس: ١٧x٢٤.

تجهيزات فنية:
مكتب دار الإيمان للتجهيزات الفنية
أعمال فنية وتصميم الغلاف أ / يسري حسن.

٢٠١٩

الإدارة
دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع
١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - الإسكندرية.
تليفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ - ٥٤٤٦٤٩٦

المبيعات
دار القمة لتوزيع الكتاب والشريط الإسلامي
١٩ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - الإسكندرية.
تليفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ - ٥٢٢٢٠٠٢

E-mail dar_aleman@hotmail.com

دار الإيمان المتحدة
أمام مستشفى الصوفي - أسفل مدارس اليمن الحديثة
مقابل بنك سبأ - شارع رداع - محافظة ذمار
جوال: ٧٧٥٣٠٩٩٣٥

البصيرة في خطب السيرة

تأليف

أبي عبد الله فيصل بن عبده قائد الحاشدي
عفا الله عنه

دار القمة
الإسكندرية

دار الإيمان
الإسكندرية

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَةٌ

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ ، نَحْمِدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ،وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولِهِ .

أَمَّا بَعْدُ :

فَقَدْ شُغِفْتُ بِحُبِّ نَبِيِّي وَأُسْوَتِي الَّذِي هُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، وَالنَّاسِ أَجْمَعِيْنَ، كَمَا شُغِفْتُ بِحُبِّ سِيْرَتِهِ العَطِرَةَ،وَعِشْتُ فِي ظِلَالِهَا عُقُودًا مِنَ الزَّمَنِ.

شُغِفْتُ بِهِ حُبًّا فَإِنْ ذُكِرَ اسْمُهُ ... تَحَدَّرَ دَمْعُ العَيْنِ يَسْتَأْذِنُ الخَدَّا

وَإِنِّي لَمَّا رَأَيْتُ كَثِيْرًا مِنَ النَّاسِ قَلَّتْ لَدَيْهُمُ الرَّغْبَةُ فِي مُزَاحَمَةِ العُلَمَاءِ بِالرُّكَبِ فَضْلًا عَنْ قِرَاءَةِ كُتُبِ العِلْمِ ، سِيَّمَا سِيْرَةُ الرَّسُولِ –صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– لِأَسْبَابٍ مِنْهَا طُغْيَانُ وَسَائِلِ العَصْرِ عَدَا سَاعَةٍ فِي الأُسْبُوعِ ، يَتْرُكُ فِيْهَا العَبْدُ البَيْعَ وَالشَّرَاءَ وَكُلَّ شَيْءٍ يَرْبُطَهُ بِالدُّنْيَا، وَيُقْبِلُ عَلَىٰ ذِكْرِ اللهِ، أَيْ: الصَّلَاةُ وَسَمَاعِ الخُطْبَة ، امْتِثَالًا لِأَمْرِ اللهِ –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ– .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ﴾[الجُمُعَة:٩] .

لِذَا قُمْتُ بِكِتَابَةِ السِّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ بِأُسْلُوبٍ خِطَابِيٍّ عَلَىٰ شَكْلِ خُطَبٍ تُلْقَىٰ عَلَىٰ النَّاسِ مِنْ أَشْرَفِ مَوْضِعٍ ، وَأَطْهَرِ مَكَانٍ ، وَأَعْظَمِ زَمَانٍ ، وَخَيْرِ سَاعَةٍ حَيْثُ السَّكِيْنَةُ وَالسُّكُونُ .

« **إِذَا قُلْتَ لِصَاحِبِكَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَنْصِتْ وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ فَقَدْ لَغَوْتَ** »[١] .

وَسَمَّيْتُهُ : « **الْبَصِيرَةُ فِي خُطَبِ السِّيرَة** » ، وَقَدْ حَرَصْتُ عَلَىٰ التَّوْثِيْقِ العِلْمِيِّ وَالحَدِيْثِيِّ ، فَلَمْ أُسَطِّرْ فِي كِتَابِي إِلَّا مَا صَحَّ وَتَرَكْتُ مَا نَدَّ وَشَرَدَ ، مَا اسْتَطَعْتُ .

وَأَسْأَلُ مِنَ اللهَ - بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَىٰ - وَصِفَاتِهِ العُلَىٰ أَنْ يَجْعَلَ هَذَا العَمَلَ مُبَارَكًا نَافِعًا ، وَلِوَجْهِهِ خَالِصًا ، وَأَنْ يَتَجَوَّزَ عَنْ تَقْصِيْرِي فِيْهِ ، وَمَا ذَلِكَ عَلَىٰ اللهِ بِعَزِيْزٍ ، جَرَىٰ القَلَمُ بِمَا تَقَدَّمَ .

وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِيْنَ

وَكَتَبَهُ

أبو عبد الله فيصل بن عبده قائد الحاشدي

عفا الله عنه

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٩٤) ، وَمُسْلِمٌ (٨٥١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- .

١ النَّسَبُ الشَّرِيْفُ وَمَوْلِدُه ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ

الخُطْبَةُ الأُوْلَى:

إِنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمِدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلِ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾[النِّساء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأَحْزَاب:٧٠-٧١] .

أَمَّا بُعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الأُمُورِ

مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ :

فَسَوْفَ أَتَحَدَّثُ مَعَكُمْ فِي هَذِهِ السِّلْسِلَةِ الْمُبَارَكَةِ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنِ السِّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ عَلَىٰ صَاحِبِهَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، وَسَوْفَ أَبْدَأُ الْحَدِيْثَ مَعَكُمْ عَنْ نَسَبِ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الشَّرِيْفِ ، وَطِيْبِ أَصْلِهِ الْمُنِيْفِ ، وَمَوْلِدِهِ .

أَيُّهَا النَّاسُ نَبِيُّنَا -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ- هُوَ سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ ، فَفِي «صَحِيْحِ مُسْلِمٍ» (١) ، مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- : عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: « **أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ ، وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ** » .

وَقَبْلَ أَنْ أَذْكُرَ النَّسَبَ الشَّرِيْفَ -أَيُّهَا النَّاسُ- سَوْفَ أَذْكُرُ أَسْمَاءَهُ فَهُوَ أَبُو الْقَاسِمِ فَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ» (٢) ، مِنْ حَدِيْثِ أَنَسٍ- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي السُّوقِ فَقَالَ رَجُلٌ : يَا أَبَا الْقَاسِمِ ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ : إِنَّمَا دَعَوْتُ هَذَا، فَقَالَ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : « **سَمُّوا بِاسْمِي وَلَا تَكَنَّوْا بِكُنْيَتِي** » . وَهُوَ مُحَمَّدٌ وَأَحْمَدُ لِقَوْلِ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ -: ﴿ **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ**

---

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٧٨٢) .

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٢٠١٤) ، وَمُسْلِمٌ (١٦٧٨) .

مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ ﴾ [آل عِمْرَان : ١٤٤] ، وَقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ -: ﴿ وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ ﴾ [الصَّفّ : ٦] .

وَهُوَ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَيُّهَا النَّاسُ -: المَاحِي الَّذِي يُمْحِي بِهِ الكُفْرُ، وَالحَاشِرُ ، الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ، وَالعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ نَبِيٌّ، وَالمُقَفِّي الَّذِي قَفَا قَبْلَهُ مِنَ الرُّسُولِ، فَهُوَ خَاتَمُهُمْ وَآخِرُهُمْ ، وَنَبِيُّ الرَّحْمَةِ الَّذِي أَرْسَلَهُ اللهُ رَحْمَةً لِلعَالَمِيْنَ، وَنَبِيُّ التَّوْبَةِ الَّذِي فَتَحَ اللهُ بِهِ التَّوْبَةَ عَلَىٰ عِبَادِهِ، وَنَبِيُّ المَلْحَمَةِ الَّذِي بُعِثَ بِجِهَادِ أَعْدَاءِ اللهِ، وَهَذِهِ الأَسْمَاءُ كُلُّهَا صَحِيْحَةٌ .

فَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ»(١) ، عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ اللهِ - صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -قَالَ: « **إِنَّ لِي خَمْسَةَ أَسْمَاءٍ ، وَأَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا المَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللهُ بِيَ الْكُفْرَ ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَىٰ قَدَمِيَّ ، وَأَنَا الْعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ أَحَدٌ** » .

وَفِي «صَحِيْحِ مُسْلِمٍ» (٢)، عَنْ أَبِي مُوسَىٰ الْأَشْعَرِيِّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يُسَمِّي لَنَا نَفْسَهُ أَسْمَاءً فَقَالَ: «**أَنَا مُحَمَّدٌ ، وَأَحْمَدُ ، وَالْمُقَفِّي ، وَالْحَاشِرُ ، وَنَبِيُّ التَّوْبَةِ ، وَنَبِيُّ الرَّحْمَةِ** » .

وَزَادَ الطَّبَرَانِيُّ عَنْ أَبِي مُوسَىٰ الْأَشْعَرِيِّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- رِوَايَةً : «**وَنَبِيُّ**

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٥٣٢) ، وَمُسْلِمٌ (٢٣٥٤) .
(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٣٥٥) .

المَلْحَمَةِ » ، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «صَحِيْحِ الجَامِعِ» (١).

وَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ وَالشَّمَائِلِ لِلتِّرْمِذِيِّ وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «مُخْتَصَرِ الشَّمَائِلِ» عَنْ حُذَيْفَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- بِلَفْظِ « نَبِيُّ المَلاَحِمِ» (٢).

وَقَدْ يُوهِمُ -أَيُّهَا النَّاسُ- أَنَّ نَبِيَّ الرَّحْمَةِ وَنَبِيَّ المَلْحَمَةِ بَيْنَهُمَا تَعَارُضٌ، قَالَ القَارِئ فِي كِتَابِهِ «عُمْدَةُ القَارِئ» (٣) : لاَ تَعَارُضَ بَيْنَ كَوْنِهِ رَسُولِ الرَّحْمَةِ وَ رَسُولَ المَلْحَمَةِ ، إِذْ هُوَ سَلْمٌ لِأَوْلِيَائِهِ حَرْبٌ لِأَعْدَائِهِ .

ذَلِكَ -أَيُّهَا النَّاسُ- مَا صَحَّ مِنْ أَسْمَائِهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، وَقَدْ أُلِّفَتْ عِدَّةُ كُتُبٍ فِي أَسْمَائِهِ وَأَوْصَلَهَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ ثَلَثمِائَةَ اسْم ، وَبَعْضُهَا مِنْ أَوْصَافِهِ، وَبَعْضُهَا لَمْ يَرِدْ عَلَىٰ سَبِيْلِ التَّسْمِيَةِ ، مِثْلُ مَنْ عَدَّ مِنْ أَسْمَائِهِ اللَّبِنَةَ لِلحَدِيْثِ الَّذِي «رَوَاهُ البُخَارِيُّ» (٤) ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-قَالَ : « **إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي، كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَىٰ بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ: هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ ، قَالَ : فَأَنَا اللَّبِنَةُ، وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ** » .

---

(١) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي «الأَوْسَطِ» (٢٧١٦) ، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «صَحِيْحِ الجَامِعِ» (١٤٧٣) .

(٢) (حَسَنٌ) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي «الشَّمَائِلِ» (٣٦٨) ، وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «مُخْتَصَرِ الشَّمَائِلِ» (٣١٦) .

(٣) «عُمْدَةُ القَارِئ» (١٦/ ٩٧) .

(٤) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٣٤٢ و٣٥٣٤) .

وَأَمَّا نَسَبُهُ -أَيُّهَا النَّاسُ- فَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمِ ابْنِ عَبْدِ مَنَافٍ ، بْنِ قُصَيِّ بْنِ كِلَابِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبِ بْنِ فَهْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ بْنِ خُزَيْمَةَ بْنِ مُدْرِكَةَ بْنِ إِلْيَاسِ بْنِ مُضَرٍ ابْنِ نِزَارِ بْنِ مَعَدِّ بْنِ عَدْنَانَ .

وَهَذَا النَّسَبُ -أَيُّهَا النَّاسُ- مَحَلُّ إِجْمَاعٍ وَلاَ خِلَافَ أَنَّ عَدْنَانَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - .

وَأَمَّا أُمُّهُ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَهِيَ آمِنَةُ بِنْتَ وَهْبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ ابْنِ زُهْرَةَ بْنِ كِلَابِ بْنِ مُرَّةَ ، فَيُصْبِحُ زُهْرَةُ الَّذِي تَنْتَسِبُ إِلَيْهِ آمِنَةُ بِنْتُ وَهْبٍ أَخًا لِقُصَيٍّ جُدِّ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، الخَامِسُ فَـ « زُهْرَةَ وَقُصَيٌّ إِخْوَانٌ ، فَيَلْتَقِي نَسَبُ أَبِيهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مَعَ نَسَبِ أُمِّهِ فِي كِلَابِ بْنِ مُرَّةٍ ، وَقَدْ صَانَ اللهُ رَسُولَهُ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَحَفِظَهُ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِ فَلَمْ يَخْرُجْ إِلَّا مِنْ نِكَاحٍ .

وأَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ فِي الأَوْسَطِ بِسَنَدٍ حَسَنٍ حَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الجَامِعِ » (١) ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: « **خَرَجْتُ مِنْ نِكَاحٍ ، وَلَمْ أَخْرُجْ مِنْ سِفَاحٍ ، مِنْ لَدُنْ آدَمَ إِلَى أَنْ وَلَدَنِي أَبِي وَأُمِّي، لَمْ يُصِبْنِي مِنْ سِفَاحُ الْجَاهِلِيَّةِ شَيْءٌ** » .

(١) (حَسَنٌ) أَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي «الأَوْسَطِ» (٤٧٢٨) ، وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ - فِي «صَحِيحِ الجَامِعِ» (٣٢٢٥) .

وَبَعَثَهُ اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - مِنْ خَيْرِ القُرُونِ ، فَفِي« صَحِيْحِ البُخَارِيِّ»[١]، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «**بُعِثْتُ مِنْ خَيْرِ قُرُونِ بَنِي آدَمَ ، قَرْنًا فَقَرْنًا ، حَتَّىٰ بُعِثْتُ مِنْ الْقَرْنِ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ**» .

وَاصْطَفَاهُ اللهُ مِنْ خَيْرِ القَبَائِلِ ، فَفِي «صَحِيْحِ مُسْلِم »[٢]، مِنْ حَدِيْثِ وَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : « **إِنَّ اللهَ اصْطَفَىٰ مِنْ وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلَ ، وَاصْطَفَىٰ مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيْلَ بَنِي كِنَانَةَ، وَاصْطَفَىٰ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ قُرَيْشًا ، وَاصْطَفَىٰ مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ** » .

وَفِي «مُسْنَدِ» أَحْمَدَ بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ صَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي«صَحِيْحِ الجَامِعِ»[٣]، عَنْ الْعَبَّاسِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بَلَغَهُ بَعْضُ مَا يَقُولُ النَّاسُ ، قَالَ : فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ ، فَقَالَ : « **مَنْ أَنَا** » ، قَالُوا : أَنْتَ رَسُولُ اللهِ ! ، فَقَالَ : « **أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، إِنَّ اللهَ خَلَقَ الْخَلْقَ فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِ خَلْقِهِ ، وَجَعَلَهُمْ فِرْقَتَيْنِ ، فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِ فِرْقَةٍ ، وَخَلَقَ الْقَبَائِلَ ، فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِ قَبِيلَةٍ ، وَجَعَلَهُمْ بُيُوتًا ، فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهِمْ بَيْتًا ،**

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٥٥٧) .
(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٢٧٦) .
(٣) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ أَحْمَد (١٧٨٨) ، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ - فِي «صَحِيْحِ الجَامِعِ» (١٤٧٢) .

فَأَنَا خَيْرُكُمْ بَيْتًا ، وَخَيْرُكُمْ نَفْسًا » .

فَذَلِكَ -أَيُّهَا النَّاسُ- مُوجَزُ الأَنْبَاءِ فِي نَسَبِهِ الشَّرِيْفِ وَطِيْبِ أَصْلِهِ المُنِيْفِ -صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِ- أَبَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الدِّيْنِ .

وَأَمَّا مَوْلِدُهُ -أَيُّهَا النَّاسُ- فَقَدْ وُلِدَ يَوْمَ الإِثْنَيْنِ مِنْ شَهْرِ رَبِيْعِ الأَوَّلِ ، قِيْلَ : ثَامِنِهِ ، وَقِيْلَ : لِثْنَتَيْ عَشْرَةَ مِنْهُ ، وَمِمَّا يَدُلُّ أَنَّهُ الثَّامِنُ مِنْ رَبِيْعِ الأَوَّلِ، مَا رَوَاهُ مَالِكٌ وَغَيْرُهُ بِالسَّنَدِ الصَّحِيْحِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ ابْنِ مُطْعِمٍ ، وَهُوَ تَابِعِيٌّ جَلِيْلٌ ، وَصَحَّحَ هَذَا القَوْلَ أَصْحَابُ التَّأْرِيْخِ وَاعْتَمَدُوهُ ، وَقَطَعَ بِهِ الحَافِظُ الخَوَارِزْمِيُّ ، وَرَجَّحَهُ أَبُو الخَطَّابِ ابْنِ دِحْيَةَ ، والجُمْهُورَ عَلَىٰ أَنَّهُ فِي الثَّانِي عَشَرَ مِنْهُ ، كَمَا قَالَ ذَلِكَ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ - فِي كِتَابِهِ «صَحِيْحِ السِّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ» [١].

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهُ وُلِدَ يَوْمَ الإِثْنَيْنِ-أَيُّهَا النَّاسُ-مَا جَاءَ فِي «صَحِيْحِ مُسْلِمٍ»[٢]، مِنْ حَدِيْثِ أَبِي قَتَادَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ أَعْرَابِيًّا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! مَا تَقُولُ فِي صَوْمِ يَوْمِ الاِثْنَيْنِ؟، فَقَالَ:« **ذَاكَ يَوْمٌ وُلِدْتُ فِيهِ، وَأُنْزِلَ عَلَيَّ فِيْهِ**».

---

(١) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ مَالِك (٢٢٠)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «صَحِيْحِ السِّيْرَةِ» (١٣).
(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٨١٩) .

وَكَانَ مَوْلِدُهُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَيُّهَا النَّاسُ - عَامَ الفِيْل، كَمَا جاءَ في «دَلاَئِلِ النُّبُوَّة» لِلْبَيْهَقِيِّ بِسَنَدٍ صَحِيْح صَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ في «الصَّحِيْحَةِ»[(١)]، مِنْ حَدِيْثِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا -.

قَالَ ابْنُ كَثِيْرٍ -رَحِمَهُ اللهُ - في «البدَايَةِ والنِّهَايَةِ» [(٢)]، وَهُوَ الَّذِي لاَ يَشُكُّ فِيْهِ أَحَدٌ مِنْ عُلَمَائِنَا : أَنَّهُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وُلِدَ عَامَ الفِيْلِ ، وَبُعِثَ عَلَىٰ رَأْس أَرْبَعِيْنَ سَنَةً مِنَ الفِيْلِ » .

وَتُوُفِّيَ أَبُوهُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَبْدُ اللهِ وَهُوَ حَمْلٌ في بَطْنِ أُمِّه ، فَفِي «صَحِيْح مُسْلِم » [(٣)]، عَنْ ابْنِ شِهَاب - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ : «**وَكَانَ مِنْ شَأْنِ أُمِّ أَيْمَنَ ، أُمِّ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ أَنَّهَا كَانَتْ وَصِيفَةً لِعَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِب، وَكَانَتْ مِنْ الْحَبَشَةِ ، فَلَمَّا وَلَدَتْ آمِنَةُ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بَعْدَ مَا تُوُفِّيَ أَبُوهُ ، فَكَانَتْ أُمُّ أَيْمَنَ تَحْضُنُهُ حَتَّىٰ كَبِرَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -فَأَعْتَقَهَا ، ثُمَّ أَنْكَحهَا زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ ثُمَّ تُوُفِّيَتْ بَعْدَ مَا تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِخَمْسَةِ أَشْهُرٍ** » .

وَقَدْ وَقَعَتْ يَوْمَ مَوْلِدِهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-أَيُّهَا النَّاسُ- آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ، فَمِنْ ذَلِكَ مَا أَخْرَجَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ في «السِّيْرَةِ» بِسَنَدٍ حَسَنٍ حَسَّنَهُ

(١) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ البَيْهَقِيُّ فِي (الدَّلاَئِلُ) (١٢٤٣٢) ، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «الصَّحِيْحَةِ» (٣١٥٢) .
(٢) «البدَايَةُ والنِّهَايَةُ» (٣/ ٣٧٧) .
(٣) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٣٦١ - ٧٠) .

الأَلْبَانيُّ في «صَحِيْح السِّيْرَةِ» (١)، عَنْ حَسَّانَ بْنِ ثَابتٍ -رَضيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: «وَاللهِ إنِّي لَغُلَامٌ يفَعَةٌ، ابنُ سَبْعِ سِنِيْنَ أَوْ ثَمانٍ، أَعْقِلُ كُلَّ مَا سَمِعْتُ، إذْ سَمِعْتُ يَهُودِيًّا يَصْرُخُ بأَعْلَىٰ صَوْتِهِ عَلَىٰ أَطَمَةٍ بيَثْرِبَ: يَا مَعْشَرَ يَهُودٍ، حَتَّىٰ إذَا اجْتَمَعُوا إلَيْهِ، قَالُوا لَهُ: وَيْلَكَ مَا لَكَ؟، قَالَ: طَلَعَ اللَّيْلَةَ نَجْمُ أَحْمَدَ الَّذِي وُلِدَ بِهِ».

وَأَخْرَجَ الحَاكِمُ وَالطَّبَرَانِيُّ بِسَنَدٍ حَسَنٍ، حَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيْح السِّيْرَةِ» (٢)، مِنْ حَدِيْثِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - قَالَ: قَالَ زَيْدُ ابْنُ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ، قَالَ لِي حَبْرٌ مِنْ أَحْبَارِ الشَّامِ: «قَدْ خَرَجَ فِي بَلَدِكَ نَبِيٌّ أَوْ هُوَ خَارِجٌ قَدْ أُخْرِجَ نَجْمُهُ فَارْجِعْ فَصَدِّقْهُ، وَاتَّبِعْهُ».

وُلِدَ الهُدَىٰ فَالكَائِنَاتُ ضِيَاءُ ... وَفَمُ الزَّمَانِ تَبَسُّمٌ وَثَنَاءُ

وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ.

---

(١) (حَسَنٌ) أَخْرَجَهُ ابن إِسْحَاقِ فِي «السِّيْـرَةِ» (١/ ١٢٤)، وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «صَحِيْح السِّيْـرَةِ» (١٤).

(٢) (حَسَنٌ) أَخْرَجَهُ الحَاكِمُ (٣/ ٢٢٦)، وَالطَّبَرَانِيُّ فِي «الكَبِيْـرِ» (٥/ ٨٧)، وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «صَحِيْحِ السِّيْـرَةِ» (١٤).

صِفَةُ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ الخِلْقِيَّةُ

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ :

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ أَشْرَفِ المُرْسَلِيْنَ ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

أَمَّا بَعْدُ:

أَنْتَقِلُ مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- إِلَىٰ الحَدِيْثِ عَنْ صِفَةِ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَجَمَالِ خِلْقَتِهِ .

قَالَ أَبُو الطُّفَيْلِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - وَاصِفًا وَجْهَهُ وَقَوَامُهُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، كَمَا جَاءَ فِي «صَحِيْحِ مُسْلِمٍ»[1]: « **كَانَ النَّبِيُّ- صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَبْيَضَ مَلِيحًا مُقَصَّدًا** » .

وَمَعْنَىٰ « **مُقَصَّدًا** » -أَيُّهَا النَّاسُ- : « هُوَ الَّذِي لَيْسَ بِطَوِيلٍ ، وَلَا قَصِيرٍ ، وَلَا جَسِيمٍ ، كَأَنَّ خَلْقَهُ يَجِيءُ بِهِ الْقَصْدَ مِنَ الْأُمُورِ ، وَالْمُعْتَدِلُ الَّذِي لَا يَمِيلُ إِلَىٰ أَحَدِ طَرَفَي الْإِفْرَاطِ وَالتَّفْرِيطِ ».هَكَذَا قَالَ ابْنُ الأَثِيرِ -رَحِمَهُ اللهُ - فِي النِّهَايَةِ فِي غَرِيْبِ الحَدِيْثِ »[2].

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٣٤٠) .
(٢) «النِّهَايَةِ فِي غَرِيْبِ الحَدِيْثِ» (٤/ ٦٧) .

وَقَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِك -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- كَمَا جَاءَ فِي «صَحِيْح مُسْلم» (١) :
« **كَانَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَزْهَرَ اللَّوْنِ كَأَنَّ عَرَقَهُ اللُّؤْلُؤُ، إِذَا مَشَىٰ تَكَفَّأَ ،وَلَا مَسِسْتُ دِيبَاجَةً وَلَا حَرِيرَةً أَلْيَنَ مِنْ كَفِّ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، وَلَا شَمِمْتُ مِسْكَةً وَلَا عَنْبَرَةً أَطْيَبَ مِنْ رَائِحَةِ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-** » .

وَقَالَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- وَاصِفًا أَطْرَافَهُ كَمَا فِي «صَحِيْح البُخَارِيِّ» (٢) :
«**كَانَ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ضَخْمَ الْيَدَيْنِ وَالْقَدَمَيْنِ حَسَنَ الْوَجْهِ** ».

وَقَالَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- وَاصِفًا شَعْرُهُ كَمَا فِي «صَحِيْح مُسْلم»(٣): «**لَوْ شِئْتُ أَنْ أَعُدَّ شَمَطَاتٍ كُنَّ فِي رَأْسِهِ فَعَلْتُ ، وَقَالَ: لَمْ يَخْتَضِبْ وَقَدْ اخْتَضَبَ أَبُو بَكْرٍ بِالْحِنَّاءِ وَالْكَتَمِ ، وَاخْتَضَبَ عُمَرُ بِالْحِنَّاءِ بَحْتًا** » .

وَقَالَ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-كَمَا فِي «صَحِيْحِ البُخَارِيِّ»(٤): «**كَانَ يَضْرِبُ شَعْرُهُ مِنْكَبَيِّهِ** » .

وَقَالَ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-كَمَا فِي «صَحِيْح البُخَارِيِّ»(٥): «**وَتَوَفَّاهُ اللهُ عَلَىٰ رَأْسِ سِتِّينَ سَنَةً ، وَلَيْسَ فِي رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ عِشْرُونَ شَعْرَةً بَيْضَاءَ ، -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-**» .

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٥٦١) ، وَمُسْلِمٌ (٢٣٤٧ - ٢٣٣٠) وَاللَّفْظُ لَهُ .
(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٥٩٠٧) .
(٣) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٣٤١) .
(٤) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٥٤٧) وَمُسْلِمٌ (٢٣٤٧) .
(٥) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (   ) .

وَقَالَ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- وَاصِفًا شَعْرَ لِحْيَتِهِ كَمَا جَاءَ فِي «صَحِيْح مُسْلِم»[٦]، «**كَانَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَثِيرَ شَعْرِ اللِّحْيَةِ، فَقَالَ رَجُلٌ: وَجْهُهُ مِثْلُ السَّيْفِ؟، قَالَ: لَا، بَلْ كَانَ مِثْلَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَكَانَ مُسْتَدِيرًا، وَرَأَيْتُ الْخَاتَمَ عِنْدَ كَتِفِهِ مِثْلَ بَيْضَةِ الْحَمَامَةِ يُشْبِهُ جَسَدَهُ**».

ذَلِكَ -أَيُّهَا النَّاسُ- خُلَاصَةُ أَوْصَافِهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

اللهُمَّ اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي رِزْقِنَا، وَحَبِّبْ لَنَا الإِيْمَانَ وَزَيِّنْهُ فِي قُلُوبِنَا، وَكَرِّهْ إِلَيْنَا الكُفْرَ وَالفُسُوقَ وَالعِصْيَانَ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الرَّاشِدِيْنَ.

وَسُبْحَانَكَ اللهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ.

(٦) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٣٤٠).

٢ مُرْضِعَاتُهُ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ وَحَوَاضِنُهُ

الخُطْبَةُ الأُولَى:

إِنَّ الحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأَحْزَاب: ٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الأُمُورِ

مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ، وَكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ .

ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ :

فَمَا زَالَ الحَدِيْثُ مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنِ السِّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ عَلَىٰ صَاحِبِهَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - ، وَحَدِيْثِي مَعَكُمْ اليَوْمَ عَنْ « **مُرْضِعَاتِهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَحَوَاضِنُهُ** » . وَمِمَّنْ أَرْضَعَتِ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَيُّهَا النَّاسُ- ثُوِيْبَةُ مَوْلاَةُ أَبِي لَهَبٍ .

فَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ » (١) ، مِنْ حَدِيْثِ زَيْنَبَ بِنْتَ أَبِي سَلَمَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- أَخْبَرَتْهَا أَنَّهَا قَالَتْ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ أَنْكِحْ أُخْتِي ابْنَةَ أَبِي سُفْيَانَ. قَالَتْ : فَقَالَ: « **أَوَتُحِبِّينَ ذَلِكَ ؟** »، قَالَتْ : فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ نَعَمْ وَلَسْتُ لَكَ بِمُخْلِيَةٍ ، وَأَحَبُّ مَنْ يُشْرِكُنِي فِي خَيْرٍ أُخْتِي .

قَالَتْ : قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : «**إِنَّ ذَلِكَ لا يَحِلُّ لِي**» .

قَالَتْ : فَإِنَّا نَتَحَدَّثُ أَنَّكَ تُرِيدُ أَنْ تَنْكِحَ دُرَّةَ بِنْتَ أَبِي سَلَمَةَ . فَقَالَ : «**ابْنَةُ أُمِّ سَلَمَةَ** » . قَالَتْ : فَقُلْتُ : نَعَمْ . فَقَالَ : « **وَاللهِ لَوْ أَنَّهَا لَمْ تَكُنْ رَبِيبَتِي فِي حِجْرِي مَا حَلَّتْ لِي، إِنَّهَا لابْنَةُ أَخِي مِنَ الرَّضَاعَةِ ، أَرْضَعَتْنِي وَأَبَا سَلَمَةَ ثُوَيْبَةُ ، فَلا تَعْرِضْنَ عَلَيَّ بَنَاتِكُنَّ وَلا أَخَوَاتِكُنَّ** » .

زَادَ البُخَارِيُّ : « قَالَ عُرْوَةُ : وَثُوَيْبَةُ مَوْلاةُ أَبِي لَهَبٍ ، كَانَ أَبُو لَهَبٍ أَعْتَقَهَا فَأَرْضَعَتْ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- » .

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٥١٠١) ، وَمُسْلِمٌ (١٤٠٢) .

وَرَوَىٰ ابْنُ إِسْحَاقَ بِسَنَدٍ قَالَ عَنْهُ الأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيْحِ السِّيْرَةِ»، إِسْنَادُهُ قَوِيٌّ(١) ، أَنَّ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-،قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ ، أَخْبِرْنَا عَنْ نَفْسِكَ؟ قَالَ: « **نَعَمْ ، أَنَا دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ، وَبُشْرَىٰ عِيسَىٰ ، وَرَأَتْ أُمِّي حِينَ حَمَلَتْ بِي أَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَ لَهَا قُصُورَ بُصْرَىٰ مِنْ أَرْضِ الشَّامِ ، وَاسْتُرْضِعْتُ فِي بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ ، فَبَيْنَا أَنَا مَعَ أَخٍ لِي خَلْفَ بُيُوتِنَا نَرْعَىٰ بَهْمًا لَنَا ، أَتَانِي رَجُلانِ عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بِيضٌ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءَةٍ ثَلْجًا ، فَأَخَذَانِي ، فَشَقَّا بَطْنِي ، ثُمَّ اسْتَخْرَجَا مِنْهُ قَلْبِي ، فَشَقَّاهُ فَاسْتَخْرَجَا مِنْهُ عَلَقَةً سَوْدَاءَ فَطَرَحَاهَا ، ثُمَّ غَسَلا بَطْنِي وَقَلْبِي بِذَلِكَ الثَّلْجِ حَتَّىٰ أَنْقَيَاهُ ، ثُمَّ قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: زِنْهُ بِعَشَرَةٍ مِنْ أُمَّتِهِ ، فَوَزَنَنِي بِهِمْ فَوَزَنْتُهُمْ ، ثُمَّ قَالَ : زِنْهُ بِمِائَةٍ مِنْ أُمَّتِهِ ، فَوَزَنَنِي بِهِمْ فَوَزَنْتُهُمْ ، ثُمَّ قَالَ : زِنْهُ بِأَلْفٍ مِنْ أُمَّتِهِ ، فَوَزَنَنِي بِهِمْ فَوَزَنْتُهُمْ ، ثُمَّ قَالَ : دَعْهُ عَنْكَ ، فَلَوْ وَزَنْتَهُ بِأُمَّتِهِ لَوَزَنَهَا** » .

وَفِي «مُسْنَدِ» أَحْمَدَ بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ صَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي«الصَّحِيْحَةِ»(٢)، مِنْ حَدِيْثِ عَنْ عُتْبَةَ بْنِ عَبْدٍ السُّلَمِيِّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَيْفَ كَانَ أَوَّلُ شَأْنِكَ يَا رَسُولَ اللهِ ؟.

---

(١) ابْنُ إِسْحَاقَ فِي «السِّيْرَةِ »(١/ ٥١)، وَقَوَّىٰ إِسْنَادَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «صَحِيْحِ السِّيْـرَةِ» (١٦-١٧).

(٢) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ أَحْمَد (٤/ ١٨٤-١٨٥) ، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «الصَّحِيْحَةِ» (٣٧٣) .

قَالَ : « كَانَتْ حَاضِنَتِي مِنْ بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ ، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَابْنٌ لَهَا فِي بَهْمٍ لَنَا وَلَمْ نَأْخُذْ مَعَنَا زَادًا فَقُلْتُ: يَا أَخِي اذْهَبْ فَأْتِنَا بِزَادٍ مِنْ عِنْدِ أُمِّنَا فَانْطَلَقَ أَخِي وَمَكَثْتُ عِنْدَ الْبَهْمِ ، فَأَقْبَلَ طَائِرَانِ أَبْيَضَانِ كَأَنَّهُمَا نَسْرَانِ فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ : أَهُوَ هُوَ قَالَ: الْآخَرُ نَعَمْ ، فَأَقْبَلَا يَبْتَدِرَانِي فَأَخَذَانِي فَبَطَحَانِي لِلْقَفَا فَشَقَّا بَطْنِي ثُمَّ اسْتَخْرَجَا قَلْبِي فَشَقَّاهُ ، فَأَخْرَجَا مِنْهُ عَلَقَتَيْنِ سَوْدَاوَيْنِ فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: ائْتِنِي بِمَاءِ ثَلْجٍ فَغَسَلَ بِهِ جَوْفِي ، ثُمَّ قَالَ : ائْتِنِي بِمَاءِ بَرَدٍ فَغَسَلَ بِهِ قَلْبِي ثُمَّ قَالَ: ائْتِنِي بِالسَّكِينَةِ فَذَرَّهُ فِي قَلْبِي ، ثُمَّ قَالَ: أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ حُصْهُ فَحَاصَهُ وَخَتَمَ عَلَيْهِ بِخَاتَمِ النُّبُوَّةِ ، ثُمَّ قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ : اجْعَلْهُ فِي كِفَّةٍ ، وَاجْعَلْ أَلْفًا مِنْ أُمَّتِهِ فِي كِفَّةٍ .

قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَإِذَا أَنَا أَنْظُرُ إِلَى الْأَلْفِ فَوْقِي أُشْفِقُ أَنْ يَخِرَّ عَلَيَّ بَعْضُهُمْ (أَيْ : يَسْقُطُ) ، فَقَالَ : لَوْ أَنَّ أُمَّتَهُ وُزِنَتْ بِهِ لَمَالَ بِهِمْ ثُمَّ انْطَلَقَا وَتَرَكَانِي .

قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : وَفَرِقْتُ فَرَقًا شَدِيدًا (أَيْ : خِفْتُ) ثُمَّ انْطَلَقْتُ إِلَى أُمِّي فَأَخْبَرْتُهَا بِالَّذِي لَقِيتُ ، فَأَشْفَقَتْ أَنْ يَكُونَ قَدْ الْتَبَسَ بِي (أَيْ : مَسَّنِي شَيْءٌ مِنَ الشَّيْطَانِ) فَقَالَتْ : أُعِيذُكَ بِاللهِ فَرَحَلَتْ بَعِيرًا لَهَا فَجَعَلَتْنِي عَلَى الرَّحْلِ وَرَكِبَتْ خَلْفِي حَتَّى بُلْغَتِنَا إِلَى أُمِّي فَقَالَتْ : أَدَّيْتُ أَمَانَتِي وَذِمَّتِي وَحَدَّثَتْهَا بِالَّذِي لَقِيتُ فَلَمْ يَرُعْهَا ذَلِكَ ، وَقَالَتْ : إِنِّي رَأَيْتُ حِينَ خَرَجَ مِنِّي يَعْنِي نُورًا أَضَاءَتْ مِنْهُ قُصُورُ الشَّامِ » .

وَفِي «صَحِيْح مُسْلِم » [١]، عَنْ أَنَس بْن مَالِك -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- « **أَتَاهُ جِبْرِيلُ وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ، فَأَخَذَهُ ، فَصَرَعَهُ ، فَشَقَّ عَنْ قَلْبِهِ ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عَلَقَةً ، فَقَالُ : هَذَا حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ ، ثُمَّ غَسَلَهُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءِ زَمْزَمَ ، ثُمَّ لَأَمَهُ -أَيْ: جَمَعَهُ وَضَممَّ بَعْضَهُ إِلَىٰ بَعْضٍ- ثُمَّ أَعَادَهُ فِي مَكَانِهِ ، وَجَاءَ الْغِلْمَانُ يَسْعَوْنَ إِلَىٰ أُمِّهِ -يَعْنِي ظِئْرَهُ- فَقَالُوا: إِنْ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ، فَاسْتَقْبَلُوهُ وَهُوَ مُنْتَقِعُ اللَّوْنِ** » .

قَالَ أَنَسٌ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- : « **فَكُنْتُ أَرَىٰ أَثَرَ الْمِخْيَطِ فِي صَدْرِهِ** » .

وَلَا شَكَّ -أَيُّهَا النَّاسُ- أَنَّ التَّطْهِيْرَ مِنْ حَظِّ الشَّيْطَانِ هُوَ إِرْهَاصٌ مُبَكِّرٌ لِلنُّبُوَّةِ وَإِعْدَادٌ لِلعِصْمَةِ مِنَ الشَّرِّ وَعِبَادَةِ غَيْرِ اللهِ ، فَلَا يَحِلُّ فِي قَلْبِهِ شَيْءٌ إِلَّا التَّوْحِيْدُ .

وَكَانَتْ إِقَامَتُهُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي بَنِي سَعْدٍ نَحْوًا مِنْ أَرْبَعِ سِنِيْنَ أَرْضَعَتْهُ امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي سَعْدٍ [٢] ، وَشُقَّ عَنْ فُؤَادِهِ هُنَاكَ ، فَرَدَدْتُهْ إِلَىٰ أُمِّهِ ؛ لِأَنَّهَا خَافَتْ عَلَيْهِ ، وَرَغِبَتْ فِي إِنْهَاءِ مَسْئولِيَّتِهَا عَنْهُ رَغْمَ حُبِّهَا لَهُ ، وَتَعَلُّقِهَا بِهِ فَمَكَثَ مَعَ أُمِّهِ إِلَىٰ أَنْ بَلَغَ سِتَّ سِنِيْنَ [٣] ، فَخَرَجَتْ بِهِ أُمُّهُ إِلَىٰ المَدِيْنَةِ تَزُورُ أَخْوَالِهِ بِالمَدِيْنَةِ ، مِنْ بَنِي عَدِي بْنِ النَّجَّارِ .

---

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٦١) .
(٢) انْظُرْ : « الفُصُول فِي سِيْرَةِ الرَّسُولِ » لابْنِ كَثِيْر (٤٥) .
(٣) « المَرْجِعُ السَّابِقُ » (٤٧) .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : حَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي بَكْرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ: أَنَّ أُمَّ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- آمِنَةَ تُوُفِّيَتْ وَرَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ابْنُ سِتِّ سِنِينَ بِالْأَبْوَاءِ ، بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ ، كَانَتْ قَدْ قَدِمَتْ بِهِ عَلَىٰ أَخْوَالِهِ مِنْ بَنِي عَدِيِّ بْنِ النَّجَّارِ ، تُزِيرُهُ إِيَّاهُمْ ، فَمَاتَتْ وَهِيَ رَاجِعَةٌ بِهِ إِلَىٰ مَكَّةَ .

وَرَوَىٰ الإِمَامُ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي«صَحِيحِ السِّيرَةِ»(١)، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-قَالَ : انْتَهَىٰ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِلَىٰ رَسْمِ قَبْرٍ فَجَلَسَ وَجَلَسَ النَّاسُ حَوْلَهُ كَثِيرٌ ، فَجَعَلَ يُحَرِّكُ رَأْسَهُ كَالْمُخَاطِبِ ثُمَّ بَكَىٰ ، فَاسْتَقْبَلَهُ عُمَرُ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- فَقَالَ : مَا يُبْكِيكَ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ .

قَالَ : «**هَذَا قَبْرُ آمِنَةَ بِنْتِ وَهْبٍ ، اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي فِي أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأَذِنَ لِي، وَاسْتَأْذَنْتُهُ فِي الاسْتِغْفَارِ لَهَا فَأَبَىٰ عَلَيَّ ، وَأَدْرَكَتْنِي رِقَّتُهَا فَبَكَيْتُ** » .

قَالَ : فَمَا رَأَيْتُ سَاعَةً أَكْثَرَ بَاكِيًا مِنْ تِلْكَ السَّاعَةِ .

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ »(٢)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ : زَارَ النَّبِيُّ - صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَبْرَ أُمِّهِ فَبَكَىٰ وَأَبْكَىٰ مَنْ حَوْلَهُ ، فَقَالَ : «**اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي فِي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَهَا فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي ، وَاسْتَأْذَنْتُهُ فِي أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا**

---

(١)(صَحِيحٌ) أَخْرَجَهُ أَحْمَد (٣٥٦٥) ، بِسَنَدٍ صَحِيحٍ وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «صَحِيحِ السِّيـرَةِ» (٢٣).

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٩٧٦) .

فَأْذَنَ لِي ، فَزُورُوا الْقُبُورَ، فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْمَوْتَ » .

فَلَمَّا مَاتَتْ أُمُّهُ -أَيُّهَا النَّاسُ- حَضَنَتْهُ أُمُّ أَيْمَنَ (١)، وَهِيَ مَوْلَاتُهُ ، وَرِثَهَا مِنْ أَبِيهِ (٢)، وَاسْمُهَا بَرَكَةُ بِنْتُ ثَعْلَبَةَ بْنِ حِصْنٍ ، وَكَانَتْ حَاضِنَةَ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، فَلَمَّا تَزَوَّجَ خَدِيْجَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- أَعْتَقَهَا ، وَزَوَّجَهَا زَيْدُ بْنَ حَارِثَةَ ، فَوَلَدَتْ لَهُ أُسَامَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ- .

وَكَفَلَهُ جُدُّهُ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ ، فَلَمَّا بَلَغَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِنَ الْعُمُرِ ثَمَانِيَ سِنِيْنَ ؛ تُوُفِّيَ جَدُّهُ، وَأَوْصَىٰ بِهِ إِلَىٰ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ؛ لِأَنَّهُ كَانَ شَقِيْقَ عَبْدِ اللهِ فَكَفَلَهُ ، وَأَحَاطَهُ أَتَمَّ حِيَاطَةٍ ، وَنَصَرَهُ حِيْنَ بَعَثَهُ اللهُ أَعَزَّ نَصْرٍ، مَعَ أَنَّهُ كَانَ مُسْتَمِرًّا عَلَىٰ شِرْكِهِ إِلَىٰ أَنْ مَاتَ ! ،فَخَفَّفَ اللهُ بِذَلِكَ مِنْ عَذَابِهِ .

كَمَا جَاءَ فِي «الصَّحِيْحَيْنِ» (٣) ، مِنْ حَدِيْثِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- أَنَّهُ قَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ هَلْ نَفَعْتَ أَبَا طَالِبٍ بِشَيْءٍ، فَإِنَّهُ كَانَ يَحُوطُكَ وَيَغْضَبُ لَكَ . قَالَ : « **نَعَمْ هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ، وَلَوْلَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ** » .

وَأَسْتَغْفِرُ اللهُ .

---

(١) «الفُصُول» (٤٨) .

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٧٧) مِنْ كَلَامِ ابْنِ شِهَابِ الزُّهْرِيِّ ، تِلْمِيْذِ أَنَسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-.

(٣) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٨٨٣) ، وَمُسْلِمٌ (٢٠٩) .

سَفَرُ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِلى الشَّامِ صُحْبَةُ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ وَقِصَّةُ بُحَيْرَا الرَّاهِبِ

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ :

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ أَشْرَفِ المُرْسَلِيْنَ ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

أَمَّا بَعْدُ:

تَقَدَّمَ الحَدِيْثُ مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنْ مُرْضِعَاتِهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَحَوَاضِنِهِ ، وَالآنَ حَدِيْثِي مَعَكُمْ عَنْ « **سَفَرُ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِلى الشَّامِ ، صُحْبَةُ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ وَقِصَّةُ بُحَيْرَا الرَّاهِبِ** » .

أَيُّهَا النَّاسُ ، لَقَدْ نَشَأَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَتِيمًا يَكْفُلُهُ جَدُّهُ عَبْدُ المُطَّلِبِ ، وَبَعْدَهُ عَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ .

وَقَدْ خَرَجَ بِهِ عَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ فِي تِجَارَةٍ إِلَىٰ الشَّامِ وَهُوَ ابْنُ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً وَذَلِكَ مِنْ تَمَامِ لُطْفِهِ بِهِ ،وَيَقُومُ مِنْ يَقُومُ بِهِ إِذَا تَرَكَهُ بِمَكَّةَ ، فَمَاذَا رَأَىٰ أَبُو طَالِبٍ وَأَصْحَابُهُ مِنَ الآيَاتِ ؟.

رَوَىٰ الحَافِظُ أَبُو بَكْرٍ الخَرَائِطِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ صَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي

«صَحِيْح السِّيْرَةِ» (١) ، مِنْ حَدِيْثِ أَبِي مُوسَىٰ الأَشْعَرِيِّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ : « خَرَجَ أَبُو طَالِب إِلَىٰ الشَّام وَخَرَجَ مَعَهُ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي أَشْيَاخ مِنْ قُرَيْش فَلَمَّا أَشْرَفُوا عَلَىٰ الرَّاهِب هَبَطُوا فَحَوَّلُوا رِحَالَهُمْ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمُ الرَّاهِبُ وَكَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ يَمُرُّونَ بِهِ فَلَا يَخْرُجُ إِلَيْهِمْ وَلَا يَلْتَفِتُ ، قَالَ : وَهُمْ يَحُلُّونَ رِحَالَهُمْ فَجَعَلَ يَتَخَلَّلُهُمْ ، حَتَّىٰ جَاءَ فَأَخَذَ بِيَدِ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَقَالَ : هَذَا سَيِّدُ الْعَالَمِينَ ، هَذَا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، هَذَا يَبْعَثُهُ اللهُ رَحْمَةً الْعَالَمِينَ .

فَقَالَ لَهُ أَشْيَاخٌ مِنْ قُرَيْشٍ : وَمَا عِلْمُكَ بِذَلِكَ ؟ قَالَ : إِنَّكُمْ حِينَ شَرَفْتُمْ مِنَ الْعَقَبَةِ لَمْ يَبْقَ شَجَرٌ ، وَلَا حَجَرٌ ، إِلَّا خَرَّ سَاجِدًا ، وَلَا تَسْجُدُ إِلَّا لِنَبِيٍّ وَإِنِّي أَعْرِفُهُ بِخَاتَمِ النُّبُوَّةِ ، أَسْفَلَ مِنْ غُضْرُوفِ كَتِفِهِ مِثْلِ التُّفَّاحَةِ ، ثُمَّ رَجَعَ فَصَنَعَ لَهُمْ طَعَامًا ثُمَّ أَتَاهُمْ ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي رَعِيَّةِ الْإِبِلِ قَالَ : أَرْسِلُوا إِلَيْهِ .

فَأَقْبَلَ وَعَلَيْهِ غَمَامَةٌ تُظِلُّهُ قَالَ : انْظُرُوا إِلَيْهِ غَمَامَةٌ تُظِلُّهُ ، فَلَمَّا دَنَا مِنَ الْقَوْمِ وَجَدَهُمْ قَدْ سَبَقُوهُ إِلَىٰ فَيْءِ الشَّجَرَةِ فَلَمَّا جَلَسَ مَالَ فَيْءُ الشَّجَرَةِ عَلَيْهِ ، قَالَ: انْظُرُوا إِلَىٰ فَيْءِ الشَّجَرَةِ مَالَ عَلَيْهِ ، فَبَيْنَمَا هُوَ قَائِمٌ عَلَيْهِ وَهُوَ يُنَاشِدُهُمْ أَنْ لَا تَذْهَبُوا بِهِ إِلَىٰ الرُّومِ فَإِنَّ الرُّومَ إِنْ رَأَوْهُ عَرَفُوهُ بِالصِّفَةِ فَقَتَلُوهُ ، فَالْتَفَتَ

(١) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٣٦٢٠) ، وَابن أَبِي شَيْبَة فِي «المُصَنَّف» (١٨٣٩٠) ، وَالبَيْهَقِيُّ فِي «الدَّلَائِلِ» (١/ ٣٧٠) ، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «صَحِيْحِ السِّيْرَةِ» (٢٩-٣٠).

فَإِذَا هُوَ بِسَبْعَةِ نَفَرٍ قَدْ أَقْبَلُوا مِنَ الرُّومِ فَاسْتَقْبَلَهُمْ ، فَقَالَ : مَا جَاءَ بِكُمْ ؟.

قَالُوا : جِئْنَا فَإِنَّ هَذَا النَّبِيَّ خَارِجٌ فِي هَذَا الشَّهْرِ فَلَمْ يَبْقَ طَرِيقٌ إِلَّا بُعِثَ إِلَيْهِ نَاسٌ وَإِنَّا بُعِثْنَا إِلَىٰ طَرِيقِهِ هَذَا ، فَقَالَ لَهُمُ الرَّاهِبُ : هَلْ خَلَّفْتُمْ خَلْفَكُمْ أَحَدًا هُوَ خَيْرٌ مِنْكُمْ ؟ ، قَالُوا : لَا ، قَالُوا : إِنَّمَا أُخْبِرْنَا خَبَرَهُ فَبُعِثْنَا إِلَىٰ طَرِيقِكَ هَذَا ، قَالَ : أَفَرَأَيْتُمْ أَمْرًا أَرَادَهُ اللهُ أَنْ يَقْضِيَهُ هَلْ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ رَدَّهُ ؟ ، قَالُوا : لَا قَالَ : فَبَايِعُوهُ فَبَايَعُوهُ وَأَقَامُوا مَعَهُ .

قَالَ : فَأَتَاهُمُ الرَّاهِبُ فَقَالَ : أَنْشُدُكُمُ اللهَ أَيُّكُمْ وَلِيُّهُ ؟ ، قَالَ أَبُو طَالِبٍ: فَلَمْ يَزَلْ يُنَاشِدُهُ حَتَّىٰ رَدَّهُ وَبَعَثَ مَعَهُ أَبُو بَكْرٍ ، بِلَالًا وَزَوَّدَهُ الرَّاهِبُ مِنَ الْكَعْكِ وَالزَّيْتِ » .

وَهَذَا الحَدِيْثُ -أَيُّهَا النَّاسُ- سَنَدُهُ أَئِمَّةٌ .

عَدَا ذِكْرُ أَبِي بَكْرٍ وَبِلَالٍ فَهِيَ مُدْرَجَةٌ مِنْ قِبَلِ بَعْضِ الرُّوَاةِ ، قَالَ الحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي الإِصَابَةِ : « رِجَالُهُ ثِقَاتٌ ، وَذِكْرُ أَبِي بَكْرٍ وَبِلَالٍ غَيْرِ مَحْفُوظٍ » .

وَفِي رِحْلَتِهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِلَىٰ الشَّامِ وَلِقَائِهِ بِالرَّاهِبِ بُحَيْرَا ، -أَيُّهَا النَّاسُ- مِنَ الفَوَائِدِ العِظَامِ الشَّيْءِ الكَثِيْرِ ، فَمِنْ تِلْكَ الفَوَائِدِ :

الفَائِدَةُ الأُوْلَى : حِمَايَةُ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- لِنَبِيِّهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَدِفَاعِهِ عَنْهُ، وَكَذَلِكَ يَحْمِي هَذَا الدِّيْنِ وَيُدَافِعُ عَنْهُ، وَيَرُدُّ عَنْهُ بَأْسَ

الَّذِيْنَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ .

الفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ : تَصْدِيْقٌ لِقَوْلِ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ ﴾ [الضُّحَى:٦] ، فَقَدْ كَانَ فِي رِعَايَةِ عَمِّهِ أَبِي طَالِب ، يَحْفَظُهُ وَيُدَافِعُ عَنْهُ ، فَلِهَذَا مَنَعَهُ مِنْ دُخُولِ الشَّامِ، وَرَدَّهُ إِلَىٰ مَكَّةَ خَوْفًا عَلَيْهِ .

الفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ : فِيْهِ دَلَائِلُ النُّبُوَّةِ البَاهِرَةُ ، فَقَدْ حَيَّاهُ الشَّجَرُ وَالحَجَرُ، مَالَ فَيْءُ الشَّجَرَةِ إِلَيْهِ ، وَصَدَّقَ نُبُوَّتِهِ هَذَا الرَّاهِبُ بِمَا عَلِمَ مِنَ البِشَارَةِ المَذْكُورَةِ عِنْدَهُ فِي الكِتَابِ الأَوَّلِ وَصِفَةِ الأَنْبِيَاءِ فِيْهِ .

الفَائِدَةُ الرَّابِعَةُ : أَنَّ الإِنْسَانَ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي قَلْبِهِ مَانِعٌ مِنْ كِبْرٍ أَوْ عِنَادٍ أَوْ إِيْثَارِ الحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنْ جَلْبِ نَفْعٍ أَوْ دَفْعِ مَلَامَةٍ أَوْ أَذًىٰ ، فَإِنَّهُ لَا يُمْكِنُهُ إِلَّا الاعْتِرَافُ بِصِدْقِ نُبُوَّتِهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- .

الفَائِدَةُ الخَامِسَةُ : أَنَّ مَنْ تَرَكَ الانْقِيَادَ لِهَذَا الدِّيْنِ ، فَإِنَّهُ لَا يَكُونُ مُسْلِمًا حَتَّىٰ وَلَوْ عَلِمَ صِحَّتَهُ ، فَلَا بُدَّ مِنَ الانْقِيَادِ بِإِعْلَانِ الإِسْلَامِ وَالْتِزَامِ أَحْكَامِهِ، وَهَذَا مِثْلُ أَبِي طَالِبٍ ، فَإِنَّهُ كَانَ يَعْلَمُ صِحَّةَ الإِسْلَامِ وَيُقِرُّ بِذَلِكَ لَكِنَّهُ لَا يَنْقَادُ لَهُ بِالعَمَلِ ، وَآثَرَ أَنْ يُدَافِعَ عَنْ نَفْسِهِ مَلَامَةَ قَوْمِهِ إِذَا تَرَكَ دِيْنَ آبَائِهِمْ وَأَجْدَادِهِمْ ، فَمَاتَ كَافِرًا .

الفَائِدَةُ السَّادِسَةُ : أَنَّ عَدَاوَةَ النَّصْرَانِيَّةِ الصَّلِيْبِيَّةِ لِهَذَا الدِّيْنِ بَدَأَتْ قَبْلَ البِعْثَةِ المُحَمَّدِيَّةِ ، وَلِهَذَا بَعَثَ الرُّومُ الجُنُودَ إِلَىٰ الطُّرُقِ لَمَّا أَعْلَمَتْهُم شَيَاطِيْنُهُمْ وَكَهَنَتَهُمْ بِقُدُومِ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِلَىٰ الشَّامِ لِيَقْتُلُوهُ

وَكَانَ مَعَهُمْ اليَهُودُ فِي هَذِهِ المُؤَامَرَةِ ، كَمَا ذَكَرَ ابْنُ القَيِّم » .

اللهُمَّ يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَىٰ دِيْنِكَ ، اللهُمَّ يَا مُصَرِّفَ القُلُوبِ وَالأَبْصَارِ ، صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَىٰ طَاعَتِكَ .

اللهُمَّ لَاَ تَدَعْ لَنَا ذَنْبًا إِلَّا غَفَرْتَهُ ، وَلاَ هَمًّا إِلَّا فَرَّجْتَهُ ، وَلاَ دَيْنًا إِلَّا قَضَيْتَهُ ، وَلاَ حَاجَةً مِنْ حَوَائِجِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ هِيَ لَكَ رِضَا ، وَلَنَا فِيْهَا صَلَاحٌ إِلَّا قَضَيْتَهَا يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ .

وَسُبْحَانَكَ اللهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ .

٣ حياةُ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَبْلَ البِعْثَةِ

الخُطْبَةُ الأُوْلَى:

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ،نَحْمِدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلِ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لا شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ [الأَحْزَاب:٧٠-٧١] .

أَمَّا بُعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الأُمُورِ

مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ :

فَمَا زَالَ الحَدِيْثِ مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنِ السِّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ عَلَىٰ صَاحِبِهَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، وَحَدِيْثِي مَعَكُمْ اليَوْمَ عَنْ « **حَيَاةِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَبْلَ البَعْثَةِ** » .

-أَيُّهَا النَّاسُ- كَانَتْ حَيَاةُ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَبْلَ البَعْثَةِ حَيَاةً فَاضِلَةً شَرِيْفَةً لَمْ تَعْرِف لَهُ هَفْوَةً ، وَلَمْ تُحْصَ عَلَيْهِ فِيْهَا زَلَّةً ، لَقَدْ شَبَّ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَحُوطُهُ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- بِعِنَايَتِهِ ، وَيَحْفَظُهُ مِنْ أَقْذَارِ الجَاهِلِيَّةِ لِمَا يُرِيْدُهُ لَهُ مِنْ كَرَامَتِهِ وَرِسَالَتِهِ ، حَتَّىٰ صَارَ أَفْضَلَ قَوْمِهِ وَأَعْظَمَهُمْ أَمَانَةً حَتَّىٰ صَارَ مَعْرُوفًا بَيْنَ قَوْمِهِ بِالأَمِيْنِ .

وَلَقَدْ قَامَ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِرَعْيَةِ الغَنَمِ لِيُعَلِّمَنَا الجِدَّ وَالعَمَلَ وَخِدْمَةِ النَّفْسِ ، وَأَنَّ أَفْضَلَ مَا أَكَلَ ابْنُ آدَمَ مِنْ عَمَلِ يَدَيْهِ .

فَفِي «صَحِيْحِ البُخَارِيِّ» (١) ، مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- عَنْ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: « **مَا بَعَثَ اللهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَىٰ الْغَنَمَ** »، فَقَالَ أَصْحَابُهُ : وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟، فَقَالَ : « **نَعَمْ كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَىٰ قَرَارِيطَ لِأَهْلِ مَكَّةَ** » .

وَالقَرَارِيطُ -أَيُّهَا النَّاسُ- هُوَ جُزْءٌ مِنَ الدِّيْنَارِ أَوْ الدِّرْهَمِ .

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٢٢٦٢) .

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» (١) ،مِنْ حَدِيْثِ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِمَرِّ الظَّهْرَانِ نَجْنِي الْكَبَاثَ -أَيْ: النَّضِيْجُ مِنْ ثَمَرِ الأَرَاكِ- فَقَالَ: « **عَلَيْكُمْ بِالْأَسْوَدِ مِنْهُ ؛ فَإِنَّهُ أَطْيَبُهُ**»، قُلْنَا : وَكُنْتَ تَرْعَىٰ الْغَنَمَ يَا رَسُولَ اللهِ ؟، قَالَ : « **نَعَمْ ، وَهَلْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا قَدْ رَعَاهَا** » .

وَالحِكْمَةُ -أَيُّهَا النَّاسُ- مِنْ رَعْيَةِ الأَنْبِيَاءِ لِلغَنَمِ هُوَ مَا ذَكَرَهُ الحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ -رَحِمَهُ اللهُ-: قَالَ العُلَمَاءُ : « الْحِكْمَةُ فِي إِلْهَامِ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ رَعْيِ الْغَنَمِ قَبْلَ النُّبُوَّةِ ، أَنْ يَحْصُلَ لَهُمُ التَّمَرُّنُ بِرَعْيِهَا عَلَىٰ مَا يُكَلَّفُونَهُ مِنَ الْقِيَامِ بِأَمْرِ أُمَّتِهِمْ، وَلِأَنَّ فِي مُخَالَطَتِهَا مَا يُحَصِّلُ لَهُمُ الحِلْمَ وَالشَّفَقَةَ، لِأَنَّهُمْ إِذَا صَبَرُوا عَلَىٰ رَعْيِهَا وَجَمْعِهَا بَعْدَ تَفَرُّقِهَا فِي الْمَرْعَى،وَنَقْلِهَا مِنْ مَسْرَحٍ إِلَىٰ مَسْرَحٍ، وَدَفْعِ عَدُوِّهَا مِنْ سَبُعٍ وَغَيْرِهِ كَالسَّارِقِ ، وَعَلِمُوا اخْتِلَافَ طِبَاعِهَا وَشِدَّةَ تَفَرُّقِهَا مَعَ ضَعْفِهَا وَاحْتِيَاجِهَا إِلَىٰ الْمُعَاهَدَةِ، أَلِفُوا مِنْ ذَلِكَ الصَّبْرَ عَلَىٰ الْأُمَّةِ، وَعَرَفُوا اخْتِلَافَ طِبَاعِهَا وَتَفَاوُتَ عُقُولِهَا ، فَجَبَرُوا كَسْرَهَا وَرَفَقُوا بِضَعِيفِهَا ، وَأَحْسَنُوا التَّعَاهُدَ لَهَا ، فَيَكُونُ تَحَمُّلُهُمْ لِمَشَقَّةِ ذَلِكَ أَسْهَلَ مِمَّا لَوْ كُلِّفُوا الْقِيَامَ بِذَلِكَ مِنْ أَوَّلِ وَهْلَةٍ، لِمَا يَحْصُلُ لَهُمْ مِنَ التَّدْرِيجِ عَلَىٰ ذَلِكَ بِرَعْيِ الْغَنَمِ ، وَخُصَّتِ الْغَنَمُ بِذَلِكَ لِكَوْنِهَا أَضْعَفَ مِنْ غَيْرِهَا،وَلِأَنَّ تَفَرُّقَهَا أَكْثَرُ مِنْ تَفَرُّقِ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ، لِإِمْكَانِ ضَبْطِ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ بِالرَّبْطِ دُونَهَا فِي الْعَادَةِ

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٢٢٥) ، وَمُسْلِمٌ (٢٠٥٠) .

الْمَأْلُوفَةِ ، وَمَعَ أَكْثَرِيَّةِ تَفَرُّقِهَا فَهِيَ أَسْرَعُ انْقِيَادًا مِنْ غَيْرِهَا »(١) .

-أَيُّهَا النَّاسُ-لَقَدْ عَصَمَ اللهُ نَبِيَّهُ-صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-مِنْ أَعْمَالِ الجَاهِلِيَّةِ الَّتِي يَعْمَلُهَا قَوْمُهُ، فَقَدْ أَجْمَعَ العُلَمَاءُ عَلَىٰ أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مَعْصُومٌ عَنِ الكُفْرِ قَبْلَ الوَحْيِ وَبَعْدَهُ ، وَأَمَّا تَعَمُّدُ الكَبَائِرِ فَهُوَ مَعْصُومٌ عَنْهَا بَعْدَ الوَحْيِ، وَأَمَّا الصَّغَائِرُ فَتَجُوزُ عَمْدًا عِنْدَ الْجُمْهُورِ بَعْدَ الوَحْيِ، وَيُسْتَفَادُ مِنْ كَلَامِهِمْ عَدَمُ امْتِنَاعِ صُدُورِ الكَبَائِرِ عَنْهُ قَبْلَ الوَحْيِ»(٢).

قَالَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- : لَمَّا بُنِيَتْ الْكَعْبَةُ ذَهَبَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -يَنْقُلُ الْحِجَارَةَ، فَقَالَ العَبَّاسُ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- لِرَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: اجْعَلْ إِزَارَكَ عَلَىٰ عَاتِقِكَ يَقِيكَ مِنَ الْحِجَارَةِ ، فَفَعَلَ ، فَخَرَّ إِلَىٰ الْأَرْضِ وَطَمَحَتْ عَيْنَاهُ إِلَىٰ السَّمَاءِ ، ثُمَّ أَفَاقَ فَقَالَ : « **إِزَارِي** » فَشَدَّ عَلَيْهِ إِزَارَهُ . وَالحَدِيثُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» (٣) .

فَدَلَّ الحَدِيثُ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَلَىٰ حِفْظِ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَوْرَتَهُ فِي الجَاهِلِيَّةِ ، فِي حِينِ أَنَّ كَشْفَ العَوْرَةِ فِي الجَاهِلِيَّةِ لَمْ يَكُنْ مُسْتَنْكَرًا، فَقَدْ كَانَ بَعْضُ النَّاسِ يَطُوفُونَ بِالبَيْتِ عَارَةً ، مُتَجَرِّدِينَ مِنْ كَامِلِ ثِيَابِهِمْ، وَحَتَّىٰ النِّسَاءِ .

---

(١) «فَتْحُ البَارِيّ» (٤/ ٤٤١) .
(٢) «لَوَامِعُ الأَنْوَارِ البَهِيَّة» للسَّفَارِينِي (٢/ ٣٠٥) .
(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (١٥٨٢) ، وَمُسْلِمٌ (٣٤٠) .

وَكَانَ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -أَيُّهَا النَّاسُ- مَعْصُومًا مِنَ الكُفْرِ فَلَمْ يَتَقَرَّبْ لِصَنَمٍ أَوْ يَتَمَسَّحْ بِهِ .

فَقَدْ رَوَىٰ الطَّبَرَانِيُّ بِسَنَدٍ حَسَنٍ حَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ السِّيْرَةِ» (١) ، مِنْ حَدِيْثِ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ : كَانَ صَنَمًا مِنْ نُحَاسٍ يُقَالُ لَهُ :(إِسَافُ وَنَائِلَةُ) ، يَتَمَسَّحُ بِهِ الْمُشْرِكُونَ إِذَا طَافُوا ، فَطَافَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَطُفْتُ مَعَهُ ، فَلَمَّا مَرَرْتُ مَسَحْتُ بِهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **لَا تَمَسَّهُ** »، قَالَ زَيْدٌ : فَطُفْنَا ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: لَأَمَسَّنَّهُ حَتَّىٰ أَنْظُرَ مَا يَقُولُ ، فَمَسَحْتُهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **أَلَمْ تُنْهَ ؟** » .

قَالَ زَيْدٌ : فَوَالَّذِي أَكْرَمَهُ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ مَا اسْتَلَمَ صَنَمًا حَتَّىٰ أَكْرَمَهُ اللهُ بِالَّذِي أَكْرَمَهُ ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ .

وَفِي مُسْتَدْرَكِ « الحَاكِمِ» ، بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ ، صَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيْحِ السِّيْرَةِ» (٢)، عَنْ نَافِعِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ عَنْ أَبِيهِ جُبَيْرٍ قَالَ : كَانَتْ قُرَيْشٌ إِنَّمَا تَدْفَعُ مِنَ (الْمُزْدَلِفَةِ) وَيَقُولُونَ: نَحْنُ (الْحُمْسُ) فَلَا نَخْرُجُ مِنَ الْحَرَمِ وَقَدْ تَرَكُوا الْمَوْقِفَ عَلَى عَرَفَةَ . قَالَ : « **فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ**

---

(١) (صَحِيحٌ)أَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ(٤٦٦٥)، وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ-فِي«صَحِيحِ السِّيْرَةِ» (٣٢) .

(٢) (صَحِيْحٌ)أَخْرَجَهُ الحَاكِمُ (١/ ٤٦٤)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ-فِي«صَحِيحِ السِّيْرَةِ» (٣٤).

وَسَلَّمَ- فِي الجَاهِلِيَّةِ يَقِفُ مَعَ النَّاسِ بعَرَفَةَ عَلَىٰ جَمَلٍ لَهُ ، ثُمَّ يُصْبِحُ مَعَ قَوْمِهِ بِالْمُزْدَلِفَةِ ، فَيَقِفُ مَعَهُمْ ، وَيَدْفَعُ إِذَا دَفَعُوا » .

فَفِي هَذَا -أَيُّهَا النَّاسُ- دَلِيْلٌ عَلَىٰ اتِّبَاعِ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِلَّةَ أَبِيْهِ إِبْرَاهِيْمَ وَإِسْمَاعِيْلَ - عَلَيْهِمَا السَّلَامِ- وَلَمْ يُشْرِكْ بِاللهِ قَطُّ - صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ - دَائِمًا أَبَدًا .

وَمِمَّا شَهِدَهُ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَبْلَ البِعْثَةِ -أَيُّهَا النَّاسُ- حِلْفُ الفُضُولِ .

وَفِي مُسْتَدْرِكِ « البَيْهَقِيُّ» ، بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ ، صَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي «حَاشِيَةِ فِقْهِ السِّيْرَةِ» (١)، مِنْ حَدِيْثِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **شَهِدْتُ مَعَ عُمُومَتِي وَأَنَا غُلَامٌ حِلْفَ الْمُطَيَّبِينَ ، فَمَا أُحِبُّ أَنَّ لِي حُمْرَ النِّعَمِ ، وَإِنِّي أَنْكُثُهُ** » .

وَحِلْفُ الْفُضُولِ هُوَ كَمَا قَالَ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ :« تَدَاعَتْ قَبَائِلُ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَىٰ حِلْفٍ ، فَاجْتَمَعُوا لَهُ فِي دَارِ عَبْدِ اللهِ بْنِ جُدْعَانَ لِشَرَفِهِ ، وَسِنِّهِ ، فَتَعَاهَدُوا وَتَعَاقَدُوا عَلَىٰ أَنْ لَا يَجِدُوا بِمَكَّةَ مَظْلُومًا مَنْ أَهْلِهَا وَغَيْرِهِمْ مِمَّنْ دَخَلَهَا مِنْ سَائِرِ النَّاسِ ، إِلَّا كَانُوا مَعَهُ كَانُوا عَلَىٰ مَنْ ظَلَمَهُ ، حَتَّىٰ يَرُدَّ عَلَيْهِ مَظْلَمَتَهُ ، فَسَمَّتْ قُرَيْشٌ ذَلِكَ الحِلْفَ حِلْفَ الْفُضُولِ » (٢).

---

(١) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ البَيْهَقِيُّ » (٢/ ٣٨)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي «حَاشِيَةِ فِقْهِ السِّيْرَةِ» (٧٥).
(٢) «سِيْـرَةُ ابْنُ هِشَامٍ» (١/ ١٣٤-١٣٥) .

قَالَ ابْنُ كَثِيْرٍ -رَحِمَهُ اللهُ- :

« وَكَانَ حِلْفُ الْفُضُولِ أَكْرَمَ حِلْفٍ سُمِعَ بِهِ وَأَشْرَفَهُ فِي الْعَرَبِ وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ تَكَلَّمَ بِهِ ، وَدَعَا إِلَيْهِ الزُّبَيْرُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَكَانَ سَبَبُهُ أَنَّ رَجُلًا مِنْ زُبَيْدٍ قَدِمَ مَكَّةَ بِبِضَاعَةٍ فَاشْتَرَاهَا مِنْهُ الْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ فَحَبَسَ عَنْهُ حَقَّهُ فَاسْتَعْدَىٰ عَلَيْهِ الْغَرِيْبُ أَهْلَ الفَضْلِ فِي مَكَّةَ ، فَخَذَلَهُ فَرِيْقٌ ، وَنَصَرَهُ الآخَرُ، ثُمَّ كَانَ مِنْ أَمْرِهِمْ مَا ذَكَرْنَاهُ ، وَقَدْ وَتَحَالَفُوا فِي ذِي الْقَعْدَةِ فِي شَهْرٍ حَرَامٍ فَتَعَاقَدُوا وَتَعَاهَدُوا بِاللهِ : لَيَكُونُنَّ يَدًا وَاحِدَةً مَعَ الْمَظْلُومِ عَلَى الظَّالِمِ حَتَّىٰ يُؤَدِّيَ إِلَيْهِ حَقَّهُ ... ، ثُمَّ مَشَوْا إِلَىٰ الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ فَانْتَزَعُوا مِنْهُ مَالَ الغَرِيْبِ ، فَدَفَعُوهَا إِلَيْهِ »[1].

وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ .

---

(١) «السِّيْرَةُ لابْنِ كَثِيْرٍ» (١/ ٢٥٩).

زَوَاجُهُ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِنْ خَدِيْجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا-

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ :

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ أَشْرَفِ المُرْسَلِيْنَ ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

أَمَّا بَعْدُ:

فَتَقَدَّمَ الحَدِيْثُ مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنْ حَيَاتِهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَبْلَ البِعْثَةِ ، وَالآنَ حَدِيْثِي مَعَكُمْ عَنْ «**زَوَاجِهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِنْ خَدِيْجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا-** » .

وَمِمَّا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَبْلَ البِعْثَةِ الزَّوَاجُ مِنْ خَدِيْجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- ، وَهِيَ أُمُّ المُؤْمِنِيْنَ خَدِيْجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ العُزَّىٰ ابْنِ قُصَيٍّ .

قَالَ الحَافِظُ فِي «الفَتْحِ» : «تَجْتَمِعُ مَعَ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي قُصَيٍّ وَهِيَ مِنْ أَقْرَبِ نِسَائِهِ إِلَيْهِ فِي النَّسَبِ ، وَلَمْ يَتَزَوَّجْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قُصَيٍّ غَيْرَهَا إِلَّا أُمَّ حَبِيبَةَ » (١).

---

(١) «فَتْحُ البَارِيِّ» (٧/ ١٦٧) .

وَكَانَتْ خَدِيجَةُ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- أَوْسَطَ نِسَاءِ قُرَيْشٍ نَسَبًا ، وَأَعْظَمَهُنَّ شَرَفًا ، وَأَكْثَرَهُنَّ مَالًا ؛ كُلُّ قَوْمِهَا كَانَ حَرِيصًا عَلَىٰ الزَّوَاجِ مِنْهَا لَوْ يَقْدِرُ عَلَيْهِ (١).

تَزَوَجَتْ عَتِيْقَ بْنُ عَائِذِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْمَخْزُومِيِّ ، فَوَلَدَتْ لَهُ جَارِيَةً اسْمُهَا هِنْدٌ ، ثُمَّ هَلَكَ عَتِيْقَ عَنْهَا فَخَلَفَ عَلَيْهَا أَبُو هَالَةَ بْنُ زُرَارَةَ التَّمِيْمِيِّ، فَوَلَدَتْ لَهُ غُلَامَيْنِ : هِنْدًا ، وَهَالَةً الصَّحَابِيَّيْنِ، ثُمَّ هَلَكَ أَبُو هَالَةَ عَنْهَا ، فَقَضَتْ مُدَّةً طَوِيْلَةً وَهِيَ تَرْفُضُ الكَثِيْرِيْنَ مِنْ أَشْرَافِ قُرَيْشٍ ، حَتَّىٰ خَلَفَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللهِ - صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَبَنَىٰ بِهَا سَنَةَ خَمْسٍ وَعِشْرِيْنَ مِنْ مَوْلِدِهِ فِي قَوْلِ الجُمْهُورِ ، وَكَانَتْ أَسَنَّ مِنْهُ بِقَلِيْلٍ ، وَكَانَتْ أَوَّلَ امْرَأَةٍ تَزَوَّجَهَا رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، فَوَلَدَتْ لَهُ أَوْلَادَهُ كُلَّهُمْ ، إِلَّا إِبْرَاهِيمَ ، وَهُمْ : القَاسِمُ وَهُوَ أَكْبَرُ وَلَدِهِ ، وَبِهِ كَانَ يُكْنَىٰ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ثُمَّ زَيْنَبُ ، ثُمَّ رُقَيَّةُ ، ثُمَّ أُمُّ كُلْثُوم ، ثُمَّ فَاطِمَةُ ، ثُمَّ عَبْدُ اللهِ وَكَانَ يُقَالُ لَهُ الطِّيبُ وَالطَّاهِرُ ؛ لِأَنَّهُ وُلِدَ بَعْدَ النُّبُوَّةِ .

وَقَدْ مَاتَ الذَّكَرَانِ صَغِيْرَيْنِ ، وَأَمَّا البَنَاتُ فَكُلُّهُنَّ أَدْرَكْنَ الإِسْلَامَ ، فَأَسْلَمْنَ وَهَاجَرْنَ مَعَهُ ، إِلَّا أَنَّهُنَّ أَدْرَكَتْهُنَّ الوَفَاةُ فِي حَيَاتِهِ ، سِوَىٰ فَاطِمَةَ، فَقَدْ تَأَخَّرَتْ بَعْدَهُ سِتَّةَ أَشْهُرٍ ، ثُمَّ كَانَتْ أَوَّلَ أَهْلِهِ لُحُوقًا بِهِ » (٢).

(١) «سِيرَةُ ابْنُ هِشَام» (١/ ١٤٢) .
(٢) «سِيْرَةُ ابْنُ هِشَام» (١/ ١٤٢) ، و«الفَتْحُ» (٧/ ٥٠٧) ، و«البِدَايَةُ وَالنِّهَايَة»(٥/ ٣٣١-٣٣٢)، وَبَيْنَ المَصَادِرِ اخْتِلَافٌ يَسِيرٌ أَخَذْنَا مَا هُوَ الرَّاجِح مِنْهَا .

وَلِخَدِيْجَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا -أَيُّهَا النَّاسُ- مِنَ الفَضَائِلِ العَظِيْمَةِ ، فَمِنْ فَضَائِلِهَا أَنَّ جِبْرِيْلَ-عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- أَبْلَغَهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا بِوَاسِطَةِ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- .

فَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ» (١) ، مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-قَالَ: **«أَتَىٰ جِبْرِيلُ النَّبِيَّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْكَ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ ، أَوْ طَعَامٌ ، أَوْ شَرَابٌ ، فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا وَمِنِّي ، وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ ، لَا صَخَبَ فِيهِ ، وَلَا نَصَبَ »** .

قَالَ ابْنُ القَيِّمِ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «الزَّادِ» (٢) : « وَهِيَ فَضِيْلَةٌ لَا تُعْرَفُ لِامْرَأَةٍ سِوَاهَا» .

وَمِنْ فَضَائِلِهَا -أَيُّهَا النَّاسُ- أَنَّهَا مِنْ أَفْضَلِ نِسَاءِ العَالَمِيْنَ .

فَفِي «مُسْنَدِ» أَحْمَدُ بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ صَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيْحِ الجَامِعِ» (٣) ، وَالوَادِعِيُّ فِي «الجَامِعِ الصَّحِيْحِ» عَنْ أَنَسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: **«حَسْبُكَ مِنْ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ مَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ ، وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ ، وَآسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ»** .

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٨٢٠) ، وَمُسْلِمٌ (٢٤٣٢/ ١٧) .
(٢) «زَادُ المَعَادِ» (١/ ١٠٥) .
(٣) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ أَحْمَد (٣/ ١٣٥) ، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «صَحِيْحِ الجَامِعِ» (٣١٤٣)، وَالوَادِعِيُّ فِي «الجَامِعِ الصَّحِيْحِ» (٢٠٢) .

وَمِنْ فَضَائِلِهَا -أَيُّهَا النَّاسُ- أَنَّهَا خَيْرُ نِسَاءِ هَذِهِ الأُمَّةِ .

فَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ» (١) ، مِنْ حَدِيْثِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: « **خَيْرُ نِسَائِهَا مَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ ، وَخَيْرُ نِسَائِهَا خَدِيجَةُ** » .

وَمِنْ فَضَائِلِهَا -أَيُّهَا النَّاسُ- أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لَمْ يَتَزَوَّجْ عَلَيْهَا حَتَّىٰ مَاتَتْ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- .

وَفِي «صَحِيْحِ مُسْلِمٍ» (٢)،عَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- قَالَتْ : «**لَمْ يَتَزَوَّجِ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلَىٰ خَدِيجَةَ حَتَّىٰ مَاتَتْ** » .

وَمِنْ فَضَائِلِهَا -أَيُّهَا النَّاسُ- كَثْرَةُ ذِكْرِهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَثَنَاؤُهُ لَهَا ، وَثَنَاؤُهُ عَلَيْهَا بَعْدَ مَوْتِهَا .

فَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ» (٣) ، مِنْ حَدِيْثِ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- قَالَتْ : «**مَا غِرْتُ عَلَىٰ امْرَأَةٍ مَا غِرْتُ عَلَىٰ خَدِيجَةَ مِنْ كَثْرَةِ ذِكْرِ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِيَّاهَا ، قَالَتْ : وَتَزَوَّجَنِي بَعْدَهَا بِثَلَاثِ سِنِينَ وَأَمَرَهُ رَبُّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- أَوْ جِبْرِيلُ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- أَنْ يُبَشِّرَهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ**» .

فَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ» (٤) ، مِنْ حَدِيْثِ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- قَالَتْ:

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٤٣٢) ، وَمُسْلِمٌ (٢٤٣٠) .
(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٤٣٦) .
(٣) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٨١٧) ، وَمُسْلِمٌ (٢٤٣٥) .
(٤) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٨١٨) ، وَمُسْلِمٌ (٢٤٣٥) وَاللَّفْظُ لَهُ .

مَا غِرْتُ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْ نِسَاءِ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مَا غِرْتُ عَلَىٰ خَدِيجَةَ وَمَا رَأَيْتُهَا، وَلَكِنْ كَانَ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يُكْثِرُ ذِكْرَهَا، وَرُبَّمَا ذَبَحَ الشَّاةَ ثُمَّ يُقَطِّعُهَا أَعْضَاءً ، ثُمَّ يَبْعَثُهَا فِي صَدَائِقِ خَدِيجَةَ ، فَرُبَّمَا قُلْتُ لَهُ : كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا امْرَأَةٌ إِلَّا خَدِيجَةُ ، فَيَقُولُ : « **إِنَّهَا كَانَتْ وَكَانَتْ وَكَانَ لِي مِنْهَا وَلَدٌ** » .

وَفِي رِوَايَةٍ : « وَكَانَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِذَا ذَبَحَ الشَّاةَ فَيَقُولُ: « **أَرْسِلُوا بِهَا إِلَىٰ أَصْدِقَاءِ خَدِيجَةَ** » . قَالَتْ: فَأَغْضَبْتُهُ يَوْمًا فَقُلْتُ: خَدِيجَةَ! فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : «**إِنِّي قَدْ رُزِقْتُ حُبَّهَا**».

تَمُرُّ الصَّبَا صَفْحًا بِسُكَّانِ ذِي الْغَضَا ... وَيَصْدَعُ قَلْبِي أَنْ يَهُبَّ هُبُوبُهَا
قَرِيبَةُ عَهْدٍ بِالحَبِيبِ ، وَإِنَّمَا ... هَوَىٰ كُلِّ نَفْسٍ حَيْثُ حَلَّ حَبِيبُهَا

تِلْكَ -أَيُّهَا النَّاسُ- قَطْرَةٌ مِنْ بَحْرِ فَضَائِلِهَا ، وَكَانَتْ وَفَاتُهَا فِي رَمَضَانَ لِسَبْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَتْ مِنْهُ (١) ، سَنَةَ عَشْرٍ مِنَ البِعْثَةِ قَبْلَ الهِجْرَةِ بِثَلَاثِ سِنِينَ (٢)، وَقَبْلَ أَنْ تُفْرَضَ الصَّلَاةُ (٣) ، وَدُفِنَتْ بِالحُجُونِ (٤) ، وَنَزَلَ رَسُولُ

---

(١) «أَزْوَاجُ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-» (١/ ١٠٥) .
(٢) «الإِصَابَةُ» (٤/ ٢٨٣) وَ«الاسْتِعَابُ» (٤/ ٢٨٩) ، وَثَبَتَ هَذَا فِي صَحِيحِ البُخَارِيِّ حَدِيثِ (٣٨٩٦) .
(٣) أَيْ : الصَّلَوَاتُ الخَمْس ، وَإِنَّمَا فُرِضَ لَيْلَةَ الإِسْرَاء ، وَأَمَّا أَصْل الصَّلَاة فَقَدْ وَجَبَ فِي حَيَاةِ خَدِيجَة -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- .
(٤) «السِّيَرُ» (٢/ ١١١) وَ الحُجُون : جَبَل بِمَكَّة وَهِيَ مَقْبَرَة مَعْرُوفَة.

اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي قَبْرِهَا (١) ، وَحَزِنَ عَلَيْهَا -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حُزْنًا شَدِيْدًا ، وَتَتَابَعَتْ عَلَيْهِ المِحَنُ بَعْدَ مَوْتِهَا .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ -رَحِمَهُ اللهُ -: « تَتَابَعَتْ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الْمَصَائِبُ بِهَلْكِ خَدِيجَةَ ، وَكَانَتْ لَهُ وَزِيرَ صِدْقٍ ، يَشْكُو إِلَيْهَا » .

وَلِلهِ دَرُّ القَائِلِ :

فَلَوْ كَانَتْ النِّسَاءُ كَمِثْلِ هَذِي ... لَفَضَّلْتُ النِّسَاءَ عَلَىٰ الرِّجَالِ
فَمَا التَّأْنِيْثُ لاسْمِ الشَّمْسِ عَيْبٌ ... وَلَا التَّذْكِيرُ فَخْرٌ لِلهِلَالِ

اللهُمَّ لَا تَدَعْ لَنَا ذَنْبًا إِلَّا غَفَرْتَهُ ، وَلَا هَمًّا إِلَّا فَرَّجْتَهُ ، وَلَا دَيْنًا إِلَّا قَضَيْتَهُ ، وَلَا حَاجَةً مِنْ حَوَائِجِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ هِيَ لَكَ رِضَا ، وَلَنَا فِيْهَا صَلَاحٌ إِلَّا قَضَيْتَهَا يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ.

وَسُبْحَانَكَ اللهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ .

---

(١) «طَبَقَاتُ ابْنُ سَعْدٍ» (٨/ ١٨) وَ«الإِصَابَةُ» (٤/ ٢٨٣) .

٤ بِنَاءُ الكَعْبَةِ

الخُطْبَةُ الأُولَىٰ:

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ،نَحْمِدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلِ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾

[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾[النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾

[الأَحْزَاب:٧٠-٧١] .

أَمَّا بُعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ

مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ :

فَمَا زَالَ الحَدِيْثِ مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنِ السِّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ عَلَىٰ صَاحِبِهَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، وَحَدِيْثِي مَعَكُمْ اليَوْمَ عَنْ « **بِنَاءِ الكَعْبَةِ** » .

-أَيُّهَا النَّاسُ- لَقَدْ بُنِيَتِ الكَعْبَةُ خِلَالَ الدَّهْرِ كُلِّهِ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ بِيَقِيْنٍ .

فَأَمَّا المَرَّةُ الأُوْلَىٰ مِنْهَا -أَيُّهَا النَّاسُ-:فَهِيَ الَّتِي قَامَ بِأَمْرِ البِنَاءِ فِيْهَا إِبْرَاهِيْمُ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- يُعِيْنُهُ ابْنُهُ إِسْمَاعِيْلُ-عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، وَذَلِكَ اسْتِجَابَةً مِنْهُمَا لِأَمْرِ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - ثَبَتَ ذَلِكَ بِصَرِيْحِ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ الصَّحِيْحَةِ .

وَأَمَّا الكِتَابِ فَقَوْلُ اللهِ-تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ -:﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ ﴾ [البَقَرَةُ:١٢٧].

وَأَمَّا السُّنَّةُ فَأَحَادِيْثُ كَثِيْرَةٌ ، مِنْهَا مَا جَاءَ فِي «صَحِيْحِ البُخَارِيِّ» (١)، مِنْ حَدِيْثِ ابْنُ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ : « أَوَّلَ مَا اتَّخَذَ النِّسَاءُ الْمِنْطَقَ مِنْ قِبَلِ أُمِّ إِسْمَاعِيلَ، اتَّخَذَتْ مِنْطَقًا لِتُعَفِّيَ أَثَرَهَا عَلَىٰ سَارَةَ ، ثُمَّ جَاءَ بِهَا إِبْرَاهِيمُ وَبِابْنِهَا إِسْمَاعِيلَ وَهِيَ تُرْضِعُهُ ، حَتَّىٰ وَضَعَهُمَا عِنْدَ الْبَيْتِ عِنْدَ دَوْحَةٍ فَوْقَ زَمْزَمَ فِي أَعْلَىٰ الْمَسْجِدِ ، وَلَيْسَ بِمَكَّةَ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ وَلَيْسَ بِهَا مَاءٌ، فَوَضَعَهُمَا هُنَالِكَ وَوَضَعَ عِنْدَهُمَا جِرَابًا فِيهِ تَمْرٌ وَسِقَاءً فِيهِ مَاءٌ . ثُمَّ قَفَّىٰ

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٢٣٦٨) .

إِبْرَاهِيمُ مُنْطَلِقًا فَتَبِعَتْهُ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ ، فَقَالَتْ: يَا إِبْرَاهِيمُ أَيْنَ تَذْهَبُ وَتَتْرُكُنَا بِهَذَا الْوَادِي الَّذِي لَيْسَ فِيهِ إِنْسٌ وَلَا شَيْءٌ ، فَقَالَتْ لَهُ ذَلِكَ مِرَارًا ، وَجَعَلَ لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا ، فَقَالَتْ لَهُ :آللَّهُ الَّذِي أَمَرَكَ بِهَذَا ؟، قَالَ : نَعَمْ .

قَالَتْ إِذَنْ لَا يُضَيِّعُنَا ثُمَّ رَجَعَتْ فَانْطَلَقَ إِبْرَاهِيمُ حَتَّىٰ إِذَا كَانَ عِنْدَ الثَّنِيَّةِ حَيْثُ لَا يَرَوْنَهُ ، اسْتَقْبَلَ بِوَجْهِهِ الْبَيْتَ ثُمَّ دَعَا بِهَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ ، وَرَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [إِبْرَاهِيمُ : ٣٧] .

وَجَعَلَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ تُرْضِعُ إِسْمَاعِيلَ وَتَشْرَبُ مِنْ ذَلِكَ الْمَاءِ،حَتَّىٰ إِذَا نَفِدَ مَا فِي السِّقَاءِ عَطِشَتْ وَعَطِشَ ابْنُهَا ، وَجَعَلَتْ تَنْظُرُ إِلَيْهِ يَتَلَوَّىٰ -أَوْ قَالَ: يَتَلَبَّطُ- فَانْطَلَقَتْ كَرَاهِيَةَ أَنْ تَنْظُرَ إِلَيْهِ ، فَوَجَدَتْ الصَّفَا أَقْرَبَ جَبَلٍ فِي الْأَرْضِ يَلِيهَا ، فَقَامَتْ عَلَيْهِ ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَتْ الْوَادِيَ تَنْظُرُ هَلْ تَرَىٰ أَحَدًا، فَلَمْ تَرَ أَحَدًا فَهَبَطَتْ مِنْ الصَّفَا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَتْ الْوَادِيَ رَفَعَتْ طَرَفَ دِرْعِهَا ثُمَّ سَعَتْ سَعْيَ الْإِنْسَانِ الْمَجْهُودِ ، حَتَّىٰ جَاوَزَتْ الْوَادِيَ ثُمَّ أَتَتْ الْمَرْوَةَ فَقَامَتْ عَلَيْهَا وَنَظَرَتْ ، هَلْ تَرَىٰ أَحَدًا ؟ ، فَلَمْ تَرَ أَحَدًا ، فَفَعَلَتْ ذَلِكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ .

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- : قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**فَذَلِكَ سَعْيُ النَّاسِ بَيْنَهُمَا** » .

فَلَمَّا أَشْرَفَتْ عَلَىٰ الْمَرْوَةِ سَمِعَتْ صَوْتًا فَقَالَتْ : صَهٍ -تُرِيدُ نَفْسَهَا- ثُمَّ تَسَمَّعَتْ فَسَمِعَتْ أَيْضًا فَقَالَتْ: قَدْ أَسْمَعْتَ إِنْ كَانَ عِنْدَكَ غِوَاثٌ. فَإِذَا هِيَ بِالْمَلَكِ عِنْدَ مَوْضِعِ زَمْزَمَ فَبَحَثَ بِعَقِبِهِ -أَوْ قَالَ: بِجَنَاحِهِ- حَتَّىٰ ظَهَرَ الْمَاءُ ، فَجَعَلَتْ تُحَوِّضُهُ وَتَقُولُ بِيَدِهَا هَكَذَا ، وَجَعَلَتْ تَغْرِفُ مِنَ الْمَاءِ فِي سِقَائِهَا وَهُوَ يَفُورُ بَعْدَ مَا تَغْرِفُ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- : قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **يَرْحَمُ اللهُ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ لَوْ تَرَكَتْ زَمْزَمَ -أَوْ قَالَ - لَوْ لَمْ تَغْرِفْ مِنَ الْمَاءِ لَكَانَتْ زَمْزَمُ عَيْنًا مَعِينًا** » .

قَالَ: فَشَرِبَتْ وَأَرْضَعَتْ وَلَدَهَا فَقَالَ لَهَا الْمَلَكُ لَا تَخَافُوا الضَّيْعَةَ فَإِنَّ هَا هُنَا بَيْتَ اللهِ ، يَبْنِي هَذَا الْغُلَامُ وَأَبُوهُ ، وَإِنَّ اللهَ لَا يُضِيعُ أَهْلَهُ .

وَكَانَ الْبَيْتُ مُرْتَفِعًا مِنَ الْأَرْضِ كَالرَّابِيَةِ تَأْتِيهِ السُّيُولُ فَتَأْخُذُ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ ، فَكَانَتْ كَذَلِكَ حَتَّىٰ مَرَّتْ بِهِمْ رُفْقَةٌ مِنْ جُرْهُمَ -أَوْ أَهْلُ بَيْتٍ مِنْ جُرْهُمَ- مُقْبِلِينَ مِنْ طَرِيقِ كَدَاءٍ، فَنَزَلُوا فِي أَسْفَلِ مَكَّةَ فَرَأَوْا طَائِرًا عَائِفًا، فَقَالُوا: إِنَّ هَذَا الطَّائِرَ لَيَدُورُ عَلَىٰ مَاءٍ! لَعَهْدُنَا بِهَذَا الْوَادِي وَمَا فِيهِ مَاءٌ ! فَأَرْسَلُوا جَرِيًّا أَوْ جَرِيَّيْنِ - أَيْ: رَسُولًا أَوْ رَسُولَيْنِ -، فَإِذَا هُمْ بِالْمَاءِ فَرَجَعُوا فَأَخْبَرُوهُمْ بِالْمَاءِ ، فَأَقْبَلُوا - قَالَ : وَأُمُّ إِسْمَاعِيلَ عِنْدَ الْمَاءِ فَقَالُوا : أَتَأْذَنِينَ لَنَا أَنْ نَنْزِلَ عِنْدَكِ ؟، فَقَالَتْ : نَعَمْ ، وَلَكِنْ لَا حَقَّ لَكُمْ فِي الْمَاءِ ، قَالُوا: نَعَمْ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاس -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- : قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « فَأَلْفَىٰ ذَلِكَ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ ، وَهِيَ تُحِبُّ الْإِنْسَ » .

فَنَزَلُوا وَأَرْسَلُوا إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ فَنَزَلُوا مَعَهُمْ ، حَتَّىٰ إِذَا كَانَ بِهَا أَهْلُ أَبْيَاتٍ مِنْهُمْ ، وَشَبَّ الْغُلَامُ وَتَعَلَّمَ الْعَرَبِيَّةَ مِنْهُمْ ، وَأَنْفَسَهُمْ ، وَأَعْجَبَهُمْ حِينَ شَبَّ فَلَمَّا أَدْرَكَ زَوَّجُوهُ امْرَأَةً مِنْهُمْ ، وَمَاتَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ ، فَجَاءَ إِبْرَاهِيمُ بَعْدَمَا تَزَوَّجَ إِسْمَاعِيلُ يُطَالِعُ تَرِكَتَهُ ، فَلَمْ يَجِدْ إِسْمَاعِيلَ ، فَسَأَلَ امْرَأَتَهُ عَنْهُ فَقَالَتْ: خَرَجَ يَبْتَغِي لَنَا ، ثُمَّ سَأَلَهَا عَنْ عَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ ، فَقَالَتْ: نَحْنُ بِشَرٍّ نَحْنُ فِي ضِيقٍ وَشِدَّةٍ ، فَشَكَتْ إِلَيْهِ ، قَالَ : فَإِذَا جَاءَ زَوْجُكِ فَاقْرَئِي عَلَيْهِ السَّلَامَ ، وَقُولِي لَهُ يُغَيِّرْ عَتَبَةَ بَابِهِ .

فَلَمَّا جَاءَ إِسْمَاعِيلُ كَأَنَّهُ آنَسَ شَيْئًا فَقَالَ: هَلْ جَاءَكُمْ مِنْ أَحَدٍ ، قَالَتْ: نَعَمْ جَاءَنَا شَيْخٌ كَذَا وَكَذَا ، فَسَأَلَنَا عَنْكَ فَأَخْبَرْتُهُ ، وَسَأَلَنِي كَيْفَ عَيْشُنَا فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّا فِي جَهْدٍ وَشِدَّةٍ ، قَالَ : فَهَلْ أَوْصَاكِ بِشَيْءٍ ؟، قَالَتْ: نَعَمْ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ السَّلَامَ ، وَيَقُولُ : غَيِّرْ عَتَبَةَ بَابِكَ.

قَالَ : ذَاكِ أَبِي ، وَقَدْ أَمَرَنِي أَنْ أُفَارِقَكِ ، الْحَقِي بِأَهْلِكِ ، فَطَلَّقَهَا وَتَزَوَّجَ مِنْهُمْ أُخْرَىٰ .

فَلَبِثَ عَنْهُمْ إِبْرَاهِيمُ مَا شَاءَ اللهُ ، ثُمَّ أَتَاهُمْ بَعْدُ فَلَمْ يَجِدْهُ فَدَخَلَ عَلَىٰ امْرَأَتِهِ ، فَسَأَلَهَا عَنْهُ فَقَالَتْ : خَرَجَ يَبْتَغِي لَنَا ، قَالَ : كَيْفَ أَنْتُمْ وَسَأَلَهَا عَنْ عَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ ، فَقَالَتْ: نَحْنُ بِخَيْرٍ وَسَعَةٍ ، وَأَثْنَتْ عَلَىٰ اللهِ ، فَقَالَ مَا

طَعَامُكُمْ ؟، قَالَتْ: اللَّحْمُ ، قَالَ: فَمَا شَرَابُكُمْ ؟، قَالَتْ : الْمَاءُ، قَالَ: اللهُمَّ! بَارِكْ لَهُمْ فِي اللَّحمِ وَالْمَاءِ .

قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ يَوْمَئذ حَبٌّ ، وَلَوْ كَانَ لَهُمْ دَعَا لَهُمْ فِيهِ » . قَالَ: فَهُمَا لا يَخْلُو عَلَيْهِمَا أَحَدٌ بِغَيْرِ مَكَّةَ إِلَّا لَمْ يُوَافِقَاهُ قَالَ: فَإِذَا جَاءَ زَوْجُكِ فَاقْرَئِي عَلَيْهِ السَّلَامَ ، وَمُرِيهِ يُثْبِتُ عَتَبَةَ بَابِهِ. فَلَمَّا جَاءَ إِسْمَاعِيلُ قَالَ : هَلْ أَتَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ؟، قَالَتْ: نَعَمْ ، أَتَانَا شَيْخٌ حَسَنُ الْهَيْئَةِ ، وَأَثْنَتْ عَلَيْهِ ، فَسَأَلَنِي عَنْكَ فَأَخْبَرْتُهُ ، فَسَأَلَنِي كَيْفَ عَيْشُنَا فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّا بِخَيْرٍ .

قَالَ: فَأَوْصَاكِ بِشَيْءٍ ، قَالَتْ: نَعَمْ ، هُوَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ وَيَأْمُرُكَ أَنْ تُثْبِتَ عَتَبَةَ بَابِكَ ، قَالَ : ذَاكِ أَبِي وَأَنْتِ الْعَتَبَةُ أَمَرَنِي أَنْ أُمْسِكَكِ .

ثُمَّ لَبِثَ عَنْهُمْ مَا شَاءَ اللهُ ، ثُمَّ جَاءَ بَعْدَ ذَلِكَ وَإِسْمَاعِيلُ يَبْرِي نَبْلًا لَهُ تَحْتَ دَوْحَةٍ قَرِيبًا مِنْ زَمْزَمَ ، فَلَمَّا رَآهُ قَامَ إِلَيْهِ فَصَنَعَا كَمَا يَصْنَعُ الْوَالِدُ بِالْوَلَدِ وَالْوَلَدُ بِالْوَالِدِ ، ثُمَّ قَالَ: يَا إِسْمَاعِيلُ إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي بِأَمْرٍ ، قَالَ: فَاصْنَعْ مَا أَمَرَكَ رَبُّكَ قَالَ : وَتُعِينُنِي ، قَالَ: وَأُعِينُكَ .

قَالَ : فَإِنَّ اللهَ أَمَرَنِي أَنْ أَبْنِيَ هَا هُنَا بَيْتًا وَأَشَارَ إِلَىٰ أَكَمَةٍ مُرْتَفِعَةٍ عَلَىٰ مَا حَوْلَهَا ، قَالَ: فَعِنْدَ ذَلِكَ رَفَعَا الْقَوَاعِدَ مِنْ الْبَيْتِ ، فَجَعَلَ إِسْمَاعِيلُ يَأْتِي بِالْحِجَارَةِ وَإِبْرَاهِيمُ يَبْنِي ، حَتَّىٰ إِذَا ارْتَفَعَ الْبِنَاءُ جَاءَ بِهَذَا الْحَجَرِ فَوَضَعَهُ لَهُ، فَقَامَ عَلَيْهِ وَهُوَ يَبْنِي وَإِسْمَاعِيلُ يُنَاوِلُهُ الْحِجَارَةَ ، وَهُمَا يَقُولَانِ ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ

مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ ﴾ [البَقَرَةُ:١٢٧].

قَالَ : فَجَعَلَا يَبْنِيَانِ حَتَّىٰ يَدُورَا حَوْلَ الْبَيْتِ وَهُمَا يَقُولَانِ : ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ ﴾ [البَقَرَةُ:١٢٧].

فَهَذَا هُوَ الْبِنَاءُ الأَوَّلُ بَنَاهَا إِبْرَاهِيْمُ ، وَإِسْمَاعِيْلُ - عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَام- اسْتِجَابَةً مِنْهُمَا لِأَمْرِ اللهِ ، كَمَا ثَبَتَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ الصَّحِيْحَةِ .

وَأَسْتَغْفِرُ اللهُ .

مُشَارَكَةُ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ فِي بِنَاء الكَعْبَةِ

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ :

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ أَشْرَفِ المُرْسَلِيْنَ ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

أَمَّا بَعْدُ:

فَتَقَدَّمَ الحَدِيْثُ مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنْ « **بِنَاءِ الكَعْبَةِ** » ، وَالآنَ حَدِيْثِي مَعَكُمْ عَنْ « **مُشَارَكَةُ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي بِنَاء الكَعْبَةِ** » .

فَبَعْدَ بِنَاءِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيْلَ -صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمَا- ، لِلكَعْبَةِ المُعَظَّمَةِ تَعَرَّضَتْ بَعْدَ أَنْ مَضَتْ قُرُونٌ مِنْ بِنَائِهَا لِلْعَوَادِيِّ الَّتِي أَوْهَتْ بِنَاءَهَا وَصَدَّعَتْ جُدْرَانَهَا ، وَكَانَ مِنْ بَيْنِ هَذِهِ العَوَادِيِّ سَيْلٌ عَرِمٌ جَرَفَ مَكَّةَ قَبْلَ البِعْثَةِ بِسَنَوَاتٍ قَلِيْلَةٍ ، حَيْثُ زَادَ مِنْ تَصَدُّعِ جُدْرَانِهَا وَضَعْفِ بُنْيَانِهَا ، فَلَمْ تَجِدْ قُرَيْشُ بُدًّا مِنْ إِعَادَةِ تَشْيِيدِ الكَعْبَةِ حِرْصًا عَلَىٰ مَا لِهَذَا البِنَاءِ مِنْ حُرْمَةٍ وَقَدَاسَةٍ خَالِدَةٍ .

وَلَقَدْ ظَلَّ احْتِرَامُ الكَعْبَةِ -أَيُّهَا النَّاسُ- وَتَعْظِيْمُهَا بَقِيَّةً مِمَّا ظَلَّ مَحْفُوظًا مِنْ شِرْعَةِ إِبْرَاهِيْمَ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- بَيْنَ العَرَبِ ، وَقَدْ شَارَكَ

النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي بِنَاءِ الكَعْبَةِ ، وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَىٰ ذَلِكَ مَا جَاءَ فِي «الصَّحِيْحَيْنِ» (١) ، مِنْ حَدِيْثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- ، قَالَ: «لَمَّا بُنِيَتِ الكَعْبَةُ ذَهَبَ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَعَبَّاسٌ يَنْقُلَانِ الحِجَارَةَ ، فَقَالَ العَبَّاسُ لِلنَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : اجْعَلْ إِزَارَكَ عَلَىٰ رَقَبَتِكَ ، فَخَرَّ إِلَىٰ الأَرْضِ ، وَطَمَحَتْ عَيْنَاهُ إِلَىٰ السَّمَاءِ ، فَقَالَ : «**أَرِنِي إِزَارِي فَشَدَّهُ عَلَيْهِ**» .

فَفِي «مُسْنَدِ» أَحْمَدُ بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ صَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيْحَةِ» (٢)، مِنْ حَدِيْثِ أَبِي الطُّفَيْلِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، وَذَكَرَ بِنَاءَ الْكَعْبَةِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، قَالَ: فَهَدَمَتْهَا قُرَيْشٌ، وَجَعَلُوا يَبْنُونَهَا بِحِجَارَةِ الْوَادِي، تَحْمِلُهَا قُرَيْشٌ عَلَىٰ رِقَابِهَا، فَرَفَعُوهَا فِي السَّمَاءِ عِشْرِينَ ذِرَاعًا. فَبَيْنَا النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَحْمِلُ حِجَارَةً مِنْ أَجْيَادٍ وَعَلَيْهِ نَمِرَةٌ، فَضَاقَتْ عَلَيْهِ النَّمِرَةُ، فَذَهَبَ يَضَعُ النِّمِرَةَ عَلَىٰ عَاتِقِهِ فَتُرَىٰ عَوْرَتُهُ مِنْ صِغَرِ النَّمِرَةِ، فَنُودِيَ: يَا مُحَمَّدُ ، خَمِّرْ عَوْرَتَكَ ! (وَفِي رِوَايَةٍ : لا تَكْشِفْ عَوْرَتَكَ) ، فَلَمْ يُرَ عُرْيَانًا بَعْدَ ذَلِكَ.

فَفِي «مُسْنَدِ» أَبِي دَاوُدَ الطَّيَالِسِيِّ بِسَنَدٍ حَسَنٍ حَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيْحِ السِّيْرَةِ» (٣) ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – قَالَ: لَمَّا انْهَدَمَ الْبَيْتُ

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (١٥٨٢) ، وَمُسْلِمٌ (٣٤٠) .

(٢) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ أَحْمَد (٥/ ٤٥٥)، بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ ، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «الصَّحِيْحَة» (٢٣٧٨) .

(٣) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ الطَّيَالِسِيِّ فِي «مُسْنَده» (٢/ ٨٦)، وَالحَاكِمُ (١/ ٤٥٨-٤٥٩) ، وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «صَحِيْحِ السِّيْرَةِ» (٤٥) .

بَعْدَ جُرْهُم بَنَتْهُ قُرَيْشٌ ، فَلَمَّا أَرَادُوا وَضْعَ الْحَجَرِ تَشَاجَرُوا مَنْ يَضَعُهُ ، فَاتَّفَقُوا أَنْ يَضَعَهُ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ مِنْ هَذَا الْبَابِ ، فَدَخَلَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِنْ بَابِ بَنِي شَيْبَةَ ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِثَوْبٍ فَوَضَعَ الْحَجَرَ فِي وَسَطِهِ ، وَأَمَرَ كُلَّ فَخِذٍ أَنْ يَأْخُذُوا بِطَائِفَةٍ مِنَ الثَّوْبِ، فَرَفَعُوهُ، وَأَخَذَهُ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَوَضَعَهُ».

فَفِي «مُسْنَدِ» أَحْمَدُ بِسَنَدٍ حَسَنٍ حَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيْحِ السِّيْرَةِ» [(١)]، عَنْ مُجَاهِدٍ عَنْ مَوْلَاهُ - وَهُوَ السَّائِبُ بْنُ عَبْدِ اللهِ- أَنَّهُ حَدَّثَهُ : أَنَّهُ كَانَ فِيمَنْ بَنَىٰ الْكَعْبَةَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ،قَالَ:وَكَانَ لِي حَجَرٌ أَنَا نَحَتُّهُ -[بِيَدِي:أَيْ صَنَمٌ]-، أَعْبُدُهُ مِنْ دُونِ اللهِ قَالَ: وَكُنْتُ أَجِيءُ بِاللَّبَنِ الْخَاثِرِ الَّذِي آنَفُهُ عَلَىٰ نَفْسِي فَأَصُبُّهُ عَلَيْهِ فَيَجِيءُ الْكَلْبُ فَيَلْحَسُهُ، ثُمَّ يَشْغَرُ فَيَبُولُ عَلَيْهِ. قَالَ: فَبَنَيْنَا حَتَّىٰ بَلَغْنَا مَوْضِعَ الْحَجَرِ ، وَلَا يَرَىٰ الْحَجَرَ أَحَدٌ فَإِذَا هُوَ وَسْطَ أَحْجَارِنَا مِثْلُ رَأْسِ الرَّجُلِ يَكَادُ يَتَرَايَا مِنْهُ وَجْهُ الرَّجُلِ فَقَالَ بَطْنٌ مِنْ قُرَيْشٍ : نَحْنُ نَضَعُهُ ، وَقَالَ آخَرُونَ : نَحْنُ نَضَعُهُ ، فَقَالُوا : اجْعَلُوا بَيْنَكُمْ حَكَماً فَقَالُوا: أَوَّلُ رَجُلٍ يَطْلُعُ مِنَ الْفَجِّ ، فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالُوا : أَتَاكُمُ الأَمِينُ ، فَقَالُوا لَهُ فَوَضَعَهُ فِي ثَوْبٍ ، ثُمَّ دَعَا بُطُونَهُمْ فَرَفَعُوا نَوَاحِيَهُ [مَعَهُ] فَوَضَعَهُ هُوَ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - » .

---

(١) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ أَخْرَجَهُ أَحْمَد (١٥٥٤٣)، ، وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي«صَحِيْحِ السِّيْـرَةِ» (٨٤) .

فَهَذِهِ - أَيُّهَا النَّاسُ - هِيَ المَرَّةُ الثَّانِيَةُ الَّتِي بَنَتْ فِيهَا قُرَيْشٌ الكَعْبَةَ المُعَظَّمَةَ قَبْلَ الإِسْلَامِ ، وَاشْتَرَكَ فِي بِنَائِهَا الرَّسُولُ اللهِ - صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - .

وَلَكِنْ كَانُوا قَدْ أَخْرَجُوا مِنْهَا الحَجْرُ ، وَهُوَ سِتَّةُ أَذْرَاعٍ ، أَوْ سَبْعَةُ أَذْرَاعٍ مِنْ نَاحِيَةِ الشَّامِ - قَصُرَتْ بِهِمُ النَّفَقَةُ - أَيْ لَمْ يَتَمَكَّنُوا أَنَّ يَبْنُوهُ عَلَىٰ قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ ،وَجَعَلُو لِلْكَعْبَةِ بَابًا وَاحِدًا مِنْ نَاحِيَةِ المَشْرِقِ ، وَجَعَلُوهُ مُرْتَفِعًا لِئَلَّا يَدْخُلُ إِلَيْهَا كُلُّ أَحَدٍ ، فَيُدْخِلُوا مَنْ شَاؤُوا ، وَيَمْنَعُوا مَنْ شَاؤُوا .

فِي «الصَّحِيحَيْنِ» [1] ، مِنْ حَدِيثِ عَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- أَنَّ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ لَهَا : « **يَا عَائِشَةُ ، لَوْلَا حِدْثَانُ قَوْمِكِ بِالْكُفْرِ لَنَقَضْتُ الْبَيْتَ حَتَّىٰ أَزِيدَ فِيهِ مِنَ الْحِجْرِ** » .

وَلِهَذَا - أَيُّهَا النَّاسُ - لَمَّا تَمَكَّنَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الزُّبَيْرِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- بَنَاهَا عَلَىٰ مَا أَشَارَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ-صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَجَاءَتْ فِي غَايَةِ البَهَاءِ وَالحُسْنِ وَالسَّنَاءِ،كَامِلَةً عَلَىٰ قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ -صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمَا - لَهَا بَابَانِ مُلْتَصِقَانِ بِالأَرْضِ شَرْقًا وَغَرْبًا يَدْخُلُ النَّاسُ مِنْ هَذَا ، وَيَخْرُجُونَ مِنَ الآخَرِ ، وَكَانَ هَذَا هُوَ البِنَاءُ الثَّالِثُ لِلْكَعْبَةِ المُعَظَّمَةِ.

وَأَمَّا البِنَاءُ الرَّابِعُ - أَيُّهَا النَّاسُ - فَهُوَ بِنَاءُ الحَجَّاجِ بْنِ يُوسُفَ ، وَالَّذِي ظَلَّ حَتَّىٰ يَوْمَ النَّاسِ هَذَا .

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (١٥٨٤) ، وَمُسْلِمٌ (١٣٣٣) .

وَفي «صَحِيْح مُسْلِم»[(١)]، عَنْ عَطاءٍ قَالَ: لَمَّا قُتِلَ ابْنُ الزُّبَيْرِ كَتَبَ الْحَجَّاجُ إِلَىٰ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ يُخْبِرُهُ بِذَلِكَ، وَيُخْبِرُهُ أَنَّ ابْنَ الزُّبَيْرِ قَدْ وَضَعَ الْبِنَاءَ عَلَىٰ أُسٍّ نَظَرَ إِلَيْهِ الْعُدُولُ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَبْدُ الْمَلِكِ إِنَّا لَسْنَا مِنْ تَلْطِيخِ ابْنِ الزُّبَيْرِ فِي شَيْءٍ، أَمَّا مَا زَادَ فِي طُولِهِ فَأَقِرَّهُ، وَأَمَّا مَا زَادَ فِيهِ مِنَ الْحِجْرِ فَرُدَّهُ إِلَىٰ بِنَائِهِ، وَسُدَّ الْبَابَ الَّذِي فَتَحَهُ، فَنَقَضَهُ وَأَعَادَهُ إِلَىٰ بِنَائِهِ.

فَهَذِهِ هِيَ الرَّابِعَةُ وَالأَخِيْرَةُ - أَيُّهَا النَّاسُ - وَقَدْ قَالُوا أَنَّ هَارُونَ الرَّشِيْدَ -رَحِمَهُ اللهُ- كَانَ قَدْ عَزَمَ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَىٰ أَنْ يَنْقُضَهَا وَيُعِيْدَهَا كَمَا بَنَاهَا ابْنُ الزُّبَيْرِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- فَقَالَ لَهُ الإِمَامُ مَالِكٌ -رَحِمَهُ اللهُ-: أَنْشُدُكَ اللهَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ لَا تَجْعَلَ هَذَا الْبَيْتَ مَلْعَبَةً لِلْمُلُوكِ بَعْدَكَ، لَا يَشَاءُ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَنْ يُغَيِّرَهُ إِلَّا غَيَّرَهُ، فَتَذْهَبَ هَيْبَتُهُ مِنْ قُلُوبِ النَّاسِ، فَصَرَفَهُ عَنْ رَأْيِهِ فِيهِ.

رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِيْنَ سَبَقُونَا بِالإِيْمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلذِيْنَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيْمٌ.

اللهُمَّ أَلْهِمْنَا رُشْدَنَا وَقِنَا شَرَّ أَنْفُسِنَا يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ.

وَسُبْحَانَكَ اللهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ.

---

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٣٣٣).

٥ بِشَارَةُ الأَنْبِيَاءِ بِمُحَمَّدٍ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ

الخُطْبَةُ الأُولَىٰ:

إِنَّ الحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢].

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء: ١].

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأَحْزَاب: ٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ

مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ :

فَمَا زَالَ الحَدِيْثُ مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنِ السِّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ عَلَىٰ صَاحِبِهَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -،وَحَدِيْثِي مَعَكُمْ اليَوْمَ عَنْ « **بِشَارَةُ الأَنْبِيَاءِ بِمُحَمَّدٍ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-** » .

-أَيُّهَا النَّاسُ-لَقَدْ أَخَذَ اللهُ-سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- المِيْثَاقَ عَلَىٰ الأَنْبِيَاءِ أَنْ يُؤْمِنُوا بِمُحَمَّدٍ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَيَنْصُرُوهُ إِذَا بُعِثَ وَهُمْ أَحْيَاءٌ ، وَأَنْ يُبَلِّغُوا أَقْوَامَهُمْ بِذَلِكَ لِيَشِيْعَ خَبَرُهُ بَيْنَ جَمِيْعِ الأُمَمِ ، قَالَ اللهُ-سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ** ﴾ [آل عِمْرَان: ٨١] .

-أَيُّهَا النَّاسُ- لَقَدْ كَانَ الرُّسُلُ -صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ- يُبْعَثُونَ فِي أَقْوَامِهِمْ خَاصَّةً وَبُعِثَ مُحَمَّدٌ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لِلنَّاسِ كَافَّةً، وَلِهَذَا بُشِّرَ بِهِ جَمِيْعُ الأَنْبِيَاءِ .

وَكَانَ مِمَّا قَالَهُ عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- لِقَوْمِهِ كَمَا ذَكَرَ اللهُ-سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ **وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ**

قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ ﴾ [الصَّفُّ:٦].

وَكَانَتْ صِفَاتُ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَعَلامَاتُهُ -أَيُّهَا النَّاسُ- قَدْ وَرَدَتْ فِي كُلٍّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيْلِ بِشَكْلٍ صَرِيْحٍ ، كَمَا أَخْبَرَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [الأَعْرَافُ:١٥٧] .

وَأَهْلُ الكِتَابِ -أَيُّهَا النَّاسُ- يَعْرِفُونَ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ، قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البَقَرَةُ:١٤٦].

وَقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الرَّعْد : ٤٣].

وَقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [الشُّعَرَاءُ : ١٩٦].

وَقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ [الشُّعَرَاءُ: ١٩٧].

-أَيُّهَا النَّاسُ- قَدْ جَاءَتْ البِشَارَاتُ بِمُحَمَّدٍ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي الكُتُبِ السَّابِقَةِ مُبَيِّنَةً اسْمُهُ وَصِفَاتِهِ البَدَنِيَّةَ وَالمَعْنَوِيَّةَ، وَنَسَبَهُ وَمَكَانَ مَبْعَثِهِ، وَصِفَةَ أَصْحَابِهِ، وَصِفَةَ أَعْدَائِهِ عِنْدَ ظُهُورِهِ وَانْطِبَاقَ تِلْكَ الأَوْصَافِ عَلَيْهِ، وَهِيَ أَوْصَافٌ وَبِشَارَاتٌ تَلَقَّاهَا أَهْلُ تِلْكَ الأَدْيَانِ، نَقْلًا عَنْ رُهْبَانِهِمْ وَأَحْبَارِهِمْ وَكَهَنَتِهِمْ، قَبْلَ وِلَادَةِ مُحَمَّدٍ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِقُرُونٍ كَثِيْرَةٍ.

فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا جَحَدُوا ذَلِكَ وَكَفَرُوا كَمَا ذَكَرَ اللهُ عَنْهُمْ، قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [البَقَرَةُ: ٨٩].

وَمِمَّا جَاءَ فِي أَسْبَابِ نُزُولِ هَذِهِ الآيَةِ -أَيُّهَا النَّاسُ- مَا رَوَاهُ ابْنُ إِسْحَاقٍ بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ صَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيْحِ السِّيْرَةِ»(١)، عَنْ قَتَادَةَ عَنْ رِجَالٍ مِنْ قَوْمِهِ، قَالُوا: إِنَّ مِمَّا دَعَانَا إِلَىٰ الإِسْلَامِ، مَعَ رَحْمَةِ اللهِ تَعَالَىٰ وَهَدَاهُ لَنَا، لَمَا كُنَّا نَسْمَعُ مِنْ رِجَالِ يَهُودَ، كُنَّا أَهْلَ شِرْكٍ أَصْحَابَ أَوْثَانٍ، وَكَانُوا أَهْلَ

---

(١) (صَحِيْحٌ) «سِيْرَةُ ابْنِ هِشَامٍ» (١/ ٢٢٥)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «صَحِيْحِ السِّيْرَةِ» (٥٧).

كِتَابٍ ، عِنْدَهُمْ عِلْمٌ لَيْسَ لَنَا ، وَكَانَتْ لَا تَزَالُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ شُرُورٌ ، فَإِذَا نِلْنَا مِنْهُمْ بَعْضَ مَا يَكْرَهُونَ ، قَالُوا لَنَا : إِنَّهُ قَدْ تَقَارَبَ زَمَانُ نَبِيٍّ يُبْعَثُ الْآنَ نَقْتُلُكُمْ مَعَهُ قَتْلَ عَادٍ وَإِرَمٍ فَكُنَّا كَثِيرًا مَا نَسْمَعُ ذَلِكَ مِنْهُمْ .

فَلَمَّا بَعَثَ اللهُ رَسُولَهُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَجَبْنَاهُ ، حِينَ دَعَانَا إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ ، وَعَرَفْنَا مَا كَانُوا يَتَوَعَّدُونَنَا بِهِ ، فَبَادَرْنَاهُمْ إِلَيْهِ ، فَآمَنَّا بِهِ ، وَكَفَرُوا بِهِ، فَفِينَا وَفِيهِمْ نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ : ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾[البَقَرَةُ:٨٩].

وَرَوَىٰ ابْنُ إِسْحَاقَ ، بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ السِّيْرَةِ»(١)، عَنْ سَلَمَةَ بْنِ سَلَامَةَ بْنِ وَقْشٍ -وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ بَدْرٍ- قَالَ: كَانَ لَنَا جَارٌ مِنْ يَهُودَ فِي بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ ، قَالَ : فَخَرَجَ عَلَيْنَا يَوْمًا مِنْ بَيْتِهِ قَبْلَ مَبْعَثِ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِيَسِيرٍ فَوَقَفَ عَلَىٰ مَجْلِسِ بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ ، قَالَ سَلَمَةُ : وَأَنَا يَوْمَئِذٍ أَحْدَثُ مَنْ فِيهِ سِنًّا عَلَيَّ بُرْدَةٌ مُضْطَجِعًا فِيهَا بِفِنَاءِ أَهْلِي ، فَذَكَرَ الْبَعْثَ وَالْقِيَامَةَ وَالْحِسَابَ وَالْمِيزَانَ وَالْجَنَّةَ وَالنَّارَ، فَقَالَ: ذَلِكَ لِقَوْمٍ أَهْلِ شِرْكٍ أَصْحَابِ أَوْثَانٍ لَا يَرَوْنَ أَنَّ بَعْثًا كَائِنٌ بَعْدَ الْمَوْتِ .

---

(١) (صَحِيحٌ) «سِيرَةُ ابْنِ هِشَامٍ» (١/ ٢٢٥-٢٢٦)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «صَحِيحِ السِّيْرَةِ» (٥٩) .

فَقَالُوا لَهُ : وَيْحَكَ يَا فُلَانُ تَرَىٰ هَذَا كَائِنًا إِنَّ النَّاسَ يُبْعَثُونَ بَعْدَ مَوْتِهِمْ إِلَىٰ دَارٍ فِيهَا جَنَّةٌ وَنَارٌ يُجْزَوْنَ فِيهَا بِأَعْمَالِهِمْ؟ ، قَالَ: نَعَمْ وَالَّذِي يُحْلَفُ بِهِ لَوَدَّ أَنَّ لَهُ بِحَظِّهِ مِنْ تِلْكَ النَّارِ أَعْظَمَ تَنُّورٍ فِي الدُّنْيَا يُحَمُّونَهُ ، ثُمَّ يُدْخِلُونَهُ إِيَّاهُ فَيُطْبَقُ بِهِ عَلَيْهِ ، وَأَنْ يَنْجُوَ مِنْ تِلْكَ النَّارِ غَدًا ، قَالُوا لَهُ : وَيْحَكَ وَمَا آيَةُ ذَلِكَ.

قَالَ: نَبِيٌّ يُبْعَثُ مِنْ نَحْوِ هَذِهِ الْبِلَادِ ، وَأَشَارَ بِيَدِهِ نَحْوَ مَكَّةَ وَالْيَمَنِ ، قَالُوا : وَمَتَىٰ تَرَاهُ ؟ ، قَالَ : فَنَظَرَ إِلَيَّ وَأَنَا مِنْ أَحْدَثِهِمْ سِنًّا .

فَقَالَ : إِنْ يَسْتَنْفِدْ هَذَا الْغُلَامُ عُمُرَهُ يُدْرِكْهُ ، قَالَ : سَلَمَةُ فَوَاللهِ مَا ذَهَبَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ حَتَّىٰ بَعَثَ اللهُ تَعَالَىٰ رَسُولَهُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَهُوَ حَيٌّ بَيْنَ أَظْهُرِنَا فَآمَنَّا بِهِ وَكَفَرَ بِهِ بَغْيًا وَحَسَدًا ، فَقُلْنَا : وَيْلَكَ يَا فُلَانُ أَلَسْتَ بِالَّذِي قُلْتَ لَنَا فِيهِ مَا قُلْتَ قَالَ بَلَىٰ وَلَيْسَ بِهِ » .

وَرَوَىٰ ابْنُ إِسْحَاقَ،بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي«صَحِيحِ السِّيْرَةِ»[(١)]، عَنْ عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ ، عَنْ شَيْخٍ مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ ، قَالَ لِي : هَلْ تَدْرِي عَمَّ كَانَ إِسْلَامُ ثَعْلَبَةَ بْنِ سَعْيَةَ وَأَسِيدِ بْنِ سَعْيَةَ وَأَسَدِ بْنِ عُبَيْدٍ؟، نَفَرٍ مِنْ بَنِي هَدْلٍ ، إِخْوَةِ بَنِي قُرَيْظَةَ ، كَانُوا مَعَهُمْ فِي جَاهِلِيَّتِهِمْ ثُمَّ كَانُوا سَادَتَهُمْ فِي الْإِسْلَامِ .

---

(١) (صَحِيحٌ) «سِيـرَةُ اب هِشَامٍ» (١/ ٢٢٦-٢٢٨)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «صَحِيحِ السِّيْـرَةِ» (٦٠) .

قَالَ : قُلْتُ : لَا [وَاللَّهِ] ؛ قَالَ : فَإِنَّ رَجُلًا مِنْ يَهُودَ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ، يُقَالُ لَهُ: ابْنُ الْهَيْبَانِ ، قَدِمَ عَلَيْنَا قُبَيْلَ الْإِسْلَامِ بِسِنِينَ ، فَحَلَّ بَيْنَ أَظْهُرِنَا ، لَا وَاللَّهِ مَا رَأَيْنَا رَجُلًا قَطُّ لَا يُصَلِّي الْخَمْسَ أَفْضَلَ مِنْهُ ، فَأَقَامَ عِنْدَنَا فَكُنَّا إِذَا قَحَطَ عَنَّا الْمَطَرُ قُلْنَا لَهُ : اُخْرُجْ يَا ابْنَ الْهَيْبَانِ فَاسْتَسْقِ لَنَا . فَيَقُولُ : لَا وَاللَّهِ حَتَّىٰ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ مَخْرَجِكُمْ صَدَقَةً .

فَنَقُولُ لَهُ : كَمْ ؟ ، فَيَقُولُ:صَاعًا مِنْ تَمْرٍ: أَوْ مُدَّيْنِ مِنْ شَعِيرٍ، قَالَ: فَنُخْرِجُهَا ثُمَّ يَخْرُجُ بِنَا إِلَىٰ ظَاهِرِ حَرَّتِنَا فَيَسْتَسْقِي اللهُ لَنَا ، فَوَاللَّهِ مَا يَبْرَحُ مَجْلِسَهُ حَتَّىٰ يَمُرَّ السَّحَابُ وَنُسْقَى، قَدْ فَعَلَ ذَلِكَ غَيْرَ مَرَّةٍ وَلَا مَرَّتَيْنِ وَلَا ثَلَاثٍ، قَالَ : ثُمَّ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ عِنْدَنَا ، فَلَمَّا عَرَفَ أَنَّهُ مَيِّتٌ ، قَالَ: يَا مَعْشَرَ يَهُودَ ، مَا تَرَوْنَهُ أَخْرَجَنِي مِنْ أَرْضِ الْخَمْرِ وَالْخَمِيرِ إِلَىٰ أَرْضِ الْبُؤْسِ وَالْجُوعِ؟، قَالَ : قُلْنَا : أَنْتَ أَعْلَمُ .

قَالَ : فَإِنِّي إِنَّمَا قَدِمْتُ هَذِهِ الْبَلْدَةَ أَتَوَكَّفُ خُرُوجَ نَبِيٍّ قَدْ أَظَلَّ زَمَانُهُ؛ وَهَذِهِ الْبَلْدَةُ مُهَاجَرُهُ ، فَكُنْتُ أَرْجُو أَنْ يُبْعَثَ فَأَتَّبِعَهُ ، وَقَدْ أَظَلَّكُمْ زَمَانُهُ ، فَلَا تُسْبَقُنَّ إِلَيْهِ يَا مَعْشَرَ يَهُودَ ، فَإِنَّهُ يُبْعَثُ بِسَفْكِ الدِّمَاءِ ، وَسَبْيِ الذَّرَارِيِّ وَالنِّسَاءِ مِمَّنْ خَالَفَهُ ، فَلَا يَمْنَعْكُمْ ذَلِكَ مِنْهُ .

فَلَمَّا بُعِثَ رَسُولُ اللهِ –صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَحَاصَرَ بَنِي قُرَيْظَةَ ، قَالَ: هَؤُلَاءِ الْفِتْيَةُ ، وَكَانُوا شَبَابًا أَحْدَاثًا : يَا بَنِي قُرَيْظَةَ ، وَاللَّهِ إِنَّهُ لِلنَّبِيِّ الَّذِي كَانَ عَهِدَ إِلَيْكُمْ فِيهِ ابْنُ الْهَيْبَانِ ؛ قَالُوا : لَيْسَ بِهِ .

قَالُوا : بَلَىٰ وَاللَّهِ ، إِنَّهُ لَهُوَ بِصِفَتِهِ ، فَنَزَلُوا وَأَسْلَمُوا ، وَأَحْرَزُوا دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ .

وَيُعْلَمُ مِنْ هَذَا -أَيُّهَا النَّاسُ- أَنَّ جَمِيعَ الأَنْبِيَاءِ بَشَّرُوا بِمُحَمَّدٍ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَأَمَرُوا بِاتِّبَاعِهِ ، وَأَنَّ عُلَمَاءَ أَهْلِ الكِتَابِ الَّذِيْنَ وَرِثُوا العِلْمَ عَنْ أَنْبِيَائِهِمْ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ .

لَكِنَّ الهِدَايَةَ مِنَ اللهِ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيْمٍ .

وَقَدْ قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾[البَقَرَةُ:١٢٩].

وَأَسْتَغْفِرُ اللهُ .

شَهَادَةُ عَالِمِ اليَهُودِ وَسَيِّدِهِمْ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَامٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ :

الحَمْدُ لِلهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ أَشْرَفِ المُرْسَلِيْنَ ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

أَمَّا بَعْدُ:

فَتَقَدَّمَ الحَدِيْثُ مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنْ « **بِشَارَةُ الأَنْبِيَاءِ بِمُحَمَّدٍ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-** » ، وَالآنَ حَدِيْثِي مَعَكُمْ عَنْ « **شَهَادَةُ عَالِمِ اليَهُودِ وَسَيِّدِهَا عَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَامٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -** » .

-أَيُّهَا النَّاسُ- ، مَنْ مِنَّا يَجْهَلُ حَالَ اليَهُودِ وَعَدَاوَتَهُمْ الشَّدِيْدَةِ لِأُمَّةِ الإِسْلَامِ ، وَلِنَبِيِّ الإِسْلَامِ مُحَمَّدٍ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- .

وَقَدْ قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ ۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ﴾[المَائِدَةُ :٨٢].

وَلِشِدَّةِ عَدَاوَتِهِمْ وَحِقْدِهِمْ وَحَسَدِهِمْ لَمْ يَسْلَمْ مِنْهُمْ إِلَّا القَلِيْلُ يُعَدُّونَ بِالأَصَابِعِ .

وَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ» (١) ، مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **لَوْ آمَنَ بِي عَشَرَةٌ مِنْ الْيَهُودِ ، لآمَنَ بِي الْيَهُودُ**» .

وَفِي رِوَايَةَ لِمُسْلِم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «**لَوْ تَابَعَنِي عَشَرَةٌ مِنْ الْيَهُودِ ، لَمْ يَبْقَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا يَهُودِيٌّ إِلَّا أَسْلَمَ** » .

فَاليَهُودُ -أَيُّهَا النَّاسُ- أَهْلُ عِنَادٍ وَمُكَابَرَةٍ وَهُمُ المَغْضُوبُ عَلَيْهِمْ ، وَالنَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقْصِدُ فِي هَذَا الحَدِيْثِ اليَهُودِ الَّذِيْنَ حَوْلَهُ فِي المَدِيْنَةِ ، قَالَ الحَافِظُ ابْنُ حَجرٍ -رَحِمَهُ اللهُ- : « وَالَّذِي يَظْهَرُ أَنَّهُمُ الَّذِينَ كَانُوا حِينَئِذٍ رُؤَسَاءَ فِي الْيَهُودِ وَمَنْ عَدَاهُمْ كَانَ تَبَعًا لَهُمْ ، فَلَمْ يُسْلِمْ مِنْهُمْ إِلَّا الْقَلِيلُ كَعَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَامٍ وَكَانَ مِنَ الْمَشْهُورِينَ بِالرِّيَاسَةِ فِي الْيَهُودِ عِنْدَ قُدُومِ النَّبِيِّ - صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - » (٢) .

وَعَبْدُ اللهِ بْنُ سَلَامٍ -أَيُّهَا النَّاسُ- صَحَابِيٌّ جَلِيْلٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيْلَ ، بَلْ هُوَ مِنْ ذُرِّيَّةِ يُوسَفَ الصِّدِّيْقِ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- كَانَ يَهُودِيًّا مِنْ يَهُودِ بَنِي قَيْنُقَاعٍ ، فَأَرَادَ اللهُ بِهِ خَيْرًا فَأَسْلَمَ .

قَالَ عَنْهُ الذَّهَبِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «السِّيَرِ» (٣) : « الْإِمَامُ الْحَبْرُ ، الْمَشْهُودُ

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٧٢٥) ، وَمُسْلِمٌ (٢٧٩٣) .
(٢) «فَتْحُ البَارِيِّ » (٧/ ٢٧٥) .
(٣) «السِّيَرُ » (٣/ ٤١٣) .

لَهُ بالْجَنَّةِ حَلِيفُ الْأَنْصَار ، مِنْ خَوَاصِّ أَصْحَاب النَّبيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، أَسْلَمَ مَقْدِمَ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِلَىٰ المَدِيْنَةِ . وَلْنَدَعْهُ -أَيُّهَا النَّاسُ- يُحَدِّثُنَا عَنْ قِصَّتِهِ .

فَفِي «سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ» بِسَنَد صَحِيْح صَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيْحَة»(١)، عَنْ عَوْفٍ عَنْ زُرَارَةَ بْنِ أَوْفَىٰ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلَام -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الْمَدِينَةَ انْجَفَلَ النَّاسُ قِبَلَهُ، وَقِيلَ قَدْ قَدِمَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-(ثَلَاثًا)، فَجِئْتُ فِي النَّاسِ لِأَنْظُرَ، فَلَمَّا تَبَيَّنْتُ وَجْهَهُ عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ .

-أَيُّهَا النَّاسُ- إِنَّهُ بَعْدَ أَنْ تَيَقَّنَ أَنَّهُ لَيْسَ بِكَذَّابٍ أَرَادَ أَنْ يَسْأَلَهُ عَنْ أَشْيَاءَ لاَ يَعْرِفُهَا إِلَّا نَبِيٌّ .

فَفِي «صَحِيْحِ البُخَارِيِّ»(٢)، مِنْ حَدِيْثِ أَنَسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: سَمِعَ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلَامٍ بِقُدُومِ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَأَتَىٰ النَّبِيَّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ: إِنِّي سَائِلُكَ عَنْ ثَلَاثٍ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا نَبِيٌّ :

فَمَا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ ؟.

وَمَا أَوَّلُ طَعَامِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ؟.

وَمَا يَنْزِعُ الْوَلَدُ إِلَىٰ أَبِيهِ أَوْ إِلَىٰ أُمِّهِ؟.

---

(١)(صَحِيْحٌ)أَخْرَجَهُ التِّرْمذيِّ(٢٤٨٥)،وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ-فِي«الصَّحِيْحَةِ»(٥٦٩).
(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٢١٠) .

قَالَ:أَخْبَرَنِي بِهِنَّ جِبْرِيلُ آنِفًا .

قَالَ: جِبْرِيلُ .

قَالَ: نَعَمْ .

قَالَ: ذَاكَ عَدُوُّ الْيَهُودِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ فَقَرَأَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هَذِهِ الآيَةَ ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [البَقَرَةُ:٩٧] .

أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ فَنَارٌ تَحْشُرُ النَّاسَ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَىٰ الْمَغْرِبِ، وَأَمَّا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَزِيَادَةُ كَبِدِ حُوتٍ ، وَإِذَا سَبَقَ مَاءُ الرَّجُلِ مَاءَ الْمَرْأَةِ نَزَعَ الْوَلَدَ ،وَإِذَا سَبَقَ مَاءُ الْمَرْأَةِ نَزَعَتْ .

قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ، يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ الْيَهُودَ قَوْمٌ بُهُتٌ ،وَإِنَّهُمْ إِنْ يَعْلَمُوا بِإِسْلَامِي قَبْلَ أَنْ تَسْأَلَهُمْ يَبْهَتُونِي .

فَجَاءَتْ الْيَهُودُ فَقَالَ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَيُّ رَجُلٍ عَبْدُ اللهِ فِيكُمْ؟، قَالُوا : خَيْرُنَا وَابْنُ خَيْرِنَا ، وَسَيِّدُنَا وَابْنُ سَيِّدِنَا، قَالَ : أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلَامٍ ؟.

فَقَالُوا : أَعَاذَهُ اللهُ مِنْ ذَلِكَ ، فَخَرَجَ عَبْدُ اللهِ فَقَالَ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ، فَقَالُوا : شَرُّنَا وَابْنُ شَرِّنَا وَانْتَقَصُوهُ .

قَالَ : فَهَذَا الَّذِي كُنْتُ أَخَافُ يَا رَسُولَ اللهِ ؟.

وَفي « رِوَايَةَ لِلبُخَارِيِّ »[(١)] ، جاءَ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلَام فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ وَأَنَّكَ جِئْتَ بِحَقٍّ ، وَقَدْ عَلِمَتْ يَهُودُ أَنِّي سَيِّدُهُمْ وَابْنُ سَيِّدِهِمْ، وَأَعْلَمُهُمْ وَابْنُ أَعْلَمِهِمْ ، فَادْعُهُمْ فَاسْأَلْهُمْ عَنِّي قَبْلَ أَنْ يَعْلَمُوا أَنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ ، فَإِنَّهُمْ إِنْ يَعْلَمُوا أَنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ قَالُوا فِيَّ مَا لَيْسَ فِيَّ .

فَأَرْسَلَ نَبِيُّ اللهِ –صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فَأَقْبَلُوا فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ –صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– : يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ وَيْلَكُمْ ، اتَّقُوا اللهَ فَوَاللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللهِ حَقًّا ، وَأَنِّي جِئْتُكُمْ بِحَقٍّ فَأَسْلِمُوا ، قَالُوا : مَا نَعْلَمُهُ .

قَالَ : فَأَيُّ رَجُلٍ فِيكُمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلَام ؟، قَالُوا : ذَاكَ سَيِّدُنَا وَابْنُ سَيِّدِنَا، وَأَعْلَمُنَا وَابْنُ أَعْلَمِنَا ، قَالَ : أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ ؟، قَالُوا : حَاشَىٰ لِلَّهِ مَا كَانَ لِيُسْلِمَ ، قَالَ : أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ ، قَالُوا : حَاشَىٰ لِلَّهِ مَا كَانَ لِيُسْلِمَ ، قَالَ : أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ ، قَالُوا : حَاشَىٰ لِلَّهِ مَا كَانَ لِيُسْلِمَ.

قَالَ يَا ابْنَ سَلَام : اخْرُجْ عَلَيْهِمْ ، فَخَرَجَ فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ اتَّقُوا اللهَ ، فَوَاللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ ، وَأَنَّهُ جَاءَ بِحَقٍّ، فَقَالُوا : كَذَبْتَ فَأَخْرَجَهُمْ رَسُولُ اللهِ –صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– » .

وَفِيهِ نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ :﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٩١١) .

ﱡ... ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ [الأَحْقَافُ: ١٠].

اللهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ العَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ، اللهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ العَفْوَ وَالعَافِيَةِ فِي دِيْنِنَا وَدُنْيَانَا وَأَهْلِنَا وَمَالِنَا، اللهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِنَا، وَآمِنْ رَوْعَاتِنَا.

اللهُمَّ أَحْسِنْ عَاقِبَاتِنَا فِي الأُمُورِ كُلِّهَا، وَأَجِرْنَا مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الآخِرَةِ.

وَسُبْحَانَكَ اللهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ.

٦ قِصَّةُ سَلْمَانَ الفَارِسِيِّ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ وَمَا فِيهِ مِنَ العِظَةِ وَالبِشَارَةِ بِمُحَمَّدٍ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ

الخُطْبَةُ الأُولَى:

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النِّسَاء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأَحْزَاب: ٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ :

فَمَا زَالَ الْحَدِيْثُ مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنِ السِّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ عَلَىٰ صَاحِبِهَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -، وَحَدِيْثِي مَعَكُمْ الْيَوْمَ عَنْ « **قِصَّةُ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- وَمَا فِيهَا مِنَ الْعِظَةِ وَالْبِشَارَةِ بِمُحَمَّدٍ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-** » .

أَخْـرَجَ الإِمَـامُ أَحْمَـدُ فِي«مُسْنَدِهِ» بِسَنَدٍ حَسَنٍ حَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيْحَةِ»[1]، وَالوَادِعِيِّ فِي كِتَابِهِ «الجَامِعُ الصَّحِيْحُ» ، مِنْ حَدِيْثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ : حَدَّثَنِي سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ حَدِيثَهُ مِنْ فِيْهِ قَالَ : كُنْتُ رَجُلًا فَارِسِيًّا مِنْ أَهْلِ أَصْبَهَانَ ، مِنْ أَهْلِ قَرْيَةٍ مِنْهَا يُقَالُ لَهَا جَيٌّ ، وَكَانَ أَبِي دِهْقَانَ قَرْيَتِهِ ، وَكُنْتُ أَحَبَّ خَلْقِ اللهِ إِلَيْهِ ، فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حُبُّهُ إِيَّايَ حَتَّىٰ حَبَسَنِي فِي بَيْتِهِ ، أَيْ مُلازِمَ النَّارِ ، كَمَا تُحْبَسُ الْجَارِيَةُ ، وَأَجْهَدْتُ فِي الْمَجُوسِيَّةِ حَتَّىٰ كُنْتُ قَطَنَ النَّارِ الَّذِي يُوقِدُهَا لا يَتْرُكُهَا تَخْبُو سَاعَةً ، قَالَ: وَكَانَتْ لأَبِي ضَيْعَةٌ عَظِيمَةٌ ، قَالَ : فَشُغِلَ فِي بُنْيَانٍ لَهُ يَوْمًا فَقَالَ لِي : يَا بُنَيَّ، إِنِّي قَدْ شُغِلْتُ فِي بُنْيَانٍ هَذَا الْيَوْمَ عَنْ ضَيْعَتِي فَاذْهَبْ فَاطَّلِعْهَا ، وَأَمَرَنِي

(١)(حَسَنٌ) أَخْرَجَهُ أَحْمَد(٥/ ٤٤١)، وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي«الصَّحِيْحَة»(٢/ ٥٩٢) وَحَسَّنَهُ الوَادِعِيِّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «الجَامِعِ الصَّحِيحِ» مِمَّا لَيْسَ فِي «الصَّحِيْحَيْنِ»(٢٥٢٠).

فِيهَا بِبَعْضِ مَا يُرِيدُ ، فَخَرَجْتُ أُرِيدُ ضَيْعَتَهُ ، فَمَرَرْتُ بِكَنِيسَةٍ مِنْ كَنَائِسِ النَّصَارَىٰ ، فَسَمِعْتُ أَصْوَاتَهُمْ فِيهَا وَهُمْ يُصَلُّونَ ، وَكُنْتُ لا أَدْرِي مَا أَمْرُ النَّاسِ لِحَبْسِ أَبِي إِيَّايَ فِي بَيْتِهِ ، فَلَمَّا مَرَرْتُ بِهِمْ وَسَمِعْتُ أَصْوَاتَهُمْ دَخَلْتُ عَلَيْهِمْ أَنْظُرُ مَا يَصْنَعُونَ ، قَالَ : فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ أَعْجَبَنِي صَلاتُهُمْ وَرَغِبْتُ فِي أَمْرِهِمْ ، وَقُلْتُ هَذَا وَاللهِ خَيْرٌ مِنْ الدِّينِ الَّذِي نَحْنُ عَلَيْهِ ، فَوَاللهِ مَا تَرَكْتُهُمْ حَتَّىٰ غَرَبَتْ الشَّمْسُ ، وَتَرَكْتُ ضَيْعَةَ أَبِي وَلَمْ آتِهَا ، فَقُلْتُ لَهُمْ : أَيْنَ أَصْلُ هَذَا الدِّينِ ؟ قَالُوا : بِالشَّام .

قَالَ : ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَىٰ أَبِي وَقَدْ بَعَثَ فِي طَلَبِي وَشَغَلْتُهُ عَنْ عَمَلِهِ كُلِّهِ ، قَالَ فَلَمَّا جِئْتُهُ قَالَ : أَيْ بُنَيَّ ! أَيْنَ كُنْتَ ؟ أَلَمْ أَكُنْ عَهِدْتُ إِلَيْكَ مَا عَهِدْتُ؟،قَالَ: قُلْتُ : يَا أَبَتِ ! مَرَرْتُ بِنَاسٍ يُصَلُّونَ فِي كَنِيسَةٍ لَهُمْ ، فَأَعْجَبَنِي مَا رَأَيْتُ مِنْ دِينِهِمْ ، فَوَاللهِ مَازِلْتُ عِنْدَهُمْ حَتَّىٰ غَرَبَتْ الشَّمْس ، قَالَ : أَيْ بُنَيَّ ! لَيْسَ فِي ذَلِكَ الدِّينِ خَيْرٌ ، دِينُكَ وَدِينُ آبَائِكَ خَيْرٌ مِنْهُ ، قَالَ قُلْتُ : كَلا وَاللهِ إِنَّهُ خَيْرٌ مِنْ دِينِنَا . قَالَ : فَخَافَنِي ، فَجَعَلَ فِي رِجْلَيَّ قَيْدًا ، ثُمَّ حَبَسَنِي فِي بَيْتِهِ ، قَالَ: وَبَعَثْتُ إِلَىٰ النَّصَارَىٰ فَقُلْتُ لَهُمْ : إِذَا قَدِمَ عَلَيْكُمْ رَكْبٌ مِنْ الشَّامِ تُجَّارٌ مِنْ النَّصَارَىٰ فَأَخْبِرُونِي بِهِمْ . قَالَ : فَقَدِمَ عَلَيْهِمْ رَكْبٌ مِنْ الشَّامِ تُجَّارٌ مِنْ النَّصَارَىٰ ، قَالَ فَأَخْبَرُونِي بِهِمْ ، قَالَ فَقُلْتُ لَهُمْ : إِذَا قَضَوْا حَوَائِجَهُمْ وَأَرَادُوا الرَّجْعَةَ إِلَىٰ بِلادِهِمْ فَآذِنُونِي بِهِمْ ، قَالَ فَلَمَّا أَرَادُوا الرَّجْعَةَ إِلَىٰ بِلَادِهِمْ أَخْبَرُونِي بِهِمْ ، فَأَلْقَيْتُ الْحَدِيدَ مِنْ رِجْلَيَّ ثُمَّ خَرَجْتُ مَعَهُمْ حَتَّىٰ

قَدِمْتُ الشَّامَ ، فَلَمَّا قَدِمْتُهَا قُلْتُ : مَنْ أَفْضَلُ أَهْلِ هَذَا الدِّينِ ؟، قَالُوا : الأَسْقُفُّ فِي الْكَنِيسَةِ .

قَالَ فَجِئْتُهُ فَقُلْتُ : إِنِّي قَدْ رَغِبْتُ فِي هَذَا الدِّينِ ، وَأَحْبَبْتُ أَنْ أَكُونَ مَعَكَ أَخْدُمُكَ فِي كَنِيسَتِكَ وَأَتَعَلَّمُ مِنْكَ وَأُصَلِّي مَعَكَ ، قَالَ : فَادْخُلْ . فَدَخَلْتُ مَعَهُ ، قَالَ فَكَانَ رَجُلَ سَوْءٍ ، يَأْمُرُهُمْ بِالصَّدَقَةِ وَيُرَغِّبُهُمْ فِيهَا فَإِذَا جَمَعُوا إِلَيْهِ مِنْهَا أَشْيَاءَ اكْتَنَزَهُ لِنَفْسِهِ وَلَمْ يُعْطِهِ الْمَسَاكِينَ ، حَتَّىٰ جَمَعَ سَبْعَ قِلالٍ مِنْ ذَهَبٍ وَوَرِقٍ ، قَالَ :وَأَبْغَضْتُهُ بُغْضًا شَدِيدًا لِمَا رَأَيْتُهُ يَصْنَعُ ، ثُمَّ مَاتَ فَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ النَّصَارَىٰ لِيَدْفِنُوهُ ، فَقُلْتُ لَهُمْ : إِنَّ هَذَا كَانَ رَجُلَ سَوْءٍ ، يَأْمُرُكُمْ بِالصَّدَقَةِ وَيُرَغِّبُكُمْ فِيهَا فَإِذَا جِئْتُمُوهُ بِهَا اكْتَنَزَهَا لِنَفْسِهِ وَلَمْ يُعْطِ الْمَسَاكِينَ مِنْهَا شَيْئًا . قَالُوا : وَمَا عِلْمُكَ بِذَلِكَ ؟ قَالَ: قُلْتُ : أَنَا أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ كَنْزِهِ . قَالُوا : فَدُلَّنَا عَلَيْهِ . قَالَ فَأَرَيْتُهُمْ مَوْضِعَهُ ، قَالَ : فَاسْتَخْرَجُوا مِنْهُ سَبْعَ قِلَالٍ مَمْلُوءَةٍ ذَهَبًا وَوَرِقًا ، قَالَ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا : وَاللهِ لا نَدْفِنُهُ أَبَدًا . فَصَلَبُوهُ ثُمَّ رَجَمُوهُ بِالْحِجَارَةِ ، ثُمَّ جَاءُوا بِرَجُلٍ آخَرَ فَجَعَلُوهُ بِمَكَانِهِ .

قَالَ يَقُولُ سَلْمَانُ : فَمَا رَأَيْتُ رَجُلا لا يُصَلِّي الْخَمْسَ أَرَىٰ أَنَّهُ أَفْضَلُ مِنْهُ أَزْهَدُ فِي الدُّنْيَا وَلا أَرْغَبُ فِي الآخِرَةِ وَلا أَدْأَبُ لَيْلا وَنَهَارًا مِنْهُ . قَالَ فَأَحْبَبْتُهُ حُبًّا لَمْ أُحِبَّهُ مَنْ قَبْلَهُ ، وَأَقَمْتُ مَعَهُ زَمَانًا ، ثُمَّ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ فَقُلْتُ لَهُ : يَا فُلانُ ! إِنِّي كُنْتُ مَعَكَ ، وَأَحْبَبْتُكَ حُبًّا لَمْ أُحِبَّهُ مَنْ قَبْلَكَ ، وَقَدْ حَضَرَكَ مَا تَرَىٰ مِنْ أَمْرِ اللهِ ، فَإِلَىٰ مَنْ تُوصِي بِي ؟ ، وَمَا تَأْمُرُنِي ؟، قَالَ : أَيْ

بُنَيَّ ! وَاللهِ مَا أَعْلَمُ أَحدًا الْيَوْمَ عَلَىٰ مَا كُنْتُ عَلَيْهِ ، لَقَدْ هَلَكَ النَّاسُ وَبَدَّلُوا وَتَرَكُوا أَكْثَرَ مَا كَانُوا عَلَيْهِ إلا رَجُلا بِالْمَوْصِلِ وَهُوَ فُلانٌ ، فَهُوَ عَلَىٰ مَا كُنْتُ عَلَيْهِ ، فَالْحَقْ بِهِ .

قَالَ فَلَمَّا مَاتَ وَغَيَّبَ لَحِقْتُ بِصَاحِبِ الْمَوْصِلِ ، فَقُلْتُ لَهُ : يَا فُلانُ ! إِنَّ فُلانًا أَوْصَانِي عِنْدَ مَوْتِهِ أَنْ أَلْحَقَ بِكَ ، وَأَخْبَرَنِي أَنَّكَ عَلَىٰ أَمْرِهِ . قَالَ فَقَالَ لِي : أَقِمْ عِنْدِي . فَأَقَمْتُ عِنْدَهُ ، فَوَجَدْتُهُ خَيْرَ رَجُلٍ عَلَىٰ أَمْرِ صَاحِبِهِ ، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ مَاتَ ، فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قُلْتُ لَهُ : يَا فُلانُ ! إِنَّ فُلانًا أَوْصَىٰ بِي إِلَيْكَ وَأَمَرَنِي بِاللُّحُوقِ بِكَ ، وَقَدْ حَضَرَكَ مِنَ اللهِ مَا تَرَىٰ ، فَإِلَىٰ مَنْ تُوصِي بِي ؟ ، وَمَا تَأْمُرُنِي ؟ ، قَالَ : أَيْ بُنَيَّ ! وَاللهِ مَا أَعْلَمُ رَجُلًا عَلَىٰ مِثْلِ مَا كُنَّا عَلَيْهِ إلا بِنَصِّيبِينَ ، وَهُوَ فُلَانٌ ، فَالْحَقْ بِهِ .

وَقَالَ: فَلَمَّا مَاتَ وَغَيَّبَ لَحِقْتُ بِصَاحِبِ نَصِّيبِينَ ، فَجِئْتُهُ ، فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبَرِي وَمَا أَمَرَنِي بِهِ صَاحِبِي ، قَالَ : فَأَقِمْ عِنْدِي . فَأَقَمْتُ عِنْدَهُ ، فَوَجَدْتُهُ عَلَىٰ أَمْرِ صَاحِبَيْهِ ، فَأَقَمْتُ مَعَ خَيْرِ رَجُلٍ ، فَوَاللهِ مَا لَبِثَ أَنْ نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ ، فَلَمَّا حَضَرَ قُلْتُ لَهُ : يَا فُلَانُ ! إِنَّ فُلانًا كَانَ أَوْصَىٰ بِي إِلَىٰ فُلانٍ ، ثُمَّ أَوْصَىٰ بِي فُلَانٌ إِلَيْكَ ، فَإِلَىٰ مَنْ تُوصِي بِي وَمَا تَأْمُرُنِي ؟ ، قَالَ : أَيْ بُنَيَّ ! وَاللهِ مَا نَعْلَمُ أَحَدًا بَقِيَ عَلَىٰ أَمْرِنَا آمُرُكَ أَنْ تَأْتِيَهُ إلا رَجُلا بِعَمُّورِيَّةَ ، فَإِنَّهُ بِمِثْلِ مَا نَحْنُ عَلَيْهِ ، فَإِنْ أَحْبَبْتَ فَأْتِه قَالَ فَإِنَّهُ عَلَىٰ أَمْرِنَا ، قَالَ: فَلَمَّا مَاتَ وَغَيَّبَ لَحِقْتُ بِصَاحِبِ عَمُّورِيَّةَ وَأَخْبَرْتُهُ خَبَرِي ، فَقَالَ : أَقِمْ عِنْدِي . فَأَقَمْتُ مَعَ

رَجُلٍ عَلَىٰ هَدْيِ أَصْحَابِهِ وَأَمْرِهِمْ ، قَالَ: وَاكْتَسَبْتُ حَتَّىٰ كَانَ لِي بَقَرَاتٌ وَغُنَيْمَةٌ ، قَالَ ثُمَّ نَزَلَ بِهِ أَمْرُ اللهِ فَلَمَّا حَضَرَ قُلْتُ لَهُ : يَا فُلانُ ! إِنِّي كُنْتُ مَعَ فُلانٍ ، فَأَوْصَىٰ بِي فُلانٌ إِلَىٰ فُلانٍ ، وَأَوْصَىٰ بِي فُلانٌ إِلَىٰ فُلانٍ ، ثُمَّ أَوْصَىٰ بِي فُلَانٌ إِلَيْكَ ، فَإِلَىٰ مَنْ تُوصِي بِي وَمَا تَأْمُرُنِي ؟، قَالَ : أَيْ بُنَيَّ ! وَاللهِ مَا أَعْلَمُهُ أَصْبَحَ عَلَىٰ مَا كُنَّا عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ النَّاسِ آمُرُكَ أَنْ تَأْتِيَهُ ، وَلَكِنَّهُ قَدْ أَظَلَّكَ زَمَانُ نَبِيٍّ ، هُوَ مَبْعُوثٌ بِدِينِ إِبْرَاهِيمَ ، يَخْرُجُ بِأَرْضِ الْعَرَبِ مُهَاجِرًا إِلَىٰ أَرْضٍ بَيْنَ حَرَّتَيْنِ، بَيْنَهُمَا نَخْلٌ ، بِهِ عَلامَاتٌ لا تَخْفَىٰ : يَأْكُلُ الْهَدِيَّةَ وَلا يَأْكُلُ الصَّدَقَةَ ، بَيْنَ كَتِفَيْهِ خَاتَمُ النُّبُوَّةِ ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَلْحَقَ بِتِلْكَ الْبِلادِ فَافْعَلْ .

قَالَ ثُمَّ مَاتَ وَغَيَّبَ ، فَمَكَثْتُ بِعَمُّورِيَّةَ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ أَمْكُثَ ، ثُمَّ مَرَّ بِي نَفَرٌ مِنْ كَلْبٍ تُجَّارًا ، فَقُلْتُ لَهُمْ : تَحْمِلُونِي إِلَىٰ أَرْضِ الْعَرَبِ وَأُعْطِيكُمْ بَقَرَاتِي هَذِهِ وَغُنَيْمَتِي هَذِهِ ؟ قَالُوا : نَعَمْ . فَأَعْطَيْتُهُمُوهَا وَحَمَلُونِي ، حَتَّىٰ إِذَا قَدِمُوا بِي وَادِي الْقُرَىٰ ظَلَمُونِي فَبَاعُونِي مِنْ رَجُلٍ مِنْ يَهُودَ عَبْدًا ، فَكُنْتُ عِنْدَهُ ، وَرَأَيْتُ النَّخْلَ ، وَرَجَوْتُ أَنْ تَكُونَ الْبَلَدَ الَّذِي وَصَفَ لِي صَاحِبِي، وَلَمْ يَحِقْ لِي فِي نَفْسِي ، فَبَيْنَمَا أَنَا عِنْدَهُ قَدِمَ عَلَيْهِ ابْنُ عَمٍّ لَهُ مِنْ الْمَدِينَةِ مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ ، فَابْتَاعَنِي مِنْهُ ، فَاحْتَمَلَنِي إِلَىٰ الْمَدِينَةِ ، فَوَاللهِ مَا هُوَ إِلا أَنْ رَأَيْتُهَا فَعَرَفْتُهَا بِصِفَةِ صَاحِبِي ، فَأَقَمْتُ بِهَا ، وَبَعَثَ اللهُ رَسُولَهُ فَأَقَامَ بِمَكَّةَ مَا أَقَامَ ، لا أَسْمَعُ لَهُ بِذِكْرٍ مَعَ مَا أَنَا فِيهِ مِنْ شُغْلِ الرِّقِّ ، ثُمَّ هَاجَرَ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ ،

فَوَاللهِ إِنِّي لَفِي رَأْسِ عَذْقٍ لِسَيِّدِي أَعْمَلُ فِيهِ بَعْضَ الْعَمَلِ وَسَيِّدِي جَالِسٌ إِذْ أَقْبَلَ ابْنُ عَمٍّ لَهُ حَتَّىٰ وَقَفَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ فُلانُ : قَاتَلَ اللهُ بَنِي قَيْلَةَ ، وَاللهِ إِنَّهُمْ الآنَ لَمُجْتَمِعُونَ بِقُبَاءَ عَلَىٰ رَجُلٍ قَدِمَ عَلَيْهِمْ مِنْ مَكَّةَ الْيَوْمَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ نَبِيٌّ، قَالَ فَلَمَّا سَمِعْتُهَا أَخَذَتْنِي الْعُرَوَاءُ حَتَّىٰ ظَنَنْتُ سَأَسْقُطُ عَلَىٰ سَيِّدِي، قَالَ : وَنَزَلْتُ عَنْ النَّخْلَةِ فَجَعَلْتُ أَقُولُ لابْنِ عَمِّهِ ذَلِكَ : مَاذَا تَقُولُ مَاذَا تَقُولُ ؟.

قَالَ فَغَضِبَ سَيِّدِي فَلَكَمَنِي لَكْمَةً شَدِيدَةً ثُمَّ قَالَ : مَا لَكَ وَلِهَذَا؟! أَقْبِلْ عَلَىٰ عَمَلِكَ . قَالَ قُلْتُ : لا شَيْءَ ، إِنَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَسْتَثْبِتَ عَمَّا قَالَ . وَقَدْ كَانَ عِنْدِي شَيْءٌ قَدْ جَمَعْتُهُ ، فَلَمَّا أَمْسَيْتُ أَخَذْتُهُ ثُمَّ ذَهَبْتُ إِلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَهُوَ بِقُبَاءَ ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ فَقُلْتُ لَهُ : إِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّكَ رَجُلٌ صَالِحٌ وَمَعَكَ أَصْحَابٌ لَكَ غُرَبَاءُ ذَوُو حَاجَةٍ ، وَهَذَا شَيْءٌ كَانَ عِنْدِي لِلصَّدَقَةِ ، فَرَأَيْتُكُمْ أَحَقَّ بِهِ مِنْ غَيْرِكُمْ ، قَالَ فَقَرَّبْتُهُ إِلَيْهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لأَصْحَابِهِ : كُلُوا . وَأَمْسَكَ يَدَهُ فَلَمْ يَأْكُلْ ، قَالَ فَقُلْتُ فِي نَفْسِي هَذِهِ وَاحِدَةٌ ، ثُمَّ انْصَرَفْتُ عَنْهُ فَجَمَعْتُ شَيْئًا ، وَتَحَوَّلَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِلَىٰ الْمَدِينَةِ ، ثُمَّ جِئْتُ بِهِ، فَقُلْتُ إِنِّي رَأَيْتُكَ لا تَأْكُلُ الصَّدَقَةَ وَهَذِهِ هَدِيَّةٌ أَكْرَمْتُكَ بِهَا ، قَالَ فَأَكَلَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِنْهَا ، وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ فَأَكَلُوا مَعَهُ .

قَالَ فَقُلْتُ فِي نَفْسِي هَاتَانِ اثْنَتَانِ ، ثُمَّ جِئْتُ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ - وَهُوَ بِبَقِيعِ الْغَرْقَدِ ، قَالَ : وَقَدْ تَبِعَ جَنَازَةً مِنْ أَصْحَابِهِ عَلَيْهِ شَمْلَتَانِ لَهُ ، وَهُوَ جَالِسٌ فِي أَصْحَابِهِ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ثُمَّ اسْتَدَرْتُ أَنْظُرُ إِلَىٰ ظَهْرِهِ هَل أَرَىٰ الْخَاتَمَ الَّذِي وَصَفَ لِي صَاحِبِي ، فَلَمَّا رَآنِي رَسُولُ اللَّهِ- صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - اسْتَدَرْتُهُ عَرَفَ أَنِّي أَسْتَثْبِتُ فِي شَيْءٍ وُصِفَ لِي ، قَالَ فَأَلْقَىٰ رِدَاءَهُ عَنْ ظَهْرِهِ ، فَنَظَرْتُ إِلَىٰ الْخَاتَمِ فَعَرَفْتُهُ فَانْكَبَبْتُ عَلَيْهِ أُقَبِّلُهُ وَأَبْكِي ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : تَحَوَّلْ . فَتَحَوَّلْتُ فَقَصَصْتُ عَلَيْهِ حَدِيثِي كَمَا حَدَّثْتُكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ ، قَالَ فَأَعْجَبَ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنْ يَسْمَعَ ذَلِكَ أَصْحَابُهُ ، ثُمَّ شَغَلَ سَلْمَانَ الرِّقُّ حَتَّىٰ فَاتَهُ مَعَ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بَدْرٌ وَأُحُدٌ .

قَالَ: ثُمَّ قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : كَاتِبْ يَا سَلْمَانُ . فَكَاتَبْتُ صَاحِبِي عَلَىٰ ثَلاثِ مِائَةِ نَخْلَةٍ أُحْيِيهَا لَهُ بِالْفَقِيرِ ، وَبِأَرْبَعِينَ أُوقِيَّةً ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لأَصْحَابِهِ : أَعِينُوا أَخَاكُمْ .

فَأَعَانُونِي بِالنَّخْلِ ، الرَّجُلُ بِثَلاثِينَ وَدِيَّةً ، وَالرَّجُلُ بِعِشْرِينَ ، وَالرَّجُلُ بِخَمْسَ عَشْرَةَ، وَالرَّجُلُ بِعَشْرٍ، يَعْنِي الرَّجُلُ بِقَدْرِ مَا عِنْدَهُ، حَتَّىٰ اجْتَمَعَتْ لِي ثَلاثُ مِائَةِ وَدِيَّةٍ ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : اذْهَبْ يَا سَلْمَانُ فَفَقِّرْ لَهَا ، فَإِذَا فَرَغْتَ فَأْتِنِي أَكُونُ أَنَا أَضَعُهَا بِيَدَيَّ ، فَفَقَّرْتُ لَهَا وَأَعَانَنِي أَصْحَابِي حَتَّىٰ إِذَا فَرَغْتُ مِنْهَا جِئْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَعِي إِلَيْهَا : فَجَعَلْنَا نُقَرِّبُ لَهُ الْوَدِيَّ ، وَيَضَعُهُ

رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِيَدِهِ ، فَوَالَّذِي نَفْسُ سَلْمَانَ بِيَدِهِ مَا مَاتَتْ مِنْهَا وَدِيَّةٌ وَاحِدَةٌ ، فَأَدَّيْتُ النَّخْلَ وَبَقِيَ عَلَيَّ الْمَالُ ، فَأُتِيَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِمِثْلِ بَيْضَةِ الدَّجَاجَةِ مِنْ ذَهَبٍ ، مِنْ بَعْضِ الْمَغَازِي ، فَقَالَ : مَا فَعَلَ الْفَارِسِيُّ الْمُكَاتَبُ ؟ ، قَالَ فَدُعِيتُ لَهُ .

فَقَالَ: خُذْ هَذِهِ فَأَدِّ بِهَا مَا عَلَيْكَ يَا سَلْمَانُ. فَقُلْتُ : وَأَيْنَ تَقَعُ هَذِهِ يَا رَسُولَ اللهِ مِمَّا عَلَيَّ . قَالَ: خُذْهَا فَإِنَّ اللهَ سَيُؤَدِّي بِهَا عَنْكَ. قَالَ فَأَخَذْتُهَا فَوَزَنْتُ لَهُمْ مِنْهَا ، وَالَّذِي نَفْسُ سَلْمَانَ بِيَدِهِ أَرْبَعِينَ أُوقِيَّةً ، فَأَوْفَيْتُهُمْ حَقَّهُمْ، وَعُتِقْتُ، فَشَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الْخَنْدَقَ، ثُمَّ لَمْ يَفُتْنِي مَعَهُ مَشْهَدٌ ».

وَأَسْتَغْفِرُ اللهُ .

فَوائِدُ مِنْ قِصَّةُ سَلْمَانَ الفَارِسِيِّ -رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ-

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ :

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ أَشْرَفِ المُرْسَلِيْنَ ، وَعَلَىٰ آلِه وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

أَمَّا بَعْدُ:

فَتَقَدَّمَ الحَدِيْثِ مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنْ « **قِصَّةِ سَلْمَانَ الفَارِسِيِّ -رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ-** »، وَالآنَ حَدِيْثِي مَعَكُمْ عَنْ« **بَعْضِ الفَوَائِدِ مِنْ قِصَّةِ سَلْمَانَ الفَارِسِيِّ -رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ-** » .

فَمِنْ تِلْكَ الفَوَائِدِ -أَيُّهَا النَّاسُ- حِرْصُ الصَّحَابِيِّ الجَلِيْلِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاس -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- عَلَىٰ أَخْذِ العِلْمِ مِنْ مَصْدَرِهِ مُبَاشَرَةً وَبِدُونِ وَسَاطَةٍ ، كَمَا جَاءَ مِنْ قَوْلِهِ : «حَدَّثَنِي سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ حَدِيثَهُ مِنْ فِيْهِ» ! .

فَمِنْ تِلْكَ الفَوَائِدِ -أَيُّهَا النَّاسُ- اجْتِهَادُ سَلْمَانَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- فِي البَحْثِ دَلَّ عَلَىٰ ذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا قَدِمَ الشَّامَ قَالَ:«مَنْ أَفْضَلُ أَهْلِ هَذَا الدِّينِ ؟» .

فَهَذَا سُؤَالُ اسْتِفْهَامِيٌّ يَحْتَاجُ إِلَىٰ إِجَابَةٍ صَادِقَةٍ لِأَنَّهُ خَرَجَ مِنْ إِنْسَانٍ صَادِقٍ لَمْ يُفَكِّرْ بِأَيِّ شَيْءٍ فِي الدُّنْيَا سِوَىٰ البَحْثِ عَنِ الدِّيْنِ الصَّحِيْحِ ، مَعَ

أَصرَارِ وَعَزِيْمَةٍ وَعُلُوِّ هِمَّةٍ ، وَثَبَاتٍ عَلَىٰ الهَدَفِ الَّذِي جَاءَ مِنْ أَجْلِهِ وَتَرَكَ الدِّيَارِ وَالأَهْلَ والعَشِيْرَةَ مَهْمَا لاَقَىٰ مِنَ الصِّعَابِ .

فَمِنْ تِلْكَ الفَوَائِدِ -أَيُّهَا النَّاسُ- أَنَّ اللهَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- أَعْطَىٰ سَلْمَانَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- الوَقْتَ ، وَأَمَدَّهُ بِالعُمْرِ حَتَّىٰ يُحَقِّقَ أُمْنِيَّتَهُ وَيَسْعَدَ بِمُرَادِه فَكُلَّمَا مَاتَ أُسْقُفٌ أَوْرَاهِبٌ لَحِقَ بِالآخَرِ حَتَّىٰ أَسْلَمَ عَلَىٰ يَدَيْ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- .

فَمِنْ تِلْكَ الفَوَائِدِ -أَيُّهَا النَّاسُ- أَنَّ المُسْتَشَارَ مُؤْتَمَنٌ وَمَنْ طَلَبَ النَّصِيْحَةَ فَلَا بُدَّ أَنْ يُخْلِصَ لِلمَنْصُوحِ وَيَصْدُقَ لَهُ فِيْهَا لِأَنَّهُ مَسْؤُولٌ عَنْ كُلِّ كَلِمَةٍ يَقُولُهَا ن فَإِذَا خَرَجَتْ صَادِقَةً بَارَكَ اللهُ فِيْهَا وَنَفَعَ بِهَا .

فَسَلْمَانَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-حِيْنَمَا أَحسَّ بِدُنُوِّ أَجَلِ الرَّاهِبِ قَالَ لَهُ:يَا فُلاَنُ، إِنِّي كُنْتُ مَعَ فُلَانٍ ، فَأَوْصَىٰ بِي فُلانٌ إِلَىٰ فُلانٍ ، وَأَوْصَىٰ بِي فُلانٌ إِلَىٰ فُلانٍ ، ثُمَّ أَوْصَىٰ بِي فُلَانٌ إِلَيْكَ ، فَإِلَىٰ مَنْ تُوصِي بِي وَمَا تَأْمُرُنِي ؟، قَالَ : أَيْ بُنَيَّ ! وَاللهِ مَا أَعْلَمُهُ أَصْبَحَ عَلَىٰ مَا كُنَّا عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ آمُرُكَ أَنْ تَأْتِيَهُ، وَلَكِنَّهُ قَدْ أَظَلَّكَ زَمَانُ نَبِيٍّ ، هُوَ مَبْعُوثٌ بِدِينِ إِبْرَاهِيمَ، يَخْرُجُ بِأَرْضِ الْعَرَبِ مُهَاجِرًا إِلَىٰ أَرْضٍ بَيْنَ حَرَّتَيْنِ، بَيْنَهُمَا نَخْلٌ ، بِهِ عَلامَاتٌ لا تَخْفَىٰ : يَأْكُلُ الْهَدِيَّةَ وَلا يَأْكُلُ الصَّدَقَةَ ، بَيْنَ كَتِفَيْهِ خَاتَمُ النُّبُوَّةِ ، فَإِنْ استَطَعْتَ أَنْ تَلْحَقَ بِتِلْكَ الْبِلادِ فَافْعَلْ .

تِلْكَ -أَيُّهَا النَّاسُ- هِيَ البِشَارَةُ فَذَكَرَ لَهُ زَمَانَ خُرُوجِهِ وَمَكَانَ هِجْرَتِهِ،

وَزَادَ عَلَىٰ ذَلِكَ أَنْ ذَكَرَ بَعْضَ عَلَامَاتِ نُبُوَّتِهِ .

اللهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ مِنْهُ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ مُحَمَّدٍ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا اسْتَعَاذَكَ مِنْهُ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ مُحَمَّدٌ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- .

اللهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الجَنَّةَ وَمَاقَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ .

وَسُبْحَانَكَ اللهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ .

٧ البَعْثَةُ النَّبَوِيَّةُ

الخُطْبَةُ الأُولَىٰ:

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمِدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلِ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾ [النِّسَاء: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ [الأَحْزَاب: ٧٠-٧١].

أَمَّا بُعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الأُمُورِ

مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ :

فَمَا زَالَ الحَدِيْثُ مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنِ السِّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ عَلَىٰ صَاحِبِهَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -، وَحَدِيْثِي مَعَكُمْ اليَوْمَ عَنْ « **البَعْثَةِ النَّبَوِيَّةُ** » .

-أَيُّهَا النَّاسُ- لَمَّا أَرَادَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- رَحْمَةَ عِبَادِهِ وَكَرَامَتَهُ عَلَيْهِمْ بِإِرْسَالِ مُحَمَّدٍ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- رَحْمَةً لِلعَالَمِيْنَ عَلَىٰ حِيْنَ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ لِيُخْرِجَهُمْ بِهِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَىٰ النُّورِ فَنَزَلَ عَلَيْهِ الوَحْيُ وَهُوَ فِي سِنِّ الأَرْبَعِيْنَ ، كَمَا جَاءَ فِي «الصَّحِيْحَيْنِ» [١] ، مِنْ حَدِيْثِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ: « **أُنْزِلَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِينَ ، فَأَقَامَ بِمَكَّةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ ، وَبِالْمَدِينَةِ عَشْرًا ، وَتُوُفِّيَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ** » .

فَجَاءَهُ الوَحْيُ وَهُوَ يَتَعَبَّدُ فِي غَارِ حِرَاءٍ ، وَهُوَ الغَارُ الَّذِي فِي أَعْلَىٰ الجَبَلِ المُسَمَّىٰ جَبَلَ النُّورِ شَرْقِيَّ شِمَالِ مَكَّةَ ، عَلَىٰ يَمِينَ الدَّاخِلِ إِلَيْهَا .

فَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ» [٢]، مِنْ حَدِيْثِ عَائِشَةَ أُمِّ المُؤْمِنِينَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- أَنَّهَا قَالَتْ: أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِنَ الوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَىٰ رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ،

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٨٥١) ، وَمُسْلِمٌ (٢٣٥١) .
(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣) ، وَمُسْلِمٌ (٢٥٢) .

ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الخَلاَءُ، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ - وَهُوَ التَّعَبُّدُ - اللَّيَالِي ذَوَاتِ العَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَىٰ أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَىٰ خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّىٰ جَاءَهُ الحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ المَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: «مَا أَنَا بِقَارِئٍ»، قَالَ: « فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّىٰ بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّىٰ بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ﴾ [العلق: ١-٣].

فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَرْجُفُ فُؤَادُهُ، فَدَخَلَ عَلَىٰ خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا-، فَقَالَ: «**زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي**» فَزَمَّلُوهُ حَتَّىٰ ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الخَبَرَ: «**لَقَدْ خَشِيتُ عَلَىٰ نَفْسِي**» فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا وَاللهِ مَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَىٰ نَوَائِبِ الحَقِّ.

فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- حَتَّىٰ أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ العُزَّىٰ ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ وَكَانَ امْرَأً تَنَصَّرَ فِي الجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الكِتَابَ العِبْرَانِيَّ، فَيَكْتُبُ مِنَ الإِنْجِيلِ بِالعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: يَا ابْنَ عَمِّ، اسْمَعْ مِنَ ابْنِ أَخِيكَ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ

اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- خَبَرَ مَا رَأَى، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَ اللهُ عَلَىٰ مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ**»، قَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا. ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ، وَفَتَرَ الوَحْيُ » .

فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»[1]، مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَهُوَ يُحَدِّثُ عَنْ فَتْرَةِ الْوَحْيِ « **بَيْنَمَا أَنَا وَاقِفٌ فَرَفَعْتُ رَأْسِي إِلَىٰ السَّمَاءِ ، فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ جَالِسٌ عَلَىٰ كُرْسِيٍّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: فَجُثِثْتُ مِنْهُ فَرَقًا - أَيْ ذُعِرْتُ وَخِفْتُ- فَرَجَعْتُ، فَقُلْتُ :زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي دَثِّرُونِي ، فَأَنْزَلَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ -: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ۝٥﴾** [المُدَّثِّر : ١-٥] . قَالَ: « ثُمَّ تَتَابَعَ الْوَحْيُ » .

-أَيُّهَا النَّاسُ- لَعَلَّ البَعْضَ يَتَسَاءَلُ كَيْفَ كَانَ يَأْتِي الوَحْيُ الرَّسُولَ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، وَهَذَا هُوَ الجَوَابُ .

فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»[2]، مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ-رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- أَنَّ الحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ سَأَلَ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-فَقَالَ :

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤) ، وَمُسْلِمٌ (١٦١) .
(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٢) ، وَمُسْلِمٌ (٢٣٣٣) .

يَا رَسُولَ اللهِ ! كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ ؟، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ ، وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ ، فَيَفْصِمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ ، وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِي الْمَلَكُ رَجُلًا فَيُكَلِّمُنِي ، فَأَعِي مَا يَقُولُ** » .

قَالَتْ عَائِشَةُ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- : وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ ، فَيَفْصِمُ عَنْهُ وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا .

فَفِي «صَحِيْحِ الْبُخَارِيِّ» [١] ، مِنْ حَدِيْثِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « ...... **فَأَنْزَلَ اللهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَفَخِذُهُ عَلَىٰ فَخِذِي فَثَقُلَتْ عَلَيَّ ، حَتَّىٰ خِفْتُ أَنْ تَرُضَّ فَخِذِي** » .

وَفِي«صَحِيْحِ مُسْلِمٍ»[٢]مِنْ حَدِيْثِ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، قَالَ : « **كَانَ النَّبِيُّ - صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِذَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ كُرِبَ لِذَلِكَ وَتَرَبَّدَ وَجْهُهُ** » .

قَالَ النَّوَوِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- : «**وَتَرَبَّدَ وَجْهُهُ**» ، أَيْ: عَلَتْهُ غَبَرَةٌ، وَالرَّبْدُ تَغَيُّرُ الْبَيَاضِ إِلَىٰ السَّوَادِ ، وَإِنَّمَا حَصَلَ لَهُ ذَلِكَ لِعِظَمِ مَوْقِعِ الْوَحْيِ ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ : ﴿ **إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا** ﴿٥﴾ ﴾ [الْمُزَّمِّل : ٥] [٣] .

---

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٢٦٧٧) .
(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٤٣٦) .
(٣) « شَرْحُ النَّوَوِيِّ عَلَىٰ مُسْلِمٍ » (١١/ ١٩٠) .

وَكَانَ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَيُّهَا النَّاسُ- يَنْكِسُ رَأْسَهُ وَيُغَطِّيهِ بِثَوْبٍ.

فَفِي «صَحِيْحِ مُسْلِمٍ»(١) مِنْ حَدِيْثِ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، قَالَ: « **كَانَ النَّبِيُّ - صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - نَكَسَ رَأْسَهُ ، وَنَكَّسَ أَصْحَابُهُ رُءُوسَهُمْ ، فَلَمَّا أُتْلِيَ عَنْهُ رَفَعَ رَأْسَهُ** » .

وَمَعْنَىٰ « **أُتْلِيَ عَنْهُ** » أَيْ : ارْتَفَعَ عَنْهُ الْوَحْيُ .

فَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ»(٢)، مِنْ حَدِيْثِ يَعْلَىٰ بْنِ أُمَيَّةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، قَالَ: «وَدِدْتُ أَنِّي قَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، وَقَدْ أُنْزِلَ عَلَيْهِ الْوَحْيَ ، فَقَالَ عُمَرُ : يَا يَعْلَىٰ أَيَسُرُّكَ أَنْ تَنْظُرَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وَقَدْ أُنْزِلَ عَلَيْهِ ، قَالَ : قُلْتُ : نَعَمْ ، فَرَفَعَ طَرَفَ الثَّوْبِ فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ ، فَإِذَا لَهُ غَطِيطٌ وَأَحْسَبُهُ كَغَطِيطِ الْبِكْرِ » .

وَفِي «صَحِيْحِ مُسْلِمٍ»(٣) ، مِنْ حَدِيْثِ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- فِي حَدِيْثِ الْبَرَاءَةِ مِنَ الإِفْكِ قَالَتْ : « **حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِثْلُ الْجُمَانِ مِنَ الْعَرَقِ فِي الْيَوْمِ الشَّاتِ مِنْ ثِقَلِ الْقَوْلِ الذي أُنْزِلَ عَلَيْهِ** » .

وَكَانَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يُحَرِّكُ لِسَانَهُ بِسُرْعَةٍ وَشِدَّةٍ لِيَحْفَظَ عَنْ جِبْرِيْلَ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- حَتَّىٰ نَهَاهُ اللهُ عَنْ ذَلِكَ وَطَمْأَنَهُ أَنَّهُ سَيَجْمَعُ لَهُ الْقُرْآنَ فِي صَدْرِهِ .

---

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٣٣٥) .
(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (١٤٦٣) ، وَمُسْلِمٌ (١١٨٠) .
(٣) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٧٧٠) .

فَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ»[١]، مِنْ حَدِيْثِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-، في قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦﴾ [القِيَامَةُ: ١٦]، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يُعَالِجُ مِنَ التَّنْزِيلِ شِدَّةً، وَكَانَ مِمَّا يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ، فقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَأَنَا أُحَرِّكُهُمَا لَكُمْ كَمَا كَانَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يُحَرِّكُهُمَا، وَقَالَ سَعِيدٌ: أَنَا أُحَرِّكُهُمَا كَمَا رَأَيْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يُحَرِّكُهُمَا، فَحَرَّكَ شَفَتَيْهِ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ: لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧﴾ [القِيَامَةُ: ١٦-١٧]، قَالَ: جَمْعُهُ لَهُ فِي صَدْرِكَ وَتَقْرَأَهُ، فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْءَانَهُ ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ۝١٨﴾ [القِيَامَةُ: ١٨]، قَالَ: فَاسْتَمِعْ لَهُ وَأَنْصِتْ ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ۝١٩﴾ [القِيَامَةُ: ١٩]، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا أَنْ تَقْرَأَهُ، فَكَانَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا أَتَاهُ جِبْرِيلُ اسْتَمَعَ، فَإِذَا انْطَلَقَ جِبْرِيلُ قَرَأَهُ النَّبِيُّ - صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَمَا قَرَأَهُ».

قَالَ الإِمَامُ ابْنُ الجَوْزِيِّ -رَحِمَهُ اللهُ-: «تَفْسِيرُ هَذَا أَنَّهُ كَانَ يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ بِمَا قَدْ سَمِعَهُ مِنْ جِبْرِيْلَ الوَحْيِ مَخَافَةَ أَنْ يَذْهَبَ عَنْهُ جِبْرِيْلُ وَمَا حَفِظَ فَقِيلَ لَهُ ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ﴾ أَيْ: القُرْآنِ ﴿لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ أَيْ: بِأَخْذِهِ، ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧﴾ أَيْ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَضَمَّهُ فِي صَدْرِكَ ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ﴾ أَيْ: إِذَا فَرَغَ جِبْرِيْلُ مِنْ قِرَاءَتِهِ ﴿فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ۝١٨﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ:

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٥)، وَمُسْلِمٌ (٤٤٨).

فَاسْمَعْ وَانْصِتْ »[١] .

-أَيُّهَا النَّاسُ- كُلُّ مَا أَصَابَ النَّبِيَّ - صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنْ كَرْبٍ وَشِدَّةٍ لاَ شَكَّ أَنَّهُ سَبَبُ ثُقْلِ الوَحْيِ الَّذِي أَخْبَرَهُ اللهُ -تَعَالَىٰ- بِهِ قَبْلَ إِنْزَالِهِ عَلَيْهِ ، وَقَدْ هَيَّأَهُ اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - لِذَلِكَ التَّلَقِّي .

قَالَ أَبُو شَامَةَ المَقْدِسِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ-: وَهَذَا العَرَقُ الَّذِي كَانَ يَغْشَاهُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَمَا فِي الحَدِيْثِ وَاحْمِرَارُ الوَجْهِ ، وَالغَطِيْطُ المَذْكُورَانِ فِي حَدِيْثِ يَعْلَىٰ بْنِ أُمَيَّةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، وَثُقْلُهُ عَلَىٰ الرَّاحِلَةِ ، وَعَلَىٰ فَخْذِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ ، كَمَا وَرَدَ فِي حَدِيْثَيْنِ آخَرَيْنِ : إِنَّمَا كَانَ يُثْقِلُ الوَحِي عَلَيْهِ كَمَا أَخْبَرَهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - ابْتِدَاءً أَمْرَهُ بِقَوْلِهِ : ﴿ **إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا** ﴿٥﴾ ﴾ ، وَذَلِكَ يَضْعفُ القُوَّةِ البَشَرِيَّةِ عَنْ تَحَمُّلِ مِثْلَ ذَلِكَ الوَارِدِ العَظِيْمِ مِنْ ذَلِكَ الجَنَابِ الجَلِيْلِ ، وَلِلْوَجَلِ مِنْ تَوَقُّعُ تَقْصِيْرٍ فِيمَا يُخَاطَبُ بِهِ مِنْ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ -رَحِمَهُ اللهُ- : « وَلِلنُّبُوَّةِ أَثْقَالٌ وَمُؤْنَةٌ ، لَا يَحْمِلُهَا وَلَا يَسْتَضْلِعُ بِهَا إِلَّا أَهْلُ الْقُوَّةِ وَالْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ بِعَوْنِ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- »[٢] .

وَأَسْتَغْفِرُ اللهُ .

---

(١) « كَشْفُ المُشْكِلِ مِنْ حَدِيْثِ الصَّحِيْحَيْنِ » (١/ ٥٢٨) .
(٢) « شَرْحُ حَدِيْثِ المُقْتَفَىٰ فِي مَبْعَثِ النَّبِيِّ المُصْطَفَىٰ » (٧٣/ ٧٤) .

بِدْءُ رِسَالَتِهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ :

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ أَشْرَفِ المُرْسَلِيْنَ ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

أَمَّا بَعْدُ :

فَتَقَدَّمَ الحَدِيْثِ مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنْ « **البَعْثَةِ النَّبَوِيَّةِ** » ، وَالآنَ حَدِيْثِي مَعَكُمْ عَنْ« **بِدْءِ رِسَالَتِهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-** » .

-أَيُّهَا النَّاسُ- إِنْ بِدْءِ نُبُوَّتِهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَانَ بِنُزُولِ قَوْلِ اللهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ ﴾ [العَلَقُ: ١] .

وَبِدْءُ رِسَالَتِهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَانَتْ بِنُزُولِ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ ﴾ [المُدَّثر: ١-٢] .

قَالَ الإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الوَهَابِ -رَحِمَهُ اللهُ-: «نُبِئَ بِإِقْرَأْ وَأُرْسِلَ بِالمُدَّثِّرُ» .

وَقَالَ القُرْطبِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ-: لَمَّا ذَكَرَ الفَضَائِلَ قَالَ:« أَلَا تَرَىٰ أَنَّهُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَانَ عَبْدًا قَبْلَ أَنْ يَكُونَ نَبِيًّا، ثُمَّ كَانَ نَبِيًّا قَبْلَ أَنْ يَكُونَ رَسُولًا .

فَقَوْلُهُ « نُبِئَ بِإِقْرَأْ » يَعْنِي قَوْلَ اللهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ ﴾ [العَلَقُ: ٥] ، وَهَذَا نَزَلَ عَلَيْهِ يَوْمَ الإِثْنَيْنِ فِي رَمَضَانَ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ » .

وَقَوْلُهُ : « وَأُرْسِلَ بِالْمُدَّثِرُ » أَيْ : بِصَدْرِ السُّورَةِ .

أَيْ بَعَثَهُ اللهُ بِالنَّذْرَةِ عَنِ الشِّرْكِ ، وَيَدْعُو إِلَىٰ التَّوْحِيدِ ، وَالدَّلِيْل قَوْلِ اللهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ۝٧ ﴾ [المُدَّثِر : ١-٧] .

فَفِي «الصَّحِيْحَيْن»(١)، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: « **جَاوَرْتُ بِحِرَاءٍ شَهْرًا، فَلَمَّا قَضَيْتُ جِوَارِي هَبَطْتُ [فَلَمَّا اسْتَنْبَطُ الوَادِي] ، فَنُودِيتُ فَنَظَرْتُ عَنْ يَمِينِي فَلَمْ أَرَ شَيْئًا، وَنَظَرْتُ عَنْ شِمَالِي فَلَمْ أَرَ شَيْئًا ، وَنَظَرْتُ عَنْ خَلْفِي فَلَمْ أَرَ شَيْئًا ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَرَأَيْتُ شَيْئًا ، [فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءَ جَالِسٌ عَلَىٰ كُرْسِيٍّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَجُثْثُتُ مِنْهُ رُعْبًا حَتَّىٰ هُدِيْتُ إِلَىٰ الأَرْضِ] فَأَتَيْتُ خَدِيجَةَ، فَقُلْتُ: [زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي] دَثِّرُونِي، وَصَبُّوا عَلَيَّ مَاءً بَارِدًا ، قَالَ : فَدَثَّرُونِي وَصَبُّوا عَلَيَّ مَاءً بَارِدًا، فَنَزَلَتْ** : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ ﴾ [المُدَّثِر : ١-٤] .

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٦٣٨) ، وَمُسْلِمٌ (١٦١) .

وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ تُفْرَضَ الصَّلَاةُ ثُمَّ حَمِيَ الوَحيُ بَعْدُ وَتَتَابَعَ » .

وَمِنْ بَدِيْعِ هَذِهِ الآيَةِ -أَيُّهَا النَّاسُ- أَنَّ اللهَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- افْتَتَحَ الأُمُورَ فِيْهَا بِالنَّذَارَةِ ، فَأَوَّلُ آيَةٍ أَمْرُ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِيْهَا بِالإِنْذَارِ وَحَصَلَتْ لَهُ بِهَا الرِّسَالَةُ ، وَاخْتُتِمَتْ بِالأَمْرِ بِالصَّبْرِ ، وَهَذَا فِيْهِ إِشْعَارٌ لَهُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّهُ لَنْ يَتَحَقَّقَ لَهُ القِيَامُ بِالنَّذَارَةِ إِلَّا بِتَحْقِيْقِ الصَّبْرِ وَلِذَلِكَ اخْتَتَمَ الأَوَامِرَ بِقَوْلِهِ : ﴿ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ۝٧ ﴾ [المُدَّثِّر : ٧] .

وَهَذَا الآيَةِ -أَيُّهَا النَّاسُ- حَالُ كُلِّ مَنْ دَعَا إِلَىٰ اللهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - فَإِنَّهُ يَحْتَاجُ إِلَىٰ صَبْرٍ وَلِذَلِكَ تَكَرَّرَ أَمْرُ اللهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - بِالصَّبْرِ فِي آيَاتٍ كَثِيْرَةٍ ، كَقَوْلِهِ : ﴿ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ۝٧ ﴾ ، وَمَعْنَىٰ ﴿ ٱلْمُدَّثِّرُ ﴾ المُتَلَفِّفُ بِثِيَابِهِ ، وَمَعْنَىٰ : ﴿ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ ﴾ يُنْذِرُ عَنِ الشِّرْكِ وَيَدْعُو إِلَىٰ التَّوْحِيْدِ ، يُنْذِرُ العِبَادَ خَطَرَ الشِّرْكِ وَيَدْعُوهُمْ إِلَىٰ التَّوْحِيْدِ، فَبَدَأَ بِالتَّوْحِيْدِ لِأَنَّ العِبَادَةَ لَا تَصِحُّ بِدُونِهِ لِأَنَّ هَذَا مَدْلُوكَ كَلِمَةِ التَّوْحِيْدِ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، ﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ ﴾ أَيْ : عَظِّمْهُ بِالتَّوْحِيْدِ ، ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ ﴾ أَيْ : طَهِّرْ أَعْمَالَكَ عَنِ الشِّرْكِ . ﴿ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ ﴾ أَمَرَهُ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- بِهَجْرِ الرُّجْزَ وَهِيَ الأَصْنَامُ وَالأَوْثَانُ وَهَجْرُهَا تَرْكُهَا وَالإِعْرَاضُ عَنْهَا ، وَالبَرَاءَةُ مِنْ أَهْلِهَا ، كَمَا قَالَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : عَنْ الخَلِيْلِ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- ﴿ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [مَرْيَمُ : ٤٨] .

﴿ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ ﴾ أَيْ : لَا تَمْنُنْ عَلَىٰ رَبِّكَ بِمَا تَقُومُ بِهِ مِنْ أَعْبَاءٍ كَالَّذِي يَسْتَكْثِرُ مَا يَتَحَمَّلُهُ . ﴿ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ۝٧ ﴾ أَيْ : لِرَبِّكَ وَحْدَهُ دُونَ سِوَاهُ فَاصْبِرْ عَلَىٰ كُلِّ مَا تَلْقَاهُ فِي سَبِيلِ الدَّعْوَةِ وَإِبْلَاغِ الرِّسَالَةِ .

قَالَ ابْنُ سَعْدِيٍّ -رَحِمَهُ اللهُ-: «فَامْتَثَلَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لِأَمْرِ رَبِّهِ، وَبَادَرَ فِيهِ، فَأَنْذَرَ النَّاسَ، وَأَوْضَحَ لَهُمْ بِالْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ جَمِيعَ الْمَطَالِبِ الْإِلَهِيَّةِ، وَعَظَّمَ اللهَ تَعَالَى، وَدَعَا الْخَلْقَ إِلَىٰ تَعْظِيمِهِ، وَطَهَّرَ أَعْمَالَهُ الظَّاهِرَةَ وَالْبَاطِنَةَ مِنْ كُلِّ سُوءٍ، وَهَجَرَ كُلَّ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ وَمَا يُعْبَدُ مَعَهُ مِنَ الْأَصْنَامِ وَأَهْلِهَا، وَالشَّرِّ وَأَهْلِهِ، وَلَهُ الْمِنَّةُ عَلَىٰ النَّاسِ -بَعْدَ مِنَّةِ اللهِ- مِنْ غَيْرِ أَنْ يَطْلُبَ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا، وَصَبَرَ لِرَبِّهِ أَكْمَلَ صَبْرٍ، فَصَبَرَ عَلَىٰ طَاعَةِ اللهِ، وَعَنْ مَعَاصِيهِ، وَصَبَرَ عَلَىٰ أَقْدَارِهِ الْمُؤْلِمَةِ ، حَتَّىٰ فَاقَ أُولِي الْعَزْمِ مِنَ الْمُرْسَلِينَ، صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ » (١).

نَسْأَلُ اللهَ الْعَظِيمَ الْكَرِيمَ الْحَلِيمَ ، أَنْ يُعْلِيَ قَدْرَ نَبِيِّهِ فِي الدَّارِيْنِ ، وَأَنْ يَتَوَفَّنَا عَلَىٰ الْإِيمَانِ .

وَسُبْحَانَكَ اللهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ،نَسْتَغْفِرُكَ وَنَتُوبُ إِلَيْكَ .

---

(١) «تَفْسِيرُ ابْنِ سَعْدِيٍّ» (٨٩٥) .

٨ دَعْوَةُ النَّبِيِّ ـصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَـ وَقِصَّةُ هِرَقْل مَلِكِ الرُّومِ

الخُطْبَةُ الأُولَى:

إِنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلِ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لا شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾[النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأَحْزَاب:٧٠-٧١] .

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ :

فَمَا زَالَ الحَدِيْثُ مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنِ «**السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ عَلى صَاحِبِهَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-** » ، وَحَدِيْثِي مَعَكُمْ اليَوْمَ عَنْ « **دَعْوَةِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَقِصَّةِ هِرَقْلَ مَلِكِ الرُّم** » .

-أَيُّهَا النَّاسُ- قَدْ تَبَيَّنَ لِكُلِّ ذِي بَصِيْرَةٍ أَنَّ رَسُولَنَا مُحَمَّدًا -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- بِرِسَالَةِ الحَقِّ ، بِالدِّيْنِ الخَاتِمِ لِلنَّاسِ كَافَّةً ، بَلْ لِلْجِنِّ وَالإِنْسِ .

قَالَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾[سَبأ : ٢٨] .

وَقَالَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الأَنْبِيَاءُ : ١٠٧] .

وَقَالَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [الأَعْرَافُ : ١٥٨] .

وَفِي «الصَّحِيْحَيْن» (١) ، مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي، كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَىٰ بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَكْمَلَهُ ، إلا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ وَيَعْجَبُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ : هَلا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ ؟ ، قَالَ : فَأَنَا اللَّبِنَةُ ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ** » .

فَمَا هِيَ دَعْوَةُ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَمَا الَّذِي يَدْعُوَ إِلَيْهِ .

فَأَمَّا دَعْوَتَهُ -أَيُّهَا النَّاسُ- وَالَّذِي يَدْعُو إِلَيْهِ ، فَهُوَ الدِّيْنُ كُلُّهُ ، الشَّرْعُ الَّذِي أَكْمَلَهُ اللهُ لَهُ ، وَمَكَارِمِ الأَخْلاَقِ الَّذِي بَعَثَهُ اللهُ مُتَمِّمًا مُكَمِّلًا لَهَا ، وَسَوْفَ أُشِيْرُ إِلَىٰ ذَلِكَ -أَيُّهَا النَّاسُ- مِنْ خِلاَلِ بَعْضِ المَوَاقِفِ :

المَوْقِفُ الأَوَّلُ : مَوْقِفٌ عَظِيْمٌ نَقَلَهُ لَنَا التَّارِيْخُ بَيْنَ رَجُلٍ،هُوَ قَيْصَرُ الرُّوْمِ صَاحِبُ العِلْمِ بِالنُّجُومِ وَالعِلْمِ بِالمَسِيْحِيَّةِ ، وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ مُحَمَّدًا -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هُوَ رَسُولُ آخِرِ الزَّمَانِ وَبَيْنَ رَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ لَمْ يَدْخُلْ فِي الإِسْلاَمِ بَعْدُ ، وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَدَاوَةَ لِرَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَاسْمَعُوا -أَيُّهَا النَّاسُ- إِلَىٰ هَذَا الحِوَارِ الَّذِي دَارَ بَيْنَهُمَا وَمَا انْتَهَىٰ إِلَيْهِ .

فَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ»(٢)،مِنْ حَدِيْثِ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَبَّاسٍ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-:

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٥٣٥) ، وَمُسْلِمٌ (٢٢٨٦) .
(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٧) ، وَمُسْلِمٌ (١٧٧٣) .

« أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْب أَخْبَرَهُ أَنَّ هِرَقْلَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ فِي رَكْبٍ مِنْ قُرَيْش وَكَانُوا تجارًا بِالشَّأْم فِي الْمُدَّةِ الَّتِي كَانَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مَادَّ فِيهَا أَبَا سُفْيَانَ وَكُفَّارَ قُرَيْش فَأَتَوْهُ وَهُمْ بِإِيلِيَاءَ فَدَعَاهُمْ فِي مَجْلِسِهِ وَحَوْلَهُ عُظَمَاءُ الرُّوم ثُمَّ دَعَاهُمْ وَدَعَا بِتَرْجُمَانِهِ فَقَالَ: أَيُّكُمْ أَقْرَبُ نَسَبًا بِهَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ .

فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: فَقُلْتُ : أَنَا أَقْرَبُهُمْ نَسَبًا فَقَالَ أَدْنُوهُ مِنِّي وَقَرِّبُوا أَصْحَابَهُ فَاجْعَلُوهُمْ عِنْدَ ظَهْرِهِ ، ثُمَّ قَالَ لِتَرْجُمَانِهِ : قُلْ لَهُمْ : إِنِّي سَائِلٌ هَذَا عَنْ هَذَا الرَّجُلِ فَإِنْ كَذَبَنِي فَكَذِّبُوهُ ، فَوَاللهِ لَوْلَا الْحَيَاءُ مِنْ أَنْ يَأْثِرُوا عَلَيَّ كَذِبًا لَكَذَبْتُ عَنْهُ ، ثُمَّ كَانَ أَوَّلَ مَا سَأَلَنِي عَنْهُ أَنْ قَالَ: كَيْفَ نَسَبُهُ فِيكُمْ ، قُلْتُ هُوَ فِينَا ذُو نَسَب .

قَالَ:فَهَلْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ مِنْكُمْ أَحَدٌ قَطُّ قَبْلَهُ قُلْتُ : لَا ، قَالَ : فَهَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِك قُلْتُ : لَا ، قَالَ : فَأَشْرَافُ النَّاسِ يَتَّبِعُونَهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ، فَقُلْتُ : بَلْ ضُعَفَاؤُهُمْ ، قَالَ : أَيَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ ، قُلْتُ : بَلْ يَزِيدُونَ قَالَ: فَهَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ مِنْهُمْ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ ، قُلْتُ : لَا ، قَالَ: فَهَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ ؟، قُلْتُ : لَا ، قَالَ: فَهَلْ يَغْدِرُ؟.

قُلْتُ : لَا وَنَحْنُ مِنْهُ فِي مُدَّةٍ لَا نَدْرِي مَا هُوَ فَاعِلٌ فِيهَا ، قَالَ: وَلَمْ تُمْكِنِّي كَلِمَةٌ أُدْخِلُ فِيهَا شَيْئًا غَيْرُ هَذِهِ الْكَلِمَةِ ، قَالَ : فَهَلْ قَاتَلْتُمُوهُ ، قُلْتُ : نَعَمْ،

قَالَ : فَكَيْفَ كَانَ قِتَالُكُمْ إِيَّاهُ ، قُلْتُ : الْحَرْبُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ سِجَالٌ ، يَنَالُ مِنَّا وَنَنَالُ مِنْهُ ، قَالَ: مَاذَا يَأْمُرُكُمْ ، قُلْتُ : يَقُولُ اعْبُدُوا اللهَ وَحْدَهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَاتْرُكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ ، وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ ، وَالصِّدْقِ وَالْعَفَافِ وَالصِّلَةِ .

فَقَالَ لِلتَّرْجُمَانِ قُلْ لَهُ : سَأَلْتُكَ عَنْ نَسَبِهِ فَذَكَرْتَ أَنَّهُ فِيكُمْ ذُو نَسَبٍ فَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي نَسَبِ قَوْمِهَا ، وَسَأَلْتُكَ هَلْ قَالَ أَحَدٌ مِنْكُمْ هَذَا الْقَوْلَ ، فَذَكَرْتَ أَنْ لَا فَقُلْتُ لَوْ كَانَ أَحَدٌ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ قَبْلَهُ لَقُلْتُ رَجُلٌ يَأْتَسِي بِقَوْلٍ قِيلَ قَبْلَهُ .

وَسَأَلْتُكَ هَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا قُلْتُ فَلَوْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ قُلْتُ رَجُلٌ يَطْلُبُ مُلْكَ أَبِيهِ ، وَسَأَلْتُكَ هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ ، فَذَكَرْتَ أَنْ لَا فَقَدْ أَعْرِفُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَذَرَ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ وَيَكْذِبَ عَلَى اللهِ .

وَسَأَلْتُكَ أَشْرَافُ النَّاسِ اتَّبَعُوهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ ، فَذَكَرْتَ أَنَّ ضُعَفَاءَهُمْ اتَّبَعُوهُ وَهُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ ، وَسَأَلْتُكَ أَيَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ فَذَكَرْتَ أَنَّهُمْ يَزِيدُونَ ، وَكَذَلِكَ أَمْرُ الْإِيمَانِ حَتَّى يَتِمَّ .

وَسَأَلْتُكَ أَيَرْتَدُّ أَحَدٌ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ ، فَذَكَرْتَ أَنْ لَا وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ حِينَ تُخَالِطُ بَشَاشَتُهُ الْقُلُوبَ ، وَسَأَلْتُكَ هَلْ يَغْدِرُ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ لَا تَغْدِرُ ، وَسَأَلْتُكَ بِمَا يَأْمُرُكُمْ فَذَكَرْتَ أَنَّهُ يَأْمُرُكُمْ

أَنْ تَعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَيَنْهَاكُمْ عَنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ ، وَيَأْمُرُكُمْ بِالصَّلَاةِ وَالصِّدْقِ وَالْعَفَافِ ، فَإِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقًّا فَسَيَمْلِكُ مَوْضِعَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ ، وَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ لَمْ أَكُنْ أَظُنُّ أَنَّهُ مِنْكُمْ فَلَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي أَخْلُصُ إِلَيْهِ لَتَجَشَّمْتُ لِقَاءَهُ ، وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ عَنْ قَدَمِهِ.

ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الَّذِي بَعَثَ بِهِ دِحْيَةُ إِلَىٰ عَظِيمِ بُصْرَىٰ فَدَفَعَهُ إِلَىٰ هِرَقْلَ ، فَقَرَأَهُ فَإِذَا فِيهِ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَىٰ هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ ، سَلَامٌ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ ، أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الْإِسْلَامِ أَسْلِمْ تَسْلَمْ يُؤْتِكَ اللهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ ﴿ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [آلِ عِمْرَانَ : ٦٤] .

قَالَ أَبُو سُفْيَانَ : فَلَمَّا قَالَ مَا قَالَ ، وَفَرَغَ مِنْ قِرَاءَةِ الْكِتَابِ كَثُرَ عِنْدَهُ الصَّخَبُ ، وَارْتَفَعَتِ الْأَصْوَاتُ وَأُخْرِجْنَا ، فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي حِينَ أُخْرِجْنَا لَقَدْ أَمِرَ أَمْرُ ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ ، إِنَّهُ يَخَافُهُ مَلِكُ بَنِي الْأَصْفَرِ فَمَا زِلْتُ مُوقِنًا أَنَّهُ سَيَظْهَرُ حَتَّىٰ أَدْخَلَ اللهُ عَلَيَّ الْإِسْلَامَ .

وَكَانَ ابْنُ النَّاظُورِ صَاحِبُ إِيلِيَاءَ وَهِرَقْلَ سُقُفًّا عَلَىٰ نَصَارَىٰ الشَّأْمِ ، يُحَدِّثُ أَنَّ هِرَقْلَ حِينَ قَدِمَ إِيلِيَاءَ أَصْبَحَ يَوْمًا خَبِيثَ النَّفْسِ فَقَالَ بَعْضُ

بَطَارِقَتِه: قَدْ اسْتَنْكَرْنَا هَيْئَتَكَ قَالَ ابْنُ النَّاظُور: وَكَانَ هِرَقْلُ حَزَّاءً يَنْظُرُ فِي النُّجُوم ، فَقَالَ لَهُمْ حِينَ سَأَلُوهُ :إِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ حِينَ نَظَرْتُ فِي النُّجُوم مَلِكَ الْخِتَانِ قَدْ ظَهَرَ ، فَمَنْ يَخْتَتِنُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ ؟، قَالُوا : لَيْسَ يَخْتَتِنُ إِلَّا الْيَهُودُ فَلَا يُهِمَّنَّكَ شَأْنُهُمْ وَاكْتُبْ إِلَىٰ مَدَايِنِ مُلْكِكَ فَيَقْتُلُوا مَنْ فِيهِمْ مِنَ الْيَهُودِ .

فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَىٰ أَمْرِهِمْ أُتِيَ هِرَقْلُ بِرَجُلٍ أَرْسَلَ بِهِ مَلِكُ غَسَّانَ يُخْبِرُ عَنْ خَبَرِ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَلَمَّا اسْتَخْبَرَهُ هِرَقْلُ قَالَ : اذْهَبُوا فَانْظُرُوا أَمُخْتَتِنٌ هُوَ أَمْ لَا ؟، فَنَظَرُوا إِلَيْهِ فَحَدَّثُوهُ ، أَنَّهُ مُخْتَتِنٌ وَسَأَلَهُ عَنْ الْعَرَبِ ، فَقَالَ :هُمْ يَخْتَتِنُونَ .

فَقَالَ هِرَقْلُ: هَذَا مُلْكُ هَذِهِ الْأُمَّةِ قَدْ ظَهَرَ ثُمَّ كَتَبَ هِرَقْلُ إِلَىٰ صَاحِبٍ لَهُ بِرُومِيَةَ ، وَكَانَ نَظِيرَهُ فِي الْعِلْمِ وَسَارَ هِرَقْلُ إِلَىٰ حِمْصَ ، فَلَمْ يَرِمْ حِمْصَ حَتَّىٰ أَتَاهُ كِتَابٌ مِنْ صَاحِبِهِ يُوَافِقُ رَأْيَ هِرَقْلَ عَلَىٰ خُرُوجِ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَأَنَّهُ نَبِيٌّ فَأَذِنَ هِرَقْلُ لِعُظَمَاءِ الرُّومِ فِي دَسْكَرَةٍ لَهُ بِحِمْصَ، ثُمَّ أَمَرَ بِأَبْوَابِهَا فَغُلِّقَتْ .

ثُمَّ اطَّلَعَ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الرُّومِ؛ هَلْ لَكُمْ فِي الْفَلَاحِ وَالرُّشْدِ وَأَنْ يَثْبُتَ مُلْكُكُمْ فَتُبَايِعُوا هَذَا النَّبِيَّ ، فَحَاصُوا حَيْصَةَ حُمُرِ الْوَحْشِ إِلَىٰ الْأَبْوَابِ فَوَجَدُوهَا قَدْ غُلِّقَتْ ، فَلَمَّا رَأَىٰ هِرَقْلُ نَفْرَتَهُمْ وَأَيِسَ مِنَ الْإِيمَانِ، قَالَ:

رُدُّوهُمْ عَلَيَّ ، وَقَالَ: إِنِّي قُلْتُ مَقَالَتِي آنِفًا أَخْتَبِرُ بِهَا شِدَّتَكُمْ عَلَىٰ دِينِكُمْ، فَقَدْ رَأَيْتُ فَسَجَدُوا لَهُ وَرَضُوا عَنْهُ، فَكَانَ ذَٰلِكَ آخِرَ شَأْنِ هِرَقْلَ » .

وَخُلاصَةُ القَوْلِ مِنْ هَذِهِ الوَقْفَةِ بِأَنَّ عَظِيْمُ الرُّوْمِ أَقَرَّ بِنُبُوَّةِ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لِمَا عُلِمَ مِنْ صِفَاتِهِ وَشَمَائِلِهِ ، وَالَّتِي اضْطَرَّ أَبُو سُفْيَانَ أَنْ يُقِرَّ بِهَا ، وَمِنْ خِلاَلِ التَّوْحِيْدِ الَّذِي يَدْعُو إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَمَكَارِمِ الأَخْلاَقِ ، وَحَتَّىٰ أَوْشَكَ هِرَقْلُ أَنْ يَدْخُلَ فِي ا لإِسْلَامِ، لَوْلَا غَلَبَةُ نَفْسِهِ وَهَوَاهُ عَلَيْهِ ، فَخَشِيَ عَلَىٰ زَوَالِ مُلْكِهِ فِي الدُّنْيَا ، وَآثَرَ مُلْكَ الدُّنْيَا عَلَىٰ الآخِرَةِ .

وَأَسْتَغْفِرُ اللهُ .

دَعْوَةُ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ وَقِصَّةُ مَلِكِ الحَبَشَةِ أَصْحَمَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ :

الحَمْدُ لِلهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ أَشْرَفِ المُرْسَلِيْنَ ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

أَمَّا بَعْدُ :

فَتَقَدَّمَ الحَدِيْثِ مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنْ « **قِصَّة هِرَقْل مَلِكِ الرُّوم** »، وَذَكَرْتُ لَكُمْ مَوْقِفًا مَعَ عَظِيْمِ الرُّومِ هِرَقْلَ ، وَالمَوْقِفُ الثَّانِي مَعَ مَلِكِ الحَبَشَةِ ، وَاسْمُهُ أَصْحَمَةُ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- وَهُوَ مَعْرُوفٌ فِي الصَّحَابَةِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ - ، وَكَانَ مِمَّنْ حَسُنَ إِسْلَامُهُ وَلَمْ يُهَاجِرْ .

فَفِي «مُسْنَد» أَحْمَدُ بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ صَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ في «فِقْه السِّيْرَة» [١]، تَرْوِيهِ لَنَا أُمِّ سَلَمَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- زَوْجِ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَذَلِكَ بَعْدَمَا هَاجَرَ بَعْضُ المُسْلِمِيْنَ إِلَىٰ الحَبَشَةِ ، وَأَرَادَتْ قُرَيْشُ أَنْ تُعِيْدُهُمْ إِلَىٰ قَبْضَتِهَا ، لِتُنْزِلَ بِهِمُ العَذَابَ وَالنِّكَالَ ، فَاحْتَالَتْ قُرَيْشُ وَأَرْسَلَتْ رَجُلَيْنِ

---

(١) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ أَحْمَد (١/ ٤٠١-٤٠٢)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «صَحِيْحِ السِّيْـرَةِ» (١١٥) .

إِلَىٰ النَّجَاشِيِّ مَلِكِ الحَبَشَةِ ، لإِحْدَاثِ فِتْنَةٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمُسْلِمِيْنَ الْمُهَاجِرِيْنَ عِنْدَهُ ، فَأَرْسَلَ النَّجَاشِيُّ إِلَىٰ مَنْ عِنْدَهُ مِنَ الْمُسْلِمِيْنَ وَسَأَلَهُمْ فَقَالَ : مَا هَذَا الدِّينُ الَّذِي فَارَقْتُمْ فِيهِ قَوْمَكُمْ وَلَمْ تَدْخُلُوا فِي دِينِي وَلَا فِي دِينِ أَحَدٍ مِنْ هَذِهِ الأُمَمِ ؟.

قَالَتْ : فَكَانَ الَّذِي كَلَّمَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ لَهُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ ، نَعْبُدُ الأَصْنَامَ ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ ، وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ ، وَنَقْطَعُ الأَرْحَامَ ، وَنُسِيءُ الْجِوَارَ ، يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ ، فَكُنَّا عَلَىٰ ذَلِكَ حَتَّىٰ بَعَثَ اللهُ إِلَيْنَا رَسُولاً مِنَّا ، نَعْرِفُ نَسَبَهُ ، وَصِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ وَعَفَافَهُ ، فَدَعَانَا إِلَىٰ اللهِ لِنُوَحِّدَهُ وَنَعْبُدَهُ ، وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ ، مِنَ الْحِجَارَةِ وَالأَوْثَانِ ، وَأَمَرَ بِصِدْقِ الْحَدِيثِ ، وَأَدَاءِ الأَمَانَةِ ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ وَحُسْنِ الْجِوَارِ ، وَالْكَفِّ عَنْ الْمَحَارِمِ وَالدِّمَاءِ ، وَنَهَانَا عَنْ الْفَوَاحِشِ ، وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ ، لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا ، وَأَمَرَنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ .

قَالَ : فَعَدَّدَ عَلَيْهِ أُمُورَ الإِسْلَامِ فَصَدَّقْنَاهُ وَآمَنَّا بِهِ ، وَاتَّبَعْنَاهُ عَلَىٰ مَا جَاءَ بِهِ ، فَعَبَدْنَا اللهَ وَحْدَهُ فَلَمْ نُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا ، وَحَرَّمْنَا مَا حَرَّمَ عَلَيْنَا ، وَأَحْلَلْنَا مَا أَحَلَّ لَنَا ، فَعَدَا عَلَيْنَا قَوْمُنَا فَعَذَّبُونَا فَفَتَنُونَا عَنْ دِينِنَا ؛ لِيَرُدُّونَا إِلَىٰ عِبَادَةِ الأَوْثَانِ مِنْ عِبَادَةِ اللهِ ، وَأَنْ نَسْتَحِلَّ مَا كُنَّا نَسْتَحِلُّ مِنَ الْخَبَائِثِ ، وَلَمَّا قَهَرُونَا وَظَلَمُونَا وَشَقُّوا عَلَيْنَا ، وَحَالُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ دِينِنَا ، خَرَجْنَا إِلَىٰ بَلَدِكَ

وَاخْتَرْنَاكَ عَلَىٰ مَنْ سِوَاكَ ، وَرَغِبْنَا فِي جِوَارِكَ وَرَجَوْنَا ، أَنْ لَا نُظْلَمَ عِنْدَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ ! .

قَالَتْ: فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ : هَلْ مَعَكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ عَنْ اللهِ مِنْ شَيْءٍ؟.قَالَتْ: فَقَالَ لَهُ جَعْفَرٌ : نَعَمْ فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ: فَاقْرَأْهُ عَلَيَّ فَقَرَأَ عَلَيْهِ صَدْرًا مِنْ ﴿ كٓهيعٓصٓ ① ﴾ قَالَتْ : فَبَكَىٰ وَاللهِ النَّجَاشِيُّ حَتَّىٰ أَخْضَلَ لِحْيَتَهُ ، وَبَكَتْ أَسَاقِفَتُهُ حَتَّىٰ أَخْضَلُوا مَصَاحِفَهُمْ حِينَ سَمِعُوا مَا تَلَا عَلَيْهِمْ ، ثُمَّ قَالَ النَّجَاشِيُّ : إِنَّ هَذَا وَالَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ لَيَخْرُجُ مِنْ مِشْكَاةٍ وَاحِدَةٍ، انْطَلِقَا فَوَاللهِ لَا أُسْلِمُهُمْ إِلَيْكُمْ أَبَدًا وَلَا أَكَادُ .

ثُمَّ قَالَ : اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ سُيُومٌ بِأَرْضِي ، وَالسُّيُومُ الْآمِنُونَ ، مَنْ سَبَّكُمْ غَرِمَ ، فَمَا أُحِبُّ أَنَّ لِي دَبْرَ ذَهَبٍ وَأَنِّي آذَيْتُ رَجُلًا مِنْكُمْ ، وَالدَّبْرُ بِلِسَانِ الْحَبَشَةِ الْجَبَلُ ، رُدُّوا عَلَيْهِمَا هَدَايَاهُمَا فَلَا حَاجَةَ لَنَا بِهَا ، فَوَاللهِ مَا أَخَذَ اللهُ مِنِّي الرِّشْوَةَ حِينَ رَدَّ عَلَيَّ مُلْكِي فَآخُذَ الرِّشْوَةَ فِيهِ، وَمَا أَطَاعَ فِيَّ النَّاسَ فَأُطِيعَهُمْ فِيهِ .

قَالَتْ فَخَرَجَا مِنْ عِنْدِهِ مَقْبُوحَيْنِ مَرْدُودًا عَلَيْهِمَا مَا جَاءَا بِهِ ، وَأَقَمْنَا عِنْدَهُ بِخَيْرِ دَارٍ مَعَ خَيْرِ جَارٍ » .

وَخُلَاصَةُ الْقَوْلِ -أَيُّهَا النَّاسُ- أَنَّهُ مِنْ خِلَالِ الْمَوْقِفَيْنِ مَوْقِفِ نَتَعَارَفُ عَلَىٰ دَعْوَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِنْ خِلَالِ مَوْقِفِ هِرَقْلٍ وَاسْتِدْلَالِهِ عَلَى صِدْقِ نُبُوَّةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَكَذَلِكَ

شَهَادَةُ أَبِي سُفْيَانَ، وَكَذَلِكَ مَوْقِفُ جَعْفَر بْنِ أَبِي طَالِبٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- وَاسْتِدْلَالِه عَلَىٰ نُبُوَّةِ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِاصْطِفَاءِ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- لَهُ مِنْ حَيْثُ النَّسَبِ وَالصِّفَاتِ وَالشَّمَائِلِ ثُمَّ دَعْوَةُ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِلَىٰ التَّوْحِيْدِ وإِلَىٰ مَكَارِمِ الأَخْلَاقِ .

فَمِنْ خِلَالِ المَوْقِفَيْنِ عَرَفْنَا أُصُولَ وَمَبَادِئَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مُحَمَّدٌ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- .

وَفَّقَنَا اللهُ جَمِيْعًا لِلعِلْمِ النَّافِعِ وَالعَمَلِ الصَّالِحِ ، وَجَعَلَنَا هُدَاةً مُهْتَدِيْنَ .

وَأَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا فِي الأُمُورِ كُلِّهَا ، وَصَرَفَ عَنَّا خِزْيَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ، وَانْقِلْنَا مِنْ ذُلِّ المَعْصِيَةِ إِلَىٰ عِزِّ الطَّاعَةِ ، وَمَا ذَلِكَ عَلَىٰ اللهِ بِعَزِيْزٍ .

وَسُبْحَانَكَ اللهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ .

٩ الدَّعْوَةُ السِّرِّيَة

الخُطْبَةُ الأُولَى:

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ،نَحْمِدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلِ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾

[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾[النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾

[الأَحْزَاب:٧٠-٧١] .

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ

مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ:

فَمَا زَالَ الحَدِيْثُ مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنِ السِّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ عَلَىٰ صَاحِبِهَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، وَحَدِيْثِي مَعَكُمْ اليَوْمَ عَنْ « **الدَّعْوَةِ السِّرِّيَةِ لِرَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-** ».

-أَيُّهَا النَّاسُ- بَعْدَ أَنْ أَنْزَلَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ۝٧﴾ [المُدَّثِّر:١-٧].

قَام رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِمَا أَمَرَهُ اللهُ فِي هَذِهِ الآيَاتِ أَتَمَّ قِيَامٍ، فَكَانَ مِنَ الطَّبِيْعِي -أَيُّهَا النَّاسُ- أَنْ يَبْدَ الرَّسُولُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِأَهْلِ بَيْتِهِ، وَأَصْدِقَائِهِ، وَأَقْرَبِ النَّاسِ إِلَيْهِ، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِالرَّسُولِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِنَ النِّسَاءِ خَدِيْجَةُ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا-، بَلْ هِيَ أَوَّلُ المُسْلِمِيْنَ إِطْلَاقًا، وَأَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الصِّبْيَانِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- وَكَانَ عُمْرُهُ حِيْنَئِذٍ عَشْرُ سِنِيْنَ[1]، وَأَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الأَحْرَارِ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيْقُ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-.

فَفِي «صَحِيْحِ البُخَارِيِّ»[2]، مِنْ حَدِيْث أَبِي الدَّرْدَاءِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-،

---

(١) «فَتْحُ البَارِيِّ» (٧/ ١٧٤).
(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٦٦١).

قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « ... **إِنَّ اللهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ كَذَبْتَ ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : صَدَقَ ، وَوَاسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ** » .

وَفِي «صَحِيْحِ البُخَارِيِّ» (١)، مِنْ حَدِيْثِ عَمَّارٌ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: « رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَمَا مَعَهُ إِلَّا خَمْسَةُ أَعْبُدٍ ، وَامْرَأَتَانِ ، وَأَبُو بَكْرٍ » .

وَفِي هَذَا الحَدِيْثِ -أَيُّهَا النَّاسُ- أَنَّ أَبَا بَكْرٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الأَحْرَارِ مُطْلَقًا وَهُوَ المَشْهُورُ عِنْدَ جُمْهُورِ أَهْلِ السُّنَّةِ (٢).

وَزَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ المَوَالِي ، فَهُؤلاَءِ -أَيُّهَا النَّاسُ- هُمْ أَوَّلُ النَّاسِ إِسْلَامًا .

بِإِجْمَاعِ العُلَمَاءِ حُكِيَ الإِجْمَاعُ عَلَىٰ ذَلِكَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ مِنْهُمُ ابْنُ الأَثِيْرِ -رَحِمَهُ اللهُ - :

قَالَ ابْنُ كَثِيْرٍ -رَحِمَهُ اللهُ - : إِنَّ خَدِيْجَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا-، أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ النِّسَاءِ ، وَقِيْلَ : الرِّجَالِ -أَيْضًا- .

وَأَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الْمَوَالِي زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - وَأَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الْغِلْمَانِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - فَإِنَّهُ كَانَ صَغِيرًا دُونَ الْبُلُوغِ عَلَىٰ الْمَشْهُورِ ، وَهَؤُلَاءِ كَانُوا إِذْ ذَاكَ أَهْلَ الْبَيْتِ .

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٧٦٦٠) .
(٢) « سِيـرَةُ ابْنِ كَثِيـرٍ » (١/ ٤٣٥) وَ« فَتْحُ البَارِيُّ » (٧/ ٢٤) .

وَأَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الرِّجَالِ الْأَحْرَارِ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ، وَإِسْلَامُهُ كَانَ أَنْفَعَ مِنْ إِسْلَامِ مَنْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُمْ ، إِذْ كَانَ صَدْرًا مُعَظَّمًا ، وَرَئِيسًا فِي قُرَيْشٍ مُكَرَّمًا ، وَصَاحِبَ مَالٍ ، وَدَاعِيَةً إِلَىٰ الْإِسْلَامِ ، وَكَانَ مُحَبَّبًا مُتَأَلِّفًا يَبْذُلُ الْمَالَ فِي طَاعَةِ اللهِ وَرَسُولِهِ [١] .

-أَيُّهَا النَّاسُ- لَقَدْ تَحَرَّكَ الصِّدِّيقُ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- بَعْدَ ذَلِكَ فِي دَعْوَتِهِ وَاسْتَجَابَ لَهُ صَفْوَةٌ مِنْ خَيْرَةِ الْخَلْقِ وَهُمْ عُثْمَانُ ، وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ ، وَطَلْحَةَ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ-، وَكَانَ هَؤُلَاءِ الصَّفْوَةِ -أَيُّهَا النَّاسُ- ثَمَرَةً مِنْ ثِمَارِ الصِّدِّيقِ دَعَاهُمْ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ فَاسْتَجَابُوا، وَجَاءَ بِهِمْ إِلَىٰ رَسُولِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فُرَادَى فَأَسْلَمُوا بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَكَانُوا الدِّعَامَاتِ الْأُولَىٰ الَّتِي قَامَ بِهَا صَرْحُ الدَّعْوَةِ وَالْعُدَّةَ الْأُولَىٰ فِي تَقْوِيَةِ جَانِبِ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَبِهِمْ أَعَزَّهُ اللهُ وَأَيَّدَهُ ، وَتَتَابَعَ النَّاسِ يَدْخُلُونَ فِي دِيْنِ اللهِ أَفْوَاجًا رِجَالًا وَنِسَاءً، وَكَانَ مِنْ هَؤُلَاءِ الطَّلَائِعِ دَاعِيَةً إِلَىٰ الْإِسْلَامِ ثُمَّ مَضَتْ الدَّعْوَةُ -أَيُّهَا النَّاسُ-، بِاسْمِ اللهِ مَجْرِهَا وَمُرْسَاهَا سِرِّيَّةً وَفَرْدِيَّةً عَلَىٰ الاصْطِفَاءِ وَالاخْتِيَارِ، فَجَاءَ بَعْدَ ذَلِكَ دَوْرُ الدُّفْعَةِ الثَّانِيَةِ بَعْدَ إِسْلَامِ الدُّفْعَةِ الْأُوْلَىٰ ، فَأَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ فِي هَذِهِ الدُّفْعَةِ أَمِيْنُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ ، وَأَبُو سَلَمَةَ وَامْرَأَتُهُ أُمُّ سَلَمَةَ، وَالْأَرْقَمُ بْنُ أَبِي الْأَرْقَمِ الْمَخْزُومِي ، وَعُثْمَانُ بْنُ

(١) «الْمَرْجِعُ السَّابِقُ» (١١٩) .

مَظْعُونٍ ، وَأَخَوَاهُ قُدَامَةُ وَعَبْدُ اللهِ ، وَعُبَيْدَةُ بْنُ الحَارِثِ بنِ عَبْدِ المُطَّلِب، وَسَعِيْدُ بْنُ زَيْدٍ العَدَوِيُّ،وَامْرَأَتُهُ فَاطِمَةُ بِنْتُ الخَطَّابِ العَدَوِيَّةُ أُخْتُ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ، وَخَبَّابُ بْنُ الأَرَتِّ،وَجَعْفَرُ وَامْرَأَتُهُ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ وَخَالِدُ بْنُ سَعِيْدِ بْنِ العَاصِ وَامْرَأَتُهُ أَمِيْنَةُ بِنْتُ خَلَفٍ، ثُمَّ أَخُوهُ عَمْرُوُ بْنِ سَعِيْدٍ وَحَاطِبُ بْنُ الحَارِثِ وَامْرَأَتُهُ فَاطِمَةُ وَأَخُوهُ الخَطَّابُ بْنُ الحَارِثِ وَامْرَأَتُهُ فُكَيْهَةُ بِنْتُ يَسَارٍ، وَأَخُوهُ مَعْمَرُ بْنُ الْحَارِثِ، وَالْمُطَّلِبُ الزُّهْرِيُّ، وَامْرَأَتُهُ رَمْلَةُ بِنْتُ أَبِي عَوْفٍ ، وَنُعَيْمُ الْعَدَوِيُّ ، وَهَؤُلَاءِ كُلُّهُمْ قُرَشِيُّونَ مِنْ بُطُونٍ وَأَفْخَاذٍ شَتَّىٰ مِنْ قُرَيْشٍ .

وَمِنَ السَّابِقِيْنَ الأَوَّلِيْنَ إِلَىٰ الإِسْلَامِ مِنْ غَيْرِ قُرَيْشٍ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ، وَمَسْعُودُ بْنُ رَبِيْعَةٍ ، وَ عَبْدُ اللهِ بْنُ جَحْشٍ الأَسْدِيِّ وَأَخُوهُ أَبُو أَحْمَدَ بْنِ جَحْشٍ ، وَبِلَالٌ ، وَصُهَيْبٌ ، وَعَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ ، وَأَبُو يَاسِرٍ ، وَأُمُّهُ سُمَيَّةُ ، وَعَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ .

وَمِمَّنْ سَبَقَ إِلَىٰ الإِسْلَامِ مِنَ النِّسَاءِ مِنْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُنَّ -أَيُّهَا النَّاسُ- : أُمُّ أَيْمَنَ بَرَكَةُ الحَبَشِيَّةُ ، وَأُمُّ الفَضْلِ لُبَابَةِ الكُبْرَىٰ بِنْتُ الحَارِثِ الهِلَالِيَّةُ زَوْجُ العَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ ، وَأَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيْقِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ-.

وَهَؤُلَاءِ -أَيُّهَا النَّاسُ- مَقْرُونُونَ بِالسَّابِقِيْنَ الأَوَّلِيْنَ ، وَذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ أَنَّ مُدَّةَ مَا أَخْفَىٰ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَمْرَهُ بَعْدَ نُزُولِ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴾، ثَلَاثَ سِنِيْنَ ، أَيْ : فَكَانَ مَنْ أَسْلَمَ إِذَا أَرَادَ الصَّلَاةَ ، يَذْهَبُ إِلَىٰ بَعْضِ

الشِّعَابِ يَسْتَخْفِي بِصَلَاتِهِ مِنْ الْمُشْرِكِيْنَ فَبَيْنَا سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي شِعْبٍ مِنْ شِعَابِ مَكَّةَ، إِذْ ظَهَرَ عَلَيْهِمْ نَفَرٌ مِنْ الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ يُصَلُّونَ، فَنَاكَرُوهُمْ وَعَابُوا عَلَيْهِمْ مَا يَصْنَعُونَ حَتَّىٰ قَاتَلُوهُمْ ، فَضَرَبَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ يَوْمَئِذٍ رَجُلًا مِنْ الْمُشْرِكِينَ بِلَحْيِ (عَظْم) بَعِيرٍ فَشَجَّهُ ، فَكَانَ أَوَّلَ دَمٍ أُهْرِيْقَ فِي الْإِسْلَامِ [(١)].

ثُمَّ دَخَلَ رَسُولُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَأَصْحَابُهُ مُسْتَخْفِيْنَ فِي دَارِ الأَرْقَمِ ، أَيْ بَعْدَ هَذِهِ الوَاقِعَةِ ، فَإِنَّ جَمَاعَةً أَسْلَمُوا قَبْلَ دُخُولِهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- دَارَ الأَرْقَمِ ، وَكَانَ الأَرْقَمُ بْنُ أَبِي الأَرْقَمِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- مِنَ السَّابِقِيْنَ الأَوَّلِيْنَ ، وَكَانَتْ دَارُهُ مُنْتَدَىٰ يَجْتَمِعُ فِيْهِ الْمُسْلِمُونَ، وَيَعْبُدُونَ اللهَ سِرًّا، وَيُلَقِّنُهُمُ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الإِسْلَامُ وَأُصُولُهُ، وَيَتَعَهَّدُهُمْ بِالتَّرْبِيَةِ حَتَّىٰ كَوَّنَ مِنْهُمْ أُنَاسًا يَسْتَهِيْنُونَ بِكُلِّ الآلَامِ وَالبَلَاءِ فِي سَبِيْلِ دِيْنِهِمْ وَعَقِيْدَتِهِمْ ، وَكَانَ مَنْ يُرِيْدُ الإِسْلَامَ يَأْتِي إِلَيْهَا مُسْتَخْفِيًا خَشْيَةَ أَنْ يَنَالَهُ أَذَىٰ قُرَيْشٍ ، وَكَانَتْ هَذِهِ الدَّارُ عِنْدَ الصَّفَا .

-أَيُّهَا النَّاسُ- لَقَدْ كَانَتْ دَارَ الأَرْقَمِ بْنُ أَبِي الأَرْقَمِ أَعْظَم مَدْرَسَةٍ لِلتَّرْبِيَةِ وَالتَّعْلِيْمِ عَرِفَتْهَا البَشَرِيَّةِ ، كَيْفَ لَا ، وَأُسْتَاذُهَا هُوَ رَسُولُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، أُسْتَاذَ البَشَرِيَّةِ كُلِّهَا، وَتِلْمِيْذُهَا هُمُ الدُّعَاةُ الْهُدَاةُ ، وَالقَادَةُ الرَّبَّانِيُّونَ الَّذِيْنَ حَرَّرُوا البَشَرِيَّةَ مِنْ رِقِّ العُبُودِيَّةِ لِغَيْرِ اللهِ ، وَأَخْرَجُوهُمْ

(١) «سِيرَةُ ابْنِ هِشَامٍ» (١/ ٢٣٦) .

مِنْ الظُّلُمَاتِ إِلَىٰ النُّورِ بَعْدَ أَنْ رَبَّاهُمْ اللهُ عَلَىٰ عَيْنِه تَرْبِيَةً غَيْرِ مَسْبُوقَةٍ وَلاَ مَلْحُوقَةٍ (١).

فِي دَارَ الأَرْقَم بْنُ أَبِي الأَرْقَم -أَيُّهَا النَّاسُ- وَفَّقَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- رَسُولَهُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِلَىٰ تَكْوِيْنِ الجَمَاعَةِ الأُوْلَىٰ مِنَ الصَّحَابَةِ، حَيْثُ قَامُوا بِأَعْظَم دَعْوَةٍ عَرَفَتْهَا البَشَرِيَّةِ.

وَاسْتَطَاعَ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنْ يُرَبِّي فِي تِلْكَ المَرْحَلَةِ السِّرِّيَةِ وَفِي دَارَ الأَرْقَم أَفْذاذَ الرِّجَالِ الَّذيْنَ حَمَلُوا رَايَةَ التَّوْحِيْد، وَالجِهادِ وَالدَّعْوَةِ، فَدَانَتْ لَهُمْ الجزِيْرَةُ، وَقَامُوا بِالفُتُوحَاتِ العَظِيْمَةِ فِي نَصْفِ قَرْنٍ (٢).

هُمَ الرِّجَالُ بِأَفْيَاءِ الجِهَادِ نَمَوْا ... وَتَحْتَ سَقْفِ المَعَالِي وَالنَّدَىٰ وُلِدُوا
جِبَاهُهُمْ مَا انْحَنَتْ إِلَّا لِخَالِقِهَا ... وَغَيْرَ مَنْ أَبْدَعَ الأَكْوَانَ مَا عَبَدُوا
الخَاطِبُونَ مِنَ الغَايَاتِ أَكْرَمَهَا ... وَالسَّابِقُونَ وَغَيْرَ اللهِ مَا قَصَدُوا

وَأَسْتَغْفِرُ اللهُ.

(١) انْظُرْ: «دَوْلَةُ الرَّسُولِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِنَ التَّكْوِيْنِ إِلَىٰ التَّمْكِيْنِ» (٢١٩).
(٢) «المَرْجِعُ السَّابِقُ» (٢٢٠).

الجَهْرُ بِالدَّعْوَةِ

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ :

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ أَشْرَفِ المُرْسَلِيْنَ ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

أَمَّا بَعْدُ :

فَتَقَدَّمَ الحَدِيْثِ مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنْ « **سِرِّيَّةِ دَعْوَةِ النَّبِيُّ -صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-** »، وَالآنَ حَدِيْثِي مَعَكُمْ عَنْ « **جَهْرُ النَّبِيِّ -صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِالدَّعْوَةِ** » .

لَقَدْ كَانَ رَسُولُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ -أَيُّهَا النَّاسُ- يَدْعُو إِلَىٰ اللهِ سِرًّا مُسْتَخْفِيًا ، لِئَلَّا يُصِيبُهُ أَوْ يُصِيبُ أَحَدًا مِنْ أَتْبَاعِهِ وَآمَنَ بِهِ ، الشَّرُّ والأَذَىٰ مِنْ سُفَهَاءِ قُرَيْشٍ ، فَيَتَعَطَّلُ سَبِيْلُ الدَّعْوَةِ حَتَّىٰ أَنْزَلَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾ [الشُّعَرَاء:٢١٤] .

وَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ» [(١)] ،عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- ، قَالَ : لَمَّا أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾ [الشُّعَرَاء:٢١٤] .أَتَىٰ رَسُولُ

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (١٣٩٤) ، وَمُسْلِمٌ (٣٥٥) ، وَأَحْمَد (١/ ٢٨١-٣٠٧) ، وَابْن جُرَيْر (٢/ ٣١٩) .

اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الصَّفَا فَصَعِدَ عَلَيْهِ ثُمَّ نَادَىٰ :«يَا صَبَاحَاهُ !»، فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ النَّاسُ مِنْ بَيْنِ رَجُلٍ يَجِيءُ وَرَجُلٍ يَبْعَثُ رَسُولَهُ ، فَقَالَ : «يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، يَا بَنِي فِهْرٍ يَا بَنِي لُؤَيٍّ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِسَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ صَدَّقْتُمُونِي؟» ، قَالُوا : نَعَمْ قَالَ : « فَإِنِّي ﴿ نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾» [سَبَأ:٤٦]، ، فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ : تَبًّا لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ مَا دَعَوْتَنَا إِلَّا لِهَذَا ؟! ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ : ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ ﴾ [المَسَد:١] .

فَكَانَتْ هَذِهِ الصَّيْحَةُ -أَيُّهَا النَّاسُ- بَلَاغًا مُبِينًا ، وَإِنْذَارًا صَرِيحًا بِالْهَدَفِ الَّذِي جَاءَ مِنْ أَجْلِهِ، وَالْغَايَةِ الَّتِي يَحْيَا وَيَمُوتُ لَهَا ، وَقَدْ بَيَّنَ - صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَوَضَّحَ لِأَقْرَبِ النَّاسِ إِلَيْهِ أَنَّ التَّصْدِيقَ بِهَذِهِ الرِّسَالَةِ هُوَ الرَّابِطُ الوَحِيدُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ ، وَأَنَّ عَصَبِيَّةَ الْقَرَابَةِ الَّتِي أَلِفُوهَا وَدَافَعُوا عَنْهَا وَاسْتَمَاتُوا فِي سَبِيلِهَا ، لَا قِيمَةَ لَهَا فِي مِيزَانِ الحَقِّ وَأَنَّ الحَقَّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ ، فَهَا هُوَ يَقِفُ مُخَاطِبًا قَرَابَتَهُ ، كَمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ» (١)، مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ : قَامَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حِينَ أَنْزَلَ اللهُ ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ۝٢١٤ ﴾ [الشُّعَرَاء:٢١٤] قَالَ : « **يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا ، اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا ، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا ، يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا**

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٢٧٥٣) ، وَمُسْلِمٌ (٤٢٤) .

أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا ، وَيَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللهِ لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا ، وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مَا شِئْتِ مِنْ مَالِي ، لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا » .

وَلَمْ يَكُنْ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَيُّهَا النَّاسُ- يُبَالِي فِي سَبِيلِ دَعْوَتِهِ بِشَيْءٍ، بَلْ كَانَ يَجْهَرُ بِالحَقِّ وَيَصْدَعُ بِهِ لاَ يَلْوِي عَلَىٰ أَعْرَاضٍ مِنْ أَعْرَاضٍ ، وَلَا يَلْتَفِتُ إِلَىٰ اسْتِهْزَاءِ مَنِ اسْتَهْزَأَ ، بَلْ كَانَتْ وَجْهَتُهُ إِلَىٰ اللهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ ﴾ [الأَنْعَام:١٦٢] .

وَكَانَتْ وَسِيْلَتُهُ -أَيُّهَا النَّاسُ- الجَهْرُ بِكَلِمَةِ الحَقِّ : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يُوسُف:١٠٨] .

وَقَدْ لَاقَىٰ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- جَرَّاءَ مَوْقِفِهِ هَذَا شِدَّةً وَبَأْسًا مِنَ الْمُشْرِكِيْنَ ، الَّذِيْنَ رَأَوْا فِي دَعْوَتِهِ خَطَرًا يُهَدِّدُ مَا هُمْ عَلَيْهِ ، فَتَكَابَلُوا ضِدَّهُ بِصَدِّهِ عَنْ دَعْوَتِهِ وَأَعْلَنُوا جِهَارًا الوُقُوفَ فِي مُوَاجَهَتِهِ آمِلِيْنَ الإِجْهَازَ عَلَى الحَقِّ الَّذِي جَاءَ بِهِ ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [يُوسُف:٢١] .

اللهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِكَ ، تَهْدِي بِهَا قُلُوبَنَا ، وَتَجْمَعُ أَمْرَنَا ، وَتَلُمُّ بِهَا شَعْثَنَا ، وَتَحْفَظُ بِهَا غَائِبَنَا ، وَتَرْفَعُ بِهَا شَاهِدَنَا ، وَتُبَيِّضُ بِهَا وُجُوهَنَا ،

وَتُلْهِمُنَا بِهَا رُشْدَنَا .

اللهُمَّ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارَ .

اللهُمَّ يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَىٰ دِينِكَ ، اللهُمَّ يَا مُصَرِّفَ القُلُوبِ وَالأَبْصَارِ ، صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَىٰ طَاعَتِكَ .

وَسُبْحَانَكَ اللهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ .

١٠ أَذَى المُشْرِكِيْنَ النَّفْسِي وَالمَعْنَوِي

الخُطْبَةُ الأُوْلَى:

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ،نَحْمِدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلِ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لا شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾

[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾[النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾

[الأَحْزَاب:٧٠-٧١] .

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ

مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ :

فَمَا زَالَ الحَدِيْثُ مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنِ السِّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ عَلَىٰ صَاحِبِهَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -، وَحَدِيْثِي مَعَكُمْ اليَوْمَ عَنْ «**أَذى المُشْرِكِيْنَ النَّفْسِي وَالمَعْنَوِي لِرَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-** » .

-أَيُّهَا النَّاسُ- بَعْدَ أَنْ أَنْزَلَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ **فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٤﴾** ﴾ [الحِجرُ:٩٤] .

قَامَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِمَا أَمَرَهُ بِهِ رَبُّهُ أَتَمَّ قِيَام، يَدْعُو إِلَىٰ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- لَيْلًا نَهَارًا، وَسِرًّا وَجَهْرًا، لاَ يَصْرِفُهُ عَنْ ذَلِكَ صَارِفٌ، وَلاَ يَرُدُّهُ عَنْ ذَلِكَ رَادٌّ، وَلاَ يَصُدُّهُ عَنْ ذَلِكَ صَادٌّ، يَتْبَعُ النَّاسَ فِي أَنْدِيَتِهِمْ وَمَجَامِعِهِمْ وَمَحَافِلِهِمْ، وَفِي المَوَاسِمِ وَمَوَاقِفِ الحَجِّ، يَدْعُو مَنْ لَقِيَهُ مِنْ حُرٍّ وَعَبْدٍ، وَضَعِيْفٍ وَقَوِيٍّ، وَغَنِيٍّ وَفَقِيْرٍ، جَمِيْعُ الخَلْقِ فِي ذَلِكَ عِنْدَهُ سَوَاءٌ .

وَتَسَلَّطَ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ أَتْبَاعِهِ مِنْ آحَادِ النَّاسِ مِنْ ضُعَفَائِهِمُ الأَشِدَّاءُ الأَقْوِيَاءِ، مِنْ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ بِالأَذِيَّةِ، القَوْلِيَّةِ وَالفِعْلِيَّةِ .

وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَلَيْهِ عَمُّهُ أَبُو لَهَبٍ، وَاسْمُهُ عَبْدُ العزَّىٰ بْنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ، وَامْرَأَتُهُ أُمُّ جَمِيْلٍ، أَرْوَىٰ بِنْتِ حَرْبٍ بْنِ أُمَيَّةَ أُخْتُ أَبِي سُفْيَانَ ،

وَخَالَفَهُ فِي ذَلِكَ عَمُّهُ أَبُو طَالِبِ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَحَبَّ خَلْقِ اللهِ إِلَيْهِ طَبْعًا ، فَكَانَ يَحْنُو عَلَيْهِ وَيُحْسِنُ إِلَيْهِ، وَيُدَافِعُ عَنْهُ وَيُحَامِي، وَيُخَالِفُ قَوْمَهُ فِي ذَلِكَ، مَعَ أَنَّهُ عَلَى دِينِهِمْ وَعَلَى خُلَّتِهِمْ، إِلَّا أَنَّ اللهَ تَعَالَى قَدِ امْتَحَنَ قَلْبَهُ بِحُبِّهِ حَبًّا طَبْعِيًّا لَا شَرْعِيًّا ، فَكَانَ اسْتِمْرَارُهُ عَلَى دِينِ قَوْمِهِ مِنْ حِكْمَةِ اللَّهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - وَمِمَّا صَنَعَهُ لِرَسُولِهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-مِنَ الْحِمَايَةِ ؟، إِذْ لَوْ كَانَ أَسْلَمَ أَبُو طَالِبٍ لَمَا كَانَ لَهُ عِنْدَ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ وَجَاهَةٌ وَلَا كَلِمَةٌ ، وَلَا كَانُوا يَهَابُونَهُ وَيَحْتَرِمُونَهُ، وَلَا جْتَرَؤُوا عَلَيْهِ، وَلَمَدُّوا أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوْءِ إِلَيْهِ ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨] ، وَقَدْ قَسَمَ خَلْقَهُ أَنْوَاعًا وَأَجْنَاسًا، فَهَذَانِ العَمَّانِ -أَيُّهَا النَّاسُ- كَافِرَانِ: أَبُو طَالِبٍ وَأَبُو لَهَبٍ ، وَلَكِنَّ هَذَا يَكُونُ فِي القِيَامَةِ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ ، وَذَلِكَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ .

وَمِمَّا يَدُلُّ أَنَّ أَبَا طَالِبٍ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ مَا جَاءَ فِي«الصَّحِيحَيْنِ»(١)، مِنْ حَدِيثِ الْعَبَّاسِ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّهُ قَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ! هَلْ نَفَعْتَ أَبَا طَالِبٍ بِشَيْءٍ ، فَإِنَّهُ كَانَ يَحُوطُكَ وَيَغْضَبُ لَكَ ، قَالَ: « **نَعَمْ هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ ، وَلَوْلَا أَنَا** (أَيْ : شَفَاعَتَهُ) **لَكَانَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنْ النَّارِ** » .

وَمِمَّا يَدُلُّ أَنَّ أَبَا لَهَبٍ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ، مَا أَنْزَلَ اللهُ فِيهِ مِنْ

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٨٨٣) ، وَمُسْلِمٌ (٤٣١) .

آيَاتٍ تُتْلَىٰ عَلَىٰ الْمَنَابِرِ إِلَىٰ قِيَامِ السَّاعَةِ، تَتَضَمَّنُ بِأَنَّهُ ﴿ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ ﴾، وَأَبُو لَهَبٍ هَذَا كَانَ يُحَذِّرُ النَّاسَ مِنْ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَمَا يَدْعُو إِلَيْهِ.

فَفِي «مُسْنَدِ» أَحْمَدَ بِسَنَدٍ جَوَّدَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «صَحِيحِ السِّيرَةِ»(١)، مِنْ حَدِيثِ عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ عِبَادٍ الدِّيلِيِّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، وَكَانَ جَاهِلِيًّا أَسْلَمَ، فَقَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بَصَرَ عَيْنِي بِسُوقِ (ذِي الْمَجَازِ)، يَقُولُ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، تُفْلِحُوا**» وَالنَّاسُ مُجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ، وَوَرَاءَهُ رَجُلٌ وَضِيءُ الْوَجْهِ أَحْوَلُ ذُو غَدِيرَتَيْنِ، يَقُولُ: إِنَّهُ صَابِئٌ كَاذِبٌ، يَتْبَعُهُ حَيْثُ ذَهَبَ، فَسَأَلْتُ عَنْهُ؟، فَقَالُوا: هَذَا عَمُّهُ أَبُو لَهَبٍ، وَأَمَّا أَبُو طَالِبٍ -أَيُّهَا النَّاسُ- فَكَانَ فِي غَايَةِ الشَّفَقَةِ وَالْحُنُوِّ الطَّبِيعِيِّ.

وَأَخْرَجَ الْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرِكِ» بِسَنَدٍ حَسَنٍ، حَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «الصَّحِيحَةِ»(٢)، مِنْ حَدِيثِ عُقَيْلُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، قَالَ: جَاءَتْ قُرَيْشٌ إِلَىٰ أَبِي طَالِبٍ، فَقَالُوا: إِنَّ ابْنَ أَخِيكَ هَذَا قَدْ آذَانَا فِي نَادِينَا وَمَسْجِدِنَا، فَانْهَهُ عَنَّا، فَقَالَ: يَا عُقَيْلُ، انْطَلِقْ فَائْتِنِي بِمُحَمَّدٍ، فَانْطَلَقْتُ إِلَيْهِ، فَاسْتَخْرَجْتُهُ مِنْ كِنْسٍ أَوْ خِنْسٍ - أَيْ: بَيْتٍ صَغِيرٍ-، فَجَاءَ بِهِ إِلَىٰ

(١) (حَسَنٌ) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٣/ ٤٩٢-٣٤١)، وَقَالَ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي حَاشِيَةِ «صَحِيحِ السِّيرَةِ»: هَذَا إِسْنَادٌ جَيِّدٌ (١٤٢).

(٢) (حَسَنٌ) أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ (٣/ ٥٧٧)، وَقَالَ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «صَحِيحِ السِّيرَةِ» (١٤٣).

الظَّهِيرَةِ فِي شِدَّةِ الْحَرِّ ، فَلَمَّا أَتَاهُمْ قَالَ : إِنَّ بَنِي عَمِّكَ هَؤُلَاءِ زَعَمُوا أَنَّكَ تُؤْذِيهِمْ فِي نَادِيهِمْ وَمَسْجِدِهِمْ ، فَانْتَهِ عَنْ أَذَاهُمْ .

فَحَلَّقَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِبَصَرِهِ إِلَىٰ السَّمَاءِ ، فَقَالَ : «**أَتَرَوْنَ هَذِهِ الشَّمْسَ ؟** » ، قَالُوا : نَعَمْ ، قَالَ : « **فَمَا أَنَا بِأَقْدَرَ عَلَىٰ أَنْ أَدَعَ ذَلِكَ مِنْكُمْ عَلَىٰ أَنْ تَسْتَشْعِلُوا مِنْهَا شُعْلَةً** » .

فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ : وَاللهِ مَا كَذَبَنَا ابْنَ أَخِي ، فَارْجِعُوا .

وَلَمَّا لَمْ تُفْلِحْ قُرَيْشٌ فِي صَدِّ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَنْ طَرِيقِ عَمِّهِ -أَيُّهَا النَّاسُ- انْتَقَلُوا إِلَىٰ الإِيذَاءِ النَّفْسِي وَالمَعْنَوِيِّ لِرَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَنْ طَرِيقِ الاتِّهَامَاتِ البَاطِلَةِ يَصُدُّ النَّاسَ عَنْهُ وَعَنْ دَعْوَتِهِ .

وَمِنْ تِلْكَ الاتِّهَامَاتِ -أَيُّهَا النَّاسُ- اتَّهَمُوهُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِالجُنُونِ ، وَفِي ذَلِكَ أَنْزَلَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ وَقَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ ﴾[الحِجْرُ:٦] .

وَاتَّهَمُوهُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِالسِّحْرِ ، وَفِي ذَلِكَ أَنْزَلَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا سَـٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴾ [ص :٤] .

وَاتَّهَمُوهُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِالكَذِبِ، وَفِي ذَلِكَ أَنْزَلَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ

ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ ﴾ [الفُرْقَان :٤] .

وَاتَّهَمُوهُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِالإِتْيَانِ بِالأَسَاطِيْرِ ، وَفِي ذَلِكَ أَنْزَلَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ -: ﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ ﴾ [الفُرْقَان :٥] .

وَقَالُوا إِنَّ القُرْآنَ الكَرِيْمَ لَيْسَ مِنْ عِنْدِ اللهِ ، وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ البَشَرِ، فَأَنْزَلَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ -: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [النَّحلُ :١٠٣] .

-أَيُّهَا النَّاسُ- لَقَدْ أَحْزَنَ النَّبِيَّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ذَلِكَ الإِيْذَاءُ وَتِلْكَ الإِتِّهَامَاتُ البَاطِلَةُ ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ عَلَىٰ الحَقِّ وَأَنَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ الهُدَىٰ وَالنُّورِ فَيَنْزِلُ القُرْآنُ مَرَّةً أُخْرَىٰ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مُثَبِّتًا لَهُ وَمُؤَيِّدًا وَآمِرًا لَهُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِالصَّبْرِ عَلَىٰ مَا يَقُولُ المُشْرِكُونَ: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ

فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأنعام: ٣٣-٣٥].

وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ -أَيُّهَا النَّاسُ- يَشْتُمُونَ وَيَسُبُّونَ النَّبِيَّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَكَانُوا يُسَمُّونَهُ مُذَمَّمًا بَدَلًا مِنْ اسْمِهِ مُحَمَّدٌ.

فَفِي «صَحِيحِ البُخَارِيِّ»(١)، مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: « **أَلَا تَعْجَبُونَ كَيْفَ يَصْرِفُ اللهُ عَنِّي شَتْمَ قُرَيْشٍ وَلَعْنَهُمْ؟، يَشْتُمُونَ مُذَمَّمًا، وَيَلْعَنُونَ مُذَمَّمًا، وَأَنَا مُحَمَّدٌ** ».

وَأَسْتَغْفِرُ اللهُ.

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٥٣٣).

أَذَى المُشْرِكِيْنَ الجسَدِي

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ :

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ أَشْرَفِ المُرْسَلِيْنَ ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

أَمَّا بَعْدُ :

فَتَقَدَّمَ الحَدِيْثِ مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنْ «**أَذَى المُشْرِكِيْنَ النَّفْسِي وَالمَعْنَوِي لِرَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-**»، وَالآنَ حَدِيْثِي مَعَكُمْ عَنْ «**أَذَى المُشْرِكِيْنَ الجَسَدِي لِرَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-**» .

-أَيُّهَا النَّاسُ- عِنْدَ مَا لَمْ يُثْمِرْ أَسَالِيْبُ الأَذَىٰ النَّفْسِي وَالمَعْنَوِي فِي صَدِّ رَسُولِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَأَصْحَابَهُ عَنْ دِيْنِهِمْ ، لَجَأَتْ قُرَيْشٌ إِلَىٰ أُسْلُوبِ الاعْتِدَاءِ الجَسَدِيِّ .

وَفِي «صَحِيْحِ مُسْلِم» [1]، مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ أَبُو جَهْلٍ : هَلْ يُعَفِّرُ مُحَمَّدٌ وَجْهَهُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ قَالَ: فَقِيلَ : نَعَمْ،فَقَالَ: وَاللَّاتِ وَالْعُزَّىٰ لَئِنْ رَأَيْتُهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ لَأَطَأَنَّ عَلَىٰ رَقَبَتِهِ أَوْ لَأُعَفِّرَنَّ وَجْهَهُ فِي التُّرَابِ ، قَالَ : فَأَتَىٰ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَهُوَ يُصَلِّي زَعَمَ

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٧٩٧) .

لِيَطَأَ عَلَىٰ رَقَبَتِهِ قَالَ : فَمَا فَجِئَهُمْ مِنْهُ إِلَّا وَهُوَ يَنْكُصُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَيَتَّقِي بِيَدَيْهِ قَالَ: فَقِيلَ لَهُ : مَا لَكَ فَقَالَ : إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ لَخَنْدَقًا مِنْ نَارٍ وَهَوْلًا وَأَجْنِحَةً ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **لَوْ دَنَا مِنِّي لَاخْتَطَفَتْهُ الْمَلَائِكَةُ عُضْوًا عُضْوًا** » .

فَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» (١) ، مِنْ حَدِيثِ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ ، قَالَ : سَأَلْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرٍو -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-، عَنْ أَشَدِّ مَا صَنَعَ الْمُشْرِكُونَ بِرَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، قَالَ : رَأَيْتُ عُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ جَاءَ إِلَىٰ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَهُوَ يُصَلِّي، فَوَضَعَ رِدَاءَهُ فِي عُنُقِهِ فَخَنَقَهُ بِهِ خَنْقًا شَدِيدًا ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّىٰ دَفَعَهُ عَنْهُ ، فَقَالَ : ﴿ **أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ** ﴾ [غافر:٢٨] .

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» (٢) ،مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ : مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- دَعَا عَلَىٰ قُرَيْشٍ غَيْرَ يَوْمٍ وَاحِدٍ، فَإِنَّهُ كَانَ يُصَلِّي وَرَهْطٌ مِنْ قُرَيْشٍ جُلُوسٌ، وَسَلَىٰ جَزُورٍ قَرِيبٌ مِنْهُ، فَقَالُوا : مَنْ يَأْخُذُ هَذَا السَّلَىٰ ، فَيُلْقِيَهُ عَلَىٰ ظَهْرِهِ ، قَالَ : فَقَالَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ : أَنَا ، فَأَخَذَهُ فَأَلْقَاهُ عَلَىٰ ظَهْرِهِ ، فَلَمْ يَزَلْ سَاجِدًا ، حَتَّىٰ جَاءَتْ فَاطِمَةُ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا-، فَأَخَذَتْهُ عَنْ ظَهْرِهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ

---

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٨٥٦) .
(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٢٩٣٤) ، وَمُسْلِمٌ (١٧٩٤) .

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -:« **اللهُمَّ عَلَيْكَ الْمَلَأَ مِنْ قُرَيْش، اللهُمَّ عَلَيْكَ بِعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، اللهُمَّ عَلَيْكَ بِشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، اللهُمَّ عَلَيْكَ بِأَبِي جَهْلِ بْنِ هِشَام ، اللهُمَّ عَلَيْكَ بِعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ ، اللهُمَّ عَلَيْكَ بِأُبَيِّ بْنِ خَلَفٍ أَوْ : أُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ**» الشَّكُّ مِنْ شُعْبَةَ.

قَالَ : قَالَ عَبْدُ الله : فَلَقَدْ رَأَيْتُهُمْ قُتِلُوا يَوْمَ بَدْرٍ جَمِيعًا ، ثُمَّ سُحِبُوا إِلَىٰ الْقَلِيبِ غَيْرَ أُبَيٍّ ، أَوْ أُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ، فَإِنَّهُ كَانَ رَجُلًا ضَخْمًا ، فَتَقَطَّعَ .

قَالَ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- : « وَالصَّوَابُ : أُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ فَإِنَّهُ قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ ، وَأَخُوهُ أُبَيَّ إِنَّمَا قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ ، (وَالسَّلَا) ، هُوَ الَّذِي يَخْرُجُ مَعَ وَلَدِ النَّاقَةِ ؛ كَالْمَشِيْمَةِ لِوَلَدِ الْمَرْأَةِ » .

وَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ» [(١)]، مِنْ حَدِيْثِ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - أَنَّهَا قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ ! هَلْ أَتَىٰ عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْم أُحُدٍ ؟، فَقَالَ : « **لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ ، فَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَىٰ ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ كُلَالٍ ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَىٰ مَا أَرَدْتُ ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ - عَلَىٰ وَجْهِي ، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي ، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ ، فَنَادَانِي فَقَالَ : إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ** » ، فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ : يَا مُحَمَّدُ ! إِنَّ اللهَ

---

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٠٥٩) ، وَمُسْلِمٌ (١٧٩٥) .

قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ ، وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ ، وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبَيْنِ .

قَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : « **بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ ، وَلَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا** » .

وَهَذَا -أَيُّهَا النَّاسُ- بَعْضُ الْمَوَاقِفِ مِنْ سِيرَتِهِ - صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لِلاعْتِبَارِ وَالاقْتِدَاءِ بِهِ - صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَعَلَىٰ كُلِّ دَاعِيَةٍ إِلَىٰ اللهِ أَنْ يَصْبِرَ عَلَىٰ الْأَذَىٰ لِأَنَّهُ سُنَّةٌ مِنْ سُنَنِ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - لِمَنْ سَلَكَ طَرِيْقَ الْأَنْبِيَاءِ ، قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ -: ﴿ **فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَٰغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ** ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأَحْقَافُ:٣٥] .

وَ قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ -: ﴿ **لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا** ﴿٢١﴾ ﴾ [الأَحْزَابُ:٢١] .

نَسْأَلُ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - أَنْ يَجْزِيَهُ عَنَّا خَيْرَ مَا جَزَىٰ نَبِيًّا عَنْ أُمَّتِهِ ، وَأَنْ يَرْزُقَنَا اتِّبَاعَهُ ، وَالاقْتِدَاءَ بِهِ فِي جَمِيْعِ أُمُورِنَا بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ .

وَسُبْحَانَكَ اللهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ .

١١ إِيْذَاءُ المُشْرِكِيْنَ لِلمُؤْمِنِيْنَ وَالهِجْرَةُ الأُوْلَى إِلَى الحَبَشَةِ

الخُطْبَةُ الأُوْلَى:

إِنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمِدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلِ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأَحْزَاب:٧٠-٧١] .

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ

مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ :

فَمَا زَالَ الحَدِيْثُ مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنِ السِّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ عَلَىٰ صَاحِبِهَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -، وَحَدِيثِي مَعَكُمْ اليَوْمَ عَنْ «**إِيْذَاءُ المُشْرِكِيْنَ لِلمُؤْمِنِيْنَ وَالهِجْرَةُ الأُوْلَى إِلَى الحَبَشَةِ**» .

-أَيُّهَا النَّاسُ- كَمَا أُوذِيَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي سَبِيْلِ الجَهْرِ بِالدَّعْوَةِ إِلَىٰ الإِسْلَامِ أُوذِيَ أَصْحَابُهُ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُم- .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ -رَحِمَهُ اللهُ- : «ثُمَّ إِنَّهُمْ عَدَوْا عَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَاتَّبَعَ رَسُولَ اللهِ - صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَوَثَبَتْ كُلُّ قَبِيلَةٍ عَلَىٰ مَنْ فِيهَا مِنَ المُسْلِمِينَ ، فَجَعَلُوا يَحْبِسُونَهُمْ وَيُعَذِّبُونَهُمْ بِالضَّرْبِ وَالْجُوعِ وَالْعَطَشِ ، وَبِرَمْضَاءِ مَكَّةَ إِذَا اشْتَدَّ الْحَرُّ ، مَنِ اسْتَضْعَفُوهُ مِنْهُمْ ، يَفْتِنُونَهُمْ عَنْ دِينِهِمْ »[١] .

فَفِي «مُسْنَدِ» أَحْمَدَ بِسَنَدٍ حَسَنٍ حَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيْحِ السِّيْرَةِ»[٢]، مِنْ حَدِيْثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: كَانَ أَوَّلَ مَنْ أَظْهَرَ إِسْلَامَهُ سَبْعَةٌ: رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، وَأَبُو بَكْرٍ ، وَعَمَّارٌ، وَأُمُّهُ سُمَيَّةُ ، وَصُهَيْبٌ ، وَبِلَالٌ وَالْمِقْدَادُ ، فَأَمَّا رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ

(١) «صَحِيْح السِّيْرَة» (١٥٤) .

(٢) (حَسَنٌ) أَخْرَجَهُ أَحْمد (١/ ٤٠٤)، وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «صَحِيْحِ السِّيْرَةِ» (١٢١).

وَسَلَّمَ- فَمَنَعَهُ اللهُ بِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ ، وَأَمَّا أَبُو بَكْرٍ فَمَنَعَهُ اللهُ بِقَوْمِهِ ، وَأَمَّا سَائِرُهُمْ فَأَخَذَهُمُ الْمُشْرِكُونَ ، وَأَلْبَسُوهُمْ أَدْرَاعَ الْحَدِيدِ ، وَصَهَرُوهُمْ فِي الشَّمْسِ ، فَمَا مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وَاتَاهُمْ عَلَىٰ مَا أَرَادُوا إِلَّا بِلَالًا ، فَإِنَّهُ هَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِي اللهِ ، وَهَانَ عَلَىٰ قَوْمِهِ ، فَأَخَذُوهُ فَأَعْطَوْهُ الْوِلْدَانَ ، فَجَعَلُوا يَطُوفُونَ بِهِ فِي شِعَابِ مَكَّةَ وَهُوَ يَقُولُ : أَحَدٌ أَحَدٌ » .

وَأَخْرَجَ الْحَاكِمُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ،صَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي«صَحِيحِ السِّيْرَةِ»[١]، مِنْ حَدِيْثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مَرَّ بِعَمَّارٍ وَأَهْلِهِ وَهُمْ يُعَذَّبُونَ ، فَقَالَ : « **أَبْشِرُوا آلَ عَمَّارٍ وَآلَ يَاسِرٍ !، فَإِنَّ مَوْعِدَكُمُ الْجَنَّةُ** » .

وَفِي مُصَنَّفِ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ »[٢]،عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ-رَحِمَهُ اللهُ- قَالَ: « أَعْتَقَ أَبُو بَكْرٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- مِمَّنْ كَانَ يُعَذَّبُ فِي اللهِ سَبْعَةً: عَامِرُ ابْنُ فُهَيْرَةَ ، وَبِلَالَ، وَنُذَيْرَةَ ، وَأُمَّ عُبَيْسٍ ، وَالنَّهْدِيَّةَ ، وَأُخْتَهَا ، وَجَارِيَةَ بَنِي عَمْرِو بْنِ مُؤْمِلٍ » .

وَمِمَّنْ نَالَهُ -أَيُّهَا النَّاسُ- الأَذَىٰ فِي سَبِيلِ اللهِ ، خَبَّابُ بْنُ الأَرَتِّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- حَتَّىٰ سَأَلَ رَسُولَ اللهِ-صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنْ يَدْعُو اللهَ لِيُخَفِّفَ

---

(١) (حَسَنٌ) أَخْرَجَهُ الحَاكِمُ فِي «مُسْتَدْرِكِهِ» (٣/ ٣٨٨-٣٨٩)، وَصَحِيحِ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «صَحِيحِ السِّيـرَةِ» (١٥٥).

(٢) (صَحِيحٌ) أَخْرَجَهُ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ فِي «مُصَنَّفِهِ» (١٢/ ١٠)، مُرْسَلًا ، وَوَصَلَهُ الحَاكِمُ فِي «المُسْتَدْرِكِ» (٣/ ٢٨٤) وَصَحَّحَهُ وَوَافَقَهُ الذَّهَبِيُّ .

عَنِ المُسْتَضْعَفِيْنَ .

فَفِي «صَحِيْح البُخَارِيُّ» (١) ، مِنْ حَدِيْث خَبَّاب بْنُ الأَرَتِّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ : أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً وَهُوَ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ ، وَقَدْ لَقِينَا مِنْ الْمُشْرِكِينَ شِدَّةً ، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ أَلَا تَدْعُو لَنَا ؟ .

فَقَعَدَ وَهُوَ مُحْمَرٌّ وَجْهُهُ ، فَقَالَ : « **لَقَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ لَيُمْشَطُ بِمِشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ عِظَامِهِ مِنْ لَحْم أَوْ عَصَب ، مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ ، وَيُوضَعُ الْمِنْشَارُ عَلَىٰ مَفْرِقِ رَأْسِهِ ، فَيُشَقُّ بِاثْنَيْنِ مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ ، وَلَيُتِمَّنَّ اللهُ هَذَا الأَمْرَ ، حَتَّىٰ يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَىٰ حَضْرَمَوْتَ مَا يَخَافُ إِلَّا اللهَ** » .

وفِي رِوَايَةٍ عِنْدَ «البُخَارِيُّ» (٢) ، عَنْهُ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ : قَالَ : شَكَوْنَا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، قُلْنَا : لَهُ أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا أَلَا تَدْعُو اللهَ لَنَا ؟ .

قَالَ : « **كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهِ فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَىٰ رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ**

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٦٣٩) .
(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٤١٦) .

دِينِه، وَاللهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّىٰ يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَىٰ حَضْرَمَوْتَ، لَا يَخَافُ إِلَّا اللهَ، أَوِ الذِّئْبَ عَلَىٰ غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ ».

فَتَأَمَّلُوا -أَيُّهَا النَّاسُ- خَبَّابٌ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- لَمْ يَطْلُبْ مِنَ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَمْرًا مُحَرَّمًا، بَلْ طَلَبَ دُعَاءً وَاسْتِنْصَارًا جَرَّاءَ مَا يُلَاقِيهِ هُوَ وَبَعْضُ أَصْحَابِهِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ- مِنْ أَذَىٰ قُرَيْشٍ، وَمَعَ ذَلِكَ غَضِبَ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَغَضَبُهُ كَانَ لِمَا لَمَسَهُ مِنْ نَوْعِ اسْتِعْجَالٍ مِنْ خَبَّابٍ وَمَنْ مَعَهُ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ- لِنَصْرِ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- أَوَّلًا بِدَلَالَةِ قَوْلِهِ فِي آخِرِ الحَدِيثِ: « **وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ** ».

وَتَحْمِلُ -أَيُّهَا النَّاسُ- عِبَارَاتٌ لِعَائِشَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- وَلِعَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- عَنِ الحَالِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا المُسْلِمُونَ بِمَكَّةَ فِي تِلْكَ المَرْحَلَةِ، فَفِي «صَحِيحِ البُخَارِيِّ» (١)، قَالَتْ عَائِشَةُ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- وَقَدْ سُئِلَتْ عَنِ الهِجْرَةِ: « **لَا هِجْرَةَ الْيَوْمَ، كَانَ الْمُؤْمِنُ يَفِرُّ أَحَدُهُمْ بِدِينِهِ إِلَىٰ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-، وَإِلَىٰ رَسُولِهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مَخَافَةَ أَنْ يُفْتَنَ عَلَيْهِ فَأَمَّا الْيَوْمَ فَقَدْ أَظْهَرَ اللهُ الْإِسْلَامَ فَالْمُؤْمِنُ يَعْبُدُ رَبَّهُ حَيْثُ شَاءَ** ».

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣/ ٢٥٣) كِتَابُ: مَنَاقِبُ الأَنْصَارِ.

فَفِي «صَحِيحِ البُخَارِيِّ» (١) ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا– قَالَ : «...... وَكَانَ الإِسْلَامُ قَلِيلًا ، فَكَانَ الرَّجُلُ يُفْتَنُ فِي دِينِهِ : إِمَّا قَتَلُوهُ ، وَإِمَّا يُعَذِّبُونَهُ ، حَتَّىٰ كَثُرَ الإِسْلَامُ فَلَمْ تَكُنْ فِتْنَةٌ » .

وَقَدْ بَقِيَتْ المَأْسَاةُ الَّتِي يَعِيشُهَا المُسْتَضْعَفُونَ -أَيُّهَا النَّاسُ- فِي نَفْسِ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، فَكَانَ يَدْعُو لِمَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ بِمَكَّةَ بِالنَّجَاةِ مِنَ المُشْرِكُونَ وَذَلِكَ بَعْدَ هِجْرَتِهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِلَىٰ المَدِيْنَةِ ، كَمَا جَاءَ فِي «الصَّحِيْحَيْنِ» (٢).

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ -رَحِمَهُ اللهُ- : « وَلَمَّا اشْتَدَّ أَذَىٰ الْمُشْرِكِينَ عَلَىٰ مَنْ آمَنَ ، وَفَتَنُوا جَمَاعَةً ، حَتَّىٰ أَنَّهُمْ كَانُوا يَضْرِبُونَهُمْ ، وَيَلْقُونَهُمْ فِي الحَرِّ، وَيَضَعُونَ الصَّخْرَةَ العَظِيْمَةَ عَلَىٰ صَدْرِ أَحَدِهِمْ فِي شِدَّةِ الحَرِّ، حَتَّىٰ أَنَّ أَحَدُهُمْ إِذَا أُطْلِقَ لَا يَسْتَطِيْعُ أَنْ يَجْلِسَ مِنْ شِدَّةِ الأَلَمِ ، فَيَقُولُونَ لِأَحَدِهِمْ: اللاتُ وَالْعُزَّىٰ إِلَهُكَ مِنْ دُونِ اللهِ ؟، فَيَقُولُ : نَعَمْ ، وَحَتَّىٰ إِنَّ الْجُعَلَ لَيَمُرُّ بِهِمْ ، فَيَقُولُونَ لَهُ : هَذَا الْجُعَلُ إِلَهُكَ مِنْ دُونِ اللهِ ، فَيَقُولُ : نَعَمْ ! .

وَمَرَّ الخَبِيْثُ عَدُوُّ اللهِ أَبُو جَهلٍ عَمْرُو بْنُ هِشَامٍ بِسُمَيَّةَ أُمِّ عَمَّارٍ ، وَهِيَ تُعَذَّبُ وَزَوْجُهَا وَابْنُهَا فَطَعَنَهَا بِحَرْبَةٍ فِي فَرْجِهَا ؛ فَقَتَلَهَا – رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وَعَنْ ابْنَهَا وَزَوْجِهَا – .

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٥/ ١٥٧) كِتَابُ : التَّفْسِيْرُ .
(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٢/ ١٥) ، وَمُسْلِمٌ (١/ ٤٦٦) .

وَلَمَّ اشْتَدَّ الْبَلَاءُ ، أَذِنَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- لَهُمْ فِي الهِجْرَةِ إِلَىٰ أَرْضِ الحَبَشَةِ (٣).

وَمِنَ الثَّابِتِ -أَيُّهَا النَّاسُ- أَنَّ المُسْلِمِينَ هَجَرُوا إِلَىٰ الحَبَشَةِ مَرَّتَيْنِ ، كَمَا فِي «صَحِيْح البُخَارِيُّ» (٤) ، وَكَانَتْ الهِجْرَةُ الْأُولَىٰ فِي شَهْرِ رَجَبَ مِنْ سَنَةِ خَمْسٍ مِنَ الْمَبْعَثِ ، وَهُمْ أَحَدَ عَشَرَ رَجُلًا وَأَرْبَعُ نِسْوَةٍ ، خَرَجُوا مُشَاةً إِلَىٰ الْبَحْرِ فَاسْتَأْجَرُوا سَفِينَةً بِنِصْفِ دِينَارٍ ، ذَكَرَ ذَلِكَ الحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ، وَهُوَ قَوْلُ الوَاقِدِيِّ، وَابْنُ سَعْدٍ ، وَيَذْكُرُ ابْنُ إِسْحَاقَ أَنَّهُمْ عَشَرَةَ رِجَالٍ وَأَرْبَعُ نِسْوَةٍ » .

أَخْرَجَ ابْنُ إِسْحَاقِ وَ ابْنُ هِشَامٍ بِسَنَدٍ حَسَنٍ (٥) ، عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- وَكَانَتْ مِمَّنْ هَاجَرَ إِلَىٰ الحَبَشَةِ الهِجْرَةَ الأُوْلَى، قَالَتْ : لَمَّا ضَاقَتْ عَلَيْنَا مَكَّةُ ، وَأُوذِيَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ - صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَفُتِنُوا، وَرَأَوْا مَا يُصِيبُهُمْ مِنَ الْبَلَاءِ وَالْفِتْنَةِ فِي دِينِهِمْ ، وَأَنَّ رَسُولَ اللهِ - صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَا يَسْتَطِيعُ دَفْعَ ذَلِكَ عَنْهُمْ ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي مَنَعَةٍ مِنْ قَوْمِهِ وَعَمِّهِ ، لَا يَصِلُ إِلَيْهِ شَيْءٌ مِمَّا يَكْرَهُ مِمَّا يَنَالُ أَصْحَابَهُ .

فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ - صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **إِنَّ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ مَلِكًا**

---

(٣) «الفُصُول فِي سِيْرَةِ الرَّسُول » (٥٦-٥٧) .
(٤) رَوَاهُ البُخَارِيُّ « فَتْحُ البَارِيُّ » (٧/ ١٨٧) .
(٥) (حَسَنٌ)انْظُرْ:«فَتْحُ البَارِيُّ»(٧/ ١٨٩)،وَسِيْرَةُ ابن إِسْحَاقٍ(١٩٤)،وَابْن هِشَامٍ(١/ ٣٣٤).

لَا يُظْلَمُ أَحَدٌ عِنْدَهُ ، فَالْحَقُوا بِبِلَادِهِ حَتَّىٰ يَجْعَلَ اللهُ لَكُمْ فَرَجًا وَمَخْرَجًا مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ » . فَخَرَجْنَا إِلَيْهَا أَرْسَالًا حَتَّىٰ اجْتَمَعْنَا بِهَا ، فَنَزَلْنَا خَيْرَ دَارٍ إِلَىٰ خَيْرِ جَارٍ ، أَمِنَّا عَلَىٰ دِينِنَا ، وَلَمْ نَخْشَ مِنْهُ ظُلْمًا .

وَمِمَّنْ خَرَجَ مُهَاجِرًا إِلَىٰ الحَبَشَةِ -أَيُّهَا النَّاسُ- أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيْقُ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- جَاءَ ذَلِكَ فِي «صَحِيْحِ البُخَارِيِّ» (١) ، « .... حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَرْكَ الْغِمَادِ لَقِيَهُ ابْنُ الدَّغِنَةِ ، وَهُوَ سَيِّدُ الْقَارَةِ ، فَقَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ يَا أَبَا بَكْرٍ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : أَخْرَجَنِي قَوْمِي فَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَسِيحَ فِي الْأَرْضِ ، فَأَعْبُدَ رَبِّي .

قَالَ ابْنُ الدَّغِنَةِ: إِنَّ مِثْلَكَ لَا يَخْرُجُ وَلَا يُخْرَجُ ، فَإِنَّكَ تَكْسِبُ الْمَعْدُومَ ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ ، وَتُعِينُ عَلَىٰ نَوَائِبِ الْحَقِّ ، وَأَنَا لَكَ جَارٌ ، فَارْجِعْ فَاعْبُدْ رَبَّكَ بِبِلَادِكَ .

فَرَجَعَ أَبُو بَكْرٍ مَعَ ابْنِ الدَّغِنَةِ ، الَّذِي أَعْلَنَ فِي قُرَيْشٍ جِوَارَهُ لَهُ ، فَوَافَقَتْ عَلَىٰ أَنَ يَعْبُدَ أَبُو بَكْرٍ رَبَّهُ فِي دَارِهِ وَلَا يَسْتَعْلِنُ، فَمَضَىٰ وَقْتٌ عَلَىٰ ذَلِكَ ، ثُمَّ أَخَذَ أَبُو بَكْرٍ يَجْهَرُ بِقِرَاءَةِ الْقُرْآنَ فِي فِنَاءِ دَارِهِ فَيَجْتَمِعُ نِسَاءُ وَأَبْنَاءُ الْمُشْرِكِينَ يَعْجَبُونَ وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَجُلًا بَكَّاءً لَا يَمْلِكُ دَمْعَهُ حِينَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ ، فَأَفْزَعَ ذَلِكَ قُرَيْشًا ، وَطَلَبُو مِن ابْنِ الدَّغِنَةِ أَنْ يَكُفَّهُ ، فَخَيَّرَهُ ابْنِ الدَّغِنَةِ بَيْنَ الإِسْرَارِ بِعِبَادَتِهِ أَوْ أَنْ يَرُدَّ عَلَيْهِ جِوَارَهُ ، فَرَدَّ أَبُو بَكْرٍ عَلَيْهِ جِوَارَهُ قَائِلًا : إِنِّي أَرُدُّ إِلَيْكَ جِوَارَكَ وَأَرْضَىٰ بِجِوَارِ اللهِ » .

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤/ ٢٧٥-٤٧٦) .

وَهَكَذَا -أَيُّهَا النَّاسُ- بَقِيَ أَبُو بَكْرٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- إِلَىٰ جِوَارِ رَسُولِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَحْتَمِلُ أَذَىٰ الْمُشْرِكِينَ بَعْدَ أَنْ كَانَ رَسُولُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَدْ أَذِنَ لَهُ بِالهِجْرَةِ إِلَىٰ الحَبَشَةِ، كَمَا ذَكَرَ ذَلِكَ ابْنُ هِشَامٍ بِسَنَدٍ حَسَنٍ (١).

وَأَسْتَغْفِرُ اللهُ.

(١) وَسِيْرَةُ ابْن هِشَامٍ (٢/ ٣٧٢-٣٧٤) بِسَنَدٍ حَسَنٍ.

الهِجْرَةُ الثَّانِيَةِ إِلَى الحَبَشَةِ

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ :

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ أَشْرَفِ المُرْسَلِيْنَ ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

أَمَّا بَعْدُ :

فَتَقَدَّمَ الحَدِيْثِ مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنْ «**إِيْذَاءِ قُرَيْشٍ لِلمُؤْمِنِيْنَ**»، وَأَنَّ ذَلِكَ سَبَبُ الهِجْرَةِ إِلَىٰ الحَبَشَةِ ، وَذَكَرْتُ الهِجْرَةُ الأُوْلَىٰ إِلَىٰ الحَبَشَةِ، وَالآنَ حَدِيْثِي مَعَكُمْ عَنْ «**الهِجْرَةِ الثَّانِيَةِ إِلَى الحَبَشَةِ**» .

-أَيُّهَا النَّاسُ- فِي أَعْقَابِ الهِجْرَةِ الأُوْلَىٰ إِلَىٰ الحَبَشَةِ ، حَدَثَ أَنْ صَلَّىٰ رَسُولُ اللهِ - صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي المَسْجِدِ الحَرَامِ ، فَقَرَأَ سُورَةَ النَّجْمِ، فَسَجَدَ فِي مَوْضِعِ السُّجُودِ ، وَسَجَدَ مَنْ كَانَ حَاضِرًا مَعَهُ مِنَ المُسْلِمِيْنَ وَالمُشْرِكِيْنَ والجِنِّ والإِنْسِ .

كَمَا جَاءَ فِي «صَحِيْحِ البُخَارِيِّ» [(١)] ، مِنْ حَدِيْثِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا -: «أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- سَجَدَ بِالنَّجْمِ ، وَسَجَدَ مَعَهُ المُسْلِمُونَ وَالمُشْرِكُونَ وَالجِنُّ وَالإِنْسُ » .

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (١٠٧١) .

وَفي «الصَّحيْحَيْن»[١]، مِنْ حَديْث عَبْد الله ابْنِ مَسْعُود -رَضيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: « **أَوَّلُ سُورَة أُنْزِلَتْ فِيهَا سَجْدَةٌ (وَالنَّجْم)، قَالَ: فَسَجَدَ رَسُولُ الله -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَسَجَدَ مَنْ خَلْفَهُ، إِلَّا رَجُلًا رَأَيْتُهُ أَخَذَ كَفًّا مِنْ تُرَاب، فَسَجَدَ عَلَيْهِ، فَرَأَيْتُهُ بَعْدَ ذَلِكَ قُتِلَ كَافِرًا وَهُوَ أُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ** ».

وَلَمْ يَكُنْ سَبَبُ سُجُودِ الْمُشْرِكِيْنَ -أَيُّهَا النَّاسُ- مَعَ رَسُولِ اللهِ - صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - تِلْكَ الْقِصَّةَ الْمَشْهُورَةِ، وَالَّتِي تَقُولُ:

« لَمَّا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ ﴾ [النَّجْمُ: ١٩].

قَرَأَهَا رَسُولُ الله -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَقَالَ: (تِلْكَ الْغَرَانِيقُ الْعُلَى، وَإِنَّ شَفَاعَتَهُنَّ لِتُرْتَجَى). فَسَجَدَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-. فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: إِنَّهُ لَمْ يَذْكُرْ آلِهَتَكُمْ قَبْلَ الْيَوْم بِخَيْر، فَسَجَدَ الْمُشْرِكُون مَعَهُ، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿ **وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ**

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٩٧٢-٣٨٦٣-٤٨٦٣)، وَمُسْلِمٌ (٥٧٦).

يَوۡمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾ ﴾ [الحَجّ: ٥٢-٥٥].

فَهذِهِ القِصَّةُ -أَيُّهَا النَّاسُ- بَاطِلَةٌ لَمْ تَصِحَّ، وَقَدْ ضَعَّفَهَا العَلَّامَةُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي كِتَابِهِ «نَصْبُ المَجَانِيْقِ لِنَسْفِ قِصَّةِ الغَرَانِيْقِ» فَلَا يَقُولُ عَلَىٰ هَذِهِ القِصَّةِ -أَيُّهَا النَّاسُ- بَعْدَ ثُبُوتِ ضَعْفِهَا وَبُطْلَانِهَا (١).

وَأَمَّا سَبَبُ سُجُودِ المُشْرِكِيْنَ مَعَ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَالجَوَابُ مَا قَالَهُ المُحَقِّقُ الآلُوسِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ-: لَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَقُولَ: إِنَّ سُجُودَ المُشْرِكِيْنَ يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهُ كَانَ فِي السُّورَةِ فِي ظَاهِرِهِ مَدْحُ آلِهَتِهِمْ، وَإِلَّا لَمَا سَجَدُوا، لِأَنَّنَا نَقُولُ: يَجُوزُ أَنْ يَكُونُوا سَجَدُوا لِلدَّهْشَةِ أَصَابَتْهُمْ وَخَوْفٍ اعْتَرَاهُمْ عِنْدَ سَمَاعِ السُّورَةِ، لِمَا فِيهَا مِنْ قَوْلِهِ -تَعَالَىٰ-: ﴿ وَأَنَّهُۥٓ أَهۡلَكَ عَادًا ٱلۡأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبۡقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوۡمَ نُوحٖ مِّن قَبۡلُۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ هُمۡ أَظۡلَمَ وَأَطۡغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَٱلۡمُؤۡتَفِكَةَ أَهۡوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ ﴾ [النَّجْمُ: ٥٠-٥٤].

وَسَبَبُ سُجُودِ المُشْرِكِيْنَ -أَيُّهَا النَّاسُ- حَصَلَتْ إِشَاعَةٌ أَنْ قُرَيْشًا دَخَلَتْ فِي الإِسْلَامِ فَطَارَ الخَبَرُ إِلَىٰ الحَبَشَةِ، فَفَرِحَ المُسْلِمُونَ بِذَلِكَ وَقَفَا بَعْضُهُمْ رَاجِعِيْنَ إِلَىٰ مَكَّةَ مِثْلُ عُثْمَانَ بْنَ مَظْعُونٍ، فَلَمَّا لَمْ يَجِدُوا مَا أُخْبِرَ بِهِ صَحِيْحًا رَجَعُوا إِلَىٰ الحَبَشَةِ، وَسَارَ مَعَهُمْ جَمَاعَةٌ، وَهِيَ الهِجْرَةُ الثَّانِيَةُ إِلَىٰ الحَبَشَةِ وَكَانُوا زِيَادَةً عَلَىٰ ثَمَانِيْنَ رَجُلًا.

(١) «نَصْبُ المَجَانِيْقِ» (٦٩).

قَالَ ابْنُ جُرَيْرٍ -رَحِمَهُ اللهُ- كَمَا فِي «فَتْحُ البَارِيِّ» :

« كَانُوا اثْنَيْنِ وَثَمَانِينَ رَجُلًا سِوَىٰ نِسَائِهِمْ وَأَبْنَائِهِمْ ، ... وَقِيلَ : إِنَّ عِدَّةَ نِسَائِهِمْ كَانَتْ ثَمَانِي عَشْرَةَ امْرَأَةً » (١) .

اللهُمَّ آتِ نُفُوسَنَا تَقْوَاهَا ، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّهَا أَنْتَ وَلِيُّهَا مَوْلَاهَا.

اللهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لاَ يَنْفَعُ ، وَمِنْ قَلْبٍ لاَ يَخْشَعُ ، وَمِنْ نَفْسٍ لاَ تَشْبَعُ ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لاَ يُسْتَجَابُ لَهَا .

وَسُبْحَانَكَ اللهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ .

---

(١) « «فَتْحُ البَارِيِّ» » (٧/ ١٨٩) .

١٢ وَفْدُ قُرَيْش إِلَى النَّجَاشِيِّ

الخُطْبَةُ الأُوْلَىٰ:

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ،نَحْمِدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلِ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لا شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾

[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾[النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾

[الأَحْزَاب:٧٠-٧١] .

أَمَّا بُعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ

مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ :

فَمَا زَالَ الحَدِيْثُ مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنِ السِّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ عَلَىٰ صَاحِبِهَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -، وَحَدِيْثِي مَعَكُمْ اليَوْمَ عَنْ «**وَفْدِ قُرَيْشٍ إِلَى النَّجَاشِيِّ**» .

-أَيُّهَا النَّاسُ- لَمَّا عَلِمَتْ قُرَيْشٌ بِهِجْرَةِ المُسْلِمِيْنَ إِلَىٰ الحَبَشَةِ جُنَّ جُنُونُهَا، فَأَرْسَلَتْ وَفْدًا مُؤَلَّفًا مِنْ عَمْرُو بْنِ العَاصِ وَعَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي رَبِيْعَةَ ، وَهَذَا الوَفْدُ مَعَهُ هَدَايَا ثَمِيْنَةٌ إِلَىٰ النَّجَاشِيِّ وَإِلَىٰ بَطَارِقَتِهِ بِهَدَفِ أَنْ يُعِيْدَ لَهُمْ هَؤُلَاءِ المُهَاجِرِيْنَ لِيُنَكِّلُوا بِهِمْ وَلِيُعِيْدُهُمْ إِلَىٰ مَكَّةَ ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ ﴾ .

فَفِي« مُسْنَدِ »أَحْمَدَ بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ صَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ-فِي «فِقْهِ السِّيْرَةِ»[1]، مِنْ حَدِيْثِ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - زَوْجِ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -قَالَتْ : « لَمَّا نَزَلْنَا أَرْضَ الحَبَشَةِ جَاوَرْنَا بِهَا خَيْرَ جَارٍ النَّجَاشِيَّ أَمِنَّا عَلَىٰ دِينِنَا وَعَبَدْنَا اللهَ تَعَالَى، لَا نُؤْذَىٰ وَلَا نَسْمَعُ شَيْئًا نَكْرَهُهُ .

فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ قُرَيْشًا ائْتَمَرُوا أَنْ يَبْعَثُوا إِلَىٰ النَّجَاشِيِّ فِينَا رَجُلَيْنِ جَلْدَيْنِ ، وَأَنْ يُهْدُوا لِلنَّجَاشِيِّ هَدَايَا مِمَّا يُسْتَطْرَفُ مِنْ مَتَاعِ مَكَّةَ ،وَكَانَ مِنْ أَعْجَبِ مَا يَأْتِيهِ مِنْهَا إِلَيْهِ الأَدَمُ ،فَجَمَعُوا لَهُ أَدَمًا كَثِيرًا وَلَمْ يَتْرُكُوا مِنْ بَطَارِقَتِهِ بِطْرِيقًا إِلَّا أَهْدَوْا لَهُ هَدِيَّةً، ثُمَّ بَعَثُوا بِذَلِكَ عَبْدَ اللهِ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ بْنِ المُغِيرَةِ المَخْزُومِيَّ

---

(١)(صَحِيحٌ)أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ(٥/ ٢٩٠)،وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ-فِي«فِقْهِ السِّيْرَةِ»(١٢٤).

وَعَمْرَو بْنَ الْعَاص بْن وَائِل السَّهْمِيِّ ، وَأَمَرُوهُمَا أَمْرَهُمْ وَقَالُوا لَهُمَا : ادْفَعَا إِلَىٰ كُلِّ بِطْرِيق هَدِيَّتَهُ قَبْلَ أَنْ تُكَلِّمُوا النَّجَاشِيَّ فِيهِمْ ، ثُمَّ قَدِّمُوا لِلنَّجَاشِيِّ هَدَايَاهُ ، ثُمَّ سَلُوهُ أَنْ يُسَلِّمَهُمْ إِلَيْكُم قَبْلَ أَنْ يُكَلِّمَهُمْ.

قَالَتْ: فَخَرَجَا فَقَدِمَا عَلَىٰ النَّجَاشِيِّ وَنَحْنُ عِنْدَهُ بِخَيْرِ دَار ،وَخَيْرِ جَار، فَلَمْ يَبْقَ مِنْ بَطَارِقَتِهِ بِطْرِيقٌ إِلَّا دَفَعَا إِلَيْهِ هَدِيَّتَهُ قَبْلَ أَنْ يُكَلِّمَا النَّجَاشِيَّ ثُمَّ ثُمَّ قَالَ : لِكُلِّ بِطْرِيق مِنْهُمْ إِنَّهُ قَدْ صَبَا إِلَىٰ بَلَدِ الْمَلِكِ مِنَّا غِلْمَانٌ سُفَهَاءُ فَارَقُوا دِينَ قَوْمِهِمْ ،وَلَمْ يَدْخُلُوا فِي دِينِكُمْ ،وَجَاءُوا بِدِينٍ مُبْتَدَعٍ لَا نَعْرِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتُمْ ، وَقَدْ بَعَثَنَا إِلَىٰ الْمَلِكِ فِيهِمْ أَشْرَافُ قَوْمِهِمْ لِنَرُدَّهُمْ إِلَيْهِمْ فَإِذَا كَلَّمْنَا الْمَلِكَ فِيهِمْ فَأَشِيرُوا عَلَيْهِ ، بِأَنْ يُسَلِّمَهُمْ إِلَيْنَا وَلَا يُكَلِّمَهُمْ فَإِنَّ قَوْمَهُمْ أَعْلَىٰ بِهِمْ عَيْنًا ، وَأَعْلَمُ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ ، فَقَالُوا لَهُمَا : نَعَمْ .

ثُمَّ إِنَّهُمَا قَرَّبَا هَدَايَاهُمْ إِلَىٰ النَّجَاشِيِّ فَقَبِلَهَا مِنْهُمَا ، ثُمَّ كَلَّمَاهُ فَقَالَا لَهُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، إِنَّهُ قَدْ صَبَا إِلَىٰ بَلَدِكَ مِنَّا غِلْمَانٌ سُفَهَاءُ ، فَارَقُوا دِينَ قَوْمِهِمْ وَلَمْ يَدْخُلُوا فِي دِينِكَ ، وَجَاءُوا بِدِينٍ مُبْتَدَعٍ ، لَا نَعْرِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ، وَقَدْ بَعَثَنَا إِلَيْكَ فِيهِمْ أَشْرَافُ قَوْمِهِمْ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَعْمَامِهِمْ وَعَشَائِرِهِمْ، لِتَرُدَّهُمْ إِلَيْهِمْ ، فَهُمْ أَعْلَىٰ بِهِمْ عَيْنًا وَأَعْلَمُ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ وَعَاتَبُوهُمْ فِيهِ .

قَالَتْ:وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَبْغَضُ إِلَىٰ عَبْدِ اللهِ بْن أَبِي رَبِيعَةَ وَعَمْرِو بْنِ الْعَاص مِنْ أَنْ يَسْمَعَ النَّجَاشِيُّ كَلَامَهُمْ ،فَقَالَتْ بَطَارِقَتُهُ حَوْلَهُ : صَدَقُوا أَيُّهَا الْمَلِكُ، قَوْمُهُمْ أَعْلَىٰ بِهِمْ عَيْنًا وَأَعْلَمُ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ ، فَأَسْلِمْهُمْ إِلَيْهِمَا فَلْيَرُدَّانِهِمْ إِلَىٰ

بِلَادِهِمْ وَقَوْمِهِمْ .

قَالَ: فَغَضِبَ النَّجَاشِيُّ ثُمَّ قَالَ : لَا هَايْمُ اللهِ إِذًا لَا أُسْلِمَهُمْ إِلَيْهِمَا وَلَا أَكَادُ قَوْمًا جَاوَرُونِي ، وَنَزَلُوا بِلَادِي وَاخْتَارُونِي عَلَىٰ مَنْ سِوَايَ حَتَّىٰ أَدْعُوَهُمْ، فَأَسْأَلُهُمْ مَا يَقُولُ هَذَانِ فِي أَمْرِهِمْ ، فَإِنْ كَانُوا كَمَا يَقُولَانِ أَسْلَمْتُهُمْ إِلَيْهِمَا وَرَدَدْتُهُمْ إِلَىٰ قَوْمِهِمْ ، وَإِنْ كَانُوا عَلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مَنَعْتُهُمْ مِنْهُمَا ، وَأَحْسَنْتُ جِوَارَهُمْ مَا جَاوَرُونِي .

قَالَتْ : ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَىٰ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَدَعَاهُمْ فَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولُهُ اجْتَمَعُوا ، ثُمَّ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : مَا تَقُولُونَ لِلرَّجُلِ إِذَا جِئْتُمُوهُ ؟، قَالُوا: نَقُولُ وَاللهِ مَا عَلِمْنَا وَمَا أَمَرَنَا بِهِ نَبِيُّنَا -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَائِنٌ فِي ذَلِكَ مَا هُوَ كَائِنٌ ، فَلَمَّا جَاءُوهُ وَقَدْ دَعَا النَّجَاشِيُّ أَسَاقِفَتَهُ فَنَشَرُوا مَصَاحِفَهُمْ حَوْلَهُ لِيَسْأَلَهُمْ ، فَقَالَ :مَا هَذَا الدِّينُ الَّذِي فَارَقْتُمْ فِيهِ قَوْمَكُمْ ، وَلَمْ تَدْخُلُوا فِي دِينِي وَلَا فِي دِينِ أَحَدٍ مِنْ هَذِهِ الْأُمَمِ .

قَالَتْ: فَكَانَ الَّذِي كَلَّمَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ لَهُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ ، نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ ، وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ ، وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ ، وَنُسِيءُ الْجِوَارَ ، يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ ، فَكُنَّا عَلَىٰ ذَلِكَ حَتَّىٰ بَعَثَ اللهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا ، نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَصِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ وَعَفَافَهُ ، فَدَعَانَا إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ لِنُوَحِّدَهُ وَنَعْبُدَهُ ، وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الْحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ ، وَأَمَرَ بِصِدْقِ الْحَدِيثِ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ

وَحُسْنِ الْجِوَارِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ وَالدِّمَاءِ، وَنَهَانَا عَنِ الْفَوَاحِشِ وَقَوْلِ الزُّورِ، وَأَكْلِ مَالِ الْيَتِيمِ وَقَذْفِ الْمُحْصَنَةِ، وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَأَمَرَنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ، قَالَ: فَعَدَّدَ عَلَيْهِ أُمُورَ الْإِسْلَامِ، فَصَدَّقْنَاهُ وَآمَنَّا بِهِ وَاتَّبَعْنَاهُ عَلَىٰ مَا جَاءَ بِهِ فَعَبَدْنَا اللهَ وَحْدَهُ، فَلَمْ نُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا وَحَرَّمْنَا مَا حَرَّمَ عَلَيْنَا، وَأَحْلَلْنَا مَا أَحَلَّ لَنَا، فَعَدَا عَلَيْنَا قَوْمُنَا فَعَذَّبُونَا فَفَتَنُونَا عَنْ دِينِنَا لِيَرُدُّونَا إِلَىٰ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ مِنْ عِبَادَةِ اللهِ، وَأَنْ نَسْتَحِلَّ مَا كُنَّا نَسْتَحِلُّ مِنَ الْخَبَائِثِ، وَلَمَّا قَهَرُونَا وَظَلَمُونَا وَشَقُّوا عَلَيْنَا وَحَالُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ دِينِنَا، خَرَجْنَا إِلَىٰ بَلَدِكَ وَاخْتَرْنَاكَ عَلَىٰ مَنْ سِوَاكَ وَرَغِبْنَا فِي جِوَارِكَ، وَرَجَوْنَا أَنْ لَا نُظْلَمَ عِنْدَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ.

قَالَتْ: فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ: هَلْ مَعَكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ عَنِ اللهِ مِنْ شَيْءٍ، قَالَتْ: فَقَالَ لَهُ جَعْفَرٌ: نَعَمْ فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ: فَاقْرَأْهُ عَلَيَّ، فَقَرَأَ عَلَيْهِ صَدْرًا مِنْ ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ قَالَتْ: فَبَكَىٰ وَاللهِ النَّجَاشِيُّ حَتَّىٰ أَخْضَلَ لِحْيَتَهُ وَبَكَتْ أَسَاقِفَتُهُ حَتَّىٰ أَخْضَلُوا مَصَاحِفَهُمْ حِينَ سَمِعُوا مَا تَلَا عَلَيْهِمْ ثُمَّ قَالَ النَّجَاشِيُّ إِنَّ هَذَا وَالَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ لَيَخْرُجُ مِنْ مِشْكَاةٍ وَاحِدَةٍ انْطَلِقَا فَوَاللهِ لَا أُسْلِمُهُمْ إِلَيْكُمْ أَبَدًا وَلَا أَكَادُ.

قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا -: فَلَمَّا خَرَجَا مِنْ عِنْدِهِ قَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ: وَاللهِ لَآتِيَنَّهُ غَدًا أَعِيبُهُمْ عِنْدَهُ ثُمَّ أَسْتَأْصِلُ بِهِ خَضْرَاءَهُمْ.

قَالَتْ: فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ: -وَكَانَ أَتْقَىٰ الرَّجُلَيْنِ فِينَا-

لَا تَفْعَلْ فَإِنَّ لَهُمْ أَرْحَامًا وَإِنْ كَانُوا قَدْ خَالَفُونَا قَالَ : وَاللهِ لَأُخْبِرَنَّهُ أَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ عَلَيْهِمَا السَّلَام عَبْدٌ ، قَالَتْ : ثُمَّ غَدَا عَلَيْهِ الْغَدَ فَقَالَ لَهُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنَّهُمْ يَقُولُونَ فِي عِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ قَوْلًا عَظِيمًا ، فَأَرْسِلْ إِلَيْهِمْ فَسَلْهُمْ عَمَّا يَقُولُونَ فِيهِ ؟.

قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ : فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ يَسْأَلُهُمْ عَنْهُ ، قَالَتْ : وَلَمْ يَنْزِلْ بِنَا مِثْلُهَا فَاجْتَمَعَ الْقَوْمُ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: مَاذَا تَقُولُونَ فِي عِيسَىٰ إِذَا سَأَلَكُمْ عَنْهُ؟، قَالُوا : نَقُولُ وَاللهِ فِيهِ مَا قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- وَمَا جَاءَ بِهِ نَبِيُّنَا -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -كَائِنًا فِي ذَلِكَ مَا هُوَ كَائِنٌ .

فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالَ لَهُمْ : مَا تَقُولُونَ فِي عِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ ؟، فَقَالَ لَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- نَقُولُ فِيهِ الَّذِي جَاءَ بِهِ نَبِيُّنَا -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هُوَ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ وَرُوحُهُ ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ الْعَذْرَاءِ الْبَتُولِ .

قَالَتْ : فَضَرَبَ النَّجَاشِيُّ يَدَهُ عَلَىٰ الْأَرْضِ فَأَخَذَ مِنْهَا عُودًا ثُمَّ قَالَ : مَا عَدَا عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ مَا قُلْتَ هَذَا الْعُودَ فَتَنَاخَرَتْ بَطَارِقَتُهُ حَوْلَهُ حِينَ قَالَ مَا قَالَ ، فَقَالَ: وَإِنْ نَخَرْتُمْ وَاللهِ اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ سُيُومٌ بِأَرْضِي -وَالسُّيُومُ الْآمِنُونَ - ، مَنْ سَبَّكُمْ غَرِمَ ، ثُمَّ مَنْ سَبَّكُمْ غَرِمَ ، ثُمَّ مَنْ سَبَّكُمْ غَرِمَ ، فَمَا أُحِبُّ أَنَّ لِي دَبْرَ ذَهَبٍ وَأَنِّي آذَيْتُ رَجُلًا مِنْكُمْ -وَالدَّبْرُ بِلِسَانِ الْحَبَشَةِ الْجَبَلُ- رُدُّوا عَلَيْهِمَا هَدَايَاهُمَا ، فَلَا حَاجَةَ لَنَا بِهَا فَوَاللهِ مَا أَخَذَ اللهُ مِنِّي

الرِّشْوَةَ حِينَ رَدَّ عَلَيَّ مُلْكِي فَآخُذَ الرِّشْوَةَ فِيهِ وَمَا أَطَاعَ فِيَّ النَّاسَ فَأُطِيعَهُمْ فِيهِ.

قَالَتْ : فَخَرَجَا مِنْ عِنْدِهِ مَقْبُوحَيْنِ مَرْدُودًا عَلَيْهِمَا مَا جَاءَا بِهِ ، وَأَقَمْنَا عِنْدَهُ بِخَيْرِ دَارٍ مَعَ خَيْرِ جَارٍ ، قَالَتْ : فَوَاللهِ إِنَّا عَلَىٰ ذَلِكَ إِذْ نَزَلَ بِهِ يَعْنِي مَنْ يُنَازِعُهُ فِي مُلْكِهِ.

قَالَتْ : فَوَاللهِ مَا عَلِمْنَا حُزْنًا قَطُّ كَانَ أَشَدَّ مِنْ حُزْنٍ حَزِنَّاهُ عِنْدَ ذَلِكَ تَخَوُّفًا أَنْ يَظْهَرَ ذَلِكَ عَلَىٰ النَّجَاشِيِّ ، فَيَأْتِيَ رَجُلٌ لَا يَعْرِفُ مِنْ حَقِّنَا مَا كَانَ النَّجَاشِيُّ يَعْرِفُ مِنْهُ، قَالَتْ: وَسَارَ النَّجَاشِيُّ وَبَيْنَهُمَا عُرْضُ النِّيلِ قَالَ : فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مَنْ رَجُلٌ يَخْرُجُ حَتَّىٰ يَحْضُرَ وَقْعَةَ الْقَوْمِ ثُمَّ يَأْتِينَا بِالْخَبَرِ .

قَالَتْ :فَقَالَ الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَا ، قَالَتْ: وَكَانَ مِنْ أَحْدَثِ الْقَوْمِ سِنًّا ، قَالَتْ: فَنَفَخُوا لَهُ قِرْبَةً فَجَعَلَهَا فِي صَدْرِهِ ثُمَّ سَبَحَ عَلَيْهَا حَتَّىٰ خَرَجَ إِلَىٰ نَاحِيَةِ النِّيلِ الَّتِي بِهَا مُلْتَقَىٰ الْقَوْمِ ، ثُمَّ انْطَلَقَ حَتَّىٰ حَضَرَهُمْ، قَالَتْ: وَدَعَوْنَا اللهَ -تَعَالَىٰ- لِلنَّجَاشِيِّ بِالظُّهُورِ عَلَىٰ عَدُوِّهِ ، وَالتَّمْكِينِ لَهُ فِي بِلَادِهِ ، وَاسْتَوْثَقَ عَلَيْهِ أَمْرُ الْحَبَشَةِ ، فَكُنَّا عِنْدَهُ فِي خَيْرِ مَنْزِلٍ حَتَّىٰ قَدِمْنَا عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَهُوَ بِمَكَّةَ » .

-أَيُّهَا النَّاسُ- لَقَدْ أَسْلَمَ النَّجَاشِيُّ بَعْدَ ذَلِكَ وَصَدَقَ نُبُوَّةَ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَإِنْ كَانَ قَدْ أَخْفَىٰ إِيمَانَهُ عَنْ قَوْمِهِ لَمَّا عَلِمَهُ فِيهِمْ مِنَ الثَّبَاتِ

عَلَىٰ البَاطِلِ ، وَحَرْصِهِمْ عَلَىٰ الضَّلَالِ وَجُمُودِهِمْ عَلَىٰ العَقَائِدِ المُنْحَرِفَةِ .

فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» (١) ، مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: «**نَعَىٰ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- النَّجَاشِيَّ فِي الْيَوْمِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، خَرَجَ بِهِمْ إِلَىٰ الْمُصَلَّىٰ ، فَصَفَّ بِهِمْ ، وَكَبَّرَ أَرْبَعًا** » .

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» (٢) ، مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حِينَ مَاتَ النَّجَاشِيُّ : « **مَاتَ الْيَوْمَ رَجُلٌ صَالِحٌ ، فَقُومُوا فَصَلُّوا عَلَىٰ أَخِيكُمْ أَصْحَمَةَ** » .

وَأَسْتَغْفِرُ اللهُ .

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (١٢٤٥) ، وَمُسْلِمٌ (٩٥١) .
(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٨٧٧) ، وَمُسْلِمٌ (٩٥٢) .

إِسْلَامُ حَمْزَةَ وَعُمَرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ :

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ أَشْرَفِ المُرْسَلِيْنَ ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

أَمَّا بَعْدُ :

فَتَقَدَّمَ الحَدِيْثُ مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنْ «**وَفْدِ قُرَيْشٍ إِلَى النَّجَاشِيِّ**» ، وَالآنَ حَدِيْثِي مَعَكُمْ عَنْ « **إِسْلَامِ حَمْزَةَ وَعُمَرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-** » .

-أَيُّهَا النَّاسُ- لَمَّا قَدِمَ وَفْدُ قُرَيْشٍ مِنْ عِنْدِ النَّجَاشِيِّ وَرَدَّهُمْ النَّجَاشِيِّ بِمَا يَكْرَهُونَ ، أَسْلَمَ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ عَمِّ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَأَخُوهُ مِنَ الرِّضَاعَةِ ، وَذَلِكَ فِي أَوَاخِرِ السَنَةِ السَّادِسَةِ مِنَ البِعْثَةِ الشَّرِيْفَةِ ، وَبَعْدَهُ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ أَسْلَمَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- .

وَأَمَّا سَبَبُ إِسْلَامِ حَمْزَةُ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- فَكَمَا جَاءَ فِي سِيْرَةِ ابْنِ هِشَامٍ أَنَّ أَبَا جَهْلٍ مَرَّ بِرَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عِنْدَ الصَّفَا، فَآذَاهُ وَشَتَمَهُ وَنَالَ مِنْهُ ، وَرَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- سَاكِتٌ لَا يُكَلِّمُهُ ، ثُمَّ ضَرَبَهُ أَبُو جَهْلٍ بِحَجَرٍ فِي رَأْسِهِ فَشَجَّهُ حَتَّىٰ نَزَفَ مِنْهُ الدَّمُ ، ثُمَّ انْصَرَفَ

عَنْهُ إِلَىٰ نَادِي مِنْ قُرَيْشٍ عِنْدَ الكَعْبَةِ، فَجَلَسَ مَعَهُمْ ،وَكَانَتْ مَوْلَاةٌ لِعَبْدِ اللهِ ابْنِ جُدْعَانَ فِي مَسْكَنٍ لَهَا عَلَىٰ الصَّفَا تَرَىٰ ذَلِكَ ، وَأَقْبَلَ حَمْزَةُ مِنَ القَنْصِ مُتَوَشِّحًا قَوْسَهُ ، فَأَخْبَرَتْهُ المَوْلَاةُ بِمَا رَأَتْ مِنْ أَبِي جَهْلٍ ، فَغَضِبَ حَمْزَةُ ، وَكَانَ أَعَزَّ فَتىً فِي قُرَيْشٍ وَأَشَدَّ شَكِيْمَةً ، فَخَرَجَ يَسْعَىٰ وَلَمْ يَقِفْ لِأَحَدٍ، مُعِدًّا لِأَبِي جَهْلٍ إِذَا لَقِيَهُ أَنْ يُوقِعَ بِهِ، فَلَمَّا دَخَلَ المَسْجِدَ قَامَ عَلَىٰ رَأْسِهِ ، وَقَالَ لَهُ : يَا مُصَغِّرَ اسْتِهِ ، تَشْتِمُ ابْنُ أَخِي وَأَنَا عَلَىٰ دِينِهِ ؟، ثُمَّ ضَرَبَهُ بِالقَوْسِ فَشَجَّهُ شَجَّةً مُنْكَرَةً، فَثَارَ رِجَالٌ مِنْ بَنِي مَخْزُوم -حَيِّ أَبِي جَهْلٍ- وَثَارَ بَنُو هَاشِم -حَيِّ حَمْزَةَ- فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ : دَعُوا أَبَا عُمَارَة، فَإِنِّي سَبَبْتُ ابْنَ أَخِيْهِ سَبًّا قَبِيْحًا (١) .

وَكَانَ إِسْلَامُ حَمْزَةَ أَوَّلَ الأَمْرِ -أَيُّهَا النَّاسُ- أَنَفَةَ رَجُلٍ أَبَىٰ أَنْ يُهَانَ مَوْلَاهُ، ثُمَّ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ فَاسْتَمْسَكَ بِالعُرْوَةِ الوُثْقَىٰ ، وَاعْتَزَّ بِهِ المُسْلِمُونَ أَيَّمَا اعْتِزَازٍ (٢) .

وَأَمَّا سَبَبُ إِسْلَام عُمَرَ بْنِ الخَطَّاب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَيُّهَا النَّاسُ- ، فَدَعْوَةُ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لَهُ .

فَفِي «سُنَنِ» ابْنِ مَاجَّهْ بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ صَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ-فِي

---

(١) «سِيْرَةُ ابْنِ هِشَام » (١-٢٩١-٢٩٢) مُخْتَصِرًا .
(٢) «الرَّحِيْقُ المَخْتُومِ» (١٢٢) .

«المِشْكَاةِ»(١)، مِنْ حَدِيْثِ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**اللهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلامَ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ خَاصَّةً**».

فَكَانَ إِسْلَامُ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَيُّهَا النَّاسُ- عِزَّةً أَعَزَّ اللهُ بِهِ الإِسْلامَ وَأَذَلَّ بِهِ الكُفْرَ وَأَهْلَهُ.

وَفِي «صَحِيْحِ البُخَارِيِّ» (٢)، مِنْ حَدِيْثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: «مَا زِلْنَا أَعِزَّةً مُنْذُ أَسْلَمَ عُمَرُ بْنِ الخَطَّابِ».

وَقَالَ كَمَا رَوَىٰ ذَلِكَ عَنْهُ ابْنُ إِسْحَاقَ بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ (٣)، قَالَ: «إِنَّ إِسْلَامَ عُمَرَ كَانَ فَتْحًا، وَإِنَّ هِجْرَتَهُ كَانَتْ نَصْرًا، وَإِنَّ إِمَارَتَهُ كَانَتْ رَحْمَةً وَلَقَدْ كُنَّا مَا نُصَلِّي عِنْدَ الْكَعْبَةِ حَتَّىٰ أَسْلَمَ عُمَرُ فَلَمَّا أَسْلَمَ، قَاتَلَ قُرَيْشًا حَتَّىٰ صَلَّىٰ عِنْدَ الْكَعْبَةِ، وَصَلَّيْنَا مَعَهُ».

وَأَخْرَجَ ابْنُ حِبَّانٍ فِي «مَوْرِدِهِ» بِسَنَدٍ حَسَنٍ حَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيْحِ السِّيْرَةِ» (٤)، مِنْ حَدِيْثِ عَبْدُ اللهِ بْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ: لَمَّا أَسْلَمَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، لَمْ تَعْلَمْ قُرَيْشٌ بِإِسْلامِهِ، فَقَالَ: أَيّ

---

(١) (صَحِيْحٌ) سُنَنِ ابْنِ مَاجَهْ (٨٥)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «المِشْكَاةِ» (٦٠٣٦).
(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٦٨٤).
(٣) (حَسَنٌ) انْظُرْ: «سِيرَةُ ابْنِ إِسْحَاقَ» (١/ ٣٦٦) بِسَنَدٍ فِيْهِ انْقِطَاعٍ وَوَصَلَهُ الحَاكِمُ (٣/ ٨٣)، بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ.
(٤) (حَسَنٌ) أَخْرَجَهُ ابْنُ حِبَّانٍ فِي «مَوْرِدِهِ» (٢/ ٢١٨)، وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «صَحِيْحِ السِّيْرَةِ» (١٩٤).

أَهْلُ مَكَّةَ، أَنْشَأُ لِلْحَدِيثِ؟، فَقَالُوا : جَمِيلُ بْنُ مَعْمَرٍ الْجُمَحِيُّ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ وَأَنَا مَعَهُ أَتْبَعُ أَثَرَهُ ، أَعْقِلُ مَا أَرَىٰ ، وَأَسْمَعُ فَأَتَاهُ ، فَقَالَ : يَا جَمِيلُ ، إِنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ ، قَالَ: فَوَاللهِ مَا رَدَّ عَلَيْهِ كَلِمَةً حَتَّىٰ قَامَ عَامِدًا إِلَىٰ الْمَسْجِدِ ، فَنَادَىٰ أَنْدِيَةَ قُرَيْشٍ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، إِنَّ ابْنَ الْخَطَّابِ قَدْ صَبَأَ ، فَقَالَ عُمَرُ: كَذَبَ، وَلَكِنِّي أَسْلَمْتُ وَآمَنْتُ بِاللهِ وَصَدَّقْتُ رَسُولَهُ ، فَثَاوَرُوهُ ، فَقَاتَلَهُمْ حَتَّىٰ رَكَدَتِ الشَّمْسُ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ ، حَتَّىٰ فَتَرَ عُمَرُ وَجَلَسَ فَقَامُوا عَلَىٰ رَأْسِهِ .

فَقَالَ عُمَرُ : افْعَلُوا مَا بَدَا لَكُمْ ، فَوَاللهِ لَوْ كُنَّا ثَلاثَمِائَةِ رَجُلٍ لَقَدْ تَرَكْتُمُوهَا لَنَا أَوْ تَرَكْنَاهَا لَكُمْ ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ قِيَامٌ عَلَيْهِ ، إِذْ جَاءَ رَجُلٌ عَلَيْهِ حُلَّةُ حَرِيرٍ وَقَمِيصٌ مُوَشَّىٰ ، فَقَالَ:مَا بَالَكُمْ ؟، فَقَالُوا: إِنَّ ابْنَ الْخَطَّابِ قَدْ صَبَأَ، قَالَ: فَمَهْ، امْرُؤٌ اخْتَارَ دِينًا لِنَفْسِهِ، أَفَتَظُنُّونَ أَنَّ بَنِي عَدِيٍّ تُسْلِمُ إِلَيْكُمْ صَاحِبَهُمْ ؟ .

قَالَ : فَكَأَنَّمَا كَانُوا ثَوْبًا انْكَشَفَ عَنْهُ ، فَقُلْتُ لَهُ بَعْدُ بِالْمَدِينَةِ : يَا أَبَتِ ، مَنِ الرَّجُلُ الَّذِي رَدَّ عَنْكَ الْقَوْمَ يَوْمَئِذٍ ؟ ، فَقَالَ : يَا بُنَيَّ ، ذَاكَ الْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ » .

-أَيُّهَا النَّاسُ- لَقَدْ كَانَ إِسْلَامُ حَمْزَةَ وَعُمَرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- بِالنِّسْبَةِ لِلْمُشْرِكِيْنَ كَالصَّاعِقَةِ تَنْزِلُ عَلَيْهِمْ ؛ لِأَنَّهُمْ عَلِمُوا حِيْنَئِذٍ أَنَّ مُحَمَّدًا وَمَنْ مَعَهُ سَيَزْدَادُونَ ، قُوَّةً إِلَىٰ وَمَنَعَةً .

اللهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا تَحُولُ بِهِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتَكَ، وَمِنَ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مَصَائِبَ الدُّنْيَا، اللهُمَّ مَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا، وَأَبْصَارِنَا، وَقُوَّاتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا، وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا، وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَىٰ مَنْ ظَلَمَنَا، وَانْصُرْنَا عَلَىٰ مَنْ عَادَانَا، وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا، وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا، وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا .

وَسُبْحَانَكَ اللهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ .

١٣ حِصَارُ الشِّعْبِ وَمَوْتُ أَبِي طَالِبٍ وَخَدِيجَةَ

الخُطْبَةُ الأُولَىٰ:

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ،نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلِ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لا شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾[النِّسَاء:١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ

مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ :

فَمَا زَالَ الحَدِيْثُ مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنِ السِّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ عَلَىٰ صَاحِبِهَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -، وَحَدِيْثِي مَعَكُمْ اليَوْمَ عَنْ «**حِصَارِ الشِّعْبِ وَمَوْتِ أَبِي طَالِبٍ وَخَدِيْجَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا-**» .

أَمَّا حِصَارُ الشِّعْبِ -أَيُّهَا النَّاسُ- فَهُوَ ثَابِتٌ ، فَقَدْ حَدَّدَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- المَكَانَ الَّذِي تَقَاسَمَتْ فِيْهِ قُرَيْشٌ عَلَىٰ الكُفْرِ -يَعْنِي تَحَالُفَهَا عَلَىٰ مُقَاطَعَةِ بَنِي هَاشِمٍ - فَذَكَرَ أَنَّهُ خَيْفُ بَنِي كِنَانَةَ .

فَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ» [1] ، مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ- وَنَحْنُ بِمِنًىٰ : « **نَحْنُ نَازِلُونَ غَدًا بِخَيْفِ بَنِي كِنَانَةَ ، حَيْثُ تَقَاسَمُوا عَلَىٰ الْكُفْرِ** » .

وَذَلِكَ أَنَّ قُرَيْشًا وَكِنَانَةَ تَحَالَفَتْ عَلَىٰ بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي الْمُطَّلِبِ ، أَنْ لا يُنَاكِحُوهُمْ ، وَلا يُبَايِعُوهُمْ حَتَّىٰ يُسَلِّمُوا إِلَيْهِمْ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ- ، يَعْنِي بِذَلِكَ : المَحْصَبَ .

قَالَ الحَافِظُ -رَحِمَهُ اللهُ -فِي«الفَتْحِ» [2]: «وَلَمَّا لَمْ يَثْبُتْ عِنْدَ الإِمَامِ البُخَارِيِّ شَيْءٌ مِنْ هَذِهِ القِصَّةِ اكْتَفَىٰ بِإِيْرَادِ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٠٥٨) ، وَمُسْلِمٌ (٣٢٧٤) .
(٢) «فَتْحُ البَارِيُّ» (٧/ ١٩٣) .

عَنْهُ- لِأَنَّهُ فِيْهِ دَلَالَةٌ عَلَىٰ أَصْلِ القِصَّةِ ؛ لِأَنَّ الَّذِي أَوْرَدَهُ أَهْلُ المَغَازِي مِنْ ذَلِكَ ، كَالشَّرْحِ لِقَوْلِهِ فِي الحَدِيْثِ « **تَقَاسَمُوا عَلَىٰ الْكُفْرِ** » .

فَشِعْبُ أَبِي طَالِبٍ -أَيُّهَا النَّاسُ- فِي (الْمُحَصَّبِ) بِمُهْمَلَتَيْنِ وَمُوَحَّدَةٍ عَلَىٰ وَزْنِ مُحَمَّدٍ ، هُوَ اسْمُ مَكَانٍ مُتَّسِعٍ بَيْنَ جَبَلَيْنِ مَكَّةَ وَمِنًىٰ ، وَهُوَ إِلَىٰ مِنًىٰ أَقْرَبُ .

فَالَّذِي صَحَّ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ -أَيُّهَا النَّاسُ- أَنَّ حِصَارَ الشِّعْبِ وَقَعَ بَعْدَ فَشَلِ قُرَيْشٍ فِي اسْتِعَادَةِ المُسْلِمِيْنَ المُهَاجِرِيْنَ إِلَىٰ الحَبَشَةِ ، حَيْثُ أَهَاجَهَا الأَمْرُ ، وَاشْتَدَّ البَلَاءُ عَلَىٰ المُسْلِمِيْنَ ، وَعَزَمَتْ قُرَيْشٌ أَنْ تَقْتُلَ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، فَأَجْمَعَ بَنُو عَبْدِ المُطَّلِبِ أَمْرَهُمْ عَلَىٰ أَنْ يُدْخِلُوا رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- شِعْبَهُمْ وَيَحْمُوهُ فِيْهِ ، فَدَخَلُوا الشِّعْبَ جَمِيْعًا ، مُسْلِمُهُمْ وَكَافِرُهُمْ ، وَأَجْمَعَ المُسْلِمُونَ أَمْرَهُمْ عَلَىٰ أَنْ لَا يُجَالِسُوهُمْ ، وَلَا يُخَالِطُوهُمْ وَلَا يُبَايِعُوهُمْ ، وَلَا يَدْخُلُوا بُيُوتَهُمْ حَتَّىٰ يُسْلِمُوا رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لِلْقَتْلِ ، وَكَتَبُوا فِي ذَلِكَ صَحِيْفَةً ، فَلَبِثَ بَنُو هَاشِمٍ فِي شِعْبِهِمْ ثَلَاثَ سِنِيْنَ ، وَاشْتَدَّ عَلَيْهِمُ البَلَاءُ وَالجَهْدُ وَالجُوْعُ ، فَلَمَّا كَانَ رَأْسَ ثَلَاثَ سِنِيْنَ تَلَاوَمَ رِجَالٌ مِنْ قُرَيْشٍ عَلَىٰ مَا حَدَثَ ، وَأَجْمَعُوا عَلَىٰ نَقْضِ الصَّحِيْفَةِ ، وَقَدْ أَعْلَمَهُمْ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِأَنَّهُ لَمْ يَبْقَ فِيْهَا سِوَىٰ كَلِمَاتِ الشِّرْكِ وَالظُّلْمِ »(١) .

---

(١) «فَتْحُ البَارِيُّ» (٧/ ١٩٢) .

وَذَكَرَ ابْنُ هِشَام -رَحِمَهُ اللهُ- : أَنَّهُمْ وَجَدُوا الأَرَضَةَ قَدْ أَكَلَتْ جَمِيْعَ مَا فِي الصَحِيْفَةِ إِلَّا اسْمُ اللهِ -تَعَالَىٰ- وَقَدْ قَالَ ابْنُ إِسْحَاق وَمُوسَىٰ بْنُ عُقْبَةَ وَعُرْوَةُ عَكْسَ ذَلِكَ ، أَنَّ الأَرَضَةَ لَمْ تَدَعْ اسْمًا للهِ إِلَّا أَكَلَتْهُ ، وَبَقِيَ مَا فِيْهَا مِنَ الظُّلْمِ والقَطِيْعَةِ » .

وَمَا أَنْ غَادَرَ بَنُو هَاشِم شِعْبَ أَبِي طَالِبٍ -أَيُّهَا النَّاسُ- حَتَّىٰ أُصِيْبَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِوَفَاةِ عَمِّهِ أَبِي طَالِب ، وَاسْمُهُ عَبْدُ مَنَافٍ، وَذَلِكَ فِي آخرِ السَّنَةِ العَاشرَةِ مِنَ المَبْعَث ، وَقَدْ كَانَ أَبُو طَالِبٍ -أَيُّهَا النَّاسُ- : «يَحُوطُ النَّبِيَّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَيَغْضَبُ لَهُ » (١) .

وَكَانَ أَيْضًا : «يَنْصُرُهُ» .

وَكَانَتْ قُرَيْشٌ تَحْتَرِمُهُ،وَقَدْ جَاءَ زُعَمَاؤُهَا حِيْنَ حَضَرَتْهُ الوَفَاةُ، فَحَرَّضُوا أَبَا طَالِبٍ عَلَىٰ الاسْتِمْسَاكِ بِدِيْنِهِ ، وَعَدَمِ الدُّخُولِ فِي الإِسْلَام ، فَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ» (٢) ، مِنْ حَدِيْثِ الْمُسَيَّبِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ جَاءَهُ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلٍ وَعَبْدَ اللهِ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ .

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **يَا عَمِّ قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ**» .

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٨٨٣) .
(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (١٣٦٠) ، وَمُسْلِمٌ (٤٣) .

فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ يَا أَبَا طَالِبٍ: أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟، فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَعْرِضُهَا عَلَيْهِ وَيُعِيدُ لَهُ تِلْكَ الْمَقَالَةَ ، حَتَّىٰ قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ هُوَ : عَلَىٰ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، وَأَبَىٰ أَنْ يَقُولَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ .

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : «**أَمَا وَاللهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ ، فَأَنْزَلَ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ-** : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ ﴾ [التَّوْبَةُ : ١١٣] ، **وَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ فِي أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ لِرَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-** ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [القَصَصُ : ٥٦] .

فَتَأَمَّلُوا -أَيُّهَا النَّاسُ- إِلَىٰ أَثَرِ جُلَسَاءِ السُّوءِ ، وَتَأَمَّلُوا إِلَىٰ حَالِ أَبِي طَالِبٍ وَمَنْ كَانَ يُجَالِسُ وَكَيْفَ سَرَىٰ أَثَرِ جُلَسَائِهِ عَلَيْهِ فِي خَاتِمَةِ أَمْرِهِ ، وَبِهَذِهِ الْمُنَاسَبَةِ أُذَكِّرُ نَفْسِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا جَاءَ فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» [(١)] ، مِنْ حَدِيثِ أَبِي مُوسَىٰ الأَشْعَرِيِّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «**مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ ، كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا خَبِيثَةً** » .

---

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٥٥٣٤) ، وَمُسْلِمٌ (٢٦٢٨) .

وَأَمَّا خَدِيْجَةُ -رَضِيَ اللهُ عَنهَا- أَيُّهَا النَّاسُ - فَقَدْ تُوُفِّيَتْ قَبْلَ الهِجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ إِلَىٰ المَدِيْنَةِ بِثَلَاثِ سِنِيْنَ [١]، فِي نَفْسِ عَامِ وَفَاةِ أَبِي طَالِبٍ بِنَحْوِ شَهْرَيْنِ لِأَنَّ أَبَا طَالِبٍ مَاتَ عَلَىٰ الرَّاجِحِ فِي رَجَبَ، وَكَانَتْ وَفَاةُ خَدِيْجَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- فِي رَمَضَانَ لِسَبْعِ عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَتْ مِنْهُ [٢].

وَدُفِنَتْ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- بِالْحَجُونِ، وَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي قَبْرِهَا [٣]، وَلَمْ تَكُنْ يَوْمَئِذٍ الصَّلَاةُ عَلَىٰ الجَنَازَةِ سُنَّةً [٤].

فَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ» [٥]، مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: **«أَتَىٰ جِبْرِيلُ النَّبِيَّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ. هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْكَ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ أَوْ طَعَامٌ، فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا وَمِنِّي، وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ، لَا صَخَبَ فِيهِ، وَلَا نَصَبَ»**.

وَكَانَتْ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- لِرَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَمَا قَالَ ابْنُ إِسْحَاقٍ -رَحِمَهُ اللهُ-: وَزِيْرَ صِدْقٍ يَشْكُو إِلَيْهَا» [٦].

---

(١) «فَتْحُ البَارِيُّ» (٧/ ٢٢٤).
(٢) «أَزْوَاجُ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-» (٦٥) لِلدِّمِشْقِيِّ.
(٣) «طَبَقَاتُ ابْنِ سَعْدٍ» (٨/ ١٨)، وَ«الإِصَابَةُ» (٤/ ٣٨٣).
(٤) «طَبَقَاتُ ابْنِ سَعْدٍ» (٨/ ١٨)، وَ«الإِصَابَةُ» (٤/ ١٨).
(٥) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٨٢٠)، وَمُسْلِمٌ (٢٤٣٢).
(٦) (صَحِيحٌ) أَخْرَجَهُ أَحْمَد (١/ ٢٩١)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «الصَّحِيْحَةِ» (١٥٠٨).

فَلَا جَرَمَ -أَيُّهَا النَّاسُ- فَهِيَ أَفْضَلُ نِسَاءِ أَهْلِ الجَنَّةِ وَمِنْ سَيِّدَاتِهِنَّ، فَفِي «مُسْنَدِ» أَحْمَدَ بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ، صَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «الصَّحِيْحَة»(١)، مِنْ حَدِيْثِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-، قَالَ: خَطَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الأَرْضِ أَرْبَعَةَ خُطُوطٍ، ثُمَّ قَالَ: « **أَتَدْرُونَ مَا هَذَا ؟** »، قَالُوا : اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : «**أَفْضَلُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَرْبَعٌ : خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ ، وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ ، وَآسِيَةُ بِنْتُ مُزَاحِمٍ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ** » .

وَبِهَذِهِ المُنَاسَبَةُ أُذَكِّرُ الجَمِيْعَ بِاخْتِيَارِ الزَّوْجِ الصَّالِحِ لِبَنَاتِنَا وَأَخَوَاتِنَا ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنَ الإِحْسَانِ إِلَيْهِنَّ ، وَأَيُّ إِحْسَانٍ خَيْرٌ مِنْ تَزْوِيْجِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ صَالِحِيْنَ يَأْخُذُونَ بِأَيْدِيْهِنَّ إِلَىٰ اللهِ وَالدَّارَ الآخِرَةِ وَمَنْ زَوَّجَ كَرِيْمَتَهُ أَوِ ابْنَتَهُ مِنْ رَجُلٍ عَاصٍ لِلهِ قَاطِعِ الصَّلَاةَ فَقَدْ قَطَعَ رَحِمَهَا .

فَكَمْ مِنْ زَوْجٍ صَالِحٍ رَفَعَ زَوْجَتَهُ إِلَىٰ جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ كَنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- .

وَكَمْ مِنْ زَوْجٍ زَحْزَجَ زَوْجَتَهُ حَتَّىٰ صَارَتْ مَعَهُ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ كَأَبِي لَهَبٍ .

وَأَسْتَغْفِرُ اللهُ .

---

(١) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ أَحْمَد (٥/ ٢٩٠)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «فِقْهِ السِّيْرَةِ» (١٢٤).

خُرُوجُ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ إِلَى الطَّائِفِ

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ :

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ أَشْرَفِ المُرْسَلِيْنَ ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

أَمَّا بَعْدُ :

فَتَقَدَّمَ الحَدِيْثِ مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنْ «**حِصَارِ الشِّعْبِ وَمَوْتُ أَبِي طَالِبٍ وَخَدِيْجَةَ**» ، وَالآنَ حَدِيْثِي مَعَكُمْ عَنْ «**خُرُوجِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِلَى الطَّائِفِ**» .

-أَيُّهَا النَّاسُ- وَلَمَّا هَلَكَ أَبُو طَالِبٍ نَالَتْ قُرَيْشٌ مِنْ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِنْ الأَذَىٰ مَا لَمْ تَكُنْ تَنَالُ مِنْهُ فِي حَيَاةِ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِلَىٰ الطَّائِفِ ، يَلْتَمِسُ النُّصْرَةَ مِنْ ثَقِيفٍ، وَالْمَنَعَةَ بِهِمْ مِنْ قَوْمِهِ ، وَرَجَاءَ أَنْ يَقْبَلُوا مِنْهُ مَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ وَحْدَهُ (١) .

فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- وَدَعَاهُمْ إِلَىٰ الإِسْلَامِ رَدُّوهُ أَقْبَحَ رَدٍّ وَأَغْلَظُوا لَهُ القَوْلَ ، بَلْ وَحَرَّشُوا بِهِ عَلَيْهِ الصِّبْيَانَ وَالسُّفَهَاءَ .

(١) «سِيْرَةُ ابْنِ هِشَامٍ» (١-٤١٩) .

فَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ» (١) ، مِنْ حَدِيْثِ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- قَالَتْ لِرَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ أَتَىٰ عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟، فَقَالَ: «**لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَىٰ ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَىٰ مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَىٰ وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي، فَقَالَ: إِنَّ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ- قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رُدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ ، قَالَ: فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ وَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ، فَبِمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبَيْنِ (الْجَبَلَيْنِ) ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**» .

-أَيُّهَا النَّاسُ- لَقَدْ كَانَتْ إِصَابَةُ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَوْمَ أُحُدٍ أَبْلَغَ مِنَ النَّاحِيَةِ الْجَسَدِيَّةِ ، أَمَّا مِنَ النَّاحِيَةِ النَّفْسِيَّةِ فَإِنَّ إِصَابَتَهُ يَوْمَ الطَّائِفِ أَبْلَغُ وَأَشَدُّ ، وَمَعَ ذَلِكَ رَفَضَ إِهْلَاكَ مَنْ آذَاهُ ، فَقَدْ كَانَتْ نَظْرَةُ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مُسْتَقْبَلِيَّةً فِيهَا رَحْمَةٌ لِأَعْدَائِهِ وَمَنْ آذَاهُ ، بَلْ وَأَمَلٌ

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٢٣١) ، وَمُسْلِمٌ (١٧٩٥) .

فِي هِدَايَتِهِمْ، فَأَهْلُ الطَّائِفِ يُؤْذُونَهُ، وَيَدْفَعُونَ أَنْفُسَهُمْ فِي النَّارِ ، وَالرَّسُولُ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حَرِيصٌ عَلَيْهِمْ رَحِيمٌ بِهِ قَائِلًا : « **بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا** » .

اَللَّهُمَّ أَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا ، وَأَجِرْنَا مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الْآخِرَةِ ، اللهُمَّ أَعِنَّا عَلَىٰ ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ .

وَسُبْحَانَكَ اللهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ .

١٤ الإِسْرَاءُ وَالمِعْرَاجُ

الخُطْبَةُ الأُولَى[١]:

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمِدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلِ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأَحْزَاب:٧٠-٧١] .

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ

مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ، وَكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ .

ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ :

فَمَا زَالَ الحَدِيْثُ مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنِ السِّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ عَلَىٰ صَاحِبِهَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -، وَحَدِيْثِي مَعَكُمْ اليَوْمَ عَنْ «**الإِسْرَاءِ وَالمِعْرَاجِ**» .

-أَيُّهَا النَّاسُ- لَقَدْ مَكَثَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَدْعُو قَوْمَهُ إِلَىٰ اللهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - سَنَوَاتٍ مَأْسَاوِيَّةً ، مَلِيْئَةً بِالعَوَاصِفِ العَاتِيَةِ، مِنَ التَّعْذِيْبِ ، وَالإِيْذَاءِ وَالتَّكْذِيْبِ وَالإِفْتِرَاءِ فَرَّقَ شَمْلَ أَتْبَاعِهِ، وَسَامَهُمْ أَهْلِ مَكَّةَ سُوءَ العَذَابِ ، ثُمَّ كَانَ العَامُ العَاشِرُ مِنَ البِعْثَةِ العَامُ الَّذِي فَقَدْ فِيْهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَمَّهُ أَبَا طَالِب الَّذِي كَانَ يُنَافِحُ عَنْهُ وَيُدَفِعُ عَنْهُ أَذَىٰ قُرَيْشٍ، وَبَعْدَ وَفَاةِ أَبِي طَالِبٍ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ أَوْ شَهْرَيْنِ يُفْجَعُ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِمَوْتِ رَفِيْقَةِ دَرْبِهِ وَرَيْحَانَةِ حَيَاتِهِ خَدِيجَةَ بِنْتَ خُوَيْلِدٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- وَهِيَ مَنْ وَقَفَتْ إِلَىٰ جَانِبِهِ فِي أَشَدِّ المَوَاقِفِ عَلَىٰ مَدَىٰ خَمْسَةَ وَعِشْرِيْنَ عَامًا ، وَبَعْدَ كُلِّ هَذَا -أَيُّهَا النَّاسُ- يَلْتَفِتُ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِلَىٰ مَكَّةَ فَلَا يَجِدُ مَنْ يَنْصُرُهُ لِيُبَلِّغَ رِسَالَةَ رَبِّهِ فَيَخْرُجُ إِلَىٰ الطَّائِفِ، وَيَعْرِضُ دَعْوَتَهُ عَلَىٰ ثَقِيْفٍ فَيَرُدُّنَهُ بِأَقْبَحِ رَدٍّ ، فَيَنْصَرِفُ مِنْ عِنْدِهِم هَائِمًا عَلَىٰ وَجْهِهِ ، فَلَمْ يَفِقْ إِلَّا فِي قَرْنِ الثَّعَالِبِ ، وَهُوَ قَرْنُ المَنَازِلِ مِيْقَاتُ أَهْلِ نَجْدٍ .

وَفِي ظِلِّ هَذِهِ الأَجْوَاءِ الكَالِحَةِ، وَالظُّرُوفِ الحَرِجَةِ وَبَعْدَ مُضِيِّ ثِنْتَي

عَشْرَةَ سَنَةً مِنَ البِعْثَةِ ، يَشَاءُ اللهُ اللَّطِيْفُ بِعِبَادِهِ أَنْ يُسَلِّي رَسُولَهُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، وَيُثَبِّتَهُ عَلَىٰ الحَقِّ، فَيَمُنَّ عَلَيْهِ بِرِحْلَةٍ تَارِيْخِيَّةٍ لَمْ يَنَلْ شَرَفَهَا قَبْلَهُ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ .

إِنَّهَا رِحْلَةٌ مُبَارَكَةٌ طَيِّبَةٌ ، بَدَأَتْ بِأَقْدَسِ بِقَاعِ الأَرْضِ ، وَانْتَهَتْ بِأَعْلَىٰ طَبَقَاتِ السَّمَاءِ .

قَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾ [الإِسْرَاءُ:١].

وَالإِسْرَاءُ -أَيُّهَا النَّاسُ- هِيَ الرِّحْلَةُ الأَرْضِيَّةُ مِنْ مَكَّةَ إِلَىٰ بَيْتِ المَقْدِسِ، وَأَمَّا المِعْرَاجُ فَهِيَ الرِّحْلَةُ السَّمَاوِيَّةُ مِنْ بَيْتِ المَقْدِسِ إِلَىٰ السَّمَاوَاتِ العُلَا، ثُمَّ إِلَىٰ سِدْرَةِ المُنْتَهَى، ثُمَّ اللِّقَاءِ بِجَبَّارِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ- سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-(١) .

-أَيُّهَا النَّاسُ- ، لَقَدْ اخْتَلَفَ العُلَمَاءُ فِي وَقْتِ هَذِهِ الرِّحْلَةِ المُبَارَكَةِ، فَقِيْلَ كَانَتْ قَبْلَ الهِجْرَةِ بِسَنَةٍ، وَقِيْلَ بِسِتَّةِ أَشْهُرٍ، وَقِيْلَ كَانَتْ فِي شَهْرِ رَبِيْعٍ أَوَّلَ، وَالمَشْهُورُ أَنَّهَا فِي رَجَبٍ وَخَاصَّةً لَيْلَةَ سَبْعَةَ وَعِشْرِيْنَ ، لَكِنَّهُ لَمْ يَثْبُتْ .

قَالَ الوَادِعِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- : « لَمْ يَثْبُتْ أَنَّهُ أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لَيْلَةَ سَبْعَةَ وَعِشْرِيْنَ مِنْ رَجَبٍ...... وَنُؤْمِنُ بِأَنَّ اللهَ أَكْرَمَ نَبِيَّهُ

(١) خُطْبَةُ «الإِسْرَاءُ وَالمِعْرَاج» لِسَامِي الحُمُود ، مِنَ الشَّبَكَةِ العَنْكَبُوتِيَّةِ .بِتَصَرُّفٍ.

-صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَأُسْرِيَ بِهِ إِلَىٰ بَيْتِ المَقْدِسِ، ثُمَّ عُرِجَ بِهِ إِلَىٰ السَّمَاوَاتِ العُلَىٰ ، وَفَرَضَ اللهُ عَلَيْهِ الفَرَائِضَ ، وَذَلِكُمْ قَبْلَ الهِجْرَةِ نُؤْمِنُ بِهَذَا ، وَلَا يَضُرُّنَا إِذَا جَهِلْنَا وَقْتَهُ ».

وَكَانَتْ الرِّحْلَةُ -أَيُّهَا النَّاسُ- بِالجَسَدِ وَفِي اليَقَظَةِ، وَهَذَا هُوَ الحَقُّ، خِلَافًا لِمَنْ قَالَ : أَنَّ الرِّحْلَةَ كَانَتْ بِالرُّوحِ وَفِي المَنَامِ ، فَهَذَا لَا دَلِيلَ عَلَيْهِ ، وَالَّذِي عَلَيْهِ الدَّلِيلُ أَنَّ الرِّحْلَةَ بِالجَسَدِ وَفِي اليَقَظَةِ .

فَقَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ﴾ [الإِسْرَاءُ:١].

فَكَلِمَةُ ﴿ عَبْدِهِ ﴾ -أَيُّهَا النَّاسُ- تَعْنِي: مَجْمُوعَ الرُّوحِ وَالجَسَدِ، وَلَا تُطْلَقُ عَلَىٰ الرَّوحِ فَقَط ، وَكَذَلِكَ قَوْلُ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-:﴿ سُبْحَٰنَ ﴾ فَالتَّسْبِيحُ إِنَّمَا يَكُونُ عِنْدَ عَظَائِمِ الأُمُورِ ، فَأَيُّهُمَا أَشَدَّ عَظَمَةً وَأَدْعَىٰ إِلَىٰ الإِبْهَارِ وَإِظْهَارِ قُدْرَةِ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- أَنْ تَكُونَ الرِّحْلَةَ بِالجَسَدِ وَالرُّوحِ ، أَمْ أَنْ تَكُونَ مَنَامًا بِالرُّوحِ فَقَطْ [١].

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ -تَعَالَىٰ- : ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ ﴾ [النَّجْمُ :١٧].

وَقَوْلُهُ -تَعَالَىٰ- : ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ ﴾ [النَّجْمُ :١٣].

فَالبَصَرُ مِنْ أَدَوَاتِ الذَّاتِ لَا الرُّوحِ ، كَمَا أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَدْ أَقَرَّ بُوُجُودِ البُرَاقِ الَّذِي انْتَقَلَ بِهِ إِلَىٰ المَسْجِدِ الأَقْصَىٰ وَنَعَتَهُ

(١) مِنْ « شَرِيطِ : إِفَادَةُ النَّبِيهُ بِأَجْوِبَةِ أَسْئِلَةِ بَيْتُ الفَقِيهِ ».

بِصفَاتِهِ ، وَهَذَا يَعْنِي أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَانَ بِرُوْحِهِ وَجَسَدِهِ وَإِلَّا فَمَا حَاجَةُ الرُّوْحِ فَقَطْ إِلَى البُرَاقِ الَّذِي هُوَ مَخْلُوقٌ مَادِيٌّ يَحْتَاجُ إِلَى جَسَدٍ مَادِيٍّ يَرْكَبُهُ ، فَفِي «صَحِيْحِ مُسْلِمٍ»[١] مِنْ حَدِيْثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ : « **فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ الَّتِي يَرْبِطُ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ** » .

أَلَا يَعْنِي هَذَا -أَيُّهَا النَّاسُ- أَنَّهَا رِحْلَةٌ بِالرُّوْحِ وَالجَسَدِ .

ثُمَّ أَنَّ الرِّحْلَةَ إِنَّمَا كَانَتْ بِالرُّوْحِ وَالجَسَدِ هُوَ قَوْلُ الصَّحَابَةِ كَابْنِ عَبَّاسٍ، وَجَابِرٍ ، وَأَنَسٍ ، وَحُذَيْفَةَ ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ ، وَمَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ- وَقَوْلُ جَمَاعَةٍ مِنَ التَّابِعِيْنَ كَالضَّحَّاكِ ، وَسَعِيْدِ بْنِ جُبَيْرٍ، وَقَتَادَةَ وَابْنِ الْمُسَيِّبِ ، وَابْنِ شِهَابٍ، والحَسَنِ ، وَمَسْرُوقٍ، وَمُجَاهِدٍ، وَعِكْرِمَةَ، وَابْنِ جُرَيْجٍ -رَحِمَهُمُ اللهُ- وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ حَنْبَلٍ وَالطَّبَرَانِيِّ وَجَمَاعَةٍ عَظِيْمَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِيْنَ ، وَقَوْلُ أَكْثَرِ الْمُتَأَخِّرِيْنَ مِنَ الفُقَهَاءِ وَالْمُحَدِّثِيْنَ ، وَالْمُتَكَلِّمِيْنَ وَالْمُفَسِّرِيْنَ .

وَبَعْدَ هَذَا الاسْتِطْرَادِ -أَيُّهَا النَّاسُ- أَنْتَقِلُ بِكُمْ إِلَى قِصَّةِ الإِسْرَاءِ وَالمِعْرَاجِ، فَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ»[٢]، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- ، أَنَّ نَبِيَّ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حَدَّثَهُمْ عَنْ لَيْلَةِ أُسْرِيَ

---

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٦٢) .
(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣١٦٤) ، وَمُسْلِمٌ (١٦٣) .

بِهِ قَالَ : « بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ فِي الْحَطِيمِ ، - وَرُبَّمَا قَالَ : فِي الْحِجْرِ - ، مُضْطَجِعًا إِذْ أَتَانِي آتٍ فَقَدَّ ، قَالَ : وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ : فَشَقَّ ، مَا بَيْنَ هَذِهِ إِلَى هَذِهِ ، فَقُلْتُ لِلْجَارُودِ وَهُوَ إِلَى جَنْبِي : مَا يَعْنِي بِهِ ؟ قَالَ : مِنْ ثُغْرَةِ نَحْرِهِ إِلَى شِعْرَتِهِ ، وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ : مِنْ قَصِّهِ إِلَى شِعْرَتِهِ ، فَاسْتُخْرِجَ قَلْبِي ثُمَّ أُتِيتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءٍ إِيمَانًا فَغُسِلَ قَلْبِي ثُمَّ حُشِيَ ثُمَّ أُعِيدَ ، ثُمَّ أُتِيتُ بِدَابَّةٍ دُونَ الْبَغْلِ وَفَوْقَ الْحِمَارِ أَبْيَضَ .

فَقَالَ لَهُ الْجَارُودُ : هُوَ الْبُرَاقُ يَا أَبَا حَمْزَةَ ؟ قَالَ أَنَسٌ : نَعَمْ ، يَضَعُ خَطْوَهُ عِنْدَ أَقْصَى طَرْفِهِ ، فَحُمِلْتُ عَلَيْهِ ، فَانْطَلَقَ بِي جِبْرَئِيلُ حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الدُّنْيَا ، فَاسْتَفْتَحَ ، قِيلَ:مَنْ هَذَا ؟ ، قَالَ : جِبْرَئِيلُ ، قِيلَ : وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ مُحَمَّدٌ ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ: نَعَمْ ، قِيلَ : مَرْحَبًا بِهِ ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ ، فَفُتِحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا فِيهَا آدَمُ ، فَقَالَ : هَذَا أَبُوكَ آدَمُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ السَّلامَ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالابْنِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ ، فَاسْتَفْتَحَ . قِيلَ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : جِبْرَئِيلُ ، قِيلَ : وَمَنْ مَعَكَ ؟ قَالَ : مُحَمَّدٌ ، قِيلَ : وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قِيلَ : مَرْحَبًا بِهِ ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ . فَفُتِحَ ، فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا يَحْيَى وَعِيسَى وَهُمَا ابْنَا خَالَةٍ ، قَالَ : هَذَا يَحْيَى وَعِيسَى فَسَلِّمْ عَلَيْهِمَا ، فَسَلَّمْتُ، فَرَدَّا ثُمَّ قَالا : مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ ، ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ

الثَّالِثَة فَاسْتَفْتَحَ ، قِيلَ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : جِبْرَئِيلُ ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَك ؟ قَالَ : مُحَمَّدٌ، قَالَ : وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ ؟ ، قَالَ : نَعَمْ ، قِيلَ : مَرْحَبًا بِهِ ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ ، فَفُتِحَ ، فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا يُوسُفُ، قَالَ : هَذَا يُوسُفُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، فَرَدَّ ، ثُمَّ قَالَ : مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الرَّابِعَةَ ، فَاسْتَفْتَحَ ، قِيلَ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : جِبْرَئِيل ، قِيلَ : وَمَنْ مَعَكَ ؟ قَالَ : مُحَمَّدٌ ، قِيلَ : أَوَ قَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قِيل : مَرْحَبًا بِهِ ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ . فَفُتِحَ ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا إِدْرِيسُ، قَالَ : هَذَا إِدْرِيسُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ : مَرْحَبًا بَالأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ ، ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الْخَامِسَةَ ، فَاسْتَفْتَحَ ، قِيلَ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : جِبْرَئِيلُ ، قِيلَ : وَمَنْ مَعَكَ ؟ قَالَ : مُحَمَّدٌ ، قِيلَ : وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قِيلَ : مَرْحَبًا بِهِ ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ . فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا هُوَ هَارُونُ ، قَالَ : هَذَا هَارُونُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ : مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ السَّادِسَةَ ، فَاسْتَفْتَحَ ، قِيلَ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : جِبْرِيلُ ، قِيلَ : وَمَنْ مَعَكَ ؟ قَالَ : مُحَمَّدٌ، قِيلَ : قَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ، قِيلَ : مَرْحَبًا بِهِ ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا مُوسَى، قَالَ : هَذَا مُوسَى فَسَلِّمْ عَلَيْهِ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ : مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ ، فَلَمَّا تَجَاوَزْتُ بَكَى

، قِيلَ لَهُ : مَا يُبْكِيكَ ؟ قَالَ : أَبْكِي أَنَّ غُلامًا بُعِثَ بَعْدِي يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِهِ أَكْثَرُ مِمَّنْ يَدْخُلُهَا مِنْ أُمَّتِي، ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ ، قِيلَ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ ، قِيلَ : وَمَنْ مَعَكَ ؟ قَالَ : مُحَمَّدٌ ، قِيلَ : وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ، قِيلَ : مَرْحَبًا بِهِ ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا إِبْرَاهِيمُ ، قَالَ : هَذَا أَبُوكَ إِبْرَاهِيمُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ السَّلامَ ثُمَّ قَالَ : مَرْحَبًا بِالابْنِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ ، ثُمَّ رُفِعْتُ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى فَإِذَا نَبْقُهَا مِثْلُ قِلالِ هَجَرَ ، وَإِذَا وَرَقُهَا مِثْلُ آذَانِ الْفِيَلَةِ ، قَالَ: هَذِهِ سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى ، وَإِذَا أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ نَهْرَانِ بَاطِنَانِ وَنَهْرَانِ ظَاهِرَانِ ، فَقُلْتُ: مَا هَذَانِ يَا جِبْرَئِيلُ ؟، قَالَ : أَمَّا الْبَاطِنَانِ فَنَهْرَانِ فِي الْجَنَّةِ ، وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ فَالنِّيلُ وَالْفُرَاتُ . ثُمَّ رُفِعَ لِي الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ ، ثُمَّ أُتِيتُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ وَإِنَاءٍ مِنْ عَسَلٍ، فَأَخَذْتُ اللَّبَنَ ، فَقَالَ : هِيَ الْفِطْرَةُ أَنْتَ عَلَيْهَا وَأُمَّتُكَ .

ثُمَّ فُرِضَتْ عَلَيَّ الصَّلاةُ ، خَمْسِينَ صَلاةً كُلَّ يَوْمٍ ، فَرَجَعْتُ فَمَرَرْتُ عَلَى مُوسَى ، فَقَالَ : بِمَ أُمِرْتَ ؟ قُلْتُ : أُمِرْتُ بِخَمْسِينَ صَلاةً كُلَّ يَوْمٍ ، قَالَ : إِنَّ أُمَّتَكَ لا تَسْتَطِيعُ خَمْسِينَ صَلاةً كُلَّ يَوْمٍ ، وَإِنِّي وَاللهِ ، قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ ، وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمُعَالَجَةِ ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسَلْهُ التَّخْفِيفَ لأُمَّتِكَ ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا ، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى

فَقَالَ مِثْلَهُ ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا ، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا ، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ ، فَرَجَعْتُ فَأُمِرْتُ بِعَشْرِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْم ، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ ، فَرَجَعْتُ فَأُمِرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْم ، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى ، فَقَالَ : بِمَ أُمِرْتَ؟ قُلْتُ : أُمِرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْم ، قَالَ : إِنَّ أُمَّتَكَ لا تَسْتَطِيعُ خَمْسَ صَلَوَات كُلَّ يَوْم ، وَإِنِّي قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ ، وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمُعَالَجَةِ ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسَلْهُ التَّخْفِيفَ لأُمَّتك ، قَالَ : سَأَلْتُ رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ ، وَلَكِنِّي أَرْضَى وَأُسَلِّمُ ، قَالَ : فَلَمَّا جَاوَزْتُ نَادَى مُنَادٍ : أَمْضَيْتُ فَرِيضَتِي وَخَفَّفْتُ عَنْ عِبَادِي» .

وَأَسْتَغْفِرُ اللهُ .

فَوَائِدُ مِنْ حَادِثَةِ الإِسْرَاءِ وَالمِعْرَاجِ

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ :

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ أَشْرَفِ المُرْسَلِيْنَ ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

أَمَّا بَعْدُ :

فَتَقَدَّمَ الحَدِيْثِ مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنْ «**الإِسْرَاءِ وَالمِعْرَاجِ**» ، وَالآنَ حَدِيْثِي مَعَكُمْ عَنْ « **فَوَائِدُ مِنْ حَادِثَةِ الإِسْرَاءِ وَالمِعْرَاجِ** »[١] .

-أَيُّهَا النَّاسُ- اعْلَمُوا عَلَّمَنِي اللهُ وَإِيَّاكُمْ أَنَّ حَادِثَةَ الإِسْرَاءِ وَالمِعْرَاجِ اشْتَمَلَتْ عَلَىٰ كَثِيْرٍ مِنَ الفَوَائِدِ ، وَهَذَا بَعْضُهَا :

فَمِنْ تِلْكَ الفَوَائِدِ أَنَّ بَيْتَ المَقْدِسِ مُهَاجَرُ كَثِيْرٍ مِنَ الأَنْبِيَاءِ لِهَذَا كَانَ الإِسْرَاءُ بِنَبِيِّنَا -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِلَيْهِ لِيَجْمَعَ لَهُ بَيْنَ أَشْتَاتِ الفَضَائِلِ، فَيُصَلِّي بِالأَنْبِيَاءِ ، وَفِي ذَلِكَ دَلِيْلٌ أَنَّهُمْ لَوْ كَانُوا أَحْيَاءً لَمْ يَسَعْهُمْ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعُوهُ وَفِي ذَلِكَ دَلِيْلٌ عَلَىٰ أَنَّ هَذِهِ الأُمَّةَ أَوْلَىٰ بِالمَسْجِدِ الأَقْصَىٰ مِنْ غَيْرِهَا .

فَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ»[٢]، مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- ، قَالَ:

---

(١) « فَوَائِدُ مِنْ حَادِثَةِ الإِسْرَاءِ» لِمِهْرَان عُثْمَان ، مِنَ الشَّبَكَةِ العَنْكَبُوتِيَّةِ .
(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٢٦٩٩) ، وَمُسْلِمٌ (٢٩٢٢) .

قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ، فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ، فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوِ الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللهِ هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ، إِلَّا الْغَرْقَدَ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ**» .

وَمِنَ فَوَائِدِ الإِسْرَاءِ وَالمِعْرَاجِ -أَيُّهَا النَّاسُ- أَنَّ الهِدَايَةَ مِنَ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- وَأَنَّ مَنْ حَجَبَهَا اللهُ عَنْهُ، فَلَنْ تَجِدَ لَهُ هَادِيًا وَنَصِيرًا، فَفِي «صَحِيْحِ مُسْلِمٍ»[1] مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- ، قَالَ: قَالَ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : «**لَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي الْحِجْرِ وَقُرَيْشٌ تَسْأَلُنِي عَنْ مَسْرَايَ، فَسَأَلَتْنِي عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ لَمْ أُثْبِتْهَا، فَكُرِبْتُ كُرْبَةً مَا كُرِبْتُ مِثْلَهُ قَطُّ، قَالَ: فَرَفَعَهُ اللهُ لِي أَنْظُرُ إِلَيْهِ، مَا يَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَنْبَأْتُهُمْ بِهِ** » .

وَمَعَ ذَلِكَ -أَيُّهَا النَّاسُ- كَذَّبُوهُ وَسَفَّهُوا كَلَامَهُ .

وَمِنَ فَوَائِدِ الإِسْرَاءِ وَالمِعْرَاجِ-أَيُّهَا النَّاسُ- أَنَّ فِي قِصَّةِ المِعْرَاجِ أَنَّ جِبْرِيْلَ -عَلَيْهِ السَّلَامِ- كَانَ يَسْتَفْتِحُ أَبْوَابَ السَّمَاءِ فَيُقَالُ لَهُ :مَنْ ؟ ، فَيَقُولُ: جِبْرِيْلُ، فَفِيْهِ دَلِيْلٌ عَلَىٰ أَنَّ المُسْتَأْذِنَ إِذَا قِيْلَ لَهُ مَنْ؟، سَمَّىٰ نَفْسَهُ بِمَا يُعْرَفُ بِهِ، وَلَا يَقُولُ : أَنَا ، فَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ»[2]، مِنْ حَدِيْثِ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٧٢) .
(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٦٢٥٠) ، وَمُسْلِمٌ (٢١٥٥) .

-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي دَيْنٍ كَانَ عَلَىٰ أَبِي فَدَقَقْتُ الْبَابَ، فَقَالَ : « **مَنْ ذَا ؟** » فَقُلْتُ : أَنَا ، فَقَالَ : « **أَنَا أَنَا كَأَنَّهُ كَرِهَهَا** » .

وَمِنَ فَوَائِدِ الإِسْرَاءِ وَالمِعْرَاجِ -أَيُّهَا النَّاسُ- أَنَّ فِيهِ دَلِيْلٌ عَلَىٰ أَنَّ عُلُوِّ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- عَلَىٰ جَمِيعِ مَخْلُوقَاتِهِ ، فَقَدْ رَأَىٰ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حِجَابَهُ بَعْدَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ .

وَمِنَ فَوَائِدِ الإِسْرَاءِ وَالمِعْرَاجِ-أَيُّهَا النَّاسُ- قُبْحُ الغِيْبَةِ وَبَيَانُ عَاقِبَةِ أَهْلِهَا، فَفِي «سُنَنِ» أَبِي دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ صَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي«صَحِيْحِ الجَامِعِ» [١]، مِنْ حَدِيْثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **لَمَّا عُرِجَ بِي ، مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظَافِرُ مِنْ نُحَاسٍ يَخْمِشُونَ وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ ، فَقُلْتُ : مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ؟، فَقَالَ : هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ** » .

وَمِنَ فَوَائِدِ الإِسْرَاءِ وَالمِعْرَاجِ-أَيُّهَا النَّاسُ- مَكَانَةُ الصَّلَاةِ فِي الإِسْلَامِ ، فَإِنَّ اللهَ اخْتَصَّهَا بِأَنْ فَرَضَهَا عَلَىٰ نَبِيِّهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِلاَ وَسَاطَةٍ، وَقَبْلَ أَنْ أُوَدِّعَ مَقَامِي هَذَا -أَيُّهَا النَّاسُ- أُذَكِّرُكُمْ بِأَنَّ وَاقِعَةَ الإِسْرَاءِ وَالمِعْرَاجِ كَانَتْ قَبْلَ الهِجْرَةِ وَبَعْدَ البِعْثَةِ النَّبَوِيَّةِ لِلنَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ

---

(١)(صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُد (٤٨٧٨) ، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «صَحِيْحِ الجَامِعِ» (٥٢١٣).

وَسَلَّمَ- ، وَمِنْ قَبْلِ الهِجْرَةِ إِلَىٰ وَفَاتِه -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لَمْ يَحْتَفِلْ مُطْلَقًا بِلَيْلَةِ الإِسْرَاءِ وَالمِعْرَاجِ ، وَلَمْ يَأْمُرْ بِه مِنْ بَعْدَهُ مِنَ الخُلَفَاءِ ، بَلْ وَلَمْ يَحْتَفِلِ الخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ بِتِلْكَ اللَّيْلَةِ وَهُمْ خَيْرُ القُرُونِ عَلَىٰ الإِطْلَاقِ ، وَالنَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنْصَحُ النَّاسِ ، وَقَدْ بَلَّغَ البَلَاغَ المُبِيْنَ، وَلَمْ يَتْرُكْ طَرِيْقًا يُوصِلُ إِلَىٰ الجَنَّةِ ، وَيُبَاعِدُ عَنِ النَّارِ إِلَّا بَيَّنَهُ لِلأُمَّةِ ، كَمَا فِي «صَحِيْحِ مُسْلِمٍ»(1) مِنْ حَدِيْثِ عَبْدِ اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **مَا بَعَثَ اللهُ مِنْ نَبِيٍّ إِلاَّ كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيَنْهَاهُمْ عَنْ شَرِّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ** » .

وَاعْلَمُوا -أَيُّهَا النَّاسُ- أَنَّهُ لَوْ كَانَ تَعْظِيْمُ لَيْلَةِ الإِسْرَاءِ وَالمِعْرَاجِ وَالاحْتِفَالِ بِهَا مِنْ دِيْنِ اللهِ لَبَيَّنَ ذَلِكَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَلَفَعَلَ ذَلِكَ ، وَلَمْ يَكْتُمْ هَذَا الأَمْرِ عَنْ أُمَّتِهِ ، وَاللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- قَدْ أَكْمَلَ لَنَا الدِّيْنَ وَأَتَمَّ عَلَيْنَا النِّعْمَةَ، فَمَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَمْ يَعْمَلْهُ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَلَمْ يَشْرَعْهُ اللهُ ، فَقَدْ جَعَلَ مِنْ نَفْسِه مُشَرِّعًا ، وَزَعَمَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- خَانَ الرِّسَالَةَ وَلَمْ يُبَلِّغِ البَلَاغَ المُبِيْنَ .

أَلَمْ يَقُلِ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ﴾ [المَائِدَة: ٣] .

---

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٨٤٤) .

وَقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ ﴾ [الشُّورَىٰ: ٢١].

فَفِي «الصَّحِيْحَيْن»(١)، مِنْ حَدِيْثِ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ، فَهُوَ رَدٌّ**».

وَفِي «رِوَايَةٍ لِمُسْلِم» قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا، فَهُوَ رَدٌّ**».

رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِيْنَ سَبَقُونَا بِالإِيْمَانِ، وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلذِيْنَ آمَنُوا رَبَّنَا، إِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيْمٌ.

رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيْرُ.

وَسُبْحَانَكَ اللهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ.

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٢٦٩٧)، وَمُسْلِمٌ (١٧١٨).

١٥ بَيْعَةُ العَقَبَةُ الأُولَى

الخُطْبَةُ الأُولَى[1]:

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ،نَحْمِدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلِ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾[النِّسَاء:١] .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأَحْزَاب:٧٠-٧١] .

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ

مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ :

فَمَا زَالَ الحَدِيثُ مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنِ السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ عَلَىٰ صَاحِبِهَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -، وَحَدِيثِي مَعَكُمْ اليَوْمَ عَنْ « **بَيْعَةِ العَقَبَةِ الأُولَى**» (١) .

فَبَعْدَ سِنِينَ طَوِيلَةٍ قَضَاهَا النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-أَيُّهَا النَّاسُ- فِي جِهَادٍ دَائِمٍ، وَعَمَلٍ مُتَوَاصِلٍ، لَا يَعْرِفُ الكَلَلَ وَلَا المَلَلَ، وَهُوَ يَطُوفُ عَلَىٰ القَبَائِلِ ، مُبَلِّغًا دَعْوَةَ رَبِّهِ ، مُلْتَمِسًا الحَلِيفَ وَالنَّصِيرَ ، مُلَاقِيًا فِي سَبِيلِ ذَلِكَ صُنُوفَ الأَذَىٰ والصَّدِّ وَالإِعْرَاضِ ، أَرَادَ اللهُ إِتْمَامَ أَمْرِهِ وَنَصْرِ دِينِهِ ، وَإِعْزَازَ نَبِيِّهِ ، فَكَانَتْ البِدَايَةُ وَنُقْطَةُ التَّحَوُّلِ الحَاسِمَةُ وَبَصِيصُ النُّورِ الَّذِي أَطَلَّ مِنْ بَيْنِ رُكَامِ الظُّلُمَاتِ عِنْدَمَا قَيَّضَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - أُولَئِكَ النَّفَرَ السِّتَّةَ مِنْ أَهْلِ المَدِينَةِ وَهُمْ أَبُو أُمَامَةَ أَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ ، وَعَوْفُ بْنُ الحَارِثِ، وَرَافِعُ بْنُ مَالِكٍ ، وَقُطْبَةُ بْنُ عَامِرٍ، وَعُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ، وَجَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ رِئَابٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ- كُلُّهُمْ مِنَ الأَنْصَارِ سِيَّمَا الخَزْرَجُ ، وَهَؤُلَاءِ النَّفَرُ السِّتَّةُ الْتَقَىٰ بِهِمْ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي مَوْسِمِ الحَجِّ مِنَ السَّنَةِ الحَادِيَةَ عَشْرَةَ لِلبَعْثَةِ ، وَعَرَضَ عَلَيْهِمُ الإِسْلَامَ ، فَاسْتَجَابُوا لِدَعْوَتِهِ وَأَسْلَمُوا .

وَكَانَ هَذَا المَوْكَبُ -أَيُّهَا النَّاسُ- أَوَّلَ مَوَاكِبِ الخَيْرِ الَّتِي هَيَّأَتْ لِلإِسْلَامِ

---

(١) انْظُرْ : « نَاصِرُ الأَحْمَد » « بَيْعَةُ العَقَبَةُ الأُولَىٰ » ، المَنْشُور عَلَىٰ الشَّبَكَةِ العَنْكَبُوتِيَّةِ .

أَرْضًا جَدِيْدَةً ، وَمَلاذًا آمِنًا حَيْثُ لَمْ يَكْتَفِ هَؤُلاَءِ النَّفَرُ بِالإِيْمَانِ ، وَإِنَّمَا أَخَذُوا العَهْدَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ بِدَعْوَةِ أَهْلِهِمْ وَأَقْوَامِهِمْ ، وَرَجَعُوا إِلَىٰ المَدِيْنَةِ وَهُمْ يَحْمِلُونَ رِسَالَةَ الإِسْلَامِ ، حَتَّىٰ لَمْ يَبْقَ دَارٌ مِنْ دُوْرِ الأَنْصَارِ إِلَّا وَفِيْهَا ذِكْرٌ لِرَسُولِ اللهِ –صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– .

فَلَمَّا كَانَ مَوْسِمُ الحَجِّ الْعَامُ الْمُقْبِلُ –أَيُّهَا النَّاسُ– جَاءَ إِلَىٰ المَوْسِمِ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا مِنَ المُؤْمِنِيْنَ عَشَرَةٌ مِنَ الخَزْرَجِ وَاثْنَانِ مِنَ الأَوْسِ ، وَهُمْ السِّتَّةُ الْأُوَلُ خَلَا جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ – وَمَعَهُمْ مُعَاذُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ رِفَاعَةَ – أَخُو عَوْفٍ الْمُتَقَدِّمُ – وَذَكْوَانُ بْنُ عَبْدِ قَيْسٍ – وَعُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ ، وَيَزِيْدُ بْنُ ثَعْلَبَةَ، فَهَؤُلاَءِ عَشَرَةٌ مِنَ الخَزْرَجِ وَاثْنَانِ مِنَ الأَوْسِ ، وَهُمَا مَالِكُ بْنُ التَّيْهَانِ ، وَعُوَيْمِرُ بْنُ سَاعِدَةَ .

فَبَايَعُوا رَسُولَ اللهِ –صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– كَبَيْعَةِ النِّسَاءِ دُوْنَ قِتَالٍ، لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ أَمْرٌ بِالقِتَالِ ، بَعْدَ كَمَا كَانَتْ بَيْعَةُ النِّسَاءِ ، وَبَيْعَةُ النِّسَاءِ –أَيُّهَا النَّاسُ– كَانَتْ بَعْدَ الحُدَيْبِيَةِ ، وَهِيَ المَذْكُورَةُ فِي قَوْلِهِ –تَعَالَىٰ– : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ ۙ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [المُمْتَحِنَةُ:١٢] .

وَهَا هُوَ عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ–رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– يُحَدِّثُنَا كَيْفَ كَانَتْ بَيْعَةُ

العَقَبَة الأُولَىٰ كما جاءَ في«الصَّحيحَيْن»[١]، قالَ: كُنْتُ فِيمَنْ حضَرَ الْعَقَبَةَ الْأُولَىٰ ،وكُنَّا اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا، فَبَايَعْنَا رَسُولَ اللهِ-صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلَىٰ بَيْعَةِ النِّسَاءِ ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ تُفْتَرَضَ الْحَرْبُ عَلَىٰ أَنْ لا نُشْرِكَ باللهِ شَيْئًا، وَلا نَسْرِقَ ، وَلا نَزْنِيَ ، وَلا نَقْتُلَ أَوْلادَنَا ، وَلا نَأْتِيَ بِبُهْتَانٍ نَفْتَرِهِ بَيْنَ أَيْدِينَا وَأَرْجُلِنَا ، وَلا نَعْصِيَهُ فِي مَعْرُوفٍ ، فَإِنْ وَفَّيْتُمْ ، فَلَكُمُ الْجَنَّةُ ، وَإِنْ غَشِيتُمْ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا ، فَأَمْرُكُمْ إِلَىٰ اللهِ ، إِنْ شَاءَ عَذَّبَكُمْ ، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَكُمْ .

وَفِي رِوَايَةٍ قَالَ : عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- كما جاءَ في «الصَّحيحَيْن»[٢]، أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ : «**تَعَالَوْا بَايِعُونِي عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللهِ شَيْئًا،وَلَا تَسْرِقُوا ،وَلَا تَزْنُوا، وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ، وَلَا تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ،وَلَا تَعْصُونِي فِي مَعْرُوفٍ، فَمَنْ وَفَّى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ بِهِ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ لَهُ كَفَّارَةٌ ،وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَسَتَرَهُ اللهُ فَأَمْرُهُ إِلَى اللهِ ، إِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ ،وَإِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ** » ، قَالَ : فَبَايَعْتُهُ عَلَىٰ ذَلِكَ .

فَلَمَّا انْصَرَفَ عَنْهُ الْقَوْمُ ، بَعَثَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مَعَهُمْ مُصْعَبَ بْنَ عُمَيْرٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُقْرِئَهُمْ الْقُرْآنَ ، وَيُعَلِّمَهُمْ الْإِسْلَامَ ، وَيُفَقِّهَهُمْ فِي الدِّينِ ، ويَدْعُو إِلَىٰ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - فَأَقَامَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- فِي بَيْتِ أَسْعَدِ بْنِ زُرَارَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- يُعَلِّمُ النَّاسَ

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٨٩٣) ، وَمُسْلِمٌ (١٧٠٩) .
(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٨٩٣) ، وَمُسْلِمٌ (١٧٠٩) .

وَيَدْعُو إِلَىٰ اللهِ وَتَمَكَّنَ خِلَالَ أَشْهُرٍ مَعْدُودَةٍ مِنْ أَنْ يَنْشُرُ الإِسْلَامَ فِي سَائِرِ بُيُوتِ المَدِيْنَةِ ، وَأَسْلَمَ عَلَىٰ يَدَيْهِ بَشَرٌ كَثِيْرٌ مِنْهُمْ : أُسَيْدُ بْنُ الْحُضَيْرِ ، وَسَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ ، وَأَسْلَمَ بِإِسْلَامِهِمَا يَوْمَئِذٍ جَمِيعُ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ، إِلَّا الأُصَيْرِمَ وَهُوَ عَمْرُو بْنُ ثَابِتٍ ، فَإِنَّهُ تَأَخَّرَ إِسْلَامُهُ إِلَىٰ يَوْمِ أُحُدٍ .

وَلَمْ تَبْقَ دَارٌ مِنْ دُورِ الْأَنْصَارِ إِلَّا وَفِيهَا رِجَالٌ وَنِسَاءٌ مُسْلِمُونَ ، وَعَادَ مِصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- إِلَىٰ مَكَّةَ قُبَيْلَ الْمَوْسِمِ الْمُقْبِلِ يَحْمِلُ بَشَائِرَ الخَيْرِ ، وَيُخْبِرُ النَّبِيَّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِمَا لَقِيَهُ الإِسْلَامُ فِي المَدِيْنَةِ مِنْ قُبُولٍ حَسَنٍ ، وَأَنَّهُ سَوْفَ يَرَىٰ فِي هَذَا المَوْسِمِ مَا تَقَرُّ بِهِ عَيْنُهُ وَيُسَرُّ بِهِ فُؤَادُهُ.

وَهُنَا -أَيُّهَا النَّاسُ- وَقْفَةٌ لَابُدَّ مِنْهَا وَهِيَ أَنَّ اخْتِيَارُ الرَّسُولِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لِلمَدِيْنَةِ وَأَهْلِهَا لِحَمْلِ الرِّسَالَةِ ، وَنَيْلِ شَرَفِ النُّصْرَةِ، لِأَنَّهَا كَانَتْ تَعِيْشُ ظُرُوفًا خَاصَّةً رَشَّحَتْهَا لاحْتِضَانِ دَعْوَةِ الإِسْلَامِ ، فَقَدْ كَانَ التَّطَاحُنُ -أَيُّهَا النَّاسُ- وَكَذَلِكَ التَّشَاحُنُ بَيْنَ الأَوْسِ وَالخَزْرَجِ عَلَىٰ أَشُدِّهِ، حَتَّىٰ قَامَتْ بَيْنَهُمْ الحُرُوبُ الطَّاحِنَةُ الَّتِي أَنْهَكَتْ قُوَاهُمْ، وَأَوْهَنَتْ عَزَائِمَهُ، كَيَوْمِ بُعَاثَ وَغَيْرِهِ ، مِمَّا جَعَلَهُمْ يَتَطَلَّعُونَ إِلَىٰ أَيِّ دَعْوَةٍ جَدِيْدَةٍ تَكُونُ سَبَبًا لِوَضْعِ الحُرُوبِ وَالمَشَاكِلِ فِيْمَا بَيْنَهُمْ ، وَيُمْكِنُ أَنْ نُلَاحِظَ ذَلِكَ مِنْ خِلَالِ قَوْلِ أُوْلَئِكَ النَّفَرِ السِّتَّةِ : « إِنَّا قَدْ تَرَكْنَا قَوْمَنَا ، وَلَا قَوْمَ بَيْنَهُمْ مِنَ الْعَدَاوَةِ وَالشَّرِّ مَا بَيْنَهُمْ ، فَعَسَىٰ أَنْ يَجْمَعَهُمْ اللهُ بِكَ ، فَسَنَقْدَمُ عَلَيْهِمْ، فَنَدْعُوهُمْ إِلَىٰ أَمْرِكَ ، وَتَعْرِضُ عَلَيْهِمْ الَّذِي أَجَبْنَاكَ إِلَيْهِ مِنْ هَذَا الدِّينِ ،

فَإِنْ يَجْمَعْهُمْ اللهُ عَلَيْهِ فَلَا رَجُل أَعَزُّ مِنْك » .

كَمَا أَنَّ هَذِهِ الحُرُوب -أَيُّهَا النَّاسُ- كَانَتْ قَدْ أَفْنَتْ كِبَارَ زُعَمَائِهِمْ وَقَادَتِهِمْ ، مِمَّنْ كَانَ نُظَرَاؤُهُمْ فِي مَكَّةَ وَالطَّائِف وَغَيْرِهِمَا حَجَرَ عَثْرَةٍ فِي سَبِيْلِ الدَّعْوَةِ ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا القِيَادَةُ الشَّابَّةُ الجَدِيْدَةُ المُسْتَعِدَّةُ لِقُبُولِ الحَقِّ ، زِدْ عَلَىٰ ذَلِكَ عَدَمَ وُجُودِ قِيَادَةٍ بَارِزَةٍ يَتَوَاضَعُ الجَمِيْعُ عَلَى التَّسْلِيْمِ لَهَا ، فَكَانُوا بِحَاجَةٍ إِلَىٰ مَنْ يَأْتَلِفُونَ عَلَيْهِ ، وَيَلْتَئِمُ شَمْلُهُمْ تَحْتَ ظِلِّهِ .

وَمِنَ المَعْرُوفِ -أَيُّهَا النَّاسُ- أَنَّ اليَهُودَ كَانُوا يَسْكُنُونَ المَدِيْنَةَ مِمَّا جَعَلَ الأَوْسَ وَالخَزْرَجَ عَلَىٰ اطِّلَاعٍ عَلَىٰ أَمْرِ الرِّسَالَةِ السَّمَاوِيَّةِ بِحُكْمِ الجِوَارِ ، بَلْ كَانَ اليَهُودُ يُخَوِّفُونَهُمْ بِقُرْبِ مَبْعَثِ نَبِيٍّ يُقَاتِلُونَهُمْ مَعَهُ، فَكَانُوا يَقُولُونَ: سَيُبْعَثُ نَبِيٌّ فِي آخِرِ الزَّمَانِ نَقْتُلُكُمْ مَعَهُ قَتْلَ عَادٍ وَإِرَمَ ، وَكَانُوا يَدْعُونَ بَيْنَ يَدَيْ قِتَالِهِمْ مَعَ العَرَبِ بِقَوْلِهِمْ : « اَللَّهُمَّ انْصُرْنَا عَلَيْهِمْ بِالنَّبِيِّ المَبْعُوثِ آخِرَ الزَّمَانِ » ، فَلَمَّا ظَهَرَ النَّبِيُّ مِنْ غَيْرِ بَنِي إِسْرَائِيْلَ كَفَرُوا بِهِ ، كَمَا قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ **وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾** ﴾ [البَقَرَةُ:٨٩].

وَلَمَّا وَصَلَتْ دَعْوَةُ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- إِلَىٰ الأَنْصَارِ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: « تَعْلَمُونَ وَاللهِ يَا قَوْمِ أَنَّ هَذَا الَّذِي تَوَعَّدَكُمْ بِهِ يَهُودُ فَلَا يَسْبِقُنَّكُمْ إِلَيْهِ».

وَأَسْتَغْفِرُ اللهُ .

بَيْعَةُ العَقَبَةُ الثَّانِيَةِ

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ :

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ أَشْرَفِ المُرْسَلِيْنَ ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

أَمَّا بَعْدُ :

فَتَقَدَّمَ الحَدِيْثِ مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنْ « **بَيْعَةِ العَقَبَةِ الأُوْلَى** » ، وَالآنَ حَدِيْثِي مَعَكُمْ عَنْ « **بَيْعَةِ العَقَبَةِ الثَّانِيَةِ** » .

فَفِي «مُسْنَدِ» أَحْمَدُ بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ صَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي «فِقْهِ السِّيْرَةِ» [١]، عَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ : « ... فَنِمْنَا تِلْكَ اللَّيْلَةَ مَعَ قَوْمِنَا فِي رِحَالِنَا ، حَتَّىٰ إِذَا مَضَىٰ ثُلُثُ اللَّيْلِ خَرَجْنَا مِنْ رِحَالِنَا لِمِيعَادِ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىَ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- نَتَسَلَّلُ مُسْتَخْفِينَ تَسَلُّلَ الْقَطَا ، حَتَّىٰ اجْتَمَعْنَا فِي الشِّعْبِ عِنْدَ الْعَقَبَةِ وَنَحْنُ سَبْعُونَ رَجُلًا وَمَعَنَا امْرَأَتَانِ مِنْ نِسَائِهِمْ ، نَسِيبَةُ بِنْتُ كَعْبٍ أُمُّ عُمَارَةَ إِحْدَىٰ نِسَاءِ بَنِي مَازِنِ بْنِ النَّجَّارِ ، وَأَسْمَاءُ بِنْتُ عَمْرِو بْنِ عَدِيِّ بْنِ ثَابِتٍ ، إِحْدَىٰ نِسَاءِ بَنِي سَلِمَةَ وَهِيَ أُمُّ مَنِيعٍ.

(١) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ أَخْرَجَهُ أَحْمَد (٣/ ٤٦٠)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «فِقْهِ السِّيْرَةِ» (١٤٩) .

قَالَ: فَاجْتَمَعْنَا بِالشِّعْبِ نَنْتَظِرُ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حَتَّىٰ جَاءَنَا وَمَعَهُ يَوْمَئِذٍ عَمُّهُ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَهُوَ يَوْمَئِذٍ عَلَىٰ دِينِ قَوْمِهِ، إِلَّا أَنَّهُ أَحَبَّ أَنْ يَحْضُرَ أَمْرَ ابْنِ أَخِيهِ وَيَتَوَثَّقُ لَهُ، فَلَمَّا جَلَسْنَا كَانَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَوَّلَ مُتَكَلِّمٍ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْخَزْرَجِ، قَالَ: -وَكَانَتِ الْعَرَبُ مِمَّا يُسَمُّونَ هَذَا الْحَيَّ مِنَ الْأَنْصَارِ الْخَزْرَجَ أَوْسَهَا وَخَزْرَجَهَا- إِنَّ مُحَمَّدًا مِنَّا حَيْثُ قَدْ عَلِمْتُمْ وَقَدْ مَنَعْنَاهُ مِنْ قَوْمِنَا مِمَّنْ هُوَ عَلَىٰ مِثْلِ رَأْيِنَا فِيهِ وَهُوَ فِي عِزٍّ مِنْ قَوْمِهِ وَمَنَعَةٍ فِي بَلَدِهِ، قَالَ: فَقُلْنَا قَدْ سَمِعْنَا مَا قُلْتَ، فَتَكَلَّمْ يَا رَسُولَ اللهِ فَخُذْ لِنَفْسِكَ وَلِرَبِّكَ مَا أَحْبَبْتَ.

قَالَ: فَتَكَلَّمَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَتَلَا وَدَعَا إِلَىٰ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَرَغَّبَ فِي الْإِسْلَامِ، قَالَ: أُبَايِعُكُمْ عَلَىٰ أَنْ تَمْنَعُونِي مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ نِسَاءَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ، قَالَ: فَأَخَذَ الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ: نَعَمْ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، لَنَمْنَعَنَّكَ مِمَّا نَمْنَعُ مِنْهُ أُزُرَنَا، فَبَايِعْنَا يَا رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَنَحْنُ أَهْلُ الْحُرُوبِ وَأَهْلُ الْحَلْقَةِ وَرِثْنَاهَا كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ.

قَالَ: فَاعْتَرَضَ الْقَوْلَ وَالْبَرَاءُ يُكَلِّمُ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَبُو الْهَيْثَمِ بْنُ التَّيِّهَانِ حَلِيفُ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الرِّجَالِ حِبَالًا، وَإِنَّا قَاطِعُوهَا -يَعْنِي الْعُهُودَ- فَهَلْ عَسَيْتَ إِنْ نَحْنُ فَعَلْنَا ذَلِكَ ثُمَّ أَظْهَرَكَ اللهُ أَنْ تَرْجِعَ إِلَىٰ قَوْمِكَ وَتَدَعَنَا؟.

قَالَ: فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ثُمَّ قَالَ: « **بَلِ الدَّمَ**

الدَّمَ وَالْهَدْمَ الْهَدْمَ ، أَنَا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مِنِّي ، أُحَارِبُ مَنْ حَارَبْتُمْ ، وَأُسَالِمُ مَنْ سَالَمْتُمْ».

وَفِي«مُسْنَدِ» أَحْمَدُ وَمُسْتَدْرَكِ الحَاكِمِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ (١)،مِنْ حَدِيْثِ جَابِرِ ابْنِ عَبْدِ اللهِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا -قَالَ: « فَقُلْنَا: حَتَّىٰ مَتَىٰ نَتْرُكُ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يُطْرَدُ فِي جِبَالِ مَكَّةَ وَيَخَافُ؟، فَرَحَلَ إِلَيْهِ مِنَّا سَبْعُونَ رَجُلًا ، حَتَّىٰ قَدِمُوا عَلَيْهِ فِي الْمَوْسِمِ ، فَوَاعَدْنَاهُ شِعْبَ الْعَقَبَةِ ، فَاجْتَمَعْنَا عَلَيْهِ مِنْ رَجُلٍ وَرَجُلَيْنِ، حَتَّىٰ تَوَافَيْنَا ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، نُبَايِعُكَ ؟، قَالَ: «تُبَايِعُونِي عَلَىٰ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي النَّشَاطِ وَالْكَسَلِ، وَالنَّفَقَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ ، وَعَلَىٰ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَأَنْ تَقُولُوا فِي اللهِ ، لَا تَخَافُونَ فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ ، وَعَلَىٰ أَنْ تَنْصُرُونِي ، فَتَمْنَعُونِي إِذَا قَدِمْتُ عَلَيْكُمْ مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ أَنْفُسَكُمْ وَأَزْوَاجَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ ، وَلَكُمُ الْجَنَّةُ ».

قَالَ : فَقُمْنَا إِلَيْهِ فَبَايَعْنَاهُ . وَأَخَذَ بِيَدِهِ أَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ ، وَهُوَ مِنْ أَصْغَرِهِمْ، فَقَالَ : رُوَيْدًا يَا أَهْلَ يَثْرِبَ ، فَإِنَّا لَمْ نَضْرِبْ أَكْبَادَ الْإِبِلِ إِلَّا وَنَحْنُ نَعْلَمُ ، أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَإِنَّ إِخْرَاجَهُ الْيَوْمَ مُفَارَقَةُ الْعَرَبِ كَافَّةً ، وَقَتْلُ خِيَارِكُمْ ، وَأَنَّ تَعَضَّكُمُ السُّيُوفُ ، فَإِمَّا أَنْتُمْ قَوْمٌ تَصْبِرُونَ عَلَىٰ

(١)(حَسَنٌ)أَخْرَجَهُ أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ(٣/ ٣٢٢-٣٣٩-٣٤٠)،بِسَنَدٍ حَسَنٍ، وَمُسْتَدْرِكُ الحَاكِمِ (٢/ ٦٢٤-٦٢٥)، وَصَحَّحَهُ وَأَقَرَّهُ الذَّهَبِيُّ .وَالسِّيرَةُ لابْنِ كَثِيرٍ(٢/ ١٩٦) وَصَحَّحَهُ عَلَىٰ شَرْطِ مُسْلِمٍ، وَيَرَىٰ ابْن حَجَرٍ أَنَّ فِيْهِ عِلَّةُ تَدْلِيس أَبِي الزُّبَيْر، وَقَدْ عَنْعَنَ وَيَقُولُ:فَلَعَلَّ تَصْحِيْحه أَوْ تَحْسِيْنهُ بِالنَّظَرِ فِي الشَّوَاهِدِ «فَتْحُ البَارِيِّ»(٧/ ٢٢٢-٢٢٣).

ذَلِكَ ، وَأَجْرُكُمْ عَلَىٰ اللهِ ، وَإِمَّا أَنْتُمْ قَوْمٌ تَخَافُونَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ جبِينَةً ، فَبَيِّنُوا ذَلِكَ ، فَهُوَ عُذْرٌ لَكُمْ عِنْدَ اللهِ .

قَالُوا : أَمِطْ عَنَّا يَا أَسْعَدُ ، فَوَاللهِ لَا نَدَعُ هَذِهِ الْبَيْعَةَ أَبَدًا ، وَلَا نَسْلُبُهَا أَبَدًا، قَالَ: فَقُمْنَا إِلَيْهِ فَبَايَعْنَاهُ ، فَأَخَذَ عَلَيْنَا وَشَرَطَ ، وَيُعْطِينَا عَلَىٰ ذَلِكَ الْجَنَّةَ.

فَلَمَّا نَظَرَ الْعَبَّاسُ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- فِي وُجُوهِ وَفْدِ الأَنْصَارِ ثُمَّ قَالَ : هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لا أَعْرِفُهُمْ ، هَؤُلاءِ أَحْدَاثٌ ، مِمَّا يَدُلُّ عَلَىٰ غَلَبَةِ الشَّبَابِ عَلَىٰ الوَفْدِ ».

وَهَكَذَا -أَيُّهَا النَّاسُ- بَايَعَ الأَنْصَارُ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلَىٰ الطَّاعَةِ وَالنُّصْرَةِ وَالحَرْبِ ، لِذَلِكَ سَمَّاهَا عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- بَيْعَةَ الحَرْبِ ، كَمَا فِي «مُسْنَدِ» أَحْمَدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ [١] ، قَالَ الحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ -رَحِمَهُ اللهُ-:« وَاخْتَارَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنْهُمْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا ، وَهُمْ : أَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ، وَسَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ ، ورافع بن مالك ، وَالْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ حَرَامٍ وَالِدُ جَابِرٍ ، وَكَانَ إِسْلَامُهُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ ، وَسَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، وَالْمُنْذِرُ بْنُ عَمْرٍو ، وَعُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ ، فَهَؤُلَاءِ تِسْعَةٌ مِنَ الْخَزْرَجِ، وَثَلَاثَةٌ مِنَ الأَوْسِ : أُسَيْدُ بْنُ الْحُضَيْرِ وَسَعْدُ بْنُ خَيْثَمَةَ وَرِفَاعَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُنْذِرِ. وَقِيلَ بَلْ أَبُو الْهَيْثَمِ بْنُ التَّيْهَانِ مَكَانَهُ.

---

(١) (صَحِيحٌ) أَخْرَجَهُ أَخْرَجَهُ أَحْمَد (٥/ ٣١٦) .

وَالْمَرْأَتَانِ فَأُمُّ عُمَارَةَ نَسِيبَةُ بِنْتُ كَعْبِ بْنِ عَمْرٍو وَهِيَ الَّتِي قَتَلَ مُسَيْلِمَةُ ابْنَهَا حَبِيبَ بْنَ زَيْدٍ وَأَسْمَاءُ بِنْتُ عَمْرِو بْنِ عَدِيٍّ.

فَلَمَّا تَمَّتْ هَذِهِ الْبَيْعَةُ -أَيُّهَا النَّاسُ- اسْتَأْذَنُوا رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنْ يَمِيلُوا عَلَىٰ أَهْلِ الْعَقَبَةِ، فَلَمْ يَأْذَنْ لَهُمْ فِي ذَلِكَ، بَلْ أَذِنَ لِلْمُسْلِمِينَ بَعْدَهَا مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ فِي الهِجْرَةِ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ، فَبَادَرَ النَّاسُ إِلَىٰ ذَلِكَ [١].

رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا، رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَىٰ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا، رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ، وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا، أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَىٰ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ.

وَسُبْحَانَكَ اللهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ.

---

(١) «الفُصُولُ فِي سِيرَةِ الرَّسُولِ» لابْنِ كَثِيرٍ (٧٣-٧٤).

١٦ الهِجْرَةُ إِلَى المَدِيْنَةِ

الخُطْبَةُ الأُوْلَى:

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمِدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النِّسَاء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأَحْزَاب: ٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ

مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ :

فَمَا زَالَ الحَدِيْثُ مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنِ السِّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ عَلَىٰ صَاحِبِهَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -، وَحَدِيْثِي مَعَكُمْ اليَوْمَ عَنْ « **هِجْرَةِ الرَّسُولِ -صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِلَى المَدِيْنَةِ** » .

-أَيُّهَا النَّاسُ- لَقَدْ مَكَثَ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي مَكَّةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً يَدْعُو قَوْمَهُ إِلَىٰ عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ ، وَتَرْكِ مَا كَانُوا عَلَيْهِ وَآبَاءَهُمْ، مِنْ عِبَادَةِ الأَصْنَامِ، فَاسْتَجَابَ لَهُ قِلَّةٌ قَلِيْلَةٌ مِنَ السَّابِقِيْنَ الأَوَّلِيْنَ، وَلَقَوْ فِي ذَاتِ اللهِ مِنَ الأَذَىٰ وَالعَنَتَ مَا اللهُ بِهِ عَلِيْمٌ ، فَنَدَبَهُمْ لِلهِجْرَةِ إِلَىٰ الحَبَشَةِ، لِيَأْمَنُو عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ، وَعَلَىٰ دِيْنِهِمْ مِنَ الفِتَنِ، وَبَقِيَ هُوَ وَنَفَرٌ مَعَهُ، صَابِرًا عَلَىٰ أَذَىٰ قُرَيْشٍ، حَتَّىٰ بَلَغَ السَّيْلُ الزُّبَىٰ بِمَوْتِ عَمِّهِ أَبِي طَالِبِ الَّذِي كَانَ يَحْمِيْهِ ، وَزَوْجُهُ خَدِيْجَةُ- رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- الَّتِي كَانَ تُسَلِّيْهِ ، فَجَعَلَ يَعْرِضُ نَفْسَهُ عَلَىٰ قَبَائِلِ العَرَبِ فِي مَوْسِمِ الحَجِّ حَتَّىٰ شَرَحَ اللهُ صُدُورَ طَائِفَةٍ مِنَ الأَوْسِ وَالخَزْرَجِ ، فَآمَنُوا بِهِ ، وَبَايَعُوهُ بَيْعَتَيْ العَقَبَةِ الأُوْلَىٰ وَالثَّانِيَةِ ، عَلَىٰ أَنْ يَمْنَعُوهُ مِمَّا يَمْنَعُونَ مِنْهُ أُزَرَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ، إِنْ هُوَ قَدِمَ عَلَيْهِمْ ، وَدَعُوهُ لِلهِجْرَةِ إِلَيْهِمْ وَوَعَدُوهُ بِالنُّصْرَةِ وَالطَّاعَةِ وَوَعَدَهُمْ بِالجَنَّةِ .

وَلَمْ يَكُنْ اخْتِيَارُ المَدِيْنَةِ مُهَاجِرًا لِرَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -أَيُّهَا النَّاسُ- إِلَّا بِوَحِيٍ إِلَهِيٍّ .

فَفِي «الصَّحِيْحَيْن»(١)، مِنْ حَدِيْث أَبِي مُوسَىٰ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «**أُرِيتُ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أُهَاجِرُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى أَرْضٍ بِهَا نَخْلٌ، فَذَهَبَ وَهَلِي- أَيْ اعْتِقَادِي- إِلَى أَنَّهَا الْيَمَامَةُ، أَوْ هَجَرُ، فَإِذَا هِيَ الْمَدِينَةُ يَثْرِبُ**» .

فَفِي «صَحِيْح البُخَارِيُّ» (٢) مِنْ حَدِيْثِ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- زَوْجَ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «**إِنِّي أُرِيتُ دارَ هِجْرَتِكُمْ، ذاتَ نَخْلٍ بَيْنَ لَابَتَيْنِ**» ، وَهُما الْحَرَّتانِ، فَهاجَرَ مَنْ هاجَرَ قِبَلَ الْمَدِينَةِ، وَرَجَعَ عامَّةُ مَنْ كانَ هاجَرَ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ إِلىٰ الْمَدِينَةِ، وَتَجَهَّزَ أَبُو بَكْرٍ قِبَلَ الْمَدِينَةِ، فقالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عَلَىٰ رِسْلِكَ؛ فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُؤْذَنَ لِي**». فقالَ أَبُو بَكْرٍ: وَهَلْ تَرْجُو ذَلِك بِأَبِي أَنْتَ؟.

قالَ: «**نَعَمْ**». فَحَبَسَ أَبُو بَكْرٍ نَفْسَهُ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لِيَصْحَبَهُ، وَعَلَفَ رَاحِلَتَيْنِ كَانَتَا عِنْدَهُ وَرَقَ السَّمُرِ -وَهُوَ الْخَبَطُ- أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ.

قَالَ ابْنُ شِهَابٍ : قَالَ عُرْوَةُ : قَالَتْ عَائِشَةُ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- : فَبَيْنَمَا نَحْنُ يَوْمًا جُلُوسٌ فِي بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ ،قَالَ قَائِلٌ لِأَبِي بَكْرٍ:

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٦٢٢) ، وَمُسْلِمٌ (٢٢٧٢) .
(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٩٠٦) .

هَذَا رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مُتَقَنِّعًا فِي سَاعَةٍ لَمْ يَكُنْ يَأْتِينَا فِيهَا، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: فِدَاءٌ لَهُ أَبِي وَأُمِّي ،وَاللهِ مَا جَاءَ بِهِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ إِلَّا أَمْرٌ ، قَالَتْ: فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَاسْتَأْذَنَ فَأُذِنَ لَهُ، فَدَخَلَ فَقَالَ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -لِأَبِي بَكْرٍ أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : إِنَّمَا هُمْ أَهْلُكَ ،بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ ،قَالَ : فَإِنِّي قَدْ أُذِنَ لِي فِي الْخُرُوجِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصَّحَابَةُ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ ،قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- نَعَمْ .

قَالَ أَبُو بَكْرٍ : فَخُذْ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ إِحْدَىٰ رَاحِلَتَيَّ هَاتَيْنِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : بِالثَّمَنِ، قَالَتْ عَائِشَةُ : فَجَهَّزْنَاهُمَا أَحَثَّ الْجِهَازِ ،وَصَنَعْنَا لَهُمَا سُفْرَةً فِي جِرَابٍ.فَقَطَعَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ قِطْعَةً مِنْ نِطَاقِهَا، فَرَبَطَتْ بِهِ عَلَىٰ فَمِ الْجِرَابِ ،فَبِذَلِكَ سُمِّيَتْ ذَاتَ النِّطَاقَيْنِ.

قَالَتْ : ثُمَّ لَحِقَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَأَبُو بَكْرٍ بِغَارٍ فِي جَبَلِ ثَوْرٍ، فَكَمَنَا فِيهِ ثَلَاثَ لَيَالٍ ،يَبِيتُ عِنْدَهُمَا عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ ،وَهُوَ غُلَامٌ ،شَابٌّ ثَقِفٌ، لَقِنٌ فَيُدْلِجُ مِنْ عِنْدِهِمَا بِسَحَرٍ ،فَيُصْبِحُ مَعَ قُرَيْشٍ بِمَكَّةَ كَبَائِتٍ فَلَا يَسْمَعُ أَمْرًا يُكْتَادَانِ بِهِ إِلَّا وَعَاهُ حَتَّىٰ يَأْتِيَهُمَا بِخَبَرِ ذَلِكَ حِينَ يَخْتَلِطُ الظَّلَامُ ،وَيَرْعَىٰ عَلَيْهِمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ مَوْلَىٰ أَبِي بَكْرٍ مِنْحَةً مِنْ غَنَمٍ، فَيُرِيحُهَا عَلَيْهِمَا حِينَ تَذْهَبُ سَاعَةٌ مِنْ الْعِشَاءِ، فَيَبِيتَانِ فِي رِسْلٍ وَهُوَ لَبَنُ مِنْحَتِهِمَا وَرَضِيفِهِمَا ،حَتَّىٰ يَنْعِقَ بِهَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ بِغَلَسٍ يَفْعَلُ ذَلِكَ فِي كُلِّ

لَيْلَةٍ مِنْ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلَاثِ.

وَاسْتَأْجَرَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَأَبُو بَكْرٍ رَجُلًا مِنْ بَنِي الدِّيلِ، وَهُوَ مِنْ بَنِي عَبْدِ بْنِ عَدِيٍّ هَادِيًا خِرِّيتًا، -وَالْخِرِّيتُ الْمَاهِرُ بِالْهِدَايَةِ- قَدْ غَمَسَ حِلْفًا فِي آلِ الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ السَّهْمِيِّ، وَهُوَ عَلَىٰ دِينِ كُفَّارِ قُرَيْشٍ، فَأَمِنَاهُ فَدَفَعَا إِلَيْهِ رَاحِلَتَيْهِمَا ، وَوَاعَدَاهُ غَارَ ثَوْرٍ بَعْدَ ثَلَاثِ لَيَالٍ، فَأَتَاهُمَا بِرَاحِلَتَيْهِمَا صُبْحَ ثَلَاثٍ، وَانْطَلَقَ مَعَهُمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ وَالدَّلِيلُ ، فَأَخَذَ بِهِمْ طَرِيقَ السَّوَاحِلِ .

فَفِي «صَحِيْحِ الْبُخَارِيِّ» [١] ، مِنْ حَدِيْثِ أَبِي بَكْرٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، قَالَ: نَظَرْتُ إِلَىٰ أَقْدَامِ الْمُشْرِكِينَ وَنَحْنُ فِي الْغَارِ وَهُمْ عَلَىٰ رُؤُسِنَا ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ ، لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ إِلَىٰ تَحْتَ قَدَمَيْهِ لَأَبْصَرَنَا ، فَقَالَ : « **يَا أَبَا بَكْرٍ ، مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا** » .

فَفِي «صَحِيْحِ الْبُخَارِيِّ» [٢] ، مِنْ حَدِيْثِ أَبِي بَكْرٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، قَالَ: « أُخِذَ عَلَيْنَا بِالرَّصَدِ، فَخَرَجْنَا لَيْلًا فَأَحْثَثْنَا لَيْلَتَنَا وَيَوْمَنَا حَتَّىٰ قَامَ قَائِمُ الظَّهِيرَةِ، ثُمَّ رُفِعَتْ لَنَا صَخْرَةٌ، فَأَتَيْنَاهَا وَلَهَا شَيْءٌ مِنْ ظِلٍّ، قَالَ: فَفَرَشْتُ لِرَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَرْوَةً مَعِي، ثُمَّ اضْطَجَعَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَانْطَلَقْتُ أَنْفُضُ مَا حَوْلَهُ، فَإِذَا أَنَا بِرَاعٍ قَدْ أَقْبَلَ فِي

---

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٦٦٣-٢٣٨١) .
(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٧٠٤) .

غُنَيْمَةٍ يُرِيدُ مِنَ الصَّخْرَةِ مِثْلَ الَّذِي أَرَدْنَا، فَسَأَلْتُهُ: لِمَنْ أَنْتَ يَا غُلَامُ؟ فَقَالَ: أَنَا لِفُلَانٍ، فَقُلْتُ لَهُ: هَلْ فِي غَنَمِكَ مِنْ لَبَنٍ؟، قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ لَهُ: هَلْ أَنْتَ حَالِبٌ؟، قَالَ: نَعَمْ، فَأَخَذَ شَاةً مِنْ غَنَمِهِ، فَقُلْتُ لَهُ: انْفُضِ الضَّرْعَ، قَالَ: فَحَلَبَ كُثْبَةً مِنْ لَبَنٍ، وَمَعِي إِدَاوَةٌ مِنْ مَاءٍ عَلَيْهَا خِرْقَةٌ، قَدْ رَوَّأْتُهَا لِرَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَصَبَبْتُ عَلَى اللَّبَنِ حَتَّى بَرَدَ أَسْفَلُهُ، ثُمَّ أَتَيْتُ بِهِ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَقُلْتُ: اشْرَبْ يَا رَسُولَ اللهِ، فَشَرِبَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حَتَّى رَضِيتُ، ثُمَّ ارْتَحَلْنَا وَالطَّلَبُ فِي إِثْرِنَا» .

فَفِي «صَحِيحِ البُخَارِيِّ» (١) ، مِنْ حَدِيثِ سُرَاقَةَ بْنِ مَالِكٍ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، قَالَ: «جَاءَنَا رُسُلُ كُفَّارِ قُرَيْشٍ يَجْعَلُونَ فِي رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَأَبِي بَكْرٍ دِيَةَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مَنْ قَتَلَهُ أَوْ أَسَرَهُ، فَبَيْنَمَا أَنَا جَالِسٌ فِي مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ قَوْمِي بَنِي مُدْلِجٍ ، أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنْهُمْ حَتَّى قَامَ عَلَيْنَا وَنَحْنُ جُلُوسٌ فَقَالَ: يَا سُرَاقَةُ إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ آنِفًا أَسْوِدَةً بِالسَّاحِلِ ، أُرَاهَا مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ ،قَالَ سُرَاقَةُ: فَعَرَفْتُ أَنَّهُمْ هُمْ ، فَقُلْتُ لَهُ : إِنَّهُمْ لَيْسُوا بِهِمْ ، وَلَكِنَّكَ رَأَيْتَ فُلَانًا وَفُلَانًا انْطَلَقُوا بِأَعْيُنِنَا ، ثُمَّ لَبِثْتُ فِي الْمَجْلِسِ سَاعَةً ،ثُمَّ قُمْتُ فَدَخَلْتُ فَأَمَرْتُ جَارِيَتِي أَنْ تَخْرُجَ بِفَرَسِي ،وَهِيَ مِنْ وَرَاءِ أَكَمَةٍ فَتَحْبِسَهَا عَلَيَّ ،وَأَخَذْتُ رُمْحِي فَخَرَجْتُ بِهِ مِنْ ظَهْرِ الْبَيْتِ، فَحَطَطْتُ

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٩٠٦) .

بِزُجِّهِ الْأَرْضَ وَخَفَضْتُ عَالِيَهُ حَتَّىٰ أَتَيْتُ فَرَسِي فَرَكِبْتُهَا ، فَرَفَعْتُهَا تُقَرِّبُ بِي ،حَتَّىٰ دَنَوْتُ مِنْهُمْ ، فَعَثَرَتْ بِي فَرَسِي ،فَخَرَرْتُ عَنْهَا ، فَقُمْتُ فَأَهْوَيْتُ يَدِي إِلَىٰ كِنَانَتِي، فَاسْتَخْرَجْتُ مِنْهَا الْأَزْلَامَ فَاسْتَقْسَمْتُ بِهَا أَضُرُّهُمْ أَمْ لَا، فَخَرَجَ الَّذِي أَكْرَهُ فَرَكِبْتُ فَرَسِي ،وَعَصَيْتُ الْأَزْلَامَ، تُقَرِّبُ بِي حَتَّىٰ إِذَا سَمِعْتُ قِرَاءَةَ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَهُوَ لَا يَلْتَفِتُ وَأَبُو بَكْرٍ يُكْثِرُ الِالْتِفَاتَ سَاخَتْ يَدَا فَرَسِي فِي الْأَرْضِ ، حَتَّىٰ بَلَغَتَا الرُّكْبَتَيْنِ فَخَرَرْتُ عَنْهَا ثُمَّ زَجَرْتُهَا فَنَهَضَتْ فَلَمْ تَكَدْ تُخْرِجُ يَدَيْهَا، فَلَمَّا اسْتَوَتْ قَائِمَةً إِذَا لِأَثَرِ يَدَيْهَا عُثَانٌ سَاطِعٌ فِي السَّمَاءِ مِثْلُ الدُّخَانِ، فَاسْتَقْسَمْتُ بِالْأَزْلَامِ فَخَرَجَ الَّذِي أَكْرَهُ، فَنَادَيْتُهُمْ بِالْأَمَانِ، فَوَقَفُوا، فَرَكِبْتُ فَرَسِي حَتَّىٰ جِئْتُهُمْ وَوَقَعَ فِي نَفْسِي حِينَ لَقِيتُ مَا لَقِيتُ مِنْ الْحَبْسِ عَنْهُمْ ، أَنْ سَيَظْهَرُ أَمْرُ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقُلْتُ لَهُ : إِنَّ قَوْمَكَ قَدْ جَعَلُوا فِيكَ الدِّيَةَ وَأَخْبَرْتُهُمْ أَخْبَارَ مَا يُرِيدُ النَّاسُ بِهِمْ وَعَرَضْتُ عَلَيْهِمْ الزَّادَ وَالْمَتَاعَ فَلَمْ يَرْزَآنِي وَلَمْ يَسْأَلَانِي إِلَّا أَنْ قَالَ : أَخْفِ عَنَّا ، فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَكْتُبَ لِي كِتَابَ أَمْنٍ ، فَأَمَرَ عَامِرَ بْنَ فُهَيْرَةَ فَكَتَبَ فِي رُقْعَةٍ مِنْ أَدِيمٍ ، ثُمَّ مَضَىٰ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- » .

وَأَسْتَغْفِرُ اللهُ .

اسْتِقْبَالُ أَهْلِ المَدِيْنَةِ لِرَسُولِ اللهِ ـصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَـ

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ :

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ أَشْرَفِ المُرْسَلِيْنَ ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

أَمَّا بَعْدُ :

فَتَقَدَّمَ الحَدِيْث مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنْ « **هِجْرَةِ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِلَى المَدِيْنَةِ** » ، وَالآنَ حَدِيْثِي مَعَكُمْ عَنْ « **اسْتِقْبَالِ المُسْلِمِيْنَ لِرَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-** » .

فَفِي «صَحِيْحِ البُخَارِيِّ» [١] ، مِنْ حَدِيْثِ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، قَالَ: « أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لَقِيَ الزُّبَيْرَ فِي رَكْبٍ مِنَ المُسْلِمِينَ كَانُوا تِجَارًا قَافِلِينَ مِنْ الشَّأْمِ ، فَكَسَا الزُّبَيْرُ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَأَبَا بَكْرٍ ثِيَابَ بَيَاضٍ ، وَسَمِعَ المُسْلِمُونَ بِالمَدِينَةِ مَخْرَجَ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِنْ مَكَّةَ فَكَانُوا يَغْدُونَ كُلَّ غَدَاةٍ إِلَىٰ الحَرَّةِ ، فَيَنْتَظِرُونَهُ حَتَّىٰ يَرُدَّهُمْ حَرُّ الظَّهِيرَةِ ، فَانْقَلَبُوا يَوْمًا بَعْدَ مَا أَطَالُوا

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٩٠٦) .

انْتِظَارَهُمْ، فَلَمَّا أَوَوْا إِلَىٰ بُيُوتِهِمْ أَوْفَىٰ رَجُلٌ مِنْ يَهُودَ عَلَىٰ أُطُمٍ مِنْ آطَامِهِمْ لِأَمْرٍ يَنْظُرُ إِلَيْهِ ، فَبَصُرَ بِرَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ- مُبَيَّضِينَ يَزُولُ بِهِمُ السَّرَابُ ، فَلَمْ يَمْلِكِ الْيَهُودِيُّ أَنْ قَالَ بِأَعْلَىٰ صَوْتِهِ : يَا مَعَاشِرَ الْعَرَبِ هَذَا جَدُّكُمُ الَّذِي تَنْتَظِرُونَ -أَيْ حَظُّكُمْ- ، فَثَارَ الْمُسْلِمُونَ إِلَىٰ السِّلَاحِ فَتَلَقَّوْا رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِظَهْرِ الْحَرَّةِ ، فَعَدَلَ بِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ حَتَّىٰ نَزَلَ بِهِمْ فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ وَذَلِكَ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ مِنْ شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ .

فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ لِلنَّاسِ وَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- صَامِتًا، فَطَفِقَ مَنْ جَاءَ مِنْ الْأَنْصَارِ مِمَّنْ لَمْ يَرَ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يُحَيِّي أَبَا بَكْرٍ ، حَتَّىٰ أَصَابَتِ الشَّمْسُ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّىٰ ظَلَّلَ عَلَيْهِ بِرِدَائِهِ ، فَعَرَفَ النَّاسُ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عِنْدَ ذَلِكَ .

فَلَبِثَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ بِضْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً ، وَأُسِّسَ الْمَسْجِدُ الَّذِي أُسِّسَ عَلَىٰ التَّقْوَىٰ ، وَصَلَّىٰ فِيهِ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، ثُمَّ رَكِبَ رَاحِلَتَهُ فَسَارَ يَمْشِي مَعَهُ النَّاسُ حَتَّىٰ بَرَكَتْ عِنْدَ مَسْجِدِ الرَّسُولِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِالْمَدِينَةِ وَهُوَ يُصَلِّي فِيهِ يَوْمَئِذٍ رِجَالٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَكَانَ مِرْبَدًا لِلتَّمْرِ لِسُهَيْلٍ وَسَهْلٍ

غُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي حَجْرِ أَسْعَدَ بْنِ زُرَارَةَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حِينَ بَرَكَتْ بِهِ رَاحِلَتُهُ : « **هَذَا إِنْ شَاءَ اللهُ الْمَنْزِلُ** » ، ثُمَّ دَعَا رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الْغُلَامَيْنِ فَسَاوَمَهُمَا بِالْمِرْبَدِ لِيَتَّخِذَهُ مَسْجِدًا ، فَقَالَا: لَا ، بَلْ نَهَبُهُ لَكَ يَا رَسُولَ اللهِ ، ثُمَّ بَنَاهُ مَسْجِدًا وَطَفِقَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَنْقُلُ مَعَهُمُ اللَّبِنَ فِي بُنْيَانِهِ،وَيَقُولُ وَهُوَ يَنْقُلُ اللَّبِنَ:

هَذَا الْحِمَالُ لَا حِمَالَ خَيْبَرْ ... هَذَا أَبَرُّ رَبَّنَا وَأَطْهَرْ

وَيَقُولُ :

اللهُمَّ إِنَّ الأَجْرَ أَجْرُ الآخِرَهْ ... فَارْحَمْ الأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَهْ

فَتَمَثَّلَ بِشِعْرِ رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَمْ يُسَمَّ لِي . قَالَ ابْنُ شِهَابٍ : وَلَمْ يَبْلُغْنَا فِي الأَحَادِيثِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- تَمَثَّلَ بِبَيْتِ شِعْرٍ تَامٍّ غَيْرَ هَذَا الْبَيْتِ .

-أَيُّهَا النَّاسُ- لَقَدْ كَانَ فَرَحُ الْمُسْلِمُونَ بِقُدُومِ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِلَىٰ الْمَدِينَةِ يُصَوِّرُ لَنَا ذَلِكَ الْبَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- كَمَا جَاءَ فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» (١) قَالَ: «أَوَّلُ مَنْ قَدِمَ عَلَيْنَا مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ، وَابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ وَكَانَا يُقْرِئَانِ النَّاسَ ، فَقَدِمَ بِلَالٌ ، وَسَعْدٌ ، وَعَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ، ثُمَّ قَدِمَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فِي عِشْرِينَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٩٢٥) .

وَسَلَّمَ- ، ثُمَّ قَدِمَ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فَمَا رَأَيْتُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ فَرِحُوا بِشَيْءٍ فَرَحَهُمْ بِرَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، حَتَّىٰ جَعَلَ الْإِمَاءُ يَقُلْنَ قَدِمَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، فَمَا قَدِمَ حَتَّىٰ قَرَأْتُ : ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ﴾ فِي سُوَرٍ مِنَ الْمُفَصَّلِ » .

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»[١] مِنْ حَدِيثِ أَبِي بَكْرٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- ، قَالَ : «فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ لَيْلًا ،فَتَنَازَعُوا أَيُّهُمْ يَنْزِلُ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ : أَنْزِلُ عَلَىٰ بَنِي النَّجَّارِ أَخْوَالِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أُكْرِمُهُمْ بِذَلِكَ ، فَصَعِدَ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ فَوْقَ الْبُيُوتِ ،وَتَفَرَّقَ الْغِلْمَانُ وَالْخَدَمُ فِي الطُّرُقِ ، يُنَادُونَ : يَا مُحَمَّدُ يَا رَسُولَ اللهِ ، يَا مُحَمَّدُ يَا رَسُولَ اللهِ » .

اللهُمَّ أَصْلِحْ لَنَا دِينَنَا الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا دُنْيَانَا الَّتِي فِيهَا مَعَاشُنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا آخِرَتَنَا الَّتِي إِلَيْهَا مَعَادُنَا، اللهُمَّ اغْفِرْ لِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا، اللهُمَّ ارْحَمْهُمْ كَمَا رَبَّوْنَا صِغَارًا .

وَسُبْحَانَكَ اللهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ .

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٠٠٩) .

١٧ بِنَاءُ المَسْجِدِ النَّبَوِيِّ

الخُطْبَةُ الأُولَى:

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ،نَحْمِدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلِ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾[النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأَحْزَاب:٧٠-٧١] .

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ

مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ :

فَمَا زَالَ الحَدِيْثُ مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنِ السِّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ عَلَىٰ صَاحِبِهَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، وَحَدِيْثِي مَعَكُمْ اليَوْمَ عَنْ « **بِنَاءِ المَسْجِدِ النَّبَوِيِّ** » .

-أَيُّهَا النَّاسُ- لَقَدْ هَاجَرَ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هِجْرَةٍ قَاسِيَةً الوَاقِعُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ أَصْحَابِهِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ- فَقَدْ خَرَجَ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِنْ مَكَّةَ وَهِيَ أَحَبُّ أَرْضِ اللهِ إِلَيْهِ وَإِلَىٰ رَبِّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- .

فَفِي «سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ» بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ صَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي«الصَّحِيْحَةِ»[١]، مِنْ حَدِيْثِ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَدِيٍّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، قَالَ : رَأَيْتُ رَسُولَ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَهُوَ عَلَىٰ نَاقَتِهِ ، وَاقِفٌ بِالْحَزْوَرَةِ يَقُولُ : « **وَاللهِ إِنَّكَ لَخَيْرُ أَرْضِ اللهِ، وَأَحَبُّ أَرْضِ اللهِ إِلَى اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ-، وَلَوْلَا قَوْمِي أَخْرَجُونِي مِنْكِ مَا خَرَجْتُ** » .

وَفِي رِوَايَةٍ : « **وَخَيْرُ أَرْضِ اللهِ ، وَأَحَبُّ أَرْضِ اللهِ إِلَيَّ** » [٢].

لَقَدْ وَاجَهَ المُهَاجِرُونَ -أَيُّهَا النَّاسُ- صُعُوبَةُ اخْتِلَافِ المُنَاخِ، فَالمَدِيْنَةُ بَلَدَةٌ زِرَاعِيَّةٌ ، تُغَطِّي أَرَاضِهَا بَسَاتِيْنُ النَّخِيْلِ ، وَنِسْبَةُ الرُّطُوبَةِ فِيْهَا أَعْلَىٰ

---

(١) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٣٩٢٣) ، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ - فِي «المِشْكَاةِ» (٢٧٢٥) .

(٢) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهْ (٣٠٩٩)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «المِشْكَاةِ» (٢٧٢٥).

مِنْ مَكَّةَ ، وَقَدْ أُصِيبَ العَدِيْدُ مِنَ المُهَاجِرِيْنَ بِالحُمَّىٰ ، مِنْهُمْ أَبُو بَكْرٍ وَبلَالٌ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-، فَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ»[1]، مِنْ حَدِيْثِ عَائِشَةَ-رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- قَالَتْ : قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ وَهِيَ وَبِيئَةٌ ، فَاشْتَكَىٰ أَبُو بَكْرٍ ، وَاشْتَكَىٰ بِلَالٌ، فَلَمَّا رَأَىٰ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- شَكْوَىٰ أَصْحَابِهِ ، قَالَ: **«اللهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَمَا حَبَّبْتَ مَكَّةَ ، أَوْ أَشَدَّ وَصَحِّحْهَا ، وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِهَا ، وَمُدِّهَا ، وَحَوِّلْ حُمَّاهَا إِلَى الْجُحْفَةِ »** .

فِي «صَحِيْحِ البُخَارِيِّ»[2] ، مِنْ حَدِيْثِ عَائِشَةَ-رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- أَنَّهَا قَالَتْ : « لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الْمَدِينَةَ وُعِكَ أَبُو بَكْرٍ وَبِلَالٌ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَتْ : فَدَخَلْتُ عَلَيْهِمَا قُلْتُ : يَا أَبَتِ كَيْفَ تَجِدُكَ وَيَا بِلَالُ كَيْفَ تَجِدُكَ ؟،قَالَتْ:وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- إِذَا أَخَذَتْهُ الْحُمَّىٰ يَقُولُ :

كُلُّ امْرِئٍ مُصَبَّحٌ فِي أَهْلِهِ ... وَالْمَوْتُ أَدْنَى مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ

وَكَانَ بِلَالٌ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- إِذَا أَقْلَعَتْ عَنْهُ يَقُولُ :

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً ... بِوَادٍ وَحَوْلِي إِذْخِرٌ وَجَلِيلُ
وَهَلْ أَرِدَنْ يَوْمًا مِيَاهَ مِجَنَّةٍ ... وَهَلْ تَبْدُوَنْ لِي شَامَةٌ وَطَفِيلُ

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٩٢٦) ، وَمُسْلِمٌ (١٣٧٦) .
(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (١٨٨٩) .

قَالَتْ عَائِشَةُ-رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- فَجِئْتُ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ:«**اللهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ، وَصَحِّحْهَا ، وَبَارِكْ لَنَا فِي مُدِّهَا وَصَاعِهَا ، وَانْقُلْ حُمَّاهَا فَاجْعَلْهَا بِالْجُحْفَةِ**».

وَفِي رِوَايَةٍ : أَنَّ بِلَالًا قَالَ بَعْدَ شِعْرِهِ : **اللهُمَّ الْعَنْ شَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ ، وَعُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ ، وَأُمَيَّةَ بْنَ خَلَفٍ ، كَمَا أَخْرَجُونَا مِنْ أَرْضِنَا إِلَى أَرْضِ الْوَبَاءِ ثُمَّ ، قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « اللهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ ، اللهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا وَفِي مُدِّنَا ، وَصَحِّحْهَا لَنَا ، وَانْقُلْ حُمَّاهَا إِلَى الْجُحْفَةِ** » .

قَالَتْ : وَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ وَهِيَ أَوْبَأُ أَرْضِ اللهِ، قَالَتْ فَكَانَ بُطْحَانُ يَجْرِي نَجْلًا -تَعْنِي مَاءً آجِنًا - والمَاءُ الآجِنُ -أَيُّهَا النَّاسُ- هُوَ الْمُتَغَيِّرُ الرِّيحُ » .

وَفِي «صَحِيحِ البُخَارِيِّ» [١]،مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: « **رَأَيْتُ كَأَنَّ امْرَأَةً سَوْدَاءَ ثَائِرَةَ الرَّأْسِ ، خَرَجَتْ مِنْ الْمَدِينَةِ ، حَتَّى قَامَتْ بِمَهْيَعَةَ ، وَهِيَ الْجُحْفَةُ ، فَأَوَّلْتُ أَنَّ وَبَاءَ الْمَدِينَةِ نُقِلَ إِلَيْهَا** » .

وَكَانَ الحُمَّىٰ قَدْ أُصِيبَ الكَثِيرُ حَتَّىٰ عَائِشَةُ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- لَمْ تَسْلَمْ مِنَ الوَبَاءِ .

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٩١٨) .

فَفِي «صَحِيْح البُخَارِيِّ» (١)، مِنْ حَدِيْثِ الْبَرَاءِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: «دَخَلْتُ مَعَ أَبِي بَكْرٍ عَلَىٰ أَهْلِهِ، فَإِذَا عَائِشَةُ ابْنَتُهُ مُضْطَجِعَةٌ قَدْ أَصَابَتْهَا حُمَّىٰ فَرَأَيْتُ أَبَاهَا فَقَبَّلَ خَدَّهَا، وَقَالَ: كَيْفَ أَنْتِ يَا بُنَيَّةُ».

-أَيُّهَا النَّاسُ- هَا هِيَ الْمَدِيْنَةُ قَدْ طَابَتْ بِمَقْدَمِ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَسَمَّاهَا اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- طَابَه.

فَفِي «صَحِيْح مُسْلِم» (٢)، مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: «**أَنَّ اللَّهَ -تَعَالَى- سَمَّى الْمَدِينَةَ طَابَةَ**».

قَالَ النَّوَوِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ-: هَذَا فِيهِ اسْتِحْبَابُ تَسْمِيَتِهَا (طَابَةَ) وَلَيْسَ فِيهِ (أَنَّهَا لَا تُسَمَّىٰ بِغَيْرِهِ)، فَقَدْ سَمَّاهَا اللهُ تَعَالَىٰ (الْمَدِينَةَ) فِي مَوَاضِعَ مِنَ الْقُرْآنِ، وَسَمَّاهَا النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- (طَيْبَةَ) (٣).

وَفِي «صَحِيْح مُسْلِم» (٤)، مِنْ حَدِيثِ فَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- عَنْ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي قِصَّةِ حَدِيْثِ الْجَسَّاسَةِ (الدَّجَال) وَفِي آخِرِهِ قَالَ: أَيْ الدَّجَالُ: «... وَإِنِّىٰ مُخْبِرُكُمْ عَنِّي، إِنِّىٰ أَنَا الْمَسِيحُ، وَإِنِّىٰ أُوشِكُ أَنْ يُؤْذَنَ لِىٰ فِىٰ الْخُرُوجِ، فَأَخْرُجَ فَأَسِيرَ فِىٰ الأَرْضِ فَلاَ أَدَعَ

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٩١٨).
(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٣٨٥).
(٣) «شَرْحُ النَّوَوِيّ عَلَىٰ مُسْلِمٍ» عِنْد شَرْحِهِ حَدِيْثِ رَقْم (١٣٨٥).
(٤) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٩٤٢).

قَرْيَةً إلاَّ هَبَطْتُهَا فِىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً غَيْرَ مَكَّةَ وَطَيْبَةَ فَهُمَا مُحَرَّمَتَانِ عَلَيَّ كِلْتَاهُمَا، كُلَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَ وَاحِدَةً -أَوْ وَاحِدًا مِنْهُمَا- اسْتَقْبَلَنِىٰ مَلَكٌ بِيَدِهِ السَّيْفُ صَلْتًا يَصُدُّنِىٰ عَنْهَا ، وَإِنَّ عَلَىٰ كُلِّ نَقْبٍ مِنْهَا مَلائِكَةً يَحْرُسُونَهَا .

قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَطَعَنَ بِمِخْصَرَتِهِ فِىٰ الْمِنْبَرِ : « **هَذِهِ طَيْبَةُ هَذِهِ طَيْبَةُ هَذِهِ طَيْبَةُ** » .

وَكَانَ أَوَّلَ شَيْءٍ فَعَلَهُ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِالْمَدِيْنَةِ -أَيُّهَا النَّاسُ- هُوَ بِنَاءُ الْمَسْجِدِ.فَأَسَّسَ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الْمَسْجِدَ النَّبَوِيَّ فِي رَبِيْعٍ الأَوَّلِ مِنَ الْعَامِ الأَوَّلِ مِنَ هِجْرَتِهِ، وَكَانَ طُوْلُهُ سَبْعِيْنَ ذِرَاعًا ، وَعَرْضُهُ سِتِّيْنَ ذِرَاعًا، أَيْ مَا يُقَارِبُ خَمْسَةَ وَثَلاثِيْنَ مِتْرًا طُوْلًا، وَثَلاثِيْنَ عَرْضًا ، وَقَدْ جَاءَ فِي « الصَّحِيْحَيْنِ » [١]، قِصَّةُ بِنَاءِ الْمَسْجِدِ فِي حَدِيْثٍ طَوِيْلٍ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَمَرَ بِبِنَاءِ الْمَسْجِدِ فَأَرْسَلَ إِلَىٰ مَلإِ بَنِي النَّجَّارِ فَجَاءُوا، فَقَالَ : « **يَا بَنِي النَّجَّارِ ثَامِنُونِي حَائِطَكُمْ هَذَا** » ، فَقَالُوا : لَا وَاللهِ لَا نَطْلُبُ ثَمَنَهُ إِلَّا إِلَىٰ اللهِ ، قَالَ : فَكَانَ فِيهِ مَا أَقُولُ لَكُمْ كَانَتْ فِيهِ قُبُورُ الْمُشْرِكِينَ ،وَكَانَتْ فِيهِ خِرَبٌ، وَكَانَ فِيهِ نَخْلٌ ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -بِقُبُورِ الْمُشْرِكِينَ فَنُبِشَتْ، وَبِالْخِرَبِ فَسُوِّيَتْ، وَبِالنَّخْلِ فَقُطِعَ ، قَالَ فَصَفُّوا النَّخْلَ قِبْلَةَ الْمَسْجِدِ ، قَالَ وَجَعَلُوا عِضَادَتَيْهِ حِجَارَةً ، قَالَ : قَالَ : جَعَلُوا يَنْقُلُونَ ذَاكَ الصَّخْرَ وَهُمْ

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٧١٧) ، وَمُسْلِمٌ (٥٢٤) .

يَرْتَجِزُونَ، وَرَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مَعَهُمْ يَقُولُونَ:

اللهُمَّ إِنَّهُ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُ الْآخِرَهْ　　فَانْصُرْ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَهْ

وَلَمْ يَكُنْ الْمَسْجِدُ -أَيُّهَا النَّاسُ- مَوْضِعًا لِأَدَاءِ الصَّلَوَاتِ فَحَسْب، بَلْ كَانَ جَامِعَةً يَتَلَقَّىٰ فِيهَا الْمُسْلِمُونَ تَعَالِيمَ الإِسْلَامِ وَتَوْجِيهَاتِهِ، وَمُنْتَدَىٰ تَلْتَقِي وَتَتَآلَفُ فِيهِ العَنَاصِرُ القَبْلِيَّةُ الْمُخْتَلِفَةُ الَّتِي طَالَمَا نَافَرَتْ بَيْنَهَا النَّزَعَاتُ الجَاهِلِيَّةُ وَحُرُوبُهَا، وَقَاعِدَةً لِنَشْرِ الإِسْلَامِ فِي أَنْحَاءِ الْمَعْمُورَةِ، وَكَانَ مَعَ هَذَا كُلِّهِ دَارًا يَسْكُنُ فِيهَا عَدَدٌ كَبِيرٌ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ اللَّاجِئِينَ الَّذِينَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ هُنَاكَ دَارٌ وَلَا مَالٌ وَلَا أَهْلٌ وَلَا بَنُونَ .

وَفِي أَوَائِلِ الهِجْرَةِ -أَيُّهَا النَّاسُ- شُرِعَ الآذَانُ تِلْكَ النَّغَمَةُ العُلْوِيَّةُ الَّتِي تُدَوِّي فِي الآفَاقِ ، وَتَهُزُّ أَرْجَاءَ الوُجُودِ ، تُعْلِنُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ بِأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، وَتَنْفِي كُلَّ كِبْرِيَاءَ فِي الكَوْنِ وَكُلَّ دِينٍ فِي الوُجُودِ ، إِلَّا كِبْرِيَاءَ اللهِ .

وَبِجَانِبِ الْمَسْجِدِ -أَيُّهَا النَّاسُ- بَنَىٰ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بُيُوتًا بِالحَجَرِ وَاللَّبِنِ، وَسَقْفِهَا بِالجَرِيدِ وَالجُذُوعِ ، وَهِيَ حُجُرَاتُ أَزْوَاجِهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَبَعْدَ تَكَامُلِ حُجُرَاتٍ انْتَقَلَ إِلَيْهَا مِنْ بَيْتِ أَبِي أَيُّوبٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- (١).

وَأَسْتَغْفِرُ اللهُ .

(١) انْظُرْ : «الرَّحِيقُ الْمَخْتُوم» (٢٠٦) .

المُؤاخَاةُ بَيْنَ المُهَاجِرِيْنَ وَالأَنْصَارِ

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ :
الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَىٰ أَشْرَفِ المُرْسَلِيْنَ ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .
أَمَّا بَعْدُ :

فَتَقَدَّمَ الحَدِيْثِ مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنْ « **بِنَاءِ المَسْجِدِ النَّبَوِيِّ** » ، وَالآنَ حَدِيْثِي مَعَكُمْ عَنْ « **المُؤَاخَاةُ بَيْنَ المُهَاجِرِيْنَ وَالأَنْصَارِ** » .

-أَيُّهَا النَّاسُ- بَعْدَ أَنَ قَامَ النَّبِيُّ - صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِبِنَاءِ المَسْجِدِ قَامَ بِعَمَلِ المُؤَاخَاةِ بَيْنَ المُهَاجِرِيْنَ وَالأَنْصَارِ ، الَّتِي ذَابَتْ فِيْهَا عَصَبِيَّاتُ الجَاهِلِيَّةِ ، وَسَقَطَتْ بِهَا فَوَارِقُ النَّسَبِ وَاللَّوْنِ وَالوَطَنِ، وَكَانَتْ مِنْ أَقْوَىٰ الدَّعَائِمِ فِي بِنَاءِ الأُمَّةِ، وَتُأَسِسُ المُجْتَمِعِ المُسْلِمِ الجَدِيْدِ فِي المَدِيْنَةِ حَتَّىٰ يَتَأَلَّفُ وَيَقْوَى، وَتَكُونَ صَفًّا وَاحِدًا أَمَامَ أَعْدَائِهِ .

لَقَدْ وَضَعَتْ الفَتْرَةُ الأُوْلَىٰ مِنْ قُدُومِ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِلَىٰ المَدِيْنَةِ كُلًّا مِنَ المُهَاجِرِيْنَ وَالأَنْصَارِ أَمَامَ مَسْئُولِيَّةِ خَاصَةٍ ، مِنَ الأُخُوَّةِ وَالتَّعَاوُنِ ، وَكَانَتْ هَذِهِ المُؤَاخَاةُ أَقْوَىٰ فِي حَقِيْقَتِهَا مِنْ أُخُوَّةِ الرَّحِمِ،

وَكَانَ الأَنْصَارُ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَلَىٰ مُسْتَوَىٰ هَذِهِ المَسْئُولِيَّةِ، فَوَاسَوْا إِخْوَانَهُمُ المُهَاجِرِينَ، وَآثَرُوهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ بِخَيْرِ الدُّنْيَا، فَفِي «صَحِيحِ البُخَارِيِّ»(١)، مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَتِ الأَنْصَارُ لِلنَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: اقْسِمْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا النَّخِيلَ، قَالَ: «**لَا فَقَالُوا تَكْفُونَا المُؤُونَةَ وَنَشْرَكْكُمْ فِي الثَّمَرَةِ**». قَالُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا.

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»(٢)، مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّهُ قَالَ: قَدِمَ عَلَيْنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَآخَىٰ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ، وَكَانَ كَثِيرَ المَالِ، فَقَالَ سَعْدٌ: قَدْ عَلِمَتِ الأَنْصَارُ أَنِّي مِنْ أَكْثَرِهَا مَالًا، سَأَقْسِمُ مَالِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ شَطْرَيْنِ، وَلِي امْرَأَتَانِ فَانْظُرْ أَعْجَبَهُمَا إِلَيْكَ فَأُطَلِّقُهَا، حَتَّىٰ إِذَا حَلَّتْ تَزَوَّجْتَهَا، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: بَارَكَ اللهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ، فَلَمْ يَرْجِعْ يَوْمَئِذٍ حَتَّىٰ أَفْضَلَ شَيْئًا مِنْ سَمْنٍ وَأَقِطٍ، فَلَمْ يَلْبَثْ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّىٰ جَاءَ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَعَلَيْهِ وَضَرٌ مِنْ صُفْرَةٍ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «مَهْيَمْ». قَالَ: تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَالَ «**مَا سُقْتَ إِلَيْهَا؟**». قَالَ: وَزْنَ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ، أَوْ نَوَاةً مِنْ ذَهَبٍ، فَقَالَ: «**أَوْلِمْ وَلَوْ بِشَاةٍ**».

وَلَمْ يَكُنْ سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ -أَيُّهَا النَّاسُ- مُنْفَرِدًا فِي ذَلِكَ عَنْ غَيْرِهِ مِنَ

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٧٨٢).
(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٧٨١)، وَمُسْلِمٌ (١٤٢٧).

الأَنْصار، بَلْ كَانَ هَذَا شَأْنَ عَامَّة الصَّحَابَةِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ- حَتَّىٰ وَصَلَتْ المُؤَاخَاةُ إِلَىٰ دَرَجَةِ أَنْ يَتَوَارَثَ المُتَآخِيَانِ، ثُمَّ نُسِخَ هَذَا التَّوَارُثُ بِقَوْلِ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ ﴾ [الأَنْفَالُ:٧٥].

قَالَ ابْنُ القَيِّمِ -رَحِمَهُ اللهُ-: «ثُمَّ آخَىٰ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بَيْنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ فِي دَارِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، وَكَانُوا تِسْعِينَ رَجُلًا نِصْفُهُمْ مِنَ المُهَاجِرِينَ، وَنِصْفُهُمْ مِنَ الأَنْصَارِ، آخَىٰ بَيْنَهُمْ عَلَىٰ المُوَاسَاةِ، يَتَوَارَثُونَ بَعْدَ المَوْتِ دُونَ ذَوِي الأَرْحَامِ إِلَىٰ حِينِ وَقْعَةِ بَدْرٍ، فَلَمَّا أَنْزَلَ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾ [الأَحْزَابِ:٦] رَدَّ التَّوَارُثَ إِلَىٰ الرَّحِمِ دُونَ عَقْدِ الأُخُوَّةِ»[1].

وَلَمْ تَكُنْ هَذِهِ المُؤَاخَاةُ -أَيُّهَا النَّاسُ- شِعَارًا لَا يَظْهَرُ لَهُ أَثَرٌ، بَلْ كَانَتْ وَاقِعًا قَائِمًا عَلَىٰ الإِيمَانِ بِاللهِ، قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحَشْرُ:٩].

حَقًّا -أَيُّهَا النَّاسُ- لَقَدْ سَاهَمَتِ المُؤَاخَاةُ بَيْنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ فِي تَقْوِيَةِ المُجْتَمَعِ الجَدِيْدِ، وَبِتَحْقِيْقِهَا ذَابَتِ العَصَبِيَّةُ، وَحُظُوظُ النَّفْسِ، فَلَا وَلَاءَ إِلَّا للهِ وَرَسُولِهِ وَالمُؤْمِنِينَ، وَأَشَاعَتْ فِي المُجْتَمَعِ عَوَاطِفَ وَمَشَاعِرَ

---

(١) انْظُرْ: «زَادُ المَعَادِ» (٢/ ٥٦).

الحُبِّ ، وَمَلأَتْهُ بِأَرْوَعِ الأَمْثِلَةِ مِنَ الأُخُوَّةِ والعَطَاءِ ، وَالتَّنَاصُحِ وَالإِيْثَارِ، وَجَعَلَتْهُ جَسَدًا وَاحِدًا فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ ، وَمِنْ هُنَا كَانَتْ حِكْمَتُهُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي جَعْلِ أَوَّلَ عَمَلٍ يَقُومُ بِهِ حِيْنَ مَقْدمِهِ المَدِيْنَةَ بَعْدَ بِنَاءِ المَسْجِدِ ، تَأْسِيْسَهُ لِلمُجْتَمَعِ عَلَىٰ المُؤَاخَاةِ ، وَالَّتِي كَانَتْ حَلًّا لِكَثِيْرٍ مِنَ المَشَاكِلِ ، وَأَهَلَّتِ المُسْلِمِيْنَ لِيَكُونُوا أَقْوَىٰ أُمَّةٍ عَلَىٰ الأَرْضِ .

اللهُمَّ أَلِّفْ بَيْنَ قُلُوبِنَا ، وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا ، ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [الحَشْرُ:١٠] .

وَسُبْحَانَكَ اللهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ .

١٨ الإِذْنُ بِالجِهَادِ

الخُطْبَةُ الأُوْلَىٰ:

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ،نَحْمِدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلِ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لا شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾

[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾[النِّسَاء:١] .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾

[الأَحْزَاب:٧٠-٧١] .

أَمَّا بُعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ

مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ، وَكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ .

ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ :

فَمَا زَالَ الحَدِيْثُ مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنِ السِّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ عَلَىٰ صَاحِبِهَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -، وَحَدِيْثِي مَعَكُمْ اليَوْمَ عَنْ « **الإِذْنُ بِالجِهَادِ** » .

-أَيُّهَا النَّاسُ- لَمَّا اسْتَقَرَّ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِالمَدِيْنَةِ بَيْنَ أَظْهُرِ الأَنْصَارِ، وَتَكَفَّلُوا بِنَصْرِهِ، وَمَنْعِهِ مِنَ الأَسْوَدِ وَالأَحْمَرِ؛ رَمَتْهُمُ العَرَبُ قَاطِبَةً عَنْ قَوْسٍ وَاحِدَةٍ ، وَتَعَرَّضُوا لَهُمْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، أَذِنَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - لِلمُسْلِمِيْنَ بِالجِهَادِ وَلَمْ يفرِضْهُ عَلَيْهِمْ ،قَالَ -تَعَالَىٰ-: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ [الحَجُّ:٣٩] .

ثُمَّ لَمَّا صَارُوا فِي المَدِيْنَةِ -أَيُّهَا النَّاسُ- وَصَارَتْ لَهُمْ شَوْكَةٌ وَعَضُدٌ ، كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِمُ الجِهَاد ، قَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾ [البَقَرَة :٢١٦] .

وَلَمَّا نَزَلَ الإِذْنُ بِالجِهَادِ -أَيُّهَا النَّاسُ- رَأَىٰ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنْ يَبْسُطَ سَيْطَرَتَهُ عَلَىٰ الطَّرِيْقِ الرَّئِيْسِي الَّذِي تَسْلُكُهُ قُرَيْشٌ مِنْ مَكَّةَ إِلَىٰ الشَّامِ فِي تِجَارَاتِهِمْ ، فَأَرْسَلَ البُعُوثَ وَاحِدَةً تَلْو الأُخْرَىٰ إِلَىٰ هَذَا الطَّرِيْقِ .

فَكَانَتْ أَوَّلَ غَزْوَةٍ غزَاهَا رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- غَزْوَةَ الأَبْوَاءِ، رَوَىٰ ذَلِكَ «الْبُخَارِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ-»[١]، عَنِ ابْنِ إِسْحَاق كَمَا في «صَحِيْحِه»، وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ: «أَوَّلُ مَا غَزَا النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الأَبْوَاءَ ثُمَّ بُوَاطَ ثُمَّ الْعُشَيْرَةَ».

وَكَانَتْ هَذِهِ الغَزْوَةُ -أَيُّهَا النَّاسُ- فِي صَفَر سَنَةَ اثْنَتَيْنِ مِنَ الهِجْرَةِ، خَرَجَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِيهَا بِنَفْسِهِ فِي سَبْعِيْنَ رَجُلًا مِنَ الْمُهَاجِرِيْنَ خَاصَّةً، يَعْتَرِضُ عِيْرًا لِقُرَيْشٍ، حَتَّىٰ بَلَغَ ودان وَلَمْ يَلْقَ كَيْدًا، وَاسْتَخْلَفَ فِيْهَا عَلَىٰ الْمَدِيْنَةِ سَعْدَ بْنَ عِبَادَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-.

ثُمَّ كَانَتْ غَزْوَةُ بُوَاطٍ فِي شَهْرِ رَبِيْع أَوَّلَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ مِنَ الهِجْرَةِ، خَرَجَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي مِائَتَيْنِ مِنْ أَصْحَابِه يَعْتَرِضُ عِيْرًا لِقُرَيْشٍ، فِيْهَا أُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ وَمِائَةُ رَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ، وَأَلْفَان وَخَمْسِمِائَةِ بَعِيرٍ، فَبَلَغَ بُوَاطًا، مِنْ نَاحِيَةِ رَضْوَىٰ، وَلَمْ يَلْقَ كَيْدًا، وَاسْتَخْلَفَ فِي هَذِهِ الغَزْوَةُ عَلَىٰ الْمَدِينَةِ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-.

ثُمَّ كَانَتْ غَزْوَةُ ذِي الْعُشَيْرَةَ فِي جُمَادِي الأَوَّل وَجُمَاد الآخِرَة سَنَةَ اثْنَتَيْنِ مِنَ الهِجْرَةِ، خَرَجَ مِنْهَا رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي خَمْسِيْنَ وَمِائَةٍ وَيُقَالُ فِي مِائَتَيْنِ مِنَ الْمُهَاجِرِيْنَ وَلَمْ يُكْرِهْ أَحَدًا عَلَىٰ الْخُرُوجِ، وَخَرَجُوا عَلَىٰ ثَلاثِيْنَ بَعِيْرًا يَتَعَقَّبُونَهَا، يَعْتَرِضُ عِيْرًا لِقُرَيْشٍ، ذَاهِبَةً إِلَىٰ الشَّامِ، وَقَدْ جَاءَ

---

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٩٤٩).

الخَبَرُ بِفُصُولِهَا مِنْ مَكَّةَ فِيْهَا أَمْوَالٌ لِقُرَيْشٍ ، فَبَلَغَ ذَا الْعُشَيْرَةِ ، وَذُو الْعُشَيْرَةِ مَوْضِعٌ بِنَاحِيَةِ يَنْبُعَ ، فَوَجَدَ العِيْرَ قَدْ فَاتَتْهُ بِأَيَّام ، وَهَذِهِ -أَيُّهَا النَّاسُ- هِيَ العِيْرُ الَّتِي خَرَجَ رَسُولُ اللهِ-صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي طَلَبِهَا حِيْنَ رَجَعَتْ مِنَ الشَّامِ، فَصَارَتْ سَبَبًا لِغَزْوَةِ بَدْرٍ الكُبْرَىٰ .

وَمَعَ هَذِهِ الغَزْوَةِ عَقَدَ رَسُولُ اللهِ-صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مُعَاهَدَةَ عَدَمِ اعْتِدَاءٍ مَعَ بَنِي مُدْلِجٍ وَحُلَفَائِهِمْ مِنْ بَنِي ضَمْرَةَ .

وَاسْتَخْلَفَ عَلَىٰ المَدِيْنَةِ فِي هَذِهِ الغَزْوَةِ أَبَا سَلَمَةَ بْنَ عَبْدِ الأَسَدِ المَخْزُومِيِّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- .

وَكَانَ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-أَيُّهَا النَّاسُ- قَدْ بَعَثَ السَّرَايَا وَالبُعُوبَ لِإِنْذَارِ قُرَيْشٍ عَقْبَ طَيْشِهَا ، وَإِشْعَارِ مُشْرِكِي يَثْرِبَ وَيَهُودَهَا وَأَعْرَابَ البَادِيَةِ الضَّارِبَتَيْنِ حَوْلَهَا بِأَنَّ المُسْلِمِيْنَ أَقْوِيَاءُ وَأَنَّهُمْ تَخَلَّصُوا مِنْ ضَعْفِهِمُ القَدِيْمِ ، هَذَا إِلَىٰ جَانِبِ عَقْدِ المُعَاهَدَاتِ مَعَ القَبَائِلِ(١).

وَمِنْ تِلْكَ السَّرَايَا -أَيُّهَا النَّاسُ- سَرِيَّةُ سَيْفِ البَحْرِ :

فَفِي رَمَضَانَ مِنَ السَّنَةِ الأَوْلَىٰ مِنَ الهِجْرَةِ ، أَمَّرَ رَسُولُ اللهِ-صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلَىٰ هَذِهِ السَّرِيَّةِ حَمْزَةَ بْنَ عَبْدِ المُطَّلِبِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- وَبَعَثَهُ فِي ثَلاَثِيْنَ رَجُلًا مِنَ المُهَاجِرِيْنَ يَعْتَرِضُ عِيْرًا لِقُرَيْشٍ ، جَاءَتْ مِنَ الشَّامِ ، فِيْهَا

---

(١) انْظُرْ : «الرَّحِيْقُ المَخْتُومِ» (٢١٧) .

أَبُو جَهْلِ بْنِ هِشَامٍ فِي ثَلاثِمِائَةِ رَجُلٍ فَبَلَغُوا سَيْفَ الْبَحْرِ مِنْ نَاحِيَةِ الْعِيْصِ، وَهُوَ مَكَانٌ بَيْنَ يَنْبُعَ وَالمَرْوَةِ نَاحِيَةَ الْبَحْرِ الأَحْمَرِ، فَالْتَقَوْا وَاصْطَفُّوا لِلْقِتَالِ، فَمَشَىٰ مَجْدِي بْنُ عَمْرُو الجُهَنِيِّ – وَكَانَ حَلِيْفًا لِلفَرِيْقَيْنِ جَمِيْعًا– بَيْنَ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ حَتَّىٰ حَجَزَ بَيْنَهُمْ فَلَمْ يَقْتَتِلُوا.

وَكَانَ لِوَاءُ حَمْزَةَ –أَيُّهَا النَّاسُ– أَوَّلَ لِوَاءٍ عَقَدَهُ رَسُولُ اللهِ –صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، وَكَانَ أَبْيَضَ، وَحَمَلَهُ أَبُو مَرْثَدَ الغَنَوِي.

وَمِنْ تِلْكَ السَّرَايَا –أَيُّهَا النَّاسُ– سَرِيَّةُ رَابَغٍ، وَكَانَتْ فِي وَاحِدٍ مِنْ شَهْرِ شَوَّالٍ مِنَ السَّنَةِ الأُوْلَىٰ مِنَ الهِجْرَةِ، بَعَثَ لَهَا رَسُولُ اللهِ –صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– عُبَيْدَةَ بْنَ الحَارِثِ فِي سِتِّيْنَ رَجُلًا مِنَ المُهَاجِرِيْنَ، فَلَقِيَ أَبَا سُفْيَانَ وَهُوَ فِي مِائَتَيْنِ عَلَىٰ بَطْنِ رَابِغٍ، وَقَدْ تَرَامَىٰ الفَرِيْقَانِ بِالنَّبْلِ وَلَمْ يَقَعْ قِتَالٌ.

وَفِي هَذِهِ السَّرِيَّةِ انْضَمَّ رَجُلَانِ مِنْ جَيْشِ مَكَّةَ إِلَىٰ المُسْلِمِيْنَ، وَهُمَا المِقْدَادُ ابْنُ عَمْرُو، وَعُتْبَةُ بْنُ غَزْوَانٍ، وَكَانَا مُسْلِمَيْنِ خَرَجَا مَعَ الكُفَّارِ لِيَكُونَ ذَلِكَ وَسِيْلَةً لِلْوُصُولِ إِلَىٰ المُسْلِمِيْنَ، وَكَانَ لِوَاءُ عُبَيْدَةَ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– أَبْيَضَ، وَحَامِلُهُ مِسْطَحُ بْنُ أُثَاثَةَ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ–.

وَمِنْ تِلْكَ السَّرَايَا –أَيُّهَا النَّاسُ– سَرِيَّةُ الخَرَّارِ، وَهُوَ مَوْضِعٌ بِالقُرْبِ مِنَ الجُحْفَةِ، وَذَلِكَ فِي ذِي العَقْدَةِ مِنَ السَّنَةِ الأُوْلَىٰ لِلهِجْرَةِ، بَعَثَ رَسُولُ اللهِ –صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– سَعْدَ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ–، فِي عِشْرِيْنَ

رَجُلًا ، يَعْتَرِضُ عِيرًا لِقُرَيْشٍ ، وَعَهِدَ إِلَيْهِ أَلَّا يُجَاوِزَ الخَرَّارَ ، فَخَرَجُوا مُشَاةً يَكْمُنُونَ بِالنَّهَارِ ، وَيَسِيرُونَ بِاللَّيْلِ ، حَتَّىٰ بَلَغُوا الخَرَّارَ صَبِيحَةَ خَمْسٍ ، فَوَجَدُوا العِيرَ قَدْ مَرَّتْ بِالأَمْسِ ، وَكَانَ لِوَاءُ سَعْدٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَبْيَضَ، وَحَامِلُهُ المِقْدَادُ ابْنُ عَمْرٍو -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- .

وَأَسْتَغْفِرُ اللهُ .

تَحْوِيْلُ القِبْلَة

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ :

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ أَشْرَفِ المُرْسَلِيْنَ ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

أَمَّا بَعْدُ :

فَتَقَدَّمَ الحَدِيْثِ مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنْ «**الإِذْنِ بِالجِهَادِ**» ، مَعَ ذِكْرِ بَعْضِ الغَزَوَاتِ وَالبُعُوثِ ، وَالَّتِي كَانَتْ أَشْبَهَ بِالدَّوْرِيَّاتِ الاسْتِطْلَاعِيَّةِ بَيْنَ يَدَيِ الحَرْبِ ، وَالآنَ حَدِيْثِي مَعَكُمْ عَنْ «**تَحْوِيْلُ القِبْلَةِ**» .

-أَيُّهَا النَّاسُ- لَقَدْ كَانَتْ قِبْلَةُ المُسْلِمِيْنَ أَوَّلَ الأَمْرِ إِلَىٰ المَسْجِدِ الأَقْصَى، فَأَمَرَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - رَسُولَهُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنْ يَتَوَجَّهَ إِلَىٰ المَسْجِدِ الحَرَامِ .

قَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - : ﴿ **قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ** ﴿١٤٤﴾ ﴾ [البَقَرَةُ: ١٤٤] .

فَفِي «صَحِيْح الْبُخَارِيُّ»(١)، مِنْ حَدِيْثِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَانَ أَوَّلُ مَا قَدِمَ الْمَدِينَةَ نَزَلَ عَلَىٰ أَجْدَادِهِ، أَوْ قَالَ: -أَخْوَالِهِ مِنَ الأَنْصَارِ-، وَأَنَّهُ صَلَّىٰ قِبَلَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ، أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا، وَكَانَ يُعْجِبُهُ أَنْ تَكُونَ قِبْلَتُهُ قِبَلَ الْبَيْتِ، وَأَنَّهُ صَلَّىٰ أَوَّلَ صَلَاةٍ صَلَّاهَا صَلَاةَ الْعَصْرِ، وَصَلَّىٰ مَعَهُ قَوْمٌ، فَخَرَجَ رَجُلٌ مِمَّنْ صَلَّىٰ مَعَهُ فَمَرَّ عَلَىٰ أَهْلِ مَسْجِدٍ وَهُمْ رَاكِعُونَ فَقَالَ: أَشْهَدُ بِاللهِ لَقَدْ صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قِبَلَ مَكَّةَ، فَدَارُوا كَمَا هُمْ قِبَلَ الْبَيْتِ، وَكَانَتْ الْيَهُودُ قَدْ أَعْجَبَهُمْ إِذْ كَانَ يُصَلِّي قِبَلَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَأَهْلُ الْكِتَابِ، فَلَمَّا وَلَّىٰ وَجْهَهُ قِبَلَ الْبَيْتِ أَنْكَرُوا ذَلِكَ.

فَتَأَمَّلُوا -أَيُّهَا النَّاسُ- إِلَىٰ سُرْعَةِ اسْتِجَابَةِ الصَّحَابَةِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُم- لِأَوَامِرِ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-، فَدَارُوا وَهُمْ رُكُوعٌ قِبَلَ الْبَيْتِ.

وَأَمَّا أَهْلُ قُبَاءَ فَلَمْ يَعْلَمُوا بِتَحْوِيلِ القِبْلَةِ إِلَّا فِي صَلَاةِ الفَجْرِ، فَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ»(٢)، مِنْ حَدِيْثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-، قَالَ: بَيْنَمَا النَّاسُ بِقُبَاءٍ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ إِذْ جَاءَهُمْ آتٍ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَدْ أُنْزِلَ عَلَيْهِ اللَّيْلَةَ قُرْآنٌ، وَقَدْ أُمِرَ أَنْ يَسْتَقْبِلَ الْكَعْبَةَ فَاسْتَقْبِلُوهَا، وَكَانَتْ وُجُوهُهُمْ إِلَىٰ الشَّامِ فَاسْتَدَارُوا إِلَىٰ الْكَعْبَةِ.

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٠).
(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (١٨٩٢)، وَمُسْلِمٌ (١١٢٦).

كَمَا اسْتَدَارَ أَصْحَابُهُمْ فِي المَدِيْنَةِ، وَهَكَذَا امْتَثَلَ الصَّحَابَةُ لِأَمْرِ اللهِ وَرَسُولِهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- .

أَمَّا اليَهُودُ فَقَدِ اسْتَدَارَتْ قُلُوبُهُمْ عَنِ اللهِ وَعَنْ رَسُولِهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَعَنْ قِبْلَتِهِ الجَدِيْدَةِ، وَتَطَايَرَتْ حُصُونِهِمْ وَأَلْسِنَتِهِمْ أَلْفَاظُ الاسْتِهْجَانِ وَالإِحْتِجَاجِ... هَاهُمْ يَجُوبُونَ شَوَارِعَ المَدِيْنَةِ فِي سَفَاهَةٍ وَسَمَاجَةٍ يَقُولُونَ : مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ... فَأَنْزَلَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ -: ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُواْ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾ [البَقَرَة:١٤٢- ١٤٣] .

قَالَ ابْنُ القَيِّم -رَحِمَهُ اللهُ- : « وَكَانَ لِلَّهِ فِي جَعْلِ الْقِبْلَةِ إِلَىٰ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ثُمَّ تَحْوِيلِهَا إِلَىٰ الْكَعْبَةِ حِكَمٌ عَظِيمَةٌ ، وَمِحْنَةٌ لِلْمُسْلِمِينَ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْيَهُودِ وَالْمُنَافِقِينَ ، فَأَمَّا الْمُسْلِمُونَ فَقَالُوا : سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَقَالُوا : ﴿ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ ﴾ [آلِ عِمْرَانَ : ٧] وَهُمُ الَّذِينَ هَدَىٰ اللهُ ، وَلَمْ تَكُنْ كَبِيرَةً عَلَيْهِمْ .

وَأَمَّا الْمُشْرِكُونَ فَقَالُوا : كَمَا رَجَعَ إِلَىٰ قِبْلَتِنَا ، يُوشِكُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَىٰ دِينِنَا ، وَمَا رَجَعَ إِلَيْهَا إِلَّا أَنَّهُ الْحَقُّ . وَأَمَّا اليهود فقالوا : خَالَفَ قِبْلَةَ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلَهُ،

وَلَوْ كَانَ نَبِيًّا لَكَانَ يُصَلِّي إِلَىٰ قِبْلَةِ الأَنْبِيَاءِ .

وَأَمَّا الْمُنَافِقُونَ فَقَالُوا : مَا يَدْرِي مُحَمَّدٌ أَيْنَ يَتَوَجَّهُ ، إِنْ كَانَتِ الْأُولَىٰ حَقًّا فَقَدْ تَرَكَهَا ، وَإِنْ كَانَتِ الثَّانِيَةُ هِيَ الْحَقَّ فَقَدْ كَانَ عَلَىٰ بَاطِلٍ ، وَكَثُرَتْ أَقَاوِيلُ السُّفَهَاءِ مِنَ النَّاسِ ، وَكَانَتْ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ : ﴿ **وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ** ﴾ [البَقَرَة : ١٤٣] ، وَكَانَتْ مِحْنَةً مِنَ اللهِ امْتَحَنَ بِهَا عِبَادَهُ لِيَرَىٰ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِنْهُمْ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ .

-أَيُّهَا النَّاسُ- بَعْدَ تَحْوِيلِ القِبْلَةِ شَرَعَ اللهُ صَوْمَ رَمَضَانَ وَصَدَقَةُ الفِطْرِ وَزَكَاةَ الْمَالِ .

فَفِي شَعْبَانَ مِنَ السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الهِجْرَةِ ، أَوْجَبَ اللهُ صَوْمَ شَهْرِ رَمَضَانَ ، فَأَنْزَلَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣** ﴾ [البَقَرَةُ:١٨٣] .

ثُمَّ جَاءَ رَمَضَان فَصَامَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَصَامَ الْمُسْلِمُونَ ، ثُمَّ فُرِضَتْ صَلَاةُ العِيْدِ وَخَرَجَ النَّاسُ إِلَىٰ الْمُصَلَّىٰ ، فَكَانَ أَوَّلَ صَلَاةِ عِيْدٍ صَلَّاهَا ، وَخَرَجُوا بَيْنَ يَدَيْهِ بِالْحَرْبَةِ ، وَكَانَتْ لِلزُّبَيْرِ ، وَهَبَهَا لَهُ النَّجَاشِيُّ ، فَكَانَتْ تَحْمِلُ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي الأَعْيَادِ (١).

---

(١) «تَارِيْخُ الطَّبَرِيِّ» (٢/ ٤١٨) .

اللهُمَّ فَقِّهنا في الدِّينِ ، وَعَلِّمْنَا مَا جَهِلْنَا وَلاَ تَكِلْنَا إِلَىٰ أَنْفُسِنَا طَرْفَةَ عَيْن، اللهُمَّ وَفِّقْنَا لاتِّبَاع رَسُولِكَ، الاتِّبَاعَ الَّذِي يُرْضِيْكَ عَنَّا ، اللهُمَّ بِحُبِّنَا لِنَبِيِّكَ وَأَصْحَابِهِ أَحْشُرْنَا مَعَهُمْ .

وَسُبْحَانَكَ اللهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ .

١٩ غَزْوَةُ بَدْرٍ الكُبْرَى

الخُطْبَةُ الأُولَى:

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمِدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلِ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأَحْزَاب: ٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ

مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ :

فَمَا زَالَ الحَدِيْثُ مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنِ السِّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ عَلَىٰ صَاحِبِهَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -، وَحَدِيْثِي مَعَكُمْ اليَوْمَ عَنْ « **غَزْوَةِ بَدْرٍ الكُبْرَى** » .

-أَيُّهَا النَّاسُ- لَقَدْ كَانَتْ غَزْوَةُ بَدْرٍ الكُبْرَىٰ أَوَّلَ مَعْرَكَةٍ خَاضَ غِمَارَهَا المُسْلِمُونَ بِقِيَادَةِ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، وَقَدْ سَبَقَتْهَا فِي الوَاقِعِ عِدَّةُ أَعْمَالٍ عَسْكَرِيَّةٍ صَغِيْرَةٍ ، كَانَ المَقْصُودُ مِنْهَا تَدْرِيْبَ الصَّحَابَةِ ، وَجَسَّ النَّبْضِ فِي نَوَاحٍ مُتَفَرِّقَةٍ مِنَ الجَزِيْرَةِ العَرَبِيَّةِ ، وَخَاصَّةً حَوْلَ المَدِيْنَةِ غَيْرَ أَنَّ غَزْوَةَ بَدْرٍ كَانَتْ البِدَايَةَ الحَقِيْقِيَّةَ لِلجِهَادِ بِالسِّلَاحِ .

فَفِي رَمَضَانَ مِنَ السَّنَةِ الثَّانِيَةِ لِلهِجْرَةِ -أَيُّهَا النَّاسُ- بَلَغَ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّ عِيْرًا لِقُرَيْشٍ مُقْبِلَةً مِنْ الشَّامِ صُحْبَةَ أَبِي سُفْيَان، فَنَدَبَ النَّاسَ لِلْخُرُوجِ إِلَيْهَا، وَأَمَرَ مَنْ كَانَ ظَهْرُهُ حَاضِرًا .[1]

وَكَانَ ذَلِكَ فِي رَمَضَانَ بِاتِّفَاقِ أَهْلِ السِّيَرِ والجُمْهُورُ ، أَنَّهَا كَانَتْ سَابِعَ عَشْرَةَ ، وَقِيلَ ثَانِي عَشْرَةَ وَجَمَعَ بَيْنَهُمَا الحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ بِأَنَّ الثَّانِي ابْتِدَاءُ الخُرُوجِ ، وَالسَّابِعَ عَشَرَ يَوْمَ الوَاقِعَةِ » .[2]

وَقَدْ خَرَجَ المُسْلِمُونَ -أَيُّهَا النَّاسُ- وَهُمْ ثُلْثُمَائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا

(١) « الفُصُولُ » (١/ ٩٠) .
(٢) « التَّلْخِيْصُ الحَبِيْر » (٤/ ٨٩) .

فَقَطْ، مِنْهُمْ مِائَةٌ مِنَ الْمُهَاجِرِيْنَ وَبَقِيَّتُهُمْ مِنَ الأَنْصَارِ (١) ، وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُمْ مِنَ الخَيْلِ سِوَىٰ فَرَسٍ لِلزُّبَيْرِ ، وَفَرَسٍ لِلمِقْدَادِ بْنِ الأَسْوَدِ ، وَمِنَ الإِبِلِ سَبْعُونَ يَعْتَقِبُ الرَّجُلَانِ أَوْ الثَّلَاثَةُ عَلَىٰ البَعِيْرِ الوَاحِدِ .

فَفِي «مُسْنَدِ» أَحْمَدَ بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ صَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي«فِقْهِ السِّيْرَةِ»(٢)، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، قَالَ : كُنَّا يَوْمَ بَدْرٍ كُلُّ ثَلَاثَةٍ عَلَىٰ بَعِيرٍ، كَانَ أَبُو لُبَابَةَ ، وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، زَمِيلَيْ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، قَالَ : وَكَانَتْ عُقْبَةُ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، قَالَ : فَقَالَا : نَحْنُ نَمْشِي عَنْكَ -لِيَظِلَّ رَاكِبًا-، فَقَالَ: « **مَا أَنْتُمَا بِأَقْوَى مِنِّي، وَلَا أَنَا بِأَغْنَى عَنِ الأَجْرِ مِنْكُمَا** » .

وَيَا لِرَوْعَةِ هَذَا المَوْقِفِ عِنْدَمَا يَسْتَوِي القَائِدُ وَالجُنْدِيُّ تَحَمُّلِ الشَّدَائِدِ، وَقَدْ تَمَلَّكَهُمْ الصِّدْقُ وَالإِخْلَاصُ فِي التَّطَلُّعِ إِلَىٰ رِضْوَانِ اللهِ وَثَوَابِهِ ، وَكَيْفَ لاَ يَحْتَمِلُ الجُنْدُ المَشَاقَّ وَقَائِدُهُمْ يُسَابِقُهُمْ إِلَىٰ ذَلِكَ ، وَهُوَ شَيْخٌ فِي الخَامِسَةِ وَالخَمْسِيْنَ مِنْ عُمْرِهِ المُبَارَكُ ، وَالمَسَافَةُ بَيْنَ المَدِيْنَةِ وَبَدْرٍ تَرْبُو عَلَىٰ مِائَةٍ وَسِتِّيْنَ كِيْلُو مِتْرًا ، وَقَدْ أَمَّرَ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلَىٰ المَدِيْنَةِ عِنْدَ خُرُوْجِهِ عَبْدَ اللهِ بْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- لِلصَّلَاةِ بِالنَّاسِ ، ثُمَّ أَعَادَ أَبَا لُبَابَةِ مِنَ الرَّوْحَاءِ وَهِيَ عَلَىٰ أَرْبَعِيْنَ مِيْلًا مِنَ المَدِيْنَةِ ، وَعَيَّنَهُ

---

(١) البُخَارِيُّ (٣٩٥٦) .
(٢)(حَسَنٌ) أَخْرَجَهُ أَحْمَد (٣٩٠١)،وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي«فِقْهِ السِّيْـرَةِ» (٢٣٤).

أَمِيرًا عَلَىٰ المَدِينَةِ ، مِمَّا يُبَيِّنُ أَهَمِّيَّةَ وُجُودِ الأَمِيرِ فِي الحَضَرِ وَالسَّفَرِ، وَالسِّلْمِ وَالحَرْبِ (١).

قَالَ ابْنُ القَيِّمِ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «زَادِ المَعَادِ» (٢) : « وَأَمَّا أبو سفيان ، فَإِنَّهُ بَلَغَهُ مَخْرَجَ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَقَصْدَهُ إِيَّاهُ فَاسْتَأْجَرَ ضَمْضَمَ بْنِ عَمْرُو الغفاري إِلَىٰ مَكَّةَ مُسْتَصْرِخًا لِقُرَيْشٍ بِالنَّفِيرِ إِلَىٰ عِيْرِهِمْ لِيَمْنَعُوهُ مِنْ مُحَمَّدٍ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَأَصْحَابِهِ،وَبَلَغَ الصَّرِيْخُ أَهْلَ مَكَّةَ ، فَنَهَضُوا مُسْرِعِينَ وَأَوْعَبُوا فِي الْخُرُوجِ ، فَلَمْ يَتَخَلَّفْ مِنْ أَشْرَافِهِمْ أَحَدٌ سِوَىٰ أَبِي لهب ، فَإِنَّهُ عَوَّضَ عَنْهُ رَجُلًا كَانَ لَهُ عَلَيْهِ دَيْنٌ ، وَحَشَدُوا فِيمَنْ حَوْلَهُمْ مِنْ قَبَائِلِ الْعَرَبِ ، وَلَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْهُمْ أَحَدٌ مِنْ بُطُونِ قُرَيْشٍ سِوَىٰ بَنِي عَدِيٍّ ، فَلَمْ يَخْرُجْ مَعَهُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ ، وَخَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ كَمَا قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ -: ﴿ بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ٤٧ ﴾ [الأنفال:٤٧] .

وَأَقْبَلُوا «**بِحَدِّهِمْ وَحَدِيدِهِمْ ،تُحَادُّهُ وَتُحَادُّ رَسُولَهُ** » ، وَجَاءُوا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ، وَعَلَىٰ حَمِيَّةٍ، وَغَضَبٍ، وَحَنَقٍ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَأَصْحَابِهِ ، لِمَا يُرِيدُونَ مِنْ أَخْذِ عِيرِهِمْ، وَقَتْلِ مَنْ فِيهَا ، وَقَدْ أَصَابُوا بِالأَمْسِ عَمْرُو بْنِ الحَضْرَمِيِّ ، وَالْعِيرَ الَّتِي كَانَتْ مَعَهُ ، فَجَمَعَهُمُ اللهُ

---

(١) «السِّيرَةُ النَّبَوِيَّة الصَّحِيْحَة» (٢/ ٣٥٦) بِتَصَرُّفٍ .
(٢) انْظُرْ : «زَادُ المَعَاد» (٣/ ١٥٤) بِاخْتِصَارٍ .

عَلَىٰ غَيْرِ مِيعَادٍ كَمَا قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ [الأَنْفَال:٤٢].

فَسَارَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِلَىٰ بَدْرٍ، وَخَفْضَ أَبُو سُفْيَانَ فَلَصِقَ بِسَاحِلِ الْبَحْرِ، وَلَمَّا رَأَىٰ أَنَّهُ قَدْ نَجَا، وَأَحْرَزَ الْعِيْرَ، كَتَبَ إِلَىٰ قُرَيْشٍ أَنِ ارْجِعُوا فَإِنَّكُمْ إِنَّمَا خَرَجْتُمْ لِتُحْرِزُوا عِيْرَكُمْ، فَأَتَاهُمُ الْخَبَرُ بِالْجُحْفَةِ، فَهَمُّوا بِالرُّجُوعِ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: وَاللهِ لَا نَرْجِعُ حَتَّىٰ نَقْدَمَ بَدْرًا فَنُقِيمَ بِهَا، وَنُطْعِمُ مَنْ حَضَرَنَا مِنَ الْعَرَبِ، وَتَخَافُنَا الْعَرَبُ بَعْدَ ذَلِكَ، فَأَشَارَ الْأَخْنَسُ بْنُ شُرَيْقٍ عَلَيْهِمْ بِالرُّجُوعِ فَعَصَوْهُ، فَرَجَعَ هُوَ وَبَنِي زُهْرَةَ، فَلَمْ بَدْرًا زُهْرِيٌّ، فَاغْتَبَطَتْ بَنُو زُهْرَةَ بَعْدَ بِرَأْيِ الْأَخْنَسِ، فَلَمْ يَزَلْ مِنْهُمْ مُطَاعًا مُعَظَّمًا.

وَقَدْ وَصَفَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- كَيْفَ بَاتَ الْمُسْلِمُونَ لَيْلَتَهَا لِسَّابِعُ عَشَرَ مِنْ رَمَضَانَ بِبَدْرٍ وَأَمَامَهُمْ مُعَسْكَرُ الْمُشْرِكِيْنَ، جَاءَ ذَلِكَ فِي «مُسْنَدِ» أَحْمَدَ بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ (١).

«لَقَدْ رَأَيْتُنَا لَيْلَةَ بَدْرٍ وَمَا فِينَا إِنْسَانٌ إِلَّا نَائِمٌ، إِلَّا رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؛ فَإِنَّهُ كَانَ يُصَلِّي إِلَىٰ شَجَرَةٍ، وَيَدْعُو حَتَّىٰ أَصْبَحَ ... ثُمَّ إِنَّهُ أَصَابَنَا مِنَ اللَّيْلِ طَشٌّ مِنَ مَطَرٍ، فَانْطَلَقْنَا إِلَىٰ تَحْتِ الشَّجَرِ وَالْحَجَفِ نَسْتَظِلُّ تَحْتَهَا مِنَ الْمَطَرِ. وَبَاتَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَدْعُو

(١)(صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ أَحْمَد (٢١/ ٣٠-٣٦).

رَبَّهُ : «**اللهُمَّ إِنَّكَ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْفِئَةَ لا تُعْبَدْ**» ، فَلَمَّا أَنْ طَلَعَ الْفَجْرُ ، نَادَى: «الصَّلاةَ عِبَادَ اللهِ» ، فَجاءَ النَّاسُ مِنْ تَحْتِ الشَّجَرِ والْحَجَفِ ، فَصَلَّىٰ بِنَا رَسُولُ اللهِ – صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَحَرَّضَ عَلَىٰ الْقِتَالِ .

وَفِي «صَحِيْحِ البُخَارِيِّ»(١)، مِنْ حَدِيْثِ ابْنِ عَبَّاس –رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا –، قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ –صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَهُوَ فِي قُبَّةٍ : « **اللَهُمَّ إِنِّي أَنْشُدُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ ، اللهُمَّ إِنْ شِئْتَ لَمْ تُعْبَدْ** » ، فَأَخَذَ أَبُو بَكْرٍ بِيَدِهِ ، فَقَالَ : حَسْبُكَ يَا رَسُولَ اللهِ، فَخَرَجَ وَهُوَ ، يَقُولُ : ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ ﴾[القمر: ٤٥-٤٦].

وَقَدْ بَدَأَ القِتَالُ –أَيُّهَا النَّاسُ– بِمُبَارَزَاتٍ فَرْدِيَّةٍ ،

فَفِي«سُنَنِ» أَبِي دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ صَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي «أَبِي دَاوُدَ» (٢)، مِنْ حَدِيْثِ عَنْ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبِ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – قَالَ: تَقَدَّمَ – يَعْنِي عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ – وَتَبِعَهُ ابْنُهُ وَأَخُوهُ فَنَادَىٰ مَنْ يُبَارِزُ؟، فَانْتَدَبَ لَهُ شَبَابٌ مِنَ الْأَنْصَارِ. فَقَالَ: مَنْ أَنْتُمْ؟، فَأَخْبَرُوهُ ، فَقَالَ: لَا حَاجَةَ لَنَا فِيكُمْ ، إِنَّمَا أَرَدْنَا بَنِي عَمِّنَا .

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ –صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: «**قُمْ يَا حَمْزَةُ، قُمْ يا عَلِيُّ، قُمْ يَا**

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٩٥٣) .

(٢) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (٢٦٦٥) ، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ –رَحِمَهُ اللهُ– فِي «صَحِيْحِ أَبُو دَاوُدَ» (٢٣٢١) .

عُبَيْدَةَ بْنَ الْحَارِثِ». فَأَقْبَلَ حَمْزَةُ إِلَىٰ عُتْبَةَ، وَأَقْبَلْتُ إِلَىٰ شَيْبَةَ، وَاخْتُلِفَ بَيْنَ عُبَيْدَةَ وَالْوَلِيدِ ضَرْبَتَانِ فَأَثْخَنَ كُلٌّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ، ثُمَّ مِلْنَا عَلَىٰ الْوَلِيدِ فَقَتَلْنَاهُ، وَاحْتَمَلْنَا عُبَيْدَةَ .

وَكَانَتْ مَلْحَمَةٌ ، قُتِلَ فِيهَا عَدَدٌ مِنْ زُعَمَاءِ الْمُشْرِكِيْنَ ، مِنْهُمْ أَبُو جَهْلٍ ، قَتَلَهُ مُعَاذُ بْنُ عَمْرُو بْنِ الجَمُوحِ وَمُعَاذُ بْنُ عَفْرَاءَ ، وَهُمَا غُلامَانِ لاَ يَعْرِفَانِهِ حَتَّىٰ دَلَّهُمَا عَلَيْهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- .

فَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ»[1]، مِنْ حَدِيْثِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، قَالَ : بَيْنَا أَنَا وَاقِفٌ فِي الصَّفِّ يَوْمَ بَدْرٍ نَظَرْتُ عَنْ يَمِينِي وَشِمَالِي فَإِذَا أَنَا بَيْنَ غُلَامَيْنِ مِنَ الْأَنْصَارِ ، حَدِيثَةٍ أَسْنَانُهُمَا ، تَمَنَّيْتُ لَوْ كُنْتُ بَيْنَ أَضْلَعَ مِنْهُمَا فَغَمَزَنِي أَحَدُهُمَا فَقَالَ : يَا عَمِّ هَلْ تَعْرِفُ أَبَا جَهْلٍ ، قَالَ: قُلْتُ نَعَمْ ، وَمَا حَاجَتُكَ إِلَيْهِ يَا ابْنَ أَخِي ؟، قَالَ: أُخْبِرْتُ أَنَّهُ يَسُبُّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَئِنْ رَأَيْتُهُ لَا يُفَارِقُ سَوَادِي سَوَادَهُ حَتَّىٰ يَمُوتَ الْأَعْجَلُ مِنَّا .

قَالَ : فَتَعَجَّبْتُ لِذَلِكَ ، فَغَمَزَنِي الْآخَرُ فَقَالَ : مِثْلَهَا ، قَالَ : فَلَمْ أَنْشَبْ أَنْ نَظَرْتُ إِلَىٰ أَبِي جَهْلٍ يَزُولُ فِي النَّاسِ ، فَقُلْتُ : أَلَا تَرَيَانِ هَذَا صَاحِبُكُمَا الَّذِي تَسْأَلَانِ عَنْهُ.

قَالَ : فَابْتَدَرَاهُ فَضَرَبَاهُ بِسَيْفَيْهِمَا حَتَّىٰ قَتَلَاهُ ، ثُمَّ انْصَرَفَا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٩٨٨) ، وَمُسْلِمٌ (١٧٥٢) .

-صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَأَخْبَرَاهُ ، فقَالَ : أَيُّكُما قتَلَهُ ، فقَالَ كُلُّ وَاحدٍ مِنْهُما: أَنا قتَلْتُ ، **فقَالَ : هَلْ مَسَحْتُما سَيفَيْكُما ؟**، قالا: لا ، **فَنظَرَ في السَّيْفَيْنِ فقَالَ: كِلاكُما قَتَلَهُ ، وَقَضَى بِسَلَبِه لِمُعَاذ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْجَمُوحِ وَالرَّجُلانِ مُعَاذُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْجَمُوحِ وَمُعَاذُ بْنُ عَفْرَاءَ** » .

قَالَ ابْنُ القَيِّم-رَحِمَهُ اللهُ-: «ثُمَّ حَمِيَ الْوَطِيسُ، وَاسْتَدَارَتْ رَحَىٰ الْحَرْبِ، وَاشْتَدَّ الْقِتَالُ ، وَأَخَذَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي الدُّعَاءِ وَالابْتِهَالِ ، وَمُنَاشَدَةِ رَبِّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- ، حَتَّىٰ سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ ، فَرَدَّهُ عَلَيْهِ الصِّدِّيقُ ، وَقَالَ : (بَعْضَ مُنَاشَدَتِكَ رَبَّكَ ، فَإِنَّهُ مُنجِزٌ لَكَ مَا وَعَدَكَ) »[1] .

وَجَاءَ النَّصْرُ ، وَأَنْزَلَ اللهُ جُنْدَهُ ، وَأَيَّدَ رَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ ، وَمَنَحَهُمْ أَكْتَافَ الْمُشْرِكِينَ أَسْرًا وَقَتْلًا ، فَقَتَلُوا مِنْهُمْ سَبْعِينَ ، وَأَسَرُوا سَبْعِينَ[2].

فَأَنْزَلَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- مُمْتَنًّا عَلَىٰ نَبِيِّهِ وَصَحَابَتِهِ بِنِعْمَةِ النَّصْرِ الَّتِي أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ بِهَا : ﴿ **وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ﴿١٢٣﴾ ﴾ [آل عِمْرَان :١٢٣] .

وَأَسْتَغْفِرُ اللهُ .

---

(١) انْظُرْ : «زَادُ المعَاد» (٣/ ١٨٠-١٨١) بِاخْتِصَارٍ .
(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٧/ ٣٥٨) المَغَازِي .

مُشَارَكَةُ المَلائِكَةِ يَوْمَ بَدْرٍ

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ :

الحَمْدُ لله رَبِّ العَالَمِيْنَ ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَىٰ أَشْرَفِ المُرْسَلِيْنَ ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

أَمَّا بَعْدُ :

فَتَقَدَّمَ الحَدِيْثِ مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنْ « **غَزْوَةِ بَدْرٍ الكُبْرَى** » ، مَعَ ذِكْرِ بَعْضِ الغَزَوَاتِ والبُعُوثِ ، وَالَّتِي كَانَتْ أَشْبَهَ بِالدَّوْرِيَّاتِ الاسْتِطْلاعِيَّةِ بَيْنَ يَدَيِ الحَرْبِ ، وَالآنَ حَدِيْثِي مَعَكُمْ عَنْ « **مُشَارَكَةِ المَلائِكَةِ يَوْمَ بَدْرٍ** » .

أَيُّهَا النَّاسُ لَقَدْ ثَبَتَ فِي القُرْآنِ وَالسُّنَّةِ أَنَّ اللهَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- أَمَدَّ المُسْلِمِيْنَ بِالمَلائِكَةِ يَوْمَ بَدْرٍ، وَكَذَلِكَ صَحَّ أَنَّهَا قَاتَلَتْ يَوْمَ بَدْرٍ، قَالَ تَعَالَىٰ : ﴿ **وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَـٰثَةِ ءَالَـٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَـٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَـٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾** ﴾ [آل عِمْرَان:١٢٣-١٢٦] .

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- : ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾﴾ [الأَنْفَالُ :١٢] .

وَفِي «صَحِيح مُسْلِم»[(١)] مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاس -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ: حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ : لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِلَىٰ الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ ، وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا ، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -الْقِبْلَةَ ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ «**اللهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي ، اللهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي ، اللهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ**» فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ ، حَتَّىٰ سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ فَأَلْقَاهُ عَلَىٰ مَنْكِبَيْهِ ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ وَقَالَ:يَا نَبِيَّ اللهِ كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ ، فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ ، فَأَنْزَلَ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾﴾ [الأَنْفَالُ :٩]، فَأَمَدَّهُ اللهُ بِالْمَلَائِكَةِ، قَالَ أَبُو زُمَيْلٍ : فَحَدَّثَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ: بَيْنَمَا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ يَشْتَدُّ فِي أَثَرِ رَجُلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَمَامَهُ ، إِذْ سَمِعَ ضَرْبَةً بِالسَّوْطِ فَوْقَهُ وَصَوْتَ الْفَارِسِ يَقُولُ: أَقْدِمْ حَيْزُومُ فَنَظَرَ إِلَىٰ الْمُشْرِكِ أَمَامَهُ فَخَرَّ مُسْتَلْقِيًا ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَإِذَا

---

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٧٦٣) .

هُوَ قَدْ خُطِمَ أَنْفُهُ ، وَشُقَّ وَجْهُهُ ، كَضَرْبَةِ السَّوْطِ فَاخْضَرَّ ذَلِكَ أَجْمَعُ ، فَجَاءَ الْأَنْصَارِيُّ فَحَدَّثَ بِذَلِكَ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ: «**صَدَقْتَ ذَلِكَ مِنْ مَدَدِ السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ**» فَقَتَلُوا يَوْمَئِذٍ سَبْعِينَ وَأَسَرُوا سَبْعِينَ.

وَفِي «مُسْنَدِ» أَحْمَدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ أَبِي دَاوُدَ»(١)، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، قَالَ: فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ قَصِيرٌ بِالْعَبَّاسِ أَسِيرًا ، فَقَالَ الْعَبَّاسُ : إِنَّ هَذَا وَاللهِ مَا أَسَرَنِي ، لَقَدْ أَسَرَنِي رَجُلٌ أَجْلَحُ (٢) مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ وَجْهًا عَلَىٰ فَرَسٍ أَبْلَقَ (٣) ، مَا أَرَاهُ فِي الْقَوْمِ . فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ : أَنَا أَسَرْتُهُ يَا رَسُولَ اللهِ . فَقَالَ لَهُ : « **اسْكُتْ ، لَقَدْ أَيَّدَكَ اللهُ بِمَلَكٍ كَرِيمٍ** » .

وَفِي مَغَازِي الْأُمَوِيِّ بِسَنَدٍ حَسَنٍ حَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «فِقْهِ السِّيرَةِ» (٤)، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ ثَعْلَبَه -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، قَالَ: قَدْ خَفَقَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- خَفْقَةً وَهُوَ فِي الْعَرِيشِ ثُمّ انْتَبَهَ فَقَالَ : « **أَبْشِرْ يَا أَبَا بَكْرٍ ، أَتَاكَ نَصْرُ اللهِ ، هَذَا جِبْرِيلُ مُعْتَجِرٌ بِعِمَامَةٍ صَفْرَاءَ ، آخِذٌ بِعِنَانِ فَرَسِهِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، يَقُودُهُ عَلَى ثَنَايَاهُ النَّقْعُ ، يَقُولُ : أَتَاكَ نَصْرُ اللهِ إِذْ دَعَوْتَهُ** » .

---

(١) (صَحِيحٌ) أَخْرَجَهُ أَحْمَد (١/ ١١٧) ، وَأَبُو دَاوُد (٢٦٦٥) وَقَالَ أَحْمَدُ شَاكِر : إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «صَحِيحِ أَبِي دَاوُد» (٢٣٣١) .
(٢) الأَجْلَحُ : الَّذِي انْحَسَرَ شَعْرُهُ عَنْ جَانِبَيِّ رَأْسَهُ (النِّهَايَة ١/ ٢٨٤) .
(٣) الأَبْلَقَ : الَّذِي ارْتَفَعَ التَحْجِيل إِلَـىٰ فَخْذَيْهِ .
(٤) انْظُرْ: «البِدَايَةُ وَالنِّهَايَة» (٣/ ٢٨٤)، وَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «فِقْهِ السِّيرَةِ» (٢٤٣).

وَفِي «صَحِيْحِ البُخَارِيِّ»[١]، مِنْ حَدِيْثِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-، قَالَ: أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ يَوْمَ بَدْرٍ: « **هَذَا جِبْرِيلُ آخِذٌ بِرَأْسِ فَرَسِهِ، عَلَيْهِ أَدَاةُ الْحَرْبِ** ».

وَفِي «صَحِيْحِ البُخَارِيِّ»[٢]، مِنْ حَدِيْثِ مُعَاذِ بْنِ رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعٍ الزُّرَقِيِّ، عَنْ أَبِيهِ - وَكَانَ أَبُوهُ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ - قَالَ: جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَىٰ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَقَالَ: « **مَا تَعُدُّونَ أَهْلَ بَدْرٍ فِيكُمْ قَالَ: مِنْ أَفْضَلِ الْمُسْلِمِينَ - أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا - قَالَ: وَكَذَلِكَ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ** ».

أَيُّهَا النَّاسُ قَبْلَ أَنْ أُوَدِّعَ مَقَامِي هَذَا أُحِبُّ أَنْ أُخْبِرَكُمْ عَنِ الحِكْمَةِ مِنْ نُزُولِ المَلَائِكَةِ مَعَ أَنَّ جِبْرِيلَ وَحْدَهُ قَادِرٌ عَلَىٰ إِهْلَاكِهِمْ بِأَمْرِ اللهِ.

قَالَ الحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ فِي «الفَتْحِ» -رَحِمَهُ اللهُ-:

قَالَ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ السُّبْكِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ-: سُئِلْتُ عَنْ الْحِكْمَةِ فِي قِتَالِ الْمَلَائِكَةِ مَعَ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مَعَ أَنَّ جِبْرِيلَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَدْفَعَ الْكُفَّارَ بِرِيشَةٍ مِنْ جَنَاحِهِ؟، فَقُلْتُ: وَقَعَ ذَلِكَ لِإِرَادَةِ أَنْ يَكُونَ الْفِعْلُ لِلنَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَأَصْحَابِهِ، وَتَكُونَ الْمَلَائِكَةُ مَدَدًا عَلَىٰ عَادَةِ مَدَدِ الْجُيُوشِ رِعَايَةً لِصُورَةِ الْأَسْبَابِ وَسُنَّتِهَا الَّتِي أَجْرَاهَا اللهُ -تَعَالَىٰ- فِي عِبَادِهِ. وَاللهُ تَعَالَىٰ هُوَ فَاعِلُ الْجَمِيعِ وَاللهُ أَعْلَمُ.

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٩٩٥).

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٩٩٢).

اللهُمَّ ارْزُقْنَا عِلْمًا نَافِعًا وَرِزْقًا طَيِّبًا وَعَمَلا مُتَقَبَّلًا .

اللهُمَّ أَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا فِي الأُمُورِ كُلِّهَا ، وَأَجِرْنَا مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الآخِرَةِ.

وَسُبْحَانَكَ اللهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ،نَسْتَغْفِرُكَ وَنَتُوبُ إِلَيْكَ .

٢٠ غَزْوَةُ أُحُدٍ

الخُطْبَةُ الأُولَى[١]:

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ،نَحْمِدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلِ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لا شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾

[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾[النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾

[الأَحْزَاب:٧٠-٧١] .

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ

مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ :

فَمَا زَالَ الحَدِيْثُ مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنِ السِّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ عَلَىٰ صَاحِبِهَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -، وَحَدِيْثِي مَعَكُمْ اليَوْمَ عَنْ « **غَزْوَةِ أُحُدٍ** » .

أَيُّهَا النَّاسُ لَقَدْ عُرِفَتْ هَذِهِ الغَزْوَةُ بِاسِمِ الجَبَلِ الَّذِي وَقَعَتْ عِنْدَهُ، وَيَقَعُ شَمَالَ المَدِيْنَةِ ، وَيَبْعُدُ عَنِ المَسْجِدِ النَّبَوِيِّ خَمْسَةُ أَكْيَالٍ وَنِصْفَ الكَيْلِ، وَيُقَابِلُهُ مِنْ جِهَةِ الجَنُوبِ جَبَلٌ صَغِيْرٍ يُسَمَّىٰ «عَيْنَيْنَ» وَهُوَ الَّذِي عُرِفَ بَعْدَ المَعْرَكَةِ بِجَبَلِ الرُّمَاةِ، وَبَيْنَ الجَبَلَيْنِ وَادٍ عُرِفَ بِوَادِي قَنَاةَ .

وَأَمَّا سَبَبَ غَزْوَةِ أُحُدٍ -أَيُّهَا النَّاسُ- فَبَعْدَ أَنْ أُصِيْبَتْ قُرَيْشٌ فِي عُظَمَائِهَا، وَأَئِمَّةِ الكُفْرِ مِنْهَا يَوْمَ بَدْرٍ ، وَقُلُوبُهُمْ تَغْلِي حِقْدًا وَحَنَقًا وَغَيْظًا عَلَىٰ المُسْلِمِيْنَ، مُعَبَّأَةً قُوَّتَهَا ، وَاسْتَعَانَتْ بِحُلَفَائِهَا وَخَرَجَتْ فِي ثَلَاثَةِ آلَافِ مُقَاتِلٍ، وَوَافَتْ مَشَارِفَ المَدِيْنَةِ بَعْدَ سَنَةٍ وَشَهْرٍ تَقْرِيْبًا مِنْ غَزْوَةِ بَدْرٍ فِي مُنْتَصَفِ شَوَّالٍ مِنَ السَّنَةِ الثَّالِثَةِ مِنَ الهِجْرَةِ عَلَىٰ الصَّحِيْحِ .

وَلَمَّا عَلِمَ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِمَسِيْرِهِمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- خَرَجَ لِمُلَاقَاتِهِمْ فِي أَلْفِ مُقَاتِلٍ ، فَلَمَّا كَانَ فِي بَعْضِ الطَّرِيْقِ انْسَحَبَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيِّ بِثُلْثِ الجَيْشِ -ثَلَثَمِائَةِ مُقَاتِلٍ- وَكَانَ انْسِحَابُهُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- أَوَّلَ فَائِدَةٍ مِنْ فَوَائِدِ هَذِهِ الغَزْوَةِ ، وَهِيَ تَمْيِيزُ المُنَافِقِيْنَ ، وَالفَصْلُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ المُؤْمِنِيْنَ الصَّادِقِيْنَ .

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ وَقِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدۡفَعُواْۖ قَالُواْ لَوۡ نَعۡلَمُ قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡۗ هُمۡ لِلۡكُفۡرِ يَوۡمَئِذٍ أَقۡرَبُ مِنۡهُمۡ لِلۡإِيمَٰنِۚ يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يَكۡتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ ﴾

[آلِ عِمْرَان :١٦٦-١٦٧] .

وَقَدْ تَقَدَّمَ الجَيْشُ الإسْلامِيُّ إِلَىٰ مَيْدَان أُحُد ، وَاتَّخَذَ مَوَاقِعَهُ بِمُوجَبِ خُطَّةٍ مُحْكَمَةٍ حَيْثُ نَظَّمَ الرَّسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- صُفُوفَ جَيْشِهِ جَاعِلًا ظُهُورَهُمْ إِلَىٰ جَبَلِ أُحُدٍ وَوُجُوهُهُمْ تَسْتَقْبِلَ المَدِيْنَةِ ، وَجَعَلَ خَمْسِيْنَ مِنَ الرُّمَاةِ بِقِيَادَةِ عَبْدِ اللهِ بْنِ جُبَيْرٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- فَوْقَ جَبَلِ عَيْنَيْنَ الْمُقَابِلِ لِأُحُدٍ لِحِمَايَةِ الْمُسْلِمِيْنَ مِنَ الْتِفَافِ خَيَالَةِ الْمُشْرِكِيْنَ عَلَيْهِمْ وَشَدَّدَ عَلَيْهِمْ بِلُزُومِ أَمَاكِنِهِمْ، وَقَالَ كَمَا فِي «صَحِيْحِ البُخَارِيِّ»[١]، مِنْ حَدِيْثِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ: « **إِنْ رَأَيْتُمُونَا تَخْطَفُنَا الطَّيْرُ فَلَا تَبْرَحُوا مَكَانَكُمْ هَذَا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ ، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا هَزَمْنَا الْقَوْمَ وَأَوْطَأْنَاهُمْ فَلَا تَبْرَحُوا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ** » .

وَبِذَلِكَ -أَيُّهَا النَّاسُ- سَيْطَرَ الْمُسْلِمُونَ عَلَىٰ الْمُرْتَفَعَاتِ تَارِكِيْنَ الوَادِي لِجَيْشِ قُرَيْشٍ الَّذِي تَقَدَّمَ وَهُوَ يُوَجِّهُ أُحُدَ وَظَهْرُهُ إِلَىٰ المَدِيْنَةِ ، وَظَاهَرَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَوْمَئِذٍ بَيْنَ دِرْعَيْنَ ، وَأَعْطَىٰ اللِّوَاءَ

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٠٣٩) .

مُصْعَب بْن عُمَيْر ، وَجَعَلَ عَلَىٰ إِحْدَىٰ الْمُجَنَّبَتَيْن : الزُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَّام ، وَعَلَىٰ الْمُجَنَّبَةِ الأُخْرَىٰ : الْمُنْذِرَ بْنِ عَمْرو ، وَتَعَبَّأَتْ قُرَيْشٌ فَجَعَلُوا عَلَىٰ مَيْمَنَتِهِمْ خَالِدَ بْنَ الوَلِيْدِ ، وَعَلَىٰ الْمُيْسَرَةِ عِكْرِمَةَ بْن أَبِي جَهْل ، وَالْتَقَىٰ الصَّفَّان وَبَدَأَ الْقِتَالُ بِانْتِصَارٍ سَاحِقٍ لِلْمُسْلِمِيْنَ ، وَلَوْلا مُخَالَفَةُ الرُّمَاةِ لَمْ تَقُمْ لِلْمُشْرِكِيْنَ قَائِمَةٌ .

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ -رَحِمَهُ اللهُ- : « وَكَانَتِ الدَّوْلَةُ أَوَّلَ النَّهَارِ لِلْمُسْلِمِينَ عَلَىٰ الْكُفَّارِ ، فَانْهَزَمَ عَدُوُّ اللهِ ، وَوَلَّوْا مُدْبِرِينَ ، حَتَّىٰ انْتَهَوْا إِلَىٰ نِسَائِهِمْ .

فَلَمَّا رَأَىٰ ذَلِكَ أَصْحَابُ عَبْدِ اللهِ بْنِ جُبَيْرٍ ؛ وَقَالُوا : يَا قَوْمُ الْغَنِيمَةَ الْغَنِيمَةَ. فَذَكَّرَهُمْ عَبْدُ اللهِ بْنِ جُبَيْرٍ عَهْدَ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَظَنُّوا أَنَّهُ لَيْسَ لِلْمُشْرِكِينَ رَجْعَةٌ ، وَأَنَّهُمْ لاَ تَقُومُ لَهُمْ قَائِمَةٌ بَعْدَ ذَلَك ، فَذَهَبُوا فِي طَلَبِ الْغَنِيمَةِ .

وَكَرَّ فُرْسَانٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، فَوَجَدُوا تِلْكَ الْفُرْجَةَ قَدْ خَلَا مِنَ الرُّمَاةِ، فَجَازُوهَا ، وَتَمَكَّنُوا وأَقْبَلَ آخِرُهُمْ ، فَكَانَ مَا أَرَادَ اللهُ كَوْنَهُ ، فَاسْتُشْهِدَ مَنْ أَكْرَمَ بِالشَّهَادَةِ مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ ، فَقُتِلَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَفَاضِلِ الصَّحَابَةِ ، وَتَوَلَّىٰ أَكْثَرُهُمْ .

وَخَلَصَ الْمُشْرِكُونَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَجُرِحَ وَجْهُهُ، وَكُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ الْيُمْنَىٰ السُّفْلَىٰ بِحَجَرٍ ، وَهُشِمَتْ الْبَيْضَةُ عَلَىٰ رَأْسِهِ الْمُقَدَّسِ ، وَرَشَقُوهُ الْمُشْرِكُونَ بِالْحِجَارَةِ ، حَتَّىٰ وَقَعَ لِشِقِّهِ ، وَسَقَطَ

فِي حُفْرَةٍ مِنَ الْحُفَرِ ، فَأَخَذَ عَلِيٌّ بِيَدِهِ ، وَاحْتَضَنَهُ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-، وَنَشِبَتْ حَلْقَتَانِ مِنْ حِلَقِ الْمِغْفَرِ فِي وَجْهِهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، فَانْتَزَعَهُمَا أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- .

وَأَدْرَكَ الْمُشْرِكُونَ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَحَالَ دُونَهُ نَفَرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ نَحْوٌ مِنْ عَشَرَةٍ فَقُتِلُوا ، جَاءَ ذَلِكَ فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»(١) ، مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- ثُمَّ جَالَدَهُمْ طَلْحَةُ حَتَّىٰ أَجْهَضَهُمْ عَنْهُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، جَاءَ ذَلِكَ فِي «صَحِيحِ البُخَارِيِّ» (٢)، وَرَمَىٰ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، يَوْمَئِذٍ رَمْيًا مُسَدَّدًا مُنْكِيًا بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- « **ارْمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي**» .

جَاءَ ذَلِكَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» (٣) ، عَنْهُ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- ، وَوَقَىٰ طَلْحَةُ بِيَدِهِ عَنْ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حَتَّىٰ شُلَّتْ ، جَاءَ ذَلِكَ فِي «صَحِيحِ البُخَارِيِّ» (٤)، وَانْهَزَمَ النَّاسُ عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ» (٥) ، عَنْ أَنَسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- وَكَانَ أَبُو طَلْحَةَ رَجُلًا رَامِيًا شَدِيدَ النَّزْعِ كَسَرَ يَوْمَئِذٍ قَوْسَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا ، وَكَانَ الرَّجُلُ يَمُرُّ

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٧٨٩) .
(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٠٦٣) .
(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٠٥٥) ، وَمُسْلِمٌ (٢٤١٢) .
(٤) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٠٦٣) .
(٥) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٠٦٤) ، وَمُسْلِمٌ (١٨١١) .

بِجُعْبَةٍ مِنَ النَّبْلِ ، فَيَقُولُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: « **انْثُرْهَا لِأَبِي طَلْحَةَ** ». ثُمَّ يُشْرِفُ إِلَىٰ الْقَوْمِ ، فَيَقُولُ أَبُو طَلْحَةَ : يَا نَبِيَّ اللهِ ، بِأَبِي أَنْتَ ، لَا تُشْرِفْ، لَا يُصِيبَكَ سَهْمٌ ، نَحْرِي دُونَ نَحْرِكَ ! .

« وَأَصْبَحَ الْمُسْلِمُونَ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ ، فَصَرَخَ إِبْلِيسُ -لَعَنَهُ اللهُ- أَيْ عِبَادَ اللهِ أُخْرَاكُمْ ، فَرَجَعَتْ أُولَاهُمْ فَاجْتَلَدَتْ هِيَ وَأُخْرَاهُمْ » جَاءَ ذَلِكَ فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» [١]، عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - .

وَبَعْدَهَا بَدَأَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِالإِنْسِحَابِ نَحْوَ شِعَابِ أُحُدٍ ، وَلَحِقَ بِهِ الْمُسْلِمُونَ حَتَّىٰ صَعِدَ فِي أُحُدٍ شِعَابِهِ ، وَتَمَكَّنَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ صَدِّ الْمُشْرِكِينَ عَنْهُ .

وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ -أَيُّهَا النَّاسُ- مُغْتَمِّينَ لِمَا أَصَابَ الرَّسُولِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَلِمَا أَصَابَهُمْ ، فَأَنْزَلَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - عَلَيْهِمُ النُّعَاسَ، فَنَامُوا يَسِيرًا ، ثُمَّ أَفَاقُوا وَقَدْ زَالَ عَنْهُمُ الْخَوْفُ، وامْتَلَأَتْ نُفُوسُهُمْ طُمَأْنِينَة، فَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» [٢]، مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ عَنْ أَبِي طَلْحَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ: « كُنْتُ فِيمَنْ تَغَشَّاهُ النُّعَاسُ يَوْمَ أُحُدٍ ، حَتَّىٰ سَقَطَ سَيْفِي مِنْ يَدِي مِرَارًا ،يَسْقُطُ وَآخُذُهُ ، وَيَسْقُطُ فَآخُذُهُ » .

وَمِصْدَاقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - ﴿ **ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ**

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٠٦٥) .
(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٠٦٨) .

بَعۡدِ ٱلۡغَمِّ أَمَنَةٗ نُّعَاسٗا يَغۡشَىٰ طَآئِفَةٗ مِّنكُمۡۖ وَطَآئِفَةٞ قَدۡ أَهَمَّتۡهُمۡ أَنفُسُهُمۡ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ مِن شَيۡءٖۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ﴾ [آلُ عِمْرَان: ١٥٤] .

وَهَذِهِ الطَّائِفَةُ الَّتِي أَهَمَّتْهَا نَفْسُهَا –أَيُّهَا النَّاسُ – هِيَ المَنَافِقُونَ الَّذِيْنَ قَالَ قَائِلُهُمْ : ﴿لَوۡ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٞ مَّا قُتِلۡنَا هَٰهُنَاۗ ﴾ [آلُ عِمْرَان: ١٥٤] .

وَمَا مِنْ شَكٍّ –أَيُّهَا النَّاسُ – أَنَّ النُّعَاسَ أَعَادَ لِلمُسْلِمِيْنَ بَعْضَ طَاقَتِهِمْ وَنَشَاطِهِمْ لِلدِّفَاعِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ خِلالَ الانْسِحَابِ ، وَقَدْ يَئِسَ المُشْرِكُونَ مِنْ إِنْهَاءِ المَعْرَكَةِ بِنَصْرٍ حَاسِمٍ ، وَتَعِبُوا مِنْ طُوْلِهَا وَمِنْ جَلادَةِ المُسْلِمِيْنَ فِي شِعَابِ أُحُدٍ ، وَلَكِنْ أَبَا سُفْيَانَ تَقَدَّمَ مِنَ المُسْلِمِيْنَ وَخَاطَبَهُمْ فَقَالَ كَمَا جَاءَ فِي «صَحِيْحِ البُخَارِيِّ» (١)، مِنْ حَدِيْثِ الْبَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– قَالَ : قَالَ أَبُو سُفْيَانَ : أَفِي الْقَوْمِ مُحَمَّدٌ ؟ ثَلاثَ مَرَّاتٍ ، فَنَهَاهُمُ النَّبِيُّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أَنْ يُجِيبُوهُ ، ثُمَّ قَالَ : أَفِي الْقَوْمِ ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ ؟ ثَلاثَ مَرَّاتٍ ، ثُمَّ قَالَ : أَفِي الْقَوْمِ ابْنُ الْخَطَّابِ ؟ ثَلاثَ مَرَّاتٍ ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَىٰ أَصْحَابِهِ ، فَقَالَ : أَمَّا هَؤُلاءِ فَقَدْ قُتِلُوا .

فَمَا مَلَكَ عُمَرُ نَفْسَهُ ، فَقَالَ : كَذَبْتَ وَاللهِ يَا عَدُوَّ اللهِ ، إِنَّ الَّذِينَ عَدَدْتَ لأَحْيَاءٌ كُلُّهُمْ ، وَقَدْ بَقِيَ لَكَ مَا يَسُوءُكَ .

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٠٣٩) .

قَالَ : يَوْمٌ بِيَوْمِ بَدْرٍ ، وَالْحَرْبُ سِجَالٌ ، إِنَّكُمْ سَتَجِدُونَ فِي الْقَوْمِ مُثْلَةً لَمْ آمُرْ بِهَا وَلَمْ تَسُؤْنِي ، ثُمَّ أَخَذَ يَرْتَجِزُ : اعْلُ هُبَلُ اعْلُ هُبَلُ .

فَقَالَ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: « **أَلا تُجِيبُوهُ ؟** » ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ ، مَا نَقُولُ ؟ ، قَالَ: « **قُولُوا : اللهُ أَعْلَى وَأَجَلُّ** » .

قَالَ: إِنَّ لَنَا الْعُزَّىٰ وَلا عُزَّىٰ لَكُمْ . فَقَالَ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: « **أَلا تُجِيبُوهُ ؟** »، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ ، مَا نَقُولُ؟، قَالَ : « **قُولُوا : اللهُ مَوْلانَا وَلا مَوْلَى لَكُمْ** » .

وَأَسْتَغْفِرُ اللهُ .

سَبَبُ انْكِسَارِ المُسْلِمِيْنَ فِي أُحُدٍ

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ :

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ أَشْرَفِ المُرْسَلِيْنَ ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

أَمَّا بَعْدُ :

فَتَقَدَّمَ الحَدِيْثِ مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنْ « **غَزْوَةِ أُحُدٍ** » ، وَالآنَ حَدِيْثِي مَعَكُمْ عَنْ « **سَبَبِ انْكِسَارِ المُسْلِمِيْنَ فِي أُحُدٍ** » .

-أَيُّهَا النَّاسُ- لَقَدْ تَسَاءَلَ الصَّحَابَةُ -رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ- عَنْ سَبَبِ هَذَا الانْكِسَارِ ، فَكَانَ الرَّدُّ حَاسِمُ .

﴿ **أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٦٥** ﴾ [آلِ عِمْرَان: ١٦٥] .

ذَكَرَ العُلَمَاءُ : أَنَّ المُصِيبَةِ الَّتِي أَصَابَتْ المُسْلِمِينَ هُوَ مَا مَسَّهُمْ يَوْمَ أُحُدٍ، وَالْمُرَادُ بِمُصِيبَةِ الْكُفَّارِ الَّذِي مَسَّهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ ، لِأَنَّ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ أُحُدٍ قُتِلَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ ، وَالْكُفَّارُ يَوْمَ بَدْرٍ قُتِلَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ ، وَأُسِرَ سَبْعُونَ .

وَقَوْلِهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ **قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ** ﴾ .

فِيهِ إِجْمَالٌ بَيَّنَهُ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- بِقَوْلِهِ: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٥٢].

قَالَ الشِّنْقِيطِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ-: «فَفِي هَذِهِ الْفَتْوَىٰ السَّمَاوِيَّةِ بَيَانٌ وَاضِحٌ؛ لأَنَّ سَبَبَ تَسْلِيطِ الْكُفَّارِ عَلَىٰ الْمُسْلِمِينَ هُوَ فَشَلُ الْمُسْلِمِينَ، وَتَنَازُعُهُمْ فِي الْأَمْرِ، وَعِصْيَانُهُمْ أَمْرَهُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَإِرَادَةُ بَعْضِهِمُ الدُّنْيَا مُقَدِّمًا لَهَا عَلَىٰ أَمْرِ الرَّسُولِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-»(١).

وَتَعْلَمُونَ -أَيُّهَا النَّاسُ- أَنَّ الْمُسْلِمِينَ حَقَّقُوا بِدَايَةَ الأَمْرِ انْتِصَارًا بَاهِرًا فِي أَوَّلِ النَّهَارِ بِعَوْنٍ مِنَ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- ثُمَّ حَدَثَ مِنَ الرُّمَاةِ مِنْ مُخَالَفَةِ أَمْرِ الرَّسُولِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِعَدَمِ مُغَادَرَةِ أَمَاكِنِهِمْ أَعْلَىٰ الْجَبَلِ، مَهْمَا حَدَثَ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَقَدْ قَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: **«إِنْ رَأَيْتُمُونَا تَخْطَفُنَا الطَّيْرُ، فَلَا تَبْرَحُوا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا ظَهَرْنَا عَلَى الْعَدُوِّ وَأَوْطَأْنَاهُمْ، فَلَا تَبْرَحُوا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ»**.

اللهُ وَأَكْبَرُ مَا أَعْظَمَهُ مِنْ تَأْكِيدٍ عَلَىٰ عَدَمِ الْمُخَالَفَةِ، لَكِنْ لَمَّا حَصَلَتِ الْمُخَالَفَةُ تَحَوَّلَتِ الرِّيحُ لِتَكُونَ مَعَ الكَافِرِينَ، وَأَذِنَ اللهُ لَهُمْ أَنْ يَهْزِمُوا

---

(١) «أَضْوَاءُ الْبَيَانِ» (٣/ ٥٣).

المُسْلِمِينَ وَيَقْتُلُونَ مِنْهُمْ سَبْعِيْنَ رَجُلًا ، وكَانَ مِنْ بَيْنِهِمْ أَسَدُ الله حَمْزَةَ ، وَمِصْعَبُ بْنُ عُمَيْرُ ، وَعَبْدُ اللهِ بْنِ جَحْشٍ ، وَسَعْدُ بْنُ الرَّبِيْعِ ، وَأَنَسُ بْنُ النَّضْرِ وَغَيْرُهُمْ مِنْ كِبَارِ الصَّحَابَةِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ- ، وَفَوْقَ ذَلِكَ كُلِّهِ -أَيُّهَا النَّاسُ- أُصِيبَ الرَّسُولُ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِصَابَاتٍ بالِغَةً ، وَكُلِّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ بسَبَبِ قُوَّةِ الكُفَّارِ ، وَلَكِنْ بِسَبَبِ مُخَالَفَةِ الرُّمَاةِ لِأَمْرٍ مِنْ أَوَامِرِ الرَّسُولِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- .

وَأُشِيْعَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ- أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَدْ قُتِلَ ، كَمَا قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ- : ﴿ فَأَثَٰبَكُمۡ غَمَّۢا بِغَمّٖ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٥٣] .

قَالَ ابْنُ جَرِيْرِ الطَّبَرِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- : « وَأَوْلَىٰ هَذِهِ الأَقْوَالِ بِالصَّوَابِ قَوْلُ مَنْ قَالَ : مَعْنَىٰ قَوْلِه : ﴿ فَأَثَٰبَكُمۡ غَمَّۢا بِغَمّٖ ﴾ فَأَثَابَكُمْ بِغَمِّكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِحِرْمَانِ اللهِ إِيَّاكُمْ غَنِيمَةَ الْمُشْرِكِينَ، وَالظَّفَرَ بِهِمْ، وَالنَّصْرَ عَلَيْهِمْ، وَمَا أَصَابَكُمْ مِنَ الْقَتْلِ وَالْجِرَاحِ يَوْمئِذٍ بَعْدَ الَّذِي كَانَ قَدْ أَرَاكُمْ فِي كُلِّ ذَلِكَ مَا تُحِبُّونَ بِمَعْصِيَتِكُمْ رَبَّكُمْ، وَخِلَافِكُمْ أَمْرَ نَبِيِّكُمْ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، غَمَّ ظَنِّكُمْ أَنَّ نَبِيَّكُمْ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَدْ قُتِلَ، وَمَيْلِ الْعَدُوِّ عَلَيْكُمْ بَعْدَ فُلُولِكُمْ مِنْهُمْ »(١) .

وَقَدْ ثَبَتَ -أَيُّهَا النَّاسُ- أَنَّ اللهَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- أَرْسَلَ جِبْرِيْلَ

(١) « جَامِعُ البَيَان » (٤/ ٩١) .

وَمِيكَائِلَ مِنَ المَلائِكَةِ لِيُقَاتِلا دِفَاعًا عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، لِأَنَّ اللهَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- تَكَفَّلَ بِعِصْمَتِهِ مِنَ النَّاسِ، فَفِي «صَحِيحِ البُخَارِيِّ»(١)، مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-، قَالَ: قَالَ النَّبِيَّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**يَوْمَ بَدْرٍ هَذَا جِبْرِيلُ آخِذٌ بِرَأْسِ فَرَسِهِ عَلَيْهِ أَدَاةُ الحَرْبِ**».

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»(٢)، مِنْ حَدِيثِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَوْمَ أُحُدٍ وَمَعَهُ رَجُلَانِ يُقَاتِلَانِ عَنْهُ، عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بِيضٌ، كَأَشَدِّ الْقِتَالِ مَا رَأَيْتُهُمَا قَبْلُ وَلَا بَعْدُ».

وَلَمْ يَصِحَّ -أَيُّهَا النَّاسُ- أَنَّ المَلَائِكَةَ قَاتَلَتْ فِي أُحُدٍ سِوَىٰ هَذَا الْقِتَالِ وَأَنْ وَعَدَهُمُ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- أَنْ يُمِدَّهُمْ؛ لِأَنَّهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- جَعَلَ وَعْدَهُ مُعَلَّقًا عَلَىٰ ثَلَاثَةِ أُمُورٍ:

ذَكَرَهَا الحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي تَفْسِيرِهِ وَهِيَ: «الصَّبْرُ وَالتَّقْوَىٰ وَإِتْيَانُ الأَعْدَاءِ مِنْ فَوْرِهِمْ، وَلَمْ تَتَحَقَّقْ هَذِهِ الأُمُورُ فَلَمْ يَحْصُلِ الإِمْدَادُ»(٣).

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿**إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾**﴾ [آل عِمْرَان: ١٢٤-١٢٥].

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٠٤١).
(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٠٥٤)، وَمُسْلِمٌ (٢٣٠٦).
(٣) انْظُرْ: «تَفْسِيرُ ابْنُ كَثِيرٍ» (١/ ٤٠١).

-أَيُّهَا النَّاسُ- بَعْدَ أَنْ غَادَرَتْ قُرَيْشٌ المَكَانَ حَتَّىٰ أَمَرَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِدَفْنِ الشُّهَدَاءِ ، وَكَانُوا سَبْعِينَ شَهِيدًا ، وَقَدَّمَ عِنْدَ الدَّفْنِ أَكْثَرَهُمْ حِفْظًا لِلقُرْآنِ .

كَمَا فِي «صَحِيحِ البُخَارِيِّ»(١)، مِنْ حَدِيثِ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا -أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -كَانَ يَجْمَعُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ مِنْ قَتْلَىٰ أُحُدٍ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ يَقُولُ : « **أَيُّهُمْ أَكْثَرُ أَخْذًا لِلْقُرْآنِ فَإِذَا أُشِيرَ لَهُ إِلَى أَحَدِهِمَا قَدَّمَهُ فِي اللَّحْدِ** » .

« **وَأَمَرَ بِدَفْنِهِم فِي دِمَائِهِم وَلَمْ يُغَسَّلُوا وَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْهِمْ** » ، وَقَالَ: كَمَا فِي «صَحِيحِ البُخَارِيِّ»(٢)، : « **أَنَا شَهِيدٌ عَلَى هَؤُلَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** » .

وَلَمَّا انْتَهَىٰ مِنْ دَفْنِ الشُّهَدَاءِ -أَيُّهَا النَّاسُ- صَفَّ أَصْحَابَهُ وَأَثْنَىٰ عَلَىٰ رَبِّهِ فَقَالَ كَمَا فِي «مُسْنَدِ» أَحْمَد بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي «فِقْهِ السِّيرَةِ»(٣)، قَالَ : « اللهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ كُلُّهُ، اللهُمَّ لا قَابِضَ لِمَا بَسَطْتَ، وَلا بَاسِطَ لِمَا قَبَضْتَ، وَلا هَادِيَ لِمَنْ أَضْلَلْتَ، وَلا مُضِلَّ لِمَنْ هَدَيْتَ، وَلا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلا مُقَرِّبَ لِمَا بَاعَدْتَ، وَلا مُبَاعِدَ لِمَا قَرَّبْتَ، اللهُمَّ ابْسُطْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِكَ وَرَحْمَتِكَ وَفَضْلِكَ وَرِزْقِكَ، اللهُمَّ إِنِّي

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٠٧٩) .
(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (١٣٤٣) .
(٣) (صَحِيحٌ) أَخْرَجَهُ أَحْمَد (٣/ ٣٢٤) ، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ - فِي «فِقْهِ السِّيرَةِ» (٢٦٠) .

أَسْأَلُكَ النَّعِيمَ الْمُقِيمَ الَّذِي لا يَحُولُ وَلا يَزُولُ، اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الأَمْنَ يَوْمَ الْخَوْفِ، اللهُمَّ عَائِذٌ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا أَعْطَيْتَنَا وَمِنْ شَرِّ مَا مَنَعْتَنَا، اللهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الإِيمَانَ، وَزَيِّنْهُ فِي قُلُوبِنَا، وَكَرِّهْ إِلَيْنَا الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ وَاجْعَلْنَا مِنَ الرَّاشِدِينَ، اللهُمَّ تَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ وَأَحْيِنَا مُسْلِمِينَ وَأَلْحِقْنَا بِالصَّالِحِينَ غَيْرَ خَزَايَا وَلا مَفْتُونِينَ، اللهُمَّ قَاتِلِ الْكَفَرَةَ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ رُسُلَكَ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِكَ ،وَاجْعَلْ عَلَيْهِمْ رِجْزَكَ وَعَذَابَكَ ، اللهُمَّ قَاتِلِ الْكَفَرَةَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ، إِلَهَ الْحَقِّ .

ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- رَكِبَ فَرَسَهُ وَرَجَعَ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ .

اللهُمَّ ارْضَ عَنْ صَحَابَةِ نَبِيِّكَ ، وَارْضَ عَنْ شُهَدَاءِ أُحُدٍ ، اللهُمَّ بِحُبِّنَا لَهُمْ فِيكَ احْشُرْنَا مَعَهُمْ .

وَسُبْحَانَكَ اللهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ،نَسْتَغْفِرُكَ وَنَتُوبُ إِلَيْكَ .

٢١ شُهَدَاءُ أُحُـــدٍ

الخُطْبَةُ الأُوْلَىٰ:

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ،نَحْمِدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلِ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لا شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾

[آل عِمْرَان: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾[النِّسَاء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾

[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بُعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ

مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ :

فَمَا زَالَ الحَدِيْثُ مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنِ السِّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ عَلَىٰ صَاحِبِهَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -، وَحَدِيْثِي مَعَكُمْ اليَوْمَ عَنْ « **شُهَدَاءِ أُحُدٍ** » .

أَيُّهَا النَّاسُ ، لَقَدْ وَاسَىٰ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- نَبِيَّهُ وَعَبْدَهُ وَخَلِيْهُ مُحَمَّدًا -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَأَصْحَابَهُ البَرَرَةَ الكِرَامَ ، وَذَلِكَ عَقْبَ غَزْوَةِ أُحُد بِهَذِهِ الآيَةِ الكَرِيْمَةِ: ﴿ **إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾** ﴾ [آل عمران: ١٤٠-١٤٣] .

قَالَ ابْنُ سَعْدِي -رَحِمَهُ اللهُ- : « يَقُولُ -تَعَالَىٰ- مُشَجِّعًا لِعِبَادِهِ المُؤْمِنِينَ، وَمُقَوِّيًا لِعَزَائِمِهِمْ وَمُنْهِضًا لِهِمَمِهِمْ: ﴿ **وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟** ﴾ [آل عمران: ١٣٩] أَيْ: وَلَا تَهِنُوا وَتَضْعُفُوا فِي أَبْدَانِكُمْ، وَلَا تَحْزَنُوا فِي قُلُوبِكُمْ، عِنْدَمَا أَصَابَتْكُمُ المُصِيبَةُ، وَابْتُلِيتُمْ بِهَذِهِ البَلْوَى، فَإِنَّ الحُزْنَ فِي القُلُوبِ، وَالوَهَنَ عَلَىٰ الأَبْدَانِ، زِيَادَةُ مُصِيبَةٍ عَلَيْكُمْ، وَعَوْنٌ لِعَدُوِّكُمْ عَلَيْكُمْ، بَلْ شَجِّعُوا

قُلُوبَكُمْ وَصَبِّرُوهَا، وَادْفَعُوا عَنْهَا الْحُزْنَ وَتَصَلَّبُوا عَلَىٰ قِتَالِ عَدُوِّكُمْ، وَذَكَرَ تَعَالَىٰ أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي وَلَا يَلِيقُ بِهِمُ الْوَهَنُ وَالْحُزْنُ، وَهُمُ الْأَعْلَوْنَ فِي الْإِيمَانِ، وَرَجَاءِ نَصْرِ اللهِ وَثَوَابِهِ، فَالْمُؤْمِنُ الْمُبْتَغِي مَا وَعَدَهُ اللهُ مِنَ الثَّوَابِ الدُّنْيَوِيِّ وَالْأُخْرَوِيِّ لَا يَنْبَغِي لَهُ ذَلِكَ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ١٣٩﴾[آل عِمْرَان: ١٣٩].

ثُمَّ سَلَّاهُمْ بِمَا حَصَلَ لَهُمْ مِنَ الْهَزِيمَةِ، وَبَيَّنَ الْحِكَمَ الْعَظِيمَةَ الْمُتَرَتِّبَةَ عَلَىٰ ذَلِكَ، فَقَالَ: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ﴾ فَأَنْتُمْ وَهُمْ قَدْ تَسَاوَيْتُمْ فِي الْقَرْحِ، وَلَكِنَّكُمْ تَرْجُونَ مِنَ اللهِ مَا لَا يَرْجُونَ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ﴾[النِّسَاءُ:١٠٤].

وَمِنَ الْحِكَمِ فِي ذَلِكَ أَنَّ هَذِهِ الدَّارَ يُعْطِي اللهُ مِنْهَا الْمُؤْمِنَ وَالْكَافِرَ، وَالْبَرَّ وَالْفَاجِرَ، ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾[آل عِمْرَان: ١٤٠]، فَيُدَاوِلُ اللهُ الْأَيَّامَ بَيْنَ النَّاسِ، يَوْمٌ لِهَذِهِ الطَّائِفَةِ، وَيَوْمٌ لِلطَّائِفَةِ الْأُخْرَىٰ، لِأَنَّ هَذِهِ الدَّارَ الدُّنْيَا مُنْقَضِيَةٌ فَانِيَةٌ، وَهَذَا بِخِلَافِ الدَّارِ الْآخِرَةِ، فَإِنَّهَا خَالِصَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا.

﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[آل عِمْرَان: ١٤٠]، -أَيْضًا- مِنَ الْحِكَمِ أَنَّهُ يَبْتَلِي اللهُ عِبَادَهُ بِالْهَزِيمَةِ وَالِابْتِلَاءِ، لِيَتَبَيَّنَ الْمُؤْمِنُ مِنَ الْمُنَافِقِ؛ لِأَنَّهُ لَوِ اسْتَمَرَّ

النَّصْرُ لِلْمُؤْمِنِينَ فِي جَمِيعِ الْوَقَائِعِ لَدَخَلَ فِي الْإِسْلَامِ مَنْ لَا يُرِيدُهُ، فَإِذَا حَصَلَ فِي بَعْضِ الْوَقَائِعِ بَعْضُ أَنْوَاعِ الِابْتِلَاءِ، تَبَيَّنَ الْمُؤْمِنُ حَقِيقَةً الَّذِي يَرْغَبُ فِي الْإِسْلَامِ، فِي الضَّرَّاءِ وَالسَّرَّاءِ، وَالْيُسْرِ وَالْعُسْرِ، مِمَّنْ لَيْسَ كَذَلِكَ.

﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَۗ﴾[آل عِمْرَان: ١٤٠] ، وَهَذَا -أَيْضًا- مِنْ بَعْضِ الْحِكَمِ، لِأَنَّ الشَّهَادَةَ عِنْدَ اللهِ مِنْ أَرْفَعِ الْمَنَازِلِ، وَلَا سَبِيلَ لِنَيْلِهَا إِلَّا بِمَا يَحْصُلُ مِنْ وُجُودِ أَسْبَابِهَا، فَهَذَا مِنْ رَحْمَتِهِ بِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، أَنْ قَيَّضَ لَهُمْ مِنَ الْأَسْبَابِ مَا تَكْرَهُهُ النُّفُوسُ، لِيُنِيلَهُمْ مَا يُحِبُّونَ مِنَ الْمَنَازِلِ الْعَالِيَةِ وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ.

﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[آل عِمْرَان:١٤٠]، الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَقَاعَدُوا عَنِ الْقِتَالِ فِي سَبِيلِهِ، وَكَأَنَّ فِي هَذَا تَعْرِيضًا بِذَمِّ الْمُنَافِقِينَ، وَأَنَّهُمْ مُبْغِضُونَ لِلَّهِ، وَلِهَذَا ثَبَّطَهُمْ عَنِ الْقِتَالِ فِي سَبِيلِهِ.

﴿۞ وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾﴾[التَّوْبَةُ: ٤٦].

﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[آل عِمْرَان:١٤١]، وَهَذَا أَيْضًا مِنَ الْحِكَمِ أَنَّ اللهَ يُمَحِّصُ بِذَلِكَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ ذُنُوبِهِمْ وَعُيُوبِهِمْ، يَدُلُّ ذَلِكَ عَلَىٰ أَنَّ الشَّهَادَةَ وَالْقِتَالَ فِي سَبِيلِ اللهِ تُكَفِّرُ الذُّنُوبَ، وَتُزِيلُ الْعُيُوبَ، وَلِيُمَحِّصَ اللهُ أَيْضًا الْمُؤْمِنِينَ مِنْ غَيْرِهِمْ مِنَ الْمُنَافِقِينَ، فَيَتَخَلَّصُونَ مِنْهُمْ، وَيَعْرِفُونَ

الْمُؤْمِنَ مِنَ الْمُنَافِقِ.

وَمِنَ الحِكَم -أَيْضًا- أَنَّهُ يُقَدِّرُ ذَلِكَ، لِيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ، أَيْ: لِيَكُونَ سَبَبًا لِمَحْقِهِمْ وَاسْتِئْصَالِهِمْ بِالْعُقُوبَةِ، فَإِنَّهُمْ إِذَا انْتَصَرُوا، بَغَوْا، وَازْدَادُوا طُغْيَانًا إِلَىٰ طُغْيَانِهِمْ، يَسْتَحِقُّونَ بِهِ الْمُعَاجَلَةَ بِالْعُقُوبَةِ، رَحْمَةً بِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ ﴾ [آل عِمْرَان:١٤٢].

أَيْ: لَا تَظُنُّوا، وَلَا يَخْطُرْ بِبَالِكُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ مِنْ دُونِ مَشَقَّةٍ وَاحْتِمَالِ الْمَكَارِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ ، وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِهِ.

ثُمَّ وَبَّخَهُمْ -تَعَالَى- عَلَىٰ عَدَمِ صَبْرِهِمْ بِأَمْرٍ كَانُوا يَتَمَنَّوْنَهُ وَيَوَدُّونَ حُصُولَهُ، فَقَالَ: ﴿ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ ﴾ [آل عِمْرَان:١٤٣]، وَذَلِكَ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الصَّحَابَةِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ- مِمَّنْ فَاتَهُ بَدْرٌ يَتَمَنَّوْنَ أَنْ يُحْضِرَهُمُ اللهُ مَشْهَدًا يَبْذُلُونَ فِيهِ جُهْدَهُمْ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ لَهُمْ: ﴿ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ ﴾ [آل عِمْرَان:١٤٣]، أَيْ: رَأَيْتُمْ مَا تَمَنَّيْتُمْ بِأَعْيُنِكُمْ ﴿ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ ﴾ [آل عِمْرَان:١٤٣].

وَفِي هَذَا دَلِيْلٌ جَوَازِ تَمَنِّي الشَّهَادَةِ فِي سَبِيْلِ اللهِ ، لَكِنَّ الشَّهَادَةَ اصْطِفَاءٌ وَاخْتِيَارٌ ﴿ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٤٠].

وَقَدْ اتَّخَذَا اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- فِي مَعْرَكَةِ أُحُدٍ سَبْعِينَ شَهِيْدًا ،

مِنْهُمْ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- ، بَلْ هُوَ سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ، فَفِي مُسْتَدْرَكِ «الحَاكِمِ» ، بِسَنَدٍ صَحِيحٍ ، صَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (١)، مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا-، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ ، وَرَجُلٌ قَامَ إِلَى إِمَامٍ جَائِرٍ فَأَمَرَهُ وَنَهَاهُ فَقَتَلَهُ** » .

وَأَمَّا قِصَّةُ اسْتِشْهَادِهِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-،فَكَمَا فِي «صَحِيحِ البُخَارِيِّ» (٢)، مِنْ حَدِيثِ جَعْفَرِ بْنِ عَمْرِو بْنِ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيِّ قَالَ : «خَرَجْتُ مَعَ عُبَيْدِ اللهِ ابْنِ عَدِيِّ بْنِ الخِيَارِ، فَلَمَّا قَدِمْنَا حِمْصَ قَالَ لِي عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عَدِيٍّ : هَلْ لَكَ فِي وَحْشِيٍّ ، نَسْأَلُهُ عَنْ قَتْلِ حَمْزَةَ ؟، قُلْتُ : نَعَمْ .

وَكَانَ وَحْشِيٌّ يَسْكُنُ حِمْصَ فَسَأَلْنَا عَنْهُ ، فَقِيلَ لَنَا هُوَ ذَاكَ فِي ظِلِّ قَصْرِهِ كَأَنَّهُ حَمِيتٌ، قَالَ: فَجِئْنَا حَتَّىٰ وَقَفْنَا عَلَيْهِ بِيَسِيرٍ فَسَلَّمْنَا فَرَدَّ السَّلَامَ قَالَ : وَعُبَيْدُ اللهِ مُعْتَجِرٌ بِعِمَامَتِهِ مَا يَرَىٰ وَحْشِيٌّ إِلَّا عَيْنَيْهِ وَرِجْلَيْهِ فَقَالَ عُبَيْدُ اللهِ: يَا وَحْشِيُّ أَتَعْرِفُنِي؟، قَالَ : فَنَظَرَ إِلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : لَا وَاللهِ إِلَّا أَنِّي أَعْلَمُ أَنَّ عَدِيَّ بْنَ الخِيَارِ تَزَوَّجَ امْرَأَةً يُقَالُ لَهَا أُمُّ قِتَالٍ بِنْتُ أَبِي العِيصِ ، فَوَلَدَتْ لَهُ غُلَامًا بِمَكَّةَ، فَكُنْتُ أَسْتَرْضِعُ لَهُ فَحَمَلْتُ ذَلِكَ الغُلَامَ مَعَ أُمِّهِ، فَنَاوَلْتُهَا إِيَّاهُ فَلَكَأَنِّي نَظَرْتُ إِلَىٰ قَدَمَيْكَ .

---

(١) (صَحِيحٌ) أَخْرَجَهُ الحَاكِمُ (٣/ ١٩٥)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «الصَّحِيحَةِ» (٣٧٤).

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٠٧٢) .

قَالَ: فَكَشَفَ عُبَيْدُ اللهِ عَنْ وَجْهِهِ ، ثُمَّ قَالَ: أَلَا تُخْبِرُنَا بِقَتْلِ حَمْزَةَ، قَالَ : نَعَمْ إِنَّ حَمْزَةَ قَتَلَ طُعَيْمَةَ بْنَ عَدِيِّ بْنِ الْخِيَارِ بِبَدْرٍ فَقَالَ لِي مَوْلَايَ جُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ : إِنْ قَتَلْتَ حَمْزَةَ بِعَمِّي فَأَنْتَ حُرٌّ .

قَالَ : فَلَمَّا أَنْ خَرَجَ النَّاسُ عَامَ عَيْنَيْنِ ، وَعَيْنَيْنِ جَبَلٌ بِحِيَالِ أُحُدٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ وَادٍ ، خَرَجْتُ مَعَ النَّاسِ إِلَىٰ الْقِتَالِ ، فَلَمَّا أَنْ اصْطَفُّوا لِلْقِتَالِ خَرَجَ سِبَاعٌ فَقَالَ : هَلْ مِنْ مُبَارِزٍ ؟، قَالَ : فَخَرَجَ إِلَيْهِ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَقَالَ: يَا سِبَاعُ يَا ابْنَ أُمِّ أَنْمَارٍ مُقَطِّعَةِ الْبُظُورِ أَتُحَادُّ اللهَ وَرَسُولَهُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- .

قَالَ : ثُمَّ شَدَّ عَلَيْهِ فَكَانَ كَأَمْسِ الذَّاهِبِ-أَيْ صَيَّرَهُ عَدَمًا -قَالَ: وَكَمَنْتُ لِحَمْزَةَ تَحْتَ صَخْرَةٍ ، فَلَمَّا دَنَا مِنِّي رَمَيْتُهُ بِحَرْبَتِي فَأَضَعُهَا فِي ثُنَّتِهِ حَتَّىٰ خَرَجَتْ مِنْ بَيْنِ وَرِكَيْهِ ، قَالَ : فَكَانَ ذَاكَ الْعَهْدَ بِهِ فَلَمَّا رَجَعَ النَّاسُ رَجَعْتُ مَعَهُمْ ، فَأَقَمْتُ بِمَكَّةَ حَتَّىٰ فَشَا فِيهَا الْإِسْلَامُ ، ثُمَّ خَرَجْتُ إِلَىٰ الطَّائِفِ، فَأَرْسَلُوا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- رَسُولًا فَقِيلَ لِي إِنَّهُ لَا يَهِيجُ الرُّسُلَ.

قَالَ: فَخَرَجْتُ مَعَهُمْ حَتَّىٰ قَدِمْتُ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَلَمَّا رَآنِي قَالَ : « **آنْتَ وَحْشِيٌّ** » ؟ ، قُلْتُ نَعَمْ .

قَالَ : « **أَنْتَ قَتَلْتَ حَمْزَةَ** » ؟، قُلْتُ : قَدْ كَانَ مِنْ الْأَمْرِ مَا بَلَغَكَ .

قَالَ : « **فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُغَيِّبَ وَجْهَكَ عَنِّي** » ، قَالَ : فَخَرَجْتُ، فَلَمَّا

قُبِضَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَخَرَجَ مُسَيْلِمَةُ الْكَذَّابُ، قُلْتُ : لَأَخْرُجَنَّ إِلَىٰ مُسَيْلِمَةَ لَعَلِّي أَقْتُلُهُ ، فَأُكَافِئَ بِهِ حَمْزَةَ .

قَالَ: فَخَرَجْتُ مَعَ النَّاسِ فَكَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ ، قَالَ : فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي ثَلْمَةِ جِدَارٍ كَأَنَّهُ جَمَلٌ أَوْرَقُ ثَائِرُ الرَّأْسِ ، قَالَ : فَرَمَيْتُهُ بِحَرْبَتِي فَأَضَعُهَا بَيْنَ ثَدْيَيْهِ حَتَّىٰ خَرَجَتْ مِنْ بَيْنِ كَتِفَيْهِ ، قَالَ : وَوَثَبَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ عَلَىٰ هَامَتِهِ ».

وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ .

شُهَدَاءُ أُحُدٍ

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ :

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَىٰ أَشْرَفِ المُرْسَلِيْنَ ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

أَمَّا بَعْدُ :

فَمَا زَالَ الحَدِيْثِ مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنْ « **شُهَدَاءِ أُحُدٍ** » .

وَمِنْ شُهَدَاءِ أُحُدٍ أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- فَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ»(١)، مِنْ حَدِيْثِ أَنَسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: غَابَ عَمِّي أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ عَنْ قِتَالِ بَدْرٍ، فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ : غِبْتُ عَنْ أَوَّلِ قِتَالٍ قَاتَلْتَ الْمُشْرِكِينَ لَئِنْ اللهُ أَشْهَدَنِي قِتَالَ الْمُشْرِكِينَ ، لَيَرَيَنَّ اللهُ مَا أَصْنَعُ .

فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ وَانْكَشَفَ الْمُسْلِمُونَ قَالَ : اللهُمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ -يَعْنِي أَصْحَابَهُ- ، وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ -يَعْنِي الْمُشْرِكِينَ- ، ثُمَّ تَقَدَّمَ فَاسْتَقْبَلَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ فَقَالَ: يَا سَعْدُ بْنَ مُعَاذٍ ؛ الْجَنَّةَ وَرَبِّ النَّضْرِ إِنِّي أَجِدُ رِيحَهَا مِنْ دُونِ أُحُدٍ .

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٠٤٨) ، وَمُسْلِمٌ (١٩٠٣) .

قَالَ سَعْدٌ : فَمَا اسْتَطَعْتُ يَا رَسُولَ اللهِ مَا صَنَعَ ، قَالَ أَنَسٌ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- : فَوَجَدْنَا بِهِ بِضْعًا وَثَمَانِينَ ضَرْبَةً بِالسَّيْفِ ، أَوْ طَعْنَةً بِرُمْحٍ ، أَوْ رَمْيَةً بِسَهْمٍ ، وَوَجَدْنَاهُ قَدْ قُتِلَ، وَقَدْ مَثَّلَ بِهِ الْمُشْرِكُونَ ، فَمَا عَرَفَهُ أَحَدٌ إِلَّا أُخْتُهُ بِبَنَانِهِ ، قَالَ أَنَسٌ: كُنَّا نُرَى أَوْ نَظُنُّ أَنَّ هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ فِيهِ وَفِي أَشْبَاهِهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ » [الأَحْزَابُ :٢٣] .

وَمِنْ شُهَدَاءِ أُحُدٍ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَبْدُ اللهِ بْنُ حَرَامٍ وَالِدُ جَابِرٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- فَفِي «صَحِيْحِ البُخَارِيِّ»[١]، مِنْ حَدِيْثِ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ:« لَمَّا قُتِلَ أَبِي جَعَلْتُ أَكْشِفُ الثَّوْبَ عَنْ وَجْهِهِ أَبْكِي، وَيَنْهَوْنِي عَنْهُ وَالنَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لاَ يَنْهَانِي، فَجَعَلَتْ عَمَّتِي فَاطِمَةُ تَبْكِي، فَقَالَ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **تَبْكِينَ أَوْ لاَ تَبْكِينَ، مَا زَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ تُظِلُّهُ بِأَجْنِحَتِهَا حَتَّى رَفَعْتُمُوهُ** » .

وَأَخْرَجَ الحَاكِمُ بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ،صَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي«صَحِيْحِ الجَامِعِ»[٢]، مِنْ حَدِيْثِ جَابِرِ بْنَ عَبْدِ اللهِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- يَقُولُ: لَمَّا قُتِلَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو ابْنِ حَرَامٍ يَوْمَ أُحُدٍ ، لَقِيَنِي رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (١٢٤٤) .
(٢) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ الحَاكِمُ (٢/ ٢٠٤)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «صَحِيْحِ الجَامِعِ» (٧٩٠٥).

فَقَالَ: «**يَا جَابِرُ مَا لِي أَرَاكَ مُنْكَسِرًا؟**» ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ اسْتُشْهِدَ أَبِي وَتَرَكَ عِيَالًا وَدَيْنًا ، قَالَ : «**أَفَلا أُبَشِّرُكَ بِمَا لَقِيَ اللهُ بِهِ أَبَاكَ ؟**» ، قَالَ: بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللهِ ، قَالَ :« **مَا كَلَّمَ اللهُ أَحَدًا قَطُّ إِلَّا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ، وَكَلَّمَ أَبَاكَ كِفَاحًا، فَقَالَ : يَا عَبْدِي تَمَنَّ عَلَيَّ أُعْطِكَ** »، قَالَ : يَا رَبِّ تُحْيِينِي فَأُقْتَلُ فِيكَ ثَانِيَةً.

فَقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : سَبَقَ مِنِّي القَوْلُ ﴿ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ [يس:٣١] ، قَالَ : يَا رَبِّ فَأَبْلِغْ مَنْ وَرَائِي .

قَالَ : فَأَنْزَلَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾[آل عِمْرَان:١٦٩].

وَمِنْ شُهَدَاءِ أُحُدٍ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَمْرُو بْنُ الجَمُوحِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- كَانَ عَمْرُو بْنُ الْجَمُوحِ أَعْرَجَ شَدِيدَ الْعَرَجِ ، وَكَانَ لَهُ أَرْبَعَةُ بَنُونَ شَبَابٌ يَغْزُونَ مَعَ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِذَا غَزَا فَلَمَّا أَرَادَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَتَوَجَّهُ إِلَىٰ أُحُدٍ ، قَالَ لَهُ بَنُوهُ : إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ جَعَلَ لَكَ رُخْصَةً فَلَو قَعَدْتَ فَنَحْنُ نَكْفِيكَ فَقَدْ وَضَعَ اللهُ عَنْكَ الْجِهَادَ .

فَأَتَىٰ عَمْرُو بْنُ الْجَمُوحِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ بَنِيَّ هَؤُلَاءِ يَمْنَعُونِىٰ أَنْ أَخْرُجَ مَعَكَ ، وَاللهِ إِنِّىٰ لأَرْجُو أَنْ أُسْتَشْهَدَ فَأَطَأَ بِعُرْجَتِىٰ هَذِهِ فِىٰ الْجَنَّةِ.

فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَمَا رَوَىٰ ابْنُ هِشَام عَنِ ابْنِ إِسْحَاقِ وَبَعْضُهُ فِي «المُسْنَدِ»، بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ، صَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي «فِقْهِ السِّيْرَةِ»[(١)]، مِنْ حَدِيْثِ أَبِىٰ قَتَادَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: «**أَمَّا أَنْتَ فَقَدْ وَضَعَ اللهُ عَنْكَ الْجِهَادَ**».

وَقَالَ لِبَنِيهِ: «**وَمَا عَلَيْكُمْ أَنْ تَدْعُوهُ لَعَلَّ اللَّهَ -عَزَّ وَجَلَّ- يَرْزُقُهُ الشَّهَادَةَ؟**». فَخَرَجَ مَعَ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ شَهِيدًا».

وَمِنْ شُهَدَاءِ أُحُدٍ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَبْدُ اللهِ بْنُ جَحْشٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- فَفِي «مُسْتَدْرِكِ» الحَاكِم بِسَنَدٍ قَالَ عَنْهُ الأَلْبَانِيُّ فِي «فِقْهِ السِّيْرَةِ»[(٢)]، صَحِيْحٌ بِشَوَاهِدِهِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ المُسَيِّبِ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ جَحْشٍ: «اللهُمَّ إِنِّي أُقْسِمُ عَلَيْكَ أَنْ أَلْقَىٰ الْعَدُوَّ غَدًا فَيَقْتُلُونِي، ثُمَّ يَبْقُرُوا بَطْنِي، وَيَجْدَعُوا أَنْفِي وَأُذُنِي، ثُمَّ تَسْأَلُنِي بِمَا ذَاكَ؟ فَأَقُولُ: فِيكَ»، قَالَ سَعِيدُ بْنُ المُسَيِّبِ: إِنِّي لأَرْجُو أَنْ يَبَرَّ اللهُ آخِرَ قَسَمِهِ كَمَا بَرَّ أَوَّلَهُ.

وَمِنْ شُهَدَاءِ أُحُدٍ -أَيُّهَا النَّاسُ- مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- فَفِي «صَحِيْحِ البُخَارِيِّ»[(٣)]، مِنْ حَدِيْثِ خَبَّابٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: «هَاجَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَنَحْنُ نَبْتَغِي وَجْهَ اللهِ، فَوَقَعَ أَجْرُنَا

---

(١) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ الحَاكِمُ (٢/ ٢٠٤)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيْحِ الجَامِعِ» (٧٩٠٥).
(٢) (صَحِيْحٌ بِشَوَاهِدِهِ) أَخْرَجَهُ الحَاكِمُ (٣/ ١٩٩-٢٢٠)،)، وَقَالَ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «فِقْهِ السِّيْرَةِ» (٢٦٠) صَحِيْحٌ بِشَوَاهِدِهِ.
(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٠٤٧).

عَلَىٰ اللهِ ، فَمِنَّا مَنْ مَضَىٰ لِسَبيلِه لَمْ يَأْكُلْ مَنْ أَجْرِه شَيْئًا ، مِنْهُمْ : مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ ، وَلَمْ يَتْرُكْ إِلَّا نَمِرَةً ، كُنَّا إِذَا غَطَّيْنَا رَأْسَهُ بَدَتْ رِجْلَاهُ ، وَإِذَا غَطَّيْنَا رِجْلَيْهِ بَدَا رَأْسُهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ – صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : «**غَطُّوا رَأْسَهُ ، وَاجْعَلُوا عَلَى رِجْلَيْهِ مِنَ الْإِذْخِرِ**» ، وَمِنَّا مَنْ أَيْنَعَتْ لَهُ ثَمَرَتُهُ فَهُوَ يَهْدِبُهَا .

اللهُمَّ كُنْ لِلْمُسْلِمينَ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ فِي كُلِّ مَكَانٍ ؛ فَرِّجْ هَمَّهُم ، وَنَفِّسْ كَرْبَهُم ، وَأَقِلْ عَثْرَتَهُم وَتَوَلَّىٰ أَمْرَهُم .

اللهُمَّ ارْفَعْ رَايَتَهُم، وَاكْبِتْ عَدُوَّهُمْ . اللهُمَّ وَحِّدْ صَفَّهُم ، وَاجْمَعْ كَلِمَتَهُم ، وَرُدَّهُم إِلَيْكَ رَدًّا جَمِيلًا .

٢٢ غَزْوَةُ حَمْرَاءِ الأَسَدِ وَالرَّجِيْعِ وَرَعْلٍ، وَذَكْوَان وَبِئْرِ مَعُونَةٍ، وَ غَزْوَةُ بَنِي المُصْطَلَقِ

الخُطْبَةُ الأُوْلَى[١]:

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ،نَحْمِدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلِ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لا شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾[النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأَحْزَاب:٧٠-٧١] .

أَمَّا بُعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ :

فَمَا زِلْتُ مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- أَنْتَقِلُ بِكُمْ فِي رِيَاضِ السِّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ -عَلَىٰ صَاحِبِهَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-.

وَحَدِيْثِي مَعَكُمْ الْيَوْمَ عَنْ « **غَزْوَةُ حَمْرَاءِ الأَسَدِ وَالرَّجِيْعِ وَرِعْلٍ، وَذَكْوَانَ وَبِئْرِ مَعُونَةٍ، وَ غَزْوَةُ بَنِي الْمُصْطَلِقِ** » .

فَأَمَّا حَمْرَاءُ الأَسَدِ فَإِنَّ النَّبِيَّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَشْفَقَ مِنْ عَوْدَةِ قُرَيْشٍ إِلَىٰ الْمَدِيْنَةِ فَنَدَبَ الْمُسْلِمِيْنَ إِلَىٰ النُّهُوضِ فِي أَثَرِهِمْ فَانْتَدَبَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ رَجُلًا، وَكَانُوا مُثْقِلِيْنَ بِالْجُرُوْحِ، حَتَّىٰ بَلَغُوا حَمْرَاءَ الأَسَدِ، فَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ»[1]، عَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا-: أَنَّهَا قَالَتْ لِعُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ : يَا ابْنَ أُخْتِي ، كَانَ أَبُوكَ مِنْهُمْ ، الزُّبَيْرُ وَأَبُو بَكْرٍ ، تَعْنِي مِنَ الَّذِينَ قَالَ اللهُ فِيْهِمْ : ﴿ **ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾** ﴾ [آل عمران:١٧٢] .

لَمَّا أَصَابَ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مَا أَصَابَ يَوْمَ أُحُدٍ وَانْصَرَفَ عَنْهُ الْمُشْرِكُونَ خَافَ أَنْ يَرْجِعُوا ، قَالَ : **مَنْ يَذْهَبُ فِي إِثْرِهِمْ ؟**

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٠٧٧) ، وَمُسْلِمٌ (٢٤١٨) .

فَانْتَدَبَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ رَجُلًا ، كَانَ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَالزُّبَيْرُ » .

ثُمَّ بَعَثُ الرَّجِيعِ بَعْدَ أُحُدٍ ، إِذْ بَعَثَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَشَرَةَ رَهْطٍ سَرِيَّةً عَيْنًا، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ عَاصِمَ بْنَ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيَّ ، جَدَّ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، فَانْطَلَقُوا حَتَّىٰ إِذَا كَانُوا بَيْنَ عُسْفَانَ وَمَكَّةَ ذُكِرُوا لِحَيٍّ مِنْ هُذَيْلٍ يُقَالُ لَهُمْ بَنُو لَحْيَانَ ، فَنَفَرُوا لَهُمْ قَرِيبًا مِنْ مِائَتَيْ رَجُلٍ كُلُّهُمْ رَامٍ، فَاقْتَصُّوا آثَارَهُمْ ، فَلَمَّا رَآهُمْ عَاصِمٌ وَأَصْحَابُهُ لَجَئُوا إِلَىٰ فَدْفَدٍ، وَأَحَاطَ بِهِمْ الْقَوْمُ ، فَقَالُوا لَهُمْ كَمَا فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» (١)، مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- : انْزِلُوا وَأَعْطُونَا بِأَيْدِيكُمْ وَلَكُمْ الْعَهْدُ وَالْمِيثَاقُ وَلَا نَقْتُلُ مِنْكُمْ أَحَدًا ، قَالَ عَاصِمُ بْنُ ثَابِتٍ أَمِيرُ السَّرِيَّةِ : أَمَّا أَنَا فَوَاللهِ لَا أَنْزِلُ الْيَوْمَ فِي ذِمَّةِ كَافِرٍ ، اللهُمَّ أَخْبِرْ عَنَّا نَبِيَّكَ ، فَرَمَوْهُمْ بِالنَّبْلِ فَقَتَلُوا عَاصِمًا فِي سَبْعَةٍ ، فَنَزَلَ إِلَيْهِمْ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ بِالْعَهْدِ وَالْمِيثَاقِ ، مِنْهُمْ خُبَيْبٌ الْأَنْصَارِيُّ ، وَابْنُ دَثِنَةَ وَرَجُلٌ آخَرُ .

فَلَمَّا اسْتَمْكَنُوا مِنْهُمْ أَطْلَقُوا أَوْتَارَ قِسِيِّهِمْ فَأَوْثَقُوهُمْ ، فَقَالَ الرَّجُلُ الثَّالِثُ : هَذَا أَوَّلُ الْغَدْرِ ، وَاللهِ لَا أَصْحَبُكُمْ ، إِنَّ لِي فِي هَؤُلَاءِ لَأُسْوَةً ، يُرِيدُ الْقَتْلَىٰ فَجَرَّرُوهُ وَعَالَجُوهُ عَلَىٰ أَنْ يَصْحَبَهُمْ فَأَبَىٰ فَقَتَلُوهُ .

فَانْطَلَقُوا بِخُبَيْبٍ وَابْنِ دَثِنَةَ حَتَّىٰ بَاعُوهُمَا بِمَكَّةَ بَعْدَ وَقْعَةِ بَدْرٍ ، فَابْتَاعَ خُبَيْبًا بَنُو الْحَارِثِ بْنِ عَامِرِ بْنِ نَوْفَلِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ ، وَكَانَ خُبَيْبٌ هُوَ

---

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٠٤٥) .

قَاتِلُ الْحَارِثَ بْنَ عَامِرٍ يَوْمَ بَدْرٍ ، فَلَبِثَ خُبَيْبٌ عِنْدَهُمْ أَسِيرًا ، فَأَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عِيَاضٍ أَنَّ بِنْتَ الْحَارِثِ أَخْبَرَتْهُ ، أَنَّهُمْ حِينَ اجْتَمَعُوا اسْتَعَارَ مِنْهَا مُوسَىٰ يَسْتَحِدُّ بِهَا فَأَعَارَتْهُ ، فَأَخَذَ ابْنًا لِي وَأَنَا غَافِلَةٌ حِينَ أَتَاهُ قَالَتْ : فَوَجَدْتُهُ مُجْلِسَهُ عَلَىٰ فَخِذِهِ وَالْمُوسَىٰ بِيَدِهِ ، فَفَزِعْتُ فَزْعَةً عَرَفَهَا خُبَيْبٌ فِي وَجْهِي ، فَقَالَ : تَخْشَيْنَ أَنْ أَقْتُلَهُ ؟ ، مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَ ذَلِكَ ، وَاللهِ مَا رَأَيْتُ أَسِيرًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ خُبَيْبٍ ، وَاللهِ لَقَدْ وَجَدْتُهُ يَوْمًا يَأْكُلُ مِنْ قِطْفِ عِنَبٍ فِي يَدِهِ ، وَإِنَّهُ لَمُوثَقٌ فِي الْحَدِيدِ ، وَمَا بِمَكَّةَ مِنْ ثَمَرٍ ، وَكَانَتْ تَقُولُ إِنَّهُ لَرِزْقٌ مِنَ اللهِ رَزَقَهُ خُبَيْبًا .

فَلَمَّا خَرَجُوا مِنَ الْحَرَمِ لِيَقْتُلُوهُ فِي الْحِلِّ ، قَالَ لَهُمْ خُبَيْبٌ : ذَرُونِي أَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ ، فَتَرَكُوهُ فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ قَالَ : لَوْلَا أَنْ تَظُنُّوا أَنَّ مَا بِي جَزَعٌ لَطَوَّلْتُهَا ، اللهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا .

وَلَسْتُ أُبَالِي حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِمًا ... عَلَى أَيِّ شِقٍّ كَانَ لِلَّهِ مَصْرَعِي
وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ وَإِنْ يَشَأْ ... يُبَارِكْ عَلَى أَوْصَالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ

فَقَتَلَهُ ابْنُ الْحَارِثِ ، فَكَانَ خُبَيْبٌ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- هُوَ سَنَّ الرَّكْعَتَيْنِ لِكُلِّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ قُتِلَ صَبْرًا ، فَاسْتَجَابَ اللهُ لِعَاصِمِ بْنِ ثَابِتٍ يَوْمَ أُصِيبَ ، فَأَخْبَرَ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَصْحَابَهُ خَبَرَهُمْ وَمَا أُصِيبُوا .

ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بَعَثَ سَبْعِينَ رَجُلًا لِحَاجَةٍ ، يُقَالُ

هُمُ الْقُرَّاءُ ، كَمَا جَاءَ فِي «الصَّحِيْحَيْنِ»[١]، مِنْ حَدِيْثِ أَنَسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- فَعَرَضَ لَهُمْ حَيَّانُ مِنْ بَنِي سَلِيمٍ ، رَعْلٍ وَذَكْوَانَ ، عِنْدَ بِئْرٍ يُقَالُ لَهَا: بِئْرُ مَعُونَةَ ، فَقَالَ الْقَوْمُ : مَا إِيَّاكُمْ أَرَدْنَا إِنَّمَا نَحْنُ مُخْتَارُونَ فِي حَاجَةِ نَبِيِّ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، فَقَتَلُوهُمْ ، فَدَعَا نَبِيُّ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلَيْهِمْ شَهْرًا فِي صَلاةِ الْغَدَاةِ ، وَذَلِكَ بِدْءُ الْقُنُوتِ وَمَا كُنَّا نَقْنُتُ .

ثُمَّ وَقَعَتْ غَزْوَةُ بَنُو الْمُصْطَلِقِ بَعْدَ ذَلِكَ ، وَبَنُو الْمُصْطَلِقِ -أَيُّهَا النَّاسُ- بَطْنٌ مِنْ قَبِيْلَةِ خُزَاعَةَ الأَزْدِيَّةِ اليَمَانِيَّةِ، وَكَانُوا يَسْكُنُونَ قَدِيْدًا ، وَعَسْفَانَ عَلَىٰ الطَّرِيْقِ مِنَ المَدِيْنَةِ إِلَىٰ مَكَّةَ ، وَقَدِيْدُ تَبْعُدُ عَنْ مَكَّةَ مِائَةٍ وَعِشْرِيْنَ كَيْلًا ، وَعَسْفَانُ تَبْعُدُ ثَمَانِيْنَ كَيْلًا ، فَيَكُونُ بَيْنَهُمَا أَرْبَعُونَ كَيْلًا .

وَكَانُوا يَعْتَرُونَ فِي حَرْبٍ مَعَ الْمُسْلِمِيْنَ مُنْذُ اشْتِرَاكِهِمْ مَعَ قُرَيْشٍ فِي غَزْوَةِ أُحُدٍ، كَمَا كَانُوا يَجْمَعُونَ الْجُمُوعَ لِحَرْبِ الْمُسْلِمِيْنَ ، فَغَارَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَهُمْ غَارُونَ أَيْ وَهُمْ عَلَىٰ غَفْلَةٍ فَانْهَزَمُوا وَقُتِلَ بَعْضُهُمْ وَأَخَذَ الْمُسْلِمُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ ، فَتَمَّتْ قِسْمَةُ ذَلِكَ بَيْنَهُمْ .

فِي «الصَّحِيْحَيْنِ»[٢]، مِنْ حَدِيْثِ ابْنَ عُمَرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- « **أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَغَارَ عَلَى بَنِي الْمُصْطَلِقِ وَهُمْ غَارُّونَ، وَأَنْعَامُهُمْ**

---

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٠٨٨) ، وَمُسْلِمٌ (٦٧٧) .
(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٢٥٤١) ، وَمُسْلِمٌ (١٧٣٠) .

تُسْقَى عَلَى الْمَاءِ، فَقَتَلَ مُقَاتِلَهُمْ ، وَسَبَى ذَرَارِيَّهُمْ ، وَأَصَابَ يَوْمَئِذٍ جُوَيْرِيَةَ بِنْتَ الْحَارِثِ ».

وَتُسَمَّىٰ غَزْوَةُ بَنُو الْمُصْطَلِقِ -أَيُّهَا النَّاسُ- بِغَزْوَةِ الْمُرَيْسِيعِ ،لِأَنَّهَا وَقَعَتْ عِنْدَ مَاءِ الْمُرَيْسِيعِ .

وَكَانَتْ جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ-رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- قَبْلَ النَّبِيَّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عِنْدَ مُسَافِعِ بْنِ صَفْوَانَ الْمُصْطَلِقِي [١] ، قُتِلَ كَافِرًا سُبِيَتْ يَوْمَ الْمُرَيْسِيعِ.

فَفِي«مُسْنَدِ» أَحْمَدُ ، وَسُنَنِ أَبِي دُاوُدَ بِسَنَدٍ حَسَنٍ ، حَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيْحِ سُنَنِ أَبِي دُاوُدَ » [٢] ،عَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا-، قَالَتْ: «لَمَّا قَسَمَ رَسُولُ اللهِ-صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-سَبَايَا بَنِي الْمُصْطَلِقِ،وَقَعَتْ جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ فِي السَّهْمِ لِثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ الشَّمَّاسِ ، أَوْ لِابْنِ عَمٍّ لَهُ ، فَكَاتَبَتْهُ عَلَىٰ نَفْسِهَا ، وَكَانَتْ امْرَأَةً حُلْوَةً مُلَّاحَةً - أَيْ: شَدِيْدَةَ الْمَلاحَةِ والحُسْنِ، أَمْلَحَ مِنَ الْمَلِيْحَةِ - ، لا يَرَاهَا أَحَدٌ إِلَّا أَخَذَتْ بِنَفْسِهِ فَأَتَتْ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- تَسْتَعِينُهُ فِي كِتَابَتِهَا .

قَالَتْ عَائِشَةُ - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا -: فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُهَا عَلَىٰ بَابِ

---

(١) « طَبَقَاتُ ابْنِ سَعْد » (٨/ ١١٦) ، وَ «مُسْتَدْرَكُ الحَاكِم » (٤/ ٦٤٦) .
(٢) (حَسَنٌ) أَخْرَجَهُ أَحْمَد (٦/ ٢٧٧)، وَأَبُو دُاوُدَ (٣٩٣١) ، وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «صَحِيْحِ سُنَنِ أَبِي دُاوُدَ » (٣٣٢٧) .

حُجْرَتِي فَكَرِهْتهَا ، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَرَىٰ مِنْهَا -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مَا رَأَيْتُ ، فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ ، فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللهِ ، أَنَا جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الْحَارِث بْنِ أَبِي ضِرَارٍ ، سَيِّدِ قَوْمِهِ ، وَقَدْ أَصَابَنِي مِنْ الْبَلَاءِ ، مَا لَمْ يَخْفَ عَلَيْكَ ، فَوَقَعْتُ فِي السَّهْمِ لِثَابتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ الشَّمَّاسِ ، أَوْ لِابْنِ عَمٍّ لَهُ ، فَكَاتَبْتُهُ عَلَىٰ نَفْسِي، فَجِئْتُكَ أَسْتَعِينُكَ عَلَىٰ كِتَابَتِي .

قَالَ: فَهَلْ لَكَ فِي خَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ؟، قَالَتْ: وَمَا هُوَ يَا رَسُولَ اللهِ ؟، قَالَ: أَقْضِي عَنْكَ كِتَابَتَكَ وَأَتَزَوَّجُكَ ؛ قَالَتْ : نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ ؛ قَالَ : قَدْ فَعَلْتُ .

قَالَتْ - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا -: وَخَرَجَ الْخَبَرُ إِلَىٰ النَّاسِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَدْ تَزَوَّجَ جُوَيْرِيَةَ ابْنَةَ الْحَارِث بْنِ أَبِي ضِرَارٍ ، فَقَالَ النَّاسُ: أَصْهَارُ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَأَرْسَلُوا مَا بِأَيْدِيهِمْ ؛ قَالَتْ: فَلَقَدْ أُعْتِقَ بِتَزْوِيجِهِ إِيَّاهَا مِئَةُ أَهْلِ بَيْتٍ مِنْ بَنِي الْمُصْطَلِقِ ، فَمَا أَعْلَمُ امْرَأَةً كَانَتْ أَعْظَمَ عَلَىٰ قَوْمِهَا بَرَكَةً مِنْهَا

وَأَسْتَغْفِرُ اللهُ .

كَشْفُ المنَافِقِيْنَ عَنْ حِقْدِهِمْ

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ :

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ أَشْرَفِ المُرْسَلِيْنَ ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

أَمَّا بَعْدُ :

فَتَقَدَّمَ الحَدِيْثُ مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنْ « **غَزْوَةِ حَمْرَاءِ الأَسَدِ وَالرَّجِيْعِ وَرَعْلٍ ، وَذَكْوَانَ وَبِئْرِ مَعُونَةٍ ، وَ غَزْوَةُ بَنِي المُصْطَلَقِ** » .

وَالآنَ حَدِيْثِي مَعَكُمْ عَنْ « **كَشْفُ المُنَافِقِيْنَ عَنْ حِقْدِهِمْ** » .

أَيُّهَا النَّاسُ لَقَدْ كَشَفَ المُنَافِقُونَ عَنِ الحِقْدِ الَّذِي يُضْمِرُونَهُ لِلإِسْلَامِ فَكُلَّمَا كَسَبَ الإِسْلَامُ نَصْرًا جَدِيْدًا ازْدَادُوا غَيْظًا عَلَىٰ غَيْظِهِمْ ،وَقُلُوبُهُمْ تَتَطَلَّعُ إِلَىٰ اليَوْمِ الَّذِي يُهْزَمُ فِيْهِ المُسْلِمُونَ لِتَشْتَفِيَ مِنَ الغِلِّ ، فَلَمَّا انْتَصَرَ المُسْلِمُونَ فِي غَزْوَةِ بَنِي المُصْطَلِقِ ، وَعِنْدَ مَاءِ المُرَيْسِيْعِ كَشَفَ المُنَافِقُونَ عَنِ حِقْدِهِمْ .

وَلْنَدَعَ الصَّحَابِيَّ زَيْدَ بْنَ أَرْقَمَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- يَحْكِي خَبَرَ ذَلِكَ كَمَا جَاءَ فِي «الصَّحِيْحَيْنِ»[١]، قَالَ : كُنْتُ فِي غَزَاةٍ- أَيّ غَزْوَةِ بَنِي المُصْطَلِقِ[٢]-

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٩٠٠) ، وَمُسْلِمٌ (٢٧٧٢) .
(٢) صَرَّحَتْ الرِّوَايَاتُ الأُخْرَىٰ بِأَنَّهَا غَزْوَة بَنِي المُصْطَلِقِ ، انْظُرْ : «المُسْنَدُ» (٣/ ٣٩٢-٣٩٣) بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ ، وَ«فَتْحُ البَارِيّ» (٨/ ٦٤٩) .

فَسَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ أُبَيٍّ يَقُولُ: لَا تُنْفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ حَتَّىٰ يَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِهِ ، وَلَئِنْ رَجَعْنَا مِنْ عِنْدِهِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ » فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعَمِّي -أَيْ : سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ ، هُوَ رَأْسُ الْخَزْرَجِ وَلَيْسَ عَمَّهُ حَقِيقَةً - وإِمَّا عُمَرَ - فَهُوَ ابْنِ الْخَطَّابِ[١]- فَذَكَرَهُ لِلنَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، فَدَعَانِي فَحَدَّثْتُهُ، فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِلَىٰ عَبْدِ اللهِ بْنِ أُبَيٍّ وَأَصْحَابِهِ ، فَحَلَفُوا مَا قَالُوا ، فَكَذَّبَنِي رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَصَدَّقَهُ .

فَأَصَابَنِي هَمٌّ لَمْ يُصِبْنِي مِثْلُهُ قَطُّ ، فَجَلَسْتُ فِي الْبَيْتِ، فَقَالَ لِي عَمِّي: مَا أَرَدْتَ إِلَىٰ أَنْ كَذَّبَكَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَمَقَتَكَ ،فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ ﴿ **إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ** ﴾ [المُنَافِقُونَ:١] [٢] ، فَبَعَثَ إِلَيَّ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَرَأَ فَقَالَ : « **إِنَّ اللَّهَ قَدْ صَدَّقَكَ يَا زَيْدُ** » .

وَيَحْكِي جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- مَا حَدَثَ فِي مَاءِ الْمُرَيْسِيعِ فَقَالَ كَمَا جَاءَ فِي«الصَّحِيحَيْنِ» [٣] : « كُنَّا فِي غَزَاةٍ قَالَ: سُفْيَانُ يَرَوْنَ أَنَّهَا غَزْوَةُ بَنِي الْمُصْطَلِقِ ، فَكَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنْ الْأَنْصَارِ ، -أَيْ ضَرَبَهُ بِرِجْلِهِ- فَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ : يَالَلْمُهَاجِرِينَ ،وَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: يَالَلْأَنْصَارِ فَسَمِعَ ذَلِكَ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ : « **مَا بَالُ**

(١) «فَتْحُ الْبَارِيِّ» (٨/ ٦٤٥) .
(٢) (صَحِيحٌ) اُنْظُرْ : « سُنَن التِّرْمذِيِّ» (٣٣١٢) .
(٣) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٥١٨) ، وَمُسْلِمٌ (٢٥٨٤) .

دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ » ، قَالُوا : رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ كَسَعَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ**»، فَسَمِعَ ذَلِكَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُول فَقَالَ : أَوَقَدْ فَعَلُوهَا ، وَاللهِ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَىٰ الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ ، فَقَالَ عُمَرُ : يَا رَسُولَ اللهِ دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ، فَقَالَ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **دَعْهُ لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ** » .

وَبَعْدَ فَشَلِ مُحَاوَلَةِ الْمُنَافِقِيْنَ فِي إِثَارَةِ العَصَبِيَّةِ الجَاهِلِيَّةِ -أَيُّهَا النَّاسُ- أَعْمَاهُمْ الغَضَبُ وَأَتَتْهُمُ الفُرْصَةُ لِإِيْذَاءِ الرَّسُولِ-صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي نَفْسِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ ، وَكَانَتْ عَائِشَةُ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- كَمَا جَاءَ فِي«الصَّحِيْحَيْنِ»[١] : « قَدْ خَرَجَتْ مَعَهُ إِلَىٰ غَزْوَةِ بَنِي الْمُصْطَلِقِ ، وَذَلِكَ بَعْدَمَا شَرَعَ اللهُ الحِجَابَ لِلنِّسَاءِ ، وَفِي طَرِيقِ العَوْدَةِ عِنْدَمَا اقْتَرَبَ الْمُسْلِمُونَ مِنَ الْمَدِيْنَةِ نَزَلَتْ مِنْ هَوْدَجِ البَعِيْرِ لِبَعْضِ شَأْنِهَا ، فَلَمَّا عَادَتْ افْتَقَدَتْ عِقْدًا لَهَا، فَرَجَعَتْ تَبْحَثُ عَنْهُ ، فَحَمَلَ الرِّجَالُ هَوْدَجَهَا فَوَضَعُوهَا عَلَىٰ البَعِيْرِ وَهُمْ يَحْسَبُونَهَا فِيْهِ - إِذْ كَانَتْ صَغِيْرَةً خَفِيْفَةً - وَمَضَىٰ الْمُسْلِمُونَ إِلَىٰ الْمَدِيْنَةِ تَارِكِيْهَا فِي البَيْدَاءِ وَقَدْ وَجَدَتْ عِقْدَهَا وَفَقَدَتِ الرَّكْبَ ، فَمَكَثَتْ فِي مَكَانِهَا تَنْتَظِرُ أَنْ يَعْرِفُوا خَبَرَهَا وَيَعُودُوا إِلَيْهَا ، فَمَرَّ بِهَا صَفْوَانُ بْنُ الْمُعَطَّلِ السُّلَمِيِّ وَهُوَ مِنْ خَيْرِ الصَّحَابَةِ ، فَحَمَلَهَا عَلَىٰ بَعِيْرِهِ ، وَانْطَلَقَ بِهَا إِلَىٰ الْمَدِيْنَةِ فَوَصَلَ إِلَيْهَا بَعْدَ

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٧٥٠) ، وَمُسْلِمٌ (٢/ ٢٧٧٠) .

دُخُولِ الرَّسُولِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَقَدْ اسْتَغَلَّ المُنَافِقُونَ هَذَا الحَادِثَ وَنَسَجُوا حَوْلَهُ ، وَتَوَلَّىٰ ذَلِكَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولٍ ، وَأَغْرَىٰ بِالكَلَامِ مِسْطَحُ بْنَ أُثَاثَةَ ، وَحَسَّانُ بْنَ ثَابِتٍ ، وَحَمْنَةُ بِنْتَ جَحْشٍ ، فَاتُّهِمَتْ عَائِشَةُ أُمُّ المُؤْمِنِيْنَ بِالإِفْكِ .

وَضَاقَ الرَّسُولُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ذَرْعًا بِدِعَايَاتِ المُنَافِقِيْنَ، وَصَرَّحَ بِذَلِكَ لِلمُسْلِمِيْنَ وَهُمْ مُجْتَمِعُونَ فِي المَسْجِدِ مُعْلِنًا ثِقَتَهُ بِزَوْجَتِهِ وَبِالصَّحَابِيِّ صَفْوَانَ بْنُ المُعَطَّلِ السُّلَمِيِّ، وَقَدْ أَبْدَىٰ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ اسْتِعْدَادَهُ لِيَقْتِلَ مَنْ يُرَوِّجُ ذَلِكَ إِذَا كَانَ مِنَ الخَزْرَجِ ، فَأَظْهَرَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ مُعَارَضَتَهُ لِسَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ ، لِأَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ مِنَ الخَزْرَجِ ، حَتَّىٰ كَادَتْ أَنْ تَقَعَ الفِتْنَةُ بَيْنَ الأَوْسِ وَالخَزْرَجِ لَوْلَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هَدَّأَهُمْ.

وَمَرِضَتْ عَائِشَةُ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- فَاسْتَأْذَنَتْ النَّبِيَّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي الذِّهَابِ إِلَىٰ بَيْتِ أَبِيهَا ، فَأَذِنَ لَهَا ثُمَّ عَلِمَتْ بِخَبَرِ الإِفْكِ ، فَكَانَتْ لَا يَرْقَأُ لَهَا دَمْعٌ ، وَلَا تَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ ، وَهِيَ تَنْتَظِرُ أَنْ يُعْلِمَ اللهُ نَبِيَّهُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِبَرَاءَتِهَا بِرُؤْيَا صَادِقَةٍ ، وَقَدْ انْقَطَعَ الوَحْيَ شَهْرًا، عَانَىٰ خِلَالَهُ الرَّسُولُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَشَدَّ المُعَانَاةِ ، فَقَدْ طَعَنَهُ المُنَافِقُونَ فِي عِرْضِهِ وَآذُوهُ فِي زَوْجِهِ ، وَلَا شَكَّ أَنَّهُ كَانَ يَتَطَلَّعُ إِلَىٰ الوَحْيِ وَهُوَ فِي أَشَدِّ الحَاجَةِ إِلَيْهِ وَلْتَطْمَئِنَّ نَفْسُهُ ، وَيُخْرِسَ أَلْسُنَ النِّفَاقِ ، وَيَذُبَّ عَنْ زَوْجِهِ الحَبِيْبَةِ وَأَبِيْهَا الَّذِي كَانَ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيْهِ .

ثُمَّ نَزَلَ الوَحْيُ بِقَوْلِهِ -تَعَالَىٰ- : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١١﴾ لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٞ مُّبِينٞ ﴿١٢﴾ لَّوۡلَا جَآءُو عَلَيۡهِ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَۚ فَإِذۡ لَمۡ يَأۡتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ لَمَسَّكُمۡ فِي مَآ أَفَضۡتُمۡ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذۡ تَلَقَّوۡنَهُۥ بِأَلۡسِنَتِكُمۡ وَتَقُولُونَ بِأَفۡوَاهِكُم مَّا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ وَتَحۡسَبُونَهُۥ هَيِّنٗا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٞ ﴿١٥﴾ وَلَوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ قُلۡتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبۡحَٰنَكَ هَٰذَا بُهۡتَٰنٌ عَظِيمٞ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثۡلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [النُّور: ١١-١٨] (١).

اللهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنَ النِّفَاقِ، اللهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنَ النِّفَاقِ،اللهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنَ النِّفَاقِ، اللهُمَّ يا مُقَلِّبَ القُلُوبِ وَالأَبْصارِ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا علىٰ طَاعَتِكَ، رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا، ولا تَفْتِنَّا في دِيْنِنَا ،ولا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيامَةِ.

اللهُمَ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْإِيمانَ وَزَيِّنْهُ فِي قُلُوبِنَا، وَكَرِّهْ إِلَيْنَا الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الرَّاشِدِينَ.

سُبْحَانَكَ اللهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ، أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ .

(١) انْظُرْ : « السِّيـرَةُ النَّبَوِيَّة الصَّحِيْحَة » لِلعمَرِي (٤٠٨-٤١١) بِتَصَرُّفٍ .

٢٣ غَزْوَةُ الخَنْدَقِ (الأَحْزَاب)

الخُطْبَةُ الأُولَى[١]:

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ،نَحْمِدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلِ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾[النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأَحْزَاب:٧٠-٧١] .

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ

مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ، وَكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ .

ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ :

فَمَا زَالَ الحَدِيْثُ مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنِ السِّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ عَلَىٰ صَاحِبِهَا الصَّلاةُ وَالسَّلامُ- ، وَحَدِيْثِي مَعَكُمْ اليَوْمَ عَنْ « **غَزْوَةِ الخَنْدَقِ (الأَحْزَاب)** ».

كَانَتْ هَذِهِ الغَزْوَةُ فِي شَوَّالٍ ، سَنَةَ خَمْسٍ مِنَ الهِجْرَةِ ، وَهُوَ قَوْلُ جُمْهُورِ عُلَمَاءِ السِّيْرَةِ . (١)

فَبَعْدَ غَزْوَةِ أُحُدٍ -أَيُّهَا النَّاسُ- أَظَلَّتِ المَدِيْنَةَ سَحَابَةُ حُزْنٍ لِفَقْدِ الأَحِبَّةِ شُهَدَاءَ فِي سَبِيْلِ اللهِ ، وَخَيَّمَ السُّكُونُ حِيْنًا عَلَىٰ الجَزِيْرَةِ العَرَبِيَّةِ ، وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ الهُدُوءُ الَّذِي أَظَلَّ المَدِيْنَةَ إِلَّا بِدَايَةً لِتَحَزُّبِ الأَحْزَابِ مِنْ مِلَلِ الكُفْرِ وَالشِّرْكِ ، يَتَحَيَّنُونَ الفُرَصَ وَيُسَابِقُونَ إِلَىٰ العَدَاوَةِ ، فَلاَ يَهْنَأُ لَهُمْ بَالٌ، وَلاَ يُقَرُّ لَهُمْ قَرَارٌ حَتَّىٰ يَكُونَ مَعْقِلُ الإِسْلَامِ وَمَدِيْنَتُهُ تَحْتَ أَيْدِيهِمْ ، يَجُوسُونَ فِيْهَا تَقْتِيْلاً وَإِفْسَادًا ، وَمَا يَنْقِمُونَ عَلَيْهِمْ إِلَّا تَوْحِيْدَهُمْ وَإِيْمَانَهُمْ ﴿ **وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾** ﴾ [البُرُوجِ: ٨] .

لَكِنَّ اللهَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- وَلَهُ الحِكْمَةُ البَالِغَةُ وَلَهُ القَهْرُ وَالغَلَبَةُ وَلَهُ الكِبْرِيَاءُ وَالجَلَالُ ، غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ : ﴿ **وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾** ﴾ [يُوسُف:٢١] .

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ

(١) انْظُرْ : « البِدَايَةُ وَالنِّهَايَةِ » (٤/ ٩٣) .

﴿وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٣٢﴾ [التَّوْبَة :٣٢] .

فَفِي السَّنَةِ الخَامِسَةِ -أَيُّهَا النَّاسُ- خَرَجَتْ شِرْذِمَةٌ مِنَ اليَهُودِ نَحْوَ كُفَّارِ مَكَّةَ ، لِيُؤَلِّبُوهُمْ وَيُحَرِّضُوهُمْ عَلَىٰ غَزْوِ المَدِيْنَةِ .

وَاليَهُودُ فِي كُلِّ عَصْرٍ وَمَصْرٍ يَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ الفَسَادَ، فَهُمْ كَمَا وَصَفَهُمْ خَالِقُهُمْ وَمَلِكُهُمْ ﴿كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارًا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٦٤﴾ [المَائِدَة :٦٤] .

فَبَعْدَ أَنْ خَرَجَ رَهْطُ اليَهُودِ نَحْوَ كُفَّارِ مَكَّةَ ، وَوَجَدُوا مِنْهُمْ اسْتِجَابَةً لِغَزْوِ المَدِيْنَةِ تَوَجَّهَ ذَلِكَ الرَّهْطُ يَحْمِلُ الحِقْدَ وَالكَرَاهِيَّةَ لِلْمُسْلِمِيْنَ نَحْوَ غَطَفَانَ لِيَكْمُلَ عِقْدُ الأَحْزَابِ ، وَتَدَاعَتْ الجُمُوعُ -أَيُّهَا النَّاسُ- وَأَقْبَلَ الشَّرُّ بِخَيْلِهِ وَرَجِلِهِ، فَخَرَجَتْ مِنَ الجَنُوبِ قُرَيْشٌ وَكِنَانَةُ وَأَهْلُ تِهَامَةَ، وَوَافَاهُمْ سُلَيْم ، وَخَرَجَتْ مِنَ الشَّرْقِ قَبَائِلُ غَطَفَانَ ، وَكَذَلِكَ خَرَجَتْ بَنُو أَسَدٍ وَاتَّجَهَتْ الأَحْزَابُ الكَافِرَةُ صَوْبَ المَدِيْنَةِ حَتَّىٰ تَجَمَّعَ حَوْلَهَا جَيْشٌ عَرَمْرَمٌ ، يَبْلُغَ عَشَرَةَ آلَافِ مُقَاتِلٍ ! .

جَيْشٌ يَزِيْدُ عَدَدُهُ عَلَىٰ سُكَّانِ المَدِيْنَةِ رِجَالًا وَنِسَاءًا ، صِغَارًا وَكِبَارًا ! ، فِي جُوعٍ مِنْهُمْ شَدِيْدٍ ، وَبَرْدٍ وَزَمْهَرِيْرٍ ، عُدَّةٍ قَلِيْلَةٍ ، وَمَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى.

وَلَقَدْ اجْتَمَعَ الأَحْزَابُ حَوْلَ المَدِيْنَةِ -أَيُّهَا النَّاسُ- لِسَبَبٍ وَاحِدٍ لَا غَيْرَ وَإِنْ اخْتَلَفَتْ الأَلْسُنُ وَهُوَ مَا أَخْبَرَ اللهُ عَنْهُ فِي كِتَابِهِ ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ

حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ﴾ [البَقَرَةُ:٢١٧] .

وَفِي هَذَا الجَوِّ المُكْفَهِرِّ وَالكَرْبِ الشَّدِيْدِ -أَيُّهَا النَّاسُ- انْقسَمَ أَهْلُ المَدِيْنَةِ إِلَىٰ قِسْمَيْنِ :

القِسْمُ الأَوَّلُ : وَهُمُ المُؤْمِنُونَ الَّذِيْنَ آمَنُوا بِوَعْدِ اللهِ وَصَدَّقُوا بِنَصْرِ رِسَالَتِهِ .

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ -: ﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ ﴾ [الأَحْزَابُ :٢٢] .

القِسْمُ الثَّاني : وَهُمْ أَهْلُ النِّفَاقِ ، فَقَدْ تَزَعْزَعَتْ قُلُوبُهُمْ ، وَانْخَلَعَتْ صُدُورُهُمْ لِرُؤْيَةِ الجُمُوعِ وَالعُدَدِ وَالعُدَّةِ .

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ -: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ ﴾ [الأَحْزَابُ :١٢] .

وَاشْتَغَلَ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَيُّهَا النَّاسُ- بِمُقَارَعَةِ العَدُوِّ وَأَخْذِ العُدَّةِ وَحَفْرِ الخَنْدَقِ ، وَكَانَ طُولُهُ خَمْسَةَ آلَافِ ذِرَاعٍ وَعَرْضُهُ تِسْعَةَ أَذْرُعٍ، وَعُمْقُهُ مِنْ سَبْعَةِ أَذْرُعٍ إِلَىٰ عَشَرَةٍ ، وَكَانَ عَلَىٰ كُلِّ عَشَرَةٍ مِنَ المُسْلِمِيْنَ حَفْرٌ أَرْبَعِيْنَ ذِرَاعًا .

وَقَدْ تَوَلَّىٰ المُهَاجِرُونَ الحَفْرَ مِنْ نَاحِيَةِ حِصْنِ رَاتِجٍ فِي الشَّرْقِ إِلَىٰ حِصْنِ

ذُبَابٍ، وَالأَنْصَارُ مِنْ حِصْنِ ذُبَابٍ إِلَىٰ جَبَلِ عُبَيْدٍ فِي الغَرْبِ .

وَقَدْ تَمَّ الحَفْرُ -أَيُّهَا النَّاسُ- بِسُرْعَةٍ عَجِيبَةٍ بِرَغْمِ الجَوِّ البَارِدِ وَالمَجَاعَةِ الَّتِي أَصَابَتْ المَدِينَةَ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ ، كَمَا جَاءَ فِي«الصَّحِيحَيْنِ»[(١)] ، لَكِنْ حَرَارَةَ الإِيمَانِ طَغَتْ عَلَىٰ آثَارِ البَرْدِ والجُوعِ القَارِصَيْنِ ، فَكَانَ المُسْلِمُونَ يَعْمَلُونَ بِقُوَّةٍ وَيَحْمِلُونَ التُّرَابَ عَلَىٰ أَكْتَافِهِمْ ، وَفِيهِمْ مَنْ كَانَ لاَ يَخْدُمُ نَفْسَهُ مِنَ التُّجَّارِ وَالزُّعَمَاءِ، وَقَدْ اسْتَوَوا جَمِيعًا فِي الحَفْرِ وَحَمْلِ الأَتْرِبَةِ وَهُمْ فِي غَايَةِ الحَمَاسِ ، وَيُرَدِّدُونَ الأَهَازِيجَ ، وَالرَّسُولُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَحْفُرُ مَعَهُمْ وَيَنْقُلُ التُّرَابَ حَتَّىٰ اغْبَرَّ بَطْنُهُ وَوَارَىٰ التُّرَابُ جِلْدَهُ ، وَقَدْ شَدَّ عَلَىٰ بَطْنِهِ حَجَرًا لِفُرْطِ الجُوعِ ، جَاءَ فِي«الصَّحِيحَيْنِ» [(٢)] ، وَكَانَ الصَّحَابَةُ -رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ- يَلْجَأُونَ إِلَيْهِ إِذَا عَرَضَتْ لَهُمْ الصَّخْرَةُ فَيَأْخُذُ المِعْوَلَ وَيُفَتِّتُ الصَّخْرَةَ ، جَاءَ ذَلِكَ فِي «صَحِيحِ البُخَارِيِّ» [(٣)]، وَكَانَ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يُرَدِّدُ مَعَهُمْ الأَهَازِيجَ وَالأَرْجَازَ مُشَارَكَةً لَهُمْ وَتَوَاضُعًا ، يَقُولُ كَمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ» [(٤)] :

اللهُمَّ لَوْلا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا ... وَلا تَصَدَّقْنَا وَلا صَلَّيْنَا

فَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا ... وَثَبِّتِ الأَقْدَامَ إِنْ لاقَيْنَا

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤١٠١) ، وَمُسْلِمٌ (٢٠٣٩) .
(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤١٠١) ، وَمُسْلِمٌ (٢٠٣٩) .
(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤١٠١) .
(٤) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤١٠٦) ،وَمُسْلِمٌ (١٠٨٣) وَاللَّفْظُ لَهُ .

إِنَّ الأُولَى قَـدْ بَـغَـوْا عَلَيْنَا وَإِنْ أَرَادُوا فِـتْـنَـةً أَبَـيْـنَـا

وَكَانَ يَمُدُّ صَوْتَهُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِآخِرِهَا .

وَكَانَ المُسْلِمُونَ يَقُولُونَ وَهُمْ يَحْفِرُونَ وَيَنْقُلُونَ التُّرَابَ :

نَـحْـنُ الَّـذِيـنَ بَايَعُوا مُحَمَّـدَا عَـلَى الجِـهَـادِ مَـا بَقِينَا أَبَـدًا

فَكَانَ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يُجِيبُهُمْ بِقَوْلِهِ :

اللهُمَّ لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشَ الآخِرَةْ فَبَارِكْ فِي الأَنْصَارِ وَالمُهَاجِرَةْ

وَرُبَّمَا يَبْدَؤُهُمْ بِقَوْلِهِ فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِمْ جَاءَ ذَلِكَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»[1]، وَكَانَ لِمُشَارَكَتِهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي حَفْرِ الخَنْدَقِ بِصُورَةٍ فِعْلِيَّةٍ -وَلَيْسَتْ رَمْزِيَّةً- أَثَرٌ كَبِيرٌ فِي الرُّوحِ الَّتِي سَادَتْ مَوْقِعَ العَمَلِ ، وَقَدْ تَمَكَّنَ المُسْلِمُونَ مِنْ إِنْجَازِ الخَنْدَقِ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ فَقَطْ .

وَبِذَلِكَ -أَيُّهَا النَّاسُ- نَفَّذُوا خُطَّةَ الدِّفَاعِ عَنِ المَدِينَةِ قَبْلَ وُصُولِ الأَحْزَابِ، وَقَدْ رَتَّبَ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- جَيْشَهُ ، فَأَسْنَدَ ظُهُورَهُمْ إِلَىٰ جَبَلِ سَلْعٍ دَاخِلَ المَدِينَةِ ، وَوُجُوهَهُمْ إِلَىٰ الخَنْدَقِ الَّذِي يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ المُشْرِكِينَ الَّذِينَ نَزَلُوا رَوْمَةَ بَيْنَ الجُرْفِ وَالغَابَةِ وَنَقَمَىٰ .[2]

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤١٠٠) ، وَمُسْلِمٌ (١٨٠٥) .
(٢) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ» (٢١/ ١٢٩-١٣٠) .

وَكَانَ تَفَوُّقُ الْمُشْرِكِينَ العَدَدِيِّ كَبِيْرًا ، فَقَدْ بَلَغُوا عَشَرَةِ آلَافِ مُقَاتِلٍ ، وَأَمَّا جَيْشُ الْمُسْلِمِيْنَ فَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ وَتَابَعَهُ جُمْهُورُ عُلَمَاءِ السِّيْرَةِ أَنَّهُمْ ثَلاثَةُ آلَافِ مُقَاتِلٍ .(١)

وَقَدْ اشْتَدَّ الخَطْبُ عَلَىٰ الْمُسْلِمِيْنَ -أَيُّهَا النَّاسُ- عِنْدَمَا بَلَغَهُمْ أَنَّ حُلَفَاءَهُمْ يَهُودُ بَنِي قُرَيْظَةَ قَدْ نَكَثُوا العَهْدَ - وَغَدَرُوا بِهِمْ- وَكَانَتْ دِيَارُ بَنِي قُرَيْظَةَ فِي العَوَالِي فِي الجَنُوبِ الشَّرْقِيِّ لِلمَدِيْنَةِ عَلَىٰ وَادِي مَهْزُورٍ ، فَكَانَ مَوْقِعُهُمْ يُمَكِّنُهُمْ مِنْ إِيْقَاعِ ضَرْبَةٍ بِالْمُسْلِمِيْنَ مِنَ الخَلْفِ .

وَوَصَفَ القُرْآنُ الكَرِيْمُ البَلَاءَ الَّذِي أَصَابَ الْمُسْلِمِيْنَ بِوَصْفٍ عَجِيْبٍ كَأَنَّ العَيْنَ تَرَاهُمْ ، قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ **إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾** ﴾ [الأَحْزَابُ :١٠-١١] .

وَلَمَّا أَمَرَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- بِانْجِلاءِ الغُمَّةِ وَتَفْرِيْجِ الكُرْبَةِ صَنَعَ أَمْرًا مِنْ عِنْدِهِ ، فَأَرْسَلَ عَلَيْهِم رِيْحَ الصَّبَا ، كَمَا جَاءَ فِي «الصَّحِيْحَيْنِ»(٢) ، فَاقْتَلَعَتْ خِيَامَهُمْ ، وَكَفَأَتْ قُدُورَهُمْ ، وَأَطْفَأَتْ نِيْرَانَهُمْ ، وَدَفَنَتْ رِحَالَهُمْ وَآمَالَهُمْ، فَلَمْ تَدَعْ قِدْرًا إِلَّا كَفَأَتْهَا ، وَلاَ طُنُبًا إِلَّا قَلَعَتْهُ ، وَلاَ قَلْبًا إِلَّا أَهْلَعَتْهُ

(١) «سِيْرَةُ ابْنِ هِشَامٍ» (٢/ ٢٢٠) بِدُونِ إِسْنَادٍ، ذَكَرَ ذَلِكَ ابْنُ إِسْحَاقَ، وَتَابَعَهُ عَلَىٰ ذَلِكَ جُمْهُورُ عُلَمَاءِ السِّيْرَةِ .
(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (١٠٣٥) ، وَمُسْلِمٌ (٩٠٠) .

وَأَرْعَبَتْهُ، وَقَدْ ثَبَتَ ذَلِكَ بِنَصِّ الْقُرْآنِ الْكَرِيْمِ، قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ٩ ﴾ [الأَحْزَابُ :٩] .

وَهَكَذَا -أَيُّهَا النَّاسُ- انْفَضَّ الأَحْزَابُ عَنِ الْمَدِيْنَةِ ، فَتَنَفَّسَ الْمُسْلِمُونَ الصُّعَدَاءَ ﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيۡظِهِمۡ لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرٗاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزٗا ٢٥ ﴾ [الأَحْزَابُ :٢٥] .

وَرُغْمَ طُولِ الْحِصَارِ -أَيُّهَا النَّاسُ- فَقَدْ دَامَ شَهْرًا ، قُتِلَ مِنَ الْمُسْلِمِيْنَ ثَمَانِيَةٌ ، مِنْهُمْ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ سَيِّدُ الأَوْسِ، وَقُتِلَ مِنَ الْمُشْرِكِيْنَ أَرْبَعَةٌ ، وَكَانَتْ غَزْوَةُ الأَحْزَابِ أَقَلَّ الغَزَوَاتِ قَتْلَىٰ ، وَلَمْ يَقَعِ الْتِحَامٌ مُبَاشِرٌ بَيْنَهُمْ، حَيْثُ حَالَ الخَنْدَقُ دُونَ ذَلِكَ، وَكَانَ طُولُ الحِصَارِ سَبَبًا فِي إِضْعَافِ مَعْنَوِيَّةِ الأَحْزَابِ .

وَاسْتَجَابَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- لِدُعَاءِ نَبِيِّهِ خِلَالَ الحِصَارِ كَمَا جَاءَ فِي«الصَّحِيْحَيْنِ»(١)،«**اللهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ، سَرِيعَ الْحِسَابِ، مُجْرِيَ السَّحَابِ، هَازِمَ الأَحْزَابِ ، اهْزِمْهُمْ وَزَلْزِلْهُمْ** » .

وَبَعْدَ مَعْرَكَةِ الأَحْزَابِ -أَيُّهَا النَّاسُ- أَزِفَتِ البَشَائِرِ وَأَشْرَقَتِ الْمَدِيْنَةِ بِقَوْلِهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَمَا فِي «صَحِيْحِ البُخَارِيِّ» (٢):«**الآنَ نَغْزُوهُمْ**

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤١١٥) ، وَمُسْلِمٌ (١٧٤٢) .
(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤١١٠) .

وَلا يَغْزُونَّا ، نَحْنُ نَسِيرُ إِلَيْهِمْ » .

وَمِمَّا يَدُلَّ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَلَىٰ تَغير الاسْترَاتجيَّة الإسْلَامِيَّة مِنْ مَرْحَلَة الدِّفَاع إِلَىٰ مَرْحَلَة الهُجُوم -وَمِمَّا يُوَضِّحُ ذَلِكَ - أَنَّ مَسْرَحَ الأَحْدَاث انْتَقَلَ مِنَ المَدِيْنَة وَمَا حَوْلَهَا إِلَىٰ مَكَّةَ وَالطَّائِف ، ثُمَّ تَبُوك ، بَعِيْدًا عَنْ عَاصِمَة الإِسْلَام «المَدِيْنَة المُنَوَّرَة » . (١)

وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ .

---

(١) انْظُرْ : « السِّيْرَة النَّبَوِيَّة الصَّحِيْحَة »لِلعمَرِيِّ (غَزْوَة الأَحْزَاب، مَوَاقِفٌ وَعِبَرْ) لِعَبْدِ المَلِك القَاسِم ، بِتَصَرُّفٍ .

بَعْضُ مَا أَكْرَمَ اللهُ بِهِ نَبِيِّهِ فِي غَزْوَةِ الأَحْزَابِ

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ :

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ أَشْرَفِ المُرْسَلِيْنَ ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

أَمَّا بَعْدُ :

فَتَقَدَّمَ الحَدِيْثُ مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنْ «**غَزْوَةِ الخَنْدَقِ (الأَحْزَاب)** » .

وَالآنَ حَدِيْثِي مَعَكُمْ عَنْ «**بَعْضِ مَا أَكْرَمَ اللهُ بِهِ نَبِيِّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي هَذِهِ الغَزْوَةِ**» .

فَأَكْرَمَ اللهُ نَبِيَّهُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَيُّهَا النَّاسُ- بِتَأْيِيْدِ مَلَائِكَتِهِ، فَفِي «صَحِيْحِ البُخَارِيِّ» (١) ، مِنْ حَدِيْثِ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - قَالَتْ: لَمَّا رَجَعَ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِنْ الْخَنْدَقِ، وَوَضَعَ السِّلَاحَ وَاغْتَسَلَ، أَتَاهُ جِبْرِيلُ -عَلَيْهِ السَّلَام- فَقَالَ : « **قَدْ وَضَعْتَ السِّلَاحَ، وَاللهِ مَا وَضَعْنَاهُ، فَاخْرُجْ إِلَيْهِمْ، قَالَ : فَإِلَى أَيْنَ ؟ ، قَالَ : هَا هُنَا، وَأَشَارَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ فَخَرَجَ**

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤١١٧) ، وَمُسْلِمٌ (١٧٦٩) مُطَوَّلًا .

النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِلَيْهِمْ».

كَمَا جَاءَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»[١]، مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَوْمَ الأَحْزَابِ: «**اللهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ، سَرِيعَ الْحِسَابِ، مُجْرِيَ السَّحَابِ، هَازِمَ الأَحْزَابِ، اهْزِمْهُمْ وَزَلْزِلْهُمْ**».

وَقَدْ قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿**فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا**﴾ [الأَحْزَابُ: ٩].

وَسَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِمُ الرِّيحَ، فَكَفَأَتْ قُدُورَهُمْ، وَنَزَعَتْ خِيَامَهُمْ حَتَّى أَظْعَنَتْهُمْ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، كَمَا فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»[٢]، «**نُصِرْتُ بِالصَّبَا**».

(وَالصَّبَا) -أَيُّهَا النَّاسُ- هِيَ الرِّيحُ الشَّرْقِيَّةُ.

وَلِهَذَا كَانَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَنْسِبُ الْفَضْلَ كُلَّهُ فِي هَزِيمَةِ الأَحْزَابِ لِلهِ وَحْدَهُ، فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»[٣]، مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَانَ يَقُولُ: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ، أَعَزَّ جُنْدَهُ وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَغَلَبَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ، فَلَا شَيْءَ بَعْدَهُ**».

---

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤١١٥)، وَمُسْلِمٌ (١٧٤٢).
(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (١٠٣٥)، وَمُسْلِمٌ (٩٠٠).
(٣) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤١١٤)، وَمُسْلِمٌ (٢٧٢٤).

وَمِمَّا أَكْرَمَ اللهُ بِهِ نَبِيَّهُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَيُّهَا النَّاسُ - تَكْثِيرُ الطَّعَامِ، فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»(١) ، مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - قَالَ : إِنَّا يَوْمَ الْخَنْدَقِ نَحْفِرُ فَعَرَضَتْ كُدْيَةٌ شَدِيدَةٌ فَجَاءُوا النَّبِيَّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -فَقَالُوا: هَذِهِ كُدْيَةٌ عَرَضَتْ فِي الْخَنْدَقِ .

فَقَالَ : أَنَا نَازِلٌ ثُمَّ قَامَ وَبَطْنُهُ مَعْصُوبٌ بِحَجَرٍ ، وَلَبِثْنَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ لَا نَذُوقُ ذَوَاقًا ، فَأَخَذَ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الْمِعْوَلَ ، فَضَرَبَ فَعَادَ كَثِيبًا أَهْيَلَ -أَوْ أَهْيَمَ - .

فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ ائْذَنْ لِي إِلَىٰ الْبَيْتِ ، فَقُلْتُ لِامْرَأَتِي: رَأَيْتُ بِالنَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- شَيْئًا مَا كَانَ فِي ذَلِكَ صَبْرٌ ، فَعِنْدَكِ شَيْءٌ ؟ ، قَالَتْ: عِنْدِي شَعِيرٌ وَعَنَاقٌ ، فَذَبَحَتْ الْعَنَاقَ وَطَحَنَتْ الشَّعِيرَ، حَتَّىٰ جَعَلْنَا اللَّحْمَ فِي الْبُرْمَةِ ،ثُمَّ جِئْتُ النَّبِيَّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَالْعَجِينُ قَدْ انْكَسَرَ ، وَالْبُرْمَةُ بَيْنَ الْأَثَافِيِّ قَدْ كَادَتْ أَنْ تَنْضَجَ ، فَقُلْتُ : طُعَيِّمٌ لِي ، فَقُمْ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ وَرَجُلٌ أَوْ رَجُلَانِ ، قَالَ : « **كَمْ هُوَ ؟** » ، فَذَكَرْتُ لَهُ ، قَالَ : « **كَثِيرٌ طَيِّبٌ ، قَالَ : قُلْ لَهَا لَا تَنْزِعْ الْبُرْمَةَ وَلَا الْخُبْزَ مِنْ التَّنُّورِ حَتَّى آتِيَ** »، فَقَالَ: قُومُوا فَقَامَ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَىٰ امْرَأَتِهِ قَالَ: وَيْحَكِ جَاءَ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَمَنْ مَعَهُمْ .

قَالَتْ: هَلْ سَأَلَكَ ؟، قُلْتُ : نَعَمْ ، فَقَالَ : ادْخُلُوا وَلَا تَضَاغَطُوا ، فَجَعَلَ

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٢٠١) ، وَمُسْلِمٌ (٢٠٣٩) .

يَكْسرُ الْخُبْزَ وَيَجْعَلُ عَلَيْهِ اللَّحْمَ وَيُخَمِّرُ الْبُرْمَةَ وَالتَّنُّورَ إِذَا أَخَذَ مِنْهُ ، وَيُقَرِّبُ إِلَىٰ أَصْحَابِهِ ، ثُمَّ يَنْزِعُ فَلَمْ يَزَلْ يَكْسرُ الْخُبْزَ وَيَغْرِفُ حَتَّىٰ شَبِعُوا ، وَبَقِيَ بَقِيَّةٌ ، قَالَ: « **كُلِي هَذَا وَأَهْدِي ، فَإِنَّ النَّاسَ أَصَابَتْهُمْ مَجَاعَةٌ** » .

اللهُمَّ أَلِّفْ بَيْنَ قُلُوبِنَا، وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا، وَاهْدِنَا سُبُلَ السَّلَامِ، وَنَجِّنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَىٰ النُّورِ، وَجَنِّبْنَا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، وَبَارِكْ لَنَا فِي أَسْمَاعِنَا، وَأَبْصَارِنَا، وَقُلُوبِنَا، وَأَزْوَاجِنَا، وَذُرِّيَّاتِنَا، وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ، وَاجْعَلْنَا شَاكِرِينَ لِنِعْمِكَ مُثْنِينَ بِهَا عَلَيْكَ، قَابِلِينَ لَهَا، وَأَتِمْهَا عَلَيْنَا .

سُبْحَانَكَ اللهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ، أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ .

٢٤ غَزْوَةُ بَنِي قُرَيْظَةَ

الخُطْبَةُ الأُولَى[١]:

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾ [النِّسَاء: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ [الأَحْزَاب: ٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الأُمُورِ

مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ .

ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ :

فَمَا زَالَ الحَدِيْثُ مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنِ السِّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ عَلَىٰ صَاحِبِهَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -، وَحَدِيْثِي مَعَكُمْ اليَوْمَ عَنْ « **غَزْوَةِ بَنِي قُرَيْظَةَ** » .

أَيُّهَا النَّاسُ لَقَدْ ظَهَرَ فِي غَزْوَةِ الأَحْزَابِ غَدْرُ اليَهُودِ وَخِيَانَتَهُمْ، وَكَيْفَ أَنَّهُمْ كَانُوا السَّبَبَ فِي تَجْمِيْعَ الأَحْزَابِ حَوْلَ المَدِيْنَةِ، ثُمَّ خِيَانَةِ يَهُودُ بَنِي قُرَيْظَةَ فِي أَشَدِّ الأَوْقَاتِ وَأَعْظَمِهَا مِحْنَة ، فَبَدَلًا مِنْ أَنْ يَكُونُوا عَوْنًا لِلمُسْلِمِيْنَ بِحَسْبِ العَهْدِ الَّذِي بَيْنَهُمْ كَانُوا أَحْزَابًا عَلَيْهِمْ مَعَ بَقِيَّةِ الكُفْرِ، فَهَذِهِ -أَيُّهَا النَّاسُ- طَبِيْعَةُ اليَهُودِ الَّتِي لا يَنْفَكُّونَ عَنْهَا وَلا يَسْتَطِيْعُونَ التَّخَلُّصَ مِنْهَا، وَلِذَا وَصَفَهُمْ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- : ﴿ **أَوَكُلَّمَا عَاهَدُواْ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُمۚ** ﴾ [البَقَرَةُ :١٠٠] .

لِهَذَا كَانَتْ سَبَبُ هَذِهِ الغَزْوَةِ -أَيُّهَا النَّاسُ- هُوَ مَا تَقَدَّمَ فِي قِصَّةِ الخَنْدَقِ مِنْ نَقْضِ عَهْدِهِمْ مَعَ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَمُعَاوَنَتِهِمُ الأَحْزَابَ عَلَىٰ حَرْبِهِ .

قَالَ الحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ -رَحِمَهُ اللهُ- :

وَكَانَتْ -أَيْ غَزْوَةِ بَنِي قُرَيْظَةَ- لِسَبْعٍ بَقِينَ مِنْ ذِي الْقِعْدَةِ (فِي السَّنَةِ الخَامِسَةِ مِنَ الهِجْرَةِ) .

وَكَانَ عَدَدُ جَيْشِ الْمُسْلِمِينَ ثَلَاثَةِ آلَافٍ ، وَذَكَرَ ابْنُ سَعْدٍ أَنَّهُ كَانَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ سِتَّةٌ وَثَلَاثُونَ فَرَسًا .

فَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» (١) مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَوْمَ الْأَحْزَابِ : «**لَا يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ الْعَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ** » ، فَأَدْرَكَ بَعْضُهُمُ الْعَصْرَ فِي الطَّرِيقِ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا نُصَلِّي حَتَّىٰ نَأْتِيَهَا ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : بَلْ نُصَلِّي ، لَمْ يُرِدْ مِنَّا ذَلِكَ ، فَذُكِرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَلَمْ يُعَنِّفْ وَاحِدًا مِنْهُمْ .

وَكَانَتْ غَزْوَةِ بَنِي قُرَيْظَةَ -أَيُّهَا النَّاسُ- يَتَقَدَّمَهَا جِبْرِيلُ -عَلَيْهِ السَّلَامِ- فِي مَوْكِبٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ .

فَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»(٢)، مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ-رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- قَالَتْ: لَمَّا رَجَعَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِنْ الْخَنْدَقِ، وَوَضَعَ السِّلَاحَ وَاغْتَسَلَ، أَتَاهُ جِبْرِيلُ -عَلَيْهِ السَّلَامِ- فَقَالَ : « **قَدْ وَضَعْتَ السِّلَاحَ، وَاللهِ مَا وَضَعْنَاهُ، فَاخْرُجْ إِلَيْهِمْ، قَالَ : فَإِلَى أَيْنَ ؟ ، قَالَ : هَا هُنَا، وَأَشَارَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ فَخَرَجَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِلَيْهِمْ** ».

فَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»(٣)، مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- : كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَىٰ الْغُبَارِ سَاطِعًا فِي زُقَاقِ بَنِي غَنْمٍ ، مَوْكِبَ جِبْرَئِيلَ -عَلَيْهِ السَّلَامُ-

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤١١٩) .
(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤١١٧) .
(٣) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤١١٨) .

حِينَ سَارَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِلَىٰ بَنِي قُرَيْظَةَ .

وَفِي «مُسْنَدِ» أَحْمَدَ بِسَنَدٍ حَسَنٍ حَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي«الصَّحِيْحَة»(١)، عَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- قَالَتْ: خَرَجْتُ يَوْمَ الْخَنْدَقِ أَقْفُو آثَارَ النَّاسِ، فَسَمِعْتُ وَئِيدَ الأَرْضِ وَرَائِي ، فَالْتَفَتُّ فَإِذَا أَنَا بِسَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ ، وَمَعَهُ ابْنُ أَخِيهِ الْحَارِثُ بْنُ أَوْسٍ، يَحْمِلُ مِجَنَّهُ، فَجَلَسْتُ إِلَىٰ الأَرْضِ، قَالَتْ : فَمَرَّ سَعْدٌ وَعَلَيْهِ دِرْعٌ قَدْ خَرَجَتْ مِنْهَا أَطْرَافُهُ، فَأَنَا أَتَخَوَّفُ عَلَىٰ أَطْرَافِ سَعْدٍ، قَالَتْ : وَكَانَ مِنْ أَعْظَمِ النَّاسِ وَأَطْوَلِهِمْ، قَالَتْ : فَمَرَّ يَرْتَجِزُ وَهُوَ يَقُولُ :

لَبِّثْ قَلِيلًا يُـدرِكِ الْهَيْجَا حَمَلْ ... مَا أَحْسَنَ الْمَوْتَ إِذَا حَانَ الأَجَلْ

قَالَتْ : فَقُمْتُ فَاقْتَحَمْتُ حَدِيقَةً، فَإِذَا فِيهَا نَفَرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِيهِمْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، وَفِيهِمْ رَجُلٌ عَلَيْهِ تَسْبِغَةٌ لَهُ ، تَعْنِي : الْمِغْفَرَ ، قَالَ : فَقَالَ عُمَرُ : وَيْحَك ، مَا جَاءَ بِك ؟ وَيْحَك ، مَا جَاءَ بِك ؟ وَاللهِ إِنَّك لَجَرِيئَةٌ، مَا يُؤَمِّنُك أَنْ يَكُونَ تَحَوُّزٌ وَبَلَاءٌ ؟ ، قَالَتْ : فَمَا زَالَ يَلُومُنِي حَتَّىٰ تَمَنَّيْتُ أَنَّ الأَرْضَ انْشَقَّتْ فَدَخَلْتُ فِيهَا . قَالَ : فَرَفَعَ الرَّجُلُ التَّسْبِغَةَ عَنْ وَجْهِهِ فَإِذَا طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ، قَالَ : فَقَالَ : يَا عُمَرُ، وَيْحَكَ قَدْ أَكْثَرْتَ مُنْذُ الْيَوْمَ، وَأَيْنَ التَّحَوُّزُ أَوِ الْفِرَارُ إِلَّا إِلَىٰ اللهِ .

قَالَتْ : وَيَرْمِي سَعْدًا رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ قُرَيْشٍ يُقَالُ لَهُ : حِبَّانُ

---
(١)(حَسَنٌ)أَخْرَجَهُ أَحْمَد(٢٥١٤٠)،وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «الصَّحِيْحَةِ» (٦٧).

ابْنُ الْعَرِقَةِ بِسَهْمٍ، فَقَالَ : خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ الْعَرِقَةِ، فَأَصَابَ أَكْحَلَهُ فَقَطَعَهُ فَدَعَا اللهَ ، فَقَالَ: اللهُمَّ لا تُمِتْنِي حَتَّىٰ تُقِرَّ عَيْنِي مِنْ قُرَيْظَةَ ، وَكَانُوا حُلَفَاءَهُ وَمَوَالِيَهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، فَرَقَأَ كَلْمُهُ، وَبَعَثَ اللهُ الرِّيحَ عَلَىٰ الْمُشْرِكِينَ ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾﴾ [الأَحْزَابُ :٢٥] .

فَلَحِقَ أَبُو سُفْيَانَ بِتِهَامَةَ، وَلَحِقَ عُيَيْنَةُ بْنُ بَدْرِ بْنِ حِصْنٍ وَمَنْ مَعَهُ بِنَجْدٍ، وَرَجَعَتْ بَنُو قُرَيْظَةَ فَتَحَصَّنُوا فِي صَيَاصِيهِمْ، وَرَجَعَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِلَىٰ الْمَدِينَةِ ، فَأَمَرَ بِقُبَّةٍ فَضُرِبَتْ عَلَىٰ سَعْدٍ فِي الْمَسْجِدِ وَوُضِعَ السِّلَاحُ، قَالَتْ : فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ ، فَقَالَ : أَقَدْ وَضَعْتَ السِّلَاحَ ؟! وَاللهِ مَا وَضَعَتِ الْمَلَائِكَةُ السِّلَاحَ، فَاخْرُجْ إِلَىٰ بَنِي قُرَيْظَةَ فَقَاتِلْهُمْ.

فَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِالرَّحِيلِ وَلَبِسَ لَأْمَتَهُ، فَخَرَجَ فَمَرَّ عَلَىٰ بَنِي غَنْمٍ، وَكَانُوا جِيرَانَ الْمَسْجِدِ، فَقَالَ : مَنْ مَرَّ بِكُمْ ؟، فَقَالُوا : مَرَّ بِنَا دِحْيَةُ الْكَلْبِيُّ، وَكَانَ دِحْيَةُ تُشْبِهُ لِحْيَتُهُ وَسُنَّةُ وَجْهِهِ بِجِبْرِيلَ، فَأَتَاهُمْ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَحَاصَرَهُمْ خَمْسَةً وَعِشْرِينَ يَوْمًا، فَلَمَّا اشْتَدَّ حَصْرُهُمْ وَاشْتَدَّ الْبَلَاءُ عَلَيْهِمْ قِيلَ لَهُمْ : انْزِلُوا عَلَىٰ حُكْمِ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، فَاسْتَشَارُوا أَبَا لُبَابَةَ فَأَشَارَ إِلَيْهِمْ بِيَدِهِ أَنَّهُ الذَّبْحُ، فَقَالُوا : نَنْزِلُ عَلَىٰ حُكْمِ ابْنِ مُعَاذٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: انْزِلُوا عَلَىٰ حُكْمِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ . فَنَزَلُوا .

وَبَعَثَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِلَىٰ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، فَحُمِلَ عَلَىٰ

حِمَار لَهُ إِكَافٌ مِنْ لِيف، وَحَفَّ بِهِ قَوْمُهُ، فَجَعَلُوا يَقُولُونَ : يَا أَبَا عَمْرو، حُلَفَاؤُكَ وَمَوَالِيكَ وَأَهْلُ النِّكَايَةِ وَمَنْ قَدْ عَلِمْتَ، لَا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا حَتَّىٰ إِذَا دَنَا مِنْ دَارِهِمُ الْتَفَتَ إِلَىٰ قَوْمِهِ ، فَقَالَ : قَدْ أَنَىٰ لِسَعْدٍ أَنْ لَا يُبَالِيَ فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ .

فَلَمَّا طَلَعَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قَالَ أَبُو سَعِيدٍ : قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ فَأَنْزِلُوهُ** » . قَالَ عُمَرُ : سَيِّدُنَا اللهُ . قَالَ : أَنْزِلُوهُ . فَأَنْزَلُوهُ، قَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **احْكُمْ فِيهِمْ** ».

قَالَ: فَإِنِّي أَحْكُمُ فِيهِمْ أَنْ تُقْتَلَ مُقَاتِلَتُهُمْ وَتُسْبَىٰ ذَرَارِيُّهُمْ وَتُقَسَّمَ أَمْوَالُهُمْ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ اللهِ وَحُكْمِ رَسُولِهِ** » .

قَالَ : ثُمَّ دَعَا اللَّهَ سَعْدٌ ، فَقَالَ : اللهُمَّ إِنْ كُنْتَ أَبْقَيْتَ عَلَىٰ نَبِيِّكَ مِنْ حَرْبِ قُرَيْشٍ شَيْئًا فَأَبْقِنِي لَهَا، وَإِنْ كُنْتَ قَطَعْتَ الْحَرْبَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ. فَقَالَ : فَانْفَجَرَ كَلْمُهُ وَكَانَ قَدْ بَرَأَ حَتَّىٰ مَا بَقِيَ مِنْهُ إِلَّا مِثْلُ الْخُرْصِ.

قَالَتْ : فَرَجَعَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَرَجَعَ سَعْدٌ إِلَىٰ قُبَّتِهِ الَّتِي كَانَ ضَرَبَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، قَالَتْ : فَحَضَرَهُ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، قَالَتْ : فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنِّي لَأَعْرِفُ بُكَاءَ أَبِي بَكْرٍ مِنْ بُكَاءِ عُمَرَ وَأَنَا فِي حُجْرَتِي ، وَكَانُوا كَمَا

قَالَ اللهُ : ﴿ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح آية ٢٩] .

قَالَ عَلْقَمَةُ : فَقُلْتُ : أَيْ أُمَّهْ، فَكَيْفَ كَانَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَصْنَعُ ؟ قَالَتْ : كَانَتْ عَيْنُهُ لَا تَدْمَعُ عَلَىٰ أَحَدٍ، وَلَكِنَّهُ كَانَ إِذَا وَجَدَ فَإِنَّمَا هُوَ آخِذٌ بِلِحْيَتِهِ .

وَفِي بَنِي قُرَيْظَةَ نَزَلَ قَوْلُ اللهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - : ﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [الأَحْزَابُ :٢٦-٢٧] .

قَالَ القَاسِمِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي قَوْلِهِ -تَعَالَىٰ-: ﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم ﴾ أَيْ عَاوَنُوا الأَحْزَاب وَسَاعَدُوهُمْ عَلَىٰ حَرْب رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ﴿ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ يَعْنِي بَنِي قُرَيْظَة كَانَ قَدْ نَزَلَ آبَاؤُهُمْ الْحِجَاز لَمَّا فَرُّوا مِنَ الاضْطِهَادِ وَتَشَتَّتُوا كُلَّ شَتَاتٍ فِي أَطْرَافِ البِلَادِ ﴿ مِن صَيَاصِيهِمْ ﴾ أَيْ : حُصُونِهِمْ . ﴿ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ﴾ أَيْ وَهُوَ الْخَوْف ﴿ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ ﴾ (١).

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ -رَحِمَهُ اللهُ-: « ثُمَّ لَمَّا اسْتَنْزَلُوا ،فَحَبَسَهُمْ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِالْمَدِينَةِ فِي دَارِ بِنْتِ الْحَارِث ، امْرَأَةٍ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ ، ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِلَىٰ سُوقِ الْمَدِينَةِ ، فَخَنْدَقَ بِهَا

(١) « مَحَاسِنُ التَّأْوِيل » (١٣/ ٢٤٥) .

خَنادِقَ ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَيْهِمْ ، فَضَرَبَ أَعْنَاقَهُمْ فِي تِلْكَ الْخَنَادِقِ ، يُخْرَجُ بِهِمْ إِلَيْهِ أَرْسَالًا ، وَفِيهِمْ عَدُوُّ اللهِ حُيَيُّ بْنُ أَخْطَبَ ، وَكَعْبُ بْنُ أَسَدٍ ، رَأْسُ الْقَوْمِ، وَهُمْ سِتُّمِائَةٍ أَوْ سَبْعُمِائَةٍ ، وَسَبَى مِنْ لَمْ يَنْبُتْ مِنْهُمْ مَعَ النِّسَاءِ وَأَمْوَالِهِمْ . (١)

وَقَالَ : أَيْ ابْنُ كَثِيرٍ -رَحِمَهُ اللهُ-:« لِأَنَّهُمْ كَانُوا مَالَؤُوا الْمُشْرِكِينَ عَلَى حَرْبِ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-،وَلَيْسَ مَنْ يَعْلَمُ كَمَنْ لَا يَعْلَمُ، فَأَخَافُوا الْمُسْلِمِينَ وَرَامُوا قَتْلَهُمْ لِيَعِزُّوا فِي الدُّنْيَا ، فَانْعَكَسَ عَلَيْهِمُ الْحَالُ، وَانْقَلَبَ إِلَيْهِمْ الْقِتَالُ ، لَمَّا انْشَمَرَ الْمُشْرِكُونَ وَرَاحُوا بِصَفْقَةِ الْمَغْبُونِ ، فَكَمَا رَامُوا الْعِزَّ ذُلُّوا ، وَأَرَادُوا اسْتِئْصَالَ الْمُسْلِمِينَ فَاسْتُؤْصِلُوا، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ ﴾ [الأَحْزَابُ :٢٦] . يَعْنِي: قَتْلَ الرِّجَالِ الْمُقَاتِلَةِ ، سَبْيِ الذَّرَارِي وَالنِّسَاءِ » .

وَأَخْرَجَ الإِمَامُ أَحْمَدَ فِي «مُسْنَدِه» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ ابْنِ مَاجَهْ»(٢)، عَنْ عَطِيَّةَ الْقُرَظِيِّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ: «كُنْتُ مِنْ سَبْيِ بَنِي قُرَيْظَةَ فَكَانُوا يَنْظُرُونَ فَمَنْ أَنْبَتَ الشَّعْرَ قُتِلَ وَمَنْ لَمْ يُنْبِتْ لَمْ يُقْتَلْ فَكُنْتُ فِيمَنْ لَمْ يُنْبِتْ » ، وَفِي رِوَايَةٍ بِهَذَا الحَدِيْثِ وَفِيْهِ : « فَكَشَفُوا عَانَتِي فَوَجَدُوهَا لَمْ تَنْبُتْ فَجَعَلُونِي مِنْ السَّبْيِ » (٣) .

(١) نَقْلًا مِنْ « مَحَاسِنُ التَّأْوِيْلِ » (١٣/ ٢٤٤) .
(٢) (صَحِيحٌ) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (٤٤٠٤)، والتِّرمِذِيِّ (١٥٨٤) ، وَالنَّسَائِيِّ (٦/ ١٥٥) ، وَابْنُ مَاجَهْ (٢٥٤١) ، وَأَحْمَد (٤/ ٣١٠) ، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «صَحِيحِ ابْنُ مَاجَه» (٢٥٤١) .
(٣) « تَفْسِيرُ ابْن كَثِيْر » (٣/ ٤٧٨) بِتَصَرُّفٍ يَسِيْر .

قَالَ القَاسِمِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ-: « وَبتَمامِ هَذِهِ الْغَزْوَةِ أَرَاحَ اللهُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ شَرِّ مُجَاوَرَةِ الْيَهُودِ الَّذِينَ تَعَوَّدُوا الْغَدْرَ وَالْخِيَانَةَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا بَقِيَّةٌ مِنْ كِبَارِهِمْ بِخَيْبَرَ مَعَ أَهْلِهَا، وَهُمُ الَّذِينَ كَانُوا السَّبَبَ فِي إِثَارَةِ الْأَحْزَابِ» [١].

قَالَ بَعْضُهُمْ: « يَاللهِ! مَا أَسْوَأَ عَاقِبَةَ الطَّيْشِ! فَقَدْ تَكُونُ الْأُمَّةُ مُرْتَاحَةَ الْبَالِ هَادِئَةَ الْخَوَاطِرِ، حَتَّىٰ تَقُومَ جَمَاعَةٌ مِنْ رُؤَسَائِهَا بِعَمَلِ غَدْرٍ يَظُنُّونَ مِنْ وَرَائِهِ النَّجَاحَ، فَيَجْلِبُ عَلَيْهِمُ الشُّرُورَ وَيُشَتِّتُهُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ ، وَهَذَا مَا حَصَلَ لِلْيَهُودِ فِي الْحِجَازِ ، فَقَدْ كَانَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمُسْلِمِينَ عُهُودٌ يَأْمَنُ بِهَا كُلٌّ مِنْهُمُ الْآخَرَ، وَلَكِنَّ الْيَهُودَ لَمْ يُوفُوا بِتِلْكَ الْعُهُودِ حَسَدًا مِنْهُمْ وَبَغْيًا. فَتَمَّ عَلَيْهِمْ مَا تَمَّ، سُنَّةَ اللهِ فِي الْمُفْسِدِينَ، فَإِنَّ اللهَ لَا يُصْلِحُ أَعْمَالَهُمْ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ [الأَحْزَابُ :٢٧] أَيْ: وَقَدْ شَاهَدْتُمْ بَعْضَ مَقْدُورَاتِهِ فَاعْتَبِرُوا بِغَيْرِهَا [٢].

وَأَسْتَغْفِرُ اللهُ .

(١) « مَحَاسِنُ التَّأْوِيلِ » (١٣/ ٢٤٦).
(٢) « مَحَاسِنُ التَّأْوِيلِ » (٨/ ٦٥).

اسْتِشْهَادُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ :

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَىٰ أَشْرَفِ المُرْسَلِيْنَ ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

أَمَّا بَعْدُ :

فَتَقَدَّمَ الحَدِيْثُ مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنْ « **غَزْوَةِ بَنِي قُرَيْظَةَ** » .

وَالآنَ حَدِيْثِي مَعَكُمْ عَنْ «**اسْتِشْهَادُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-**» .

جَاءَ فِي «سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ» بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ صَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيْحِ التِّرْمِذِيِّ »[١]، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-، أَنَّهُ قَالَ : رُمِيَ يَوْمَ الأَحْزَابِ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ ، فَقَطَعُوا أَكْحَلَهُ ، فَحَسَمَهُ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِالنَّارِ ، فَانْتَفَخَتْ يَدُهُ ، فَتَرَكَهُ ، فَنَزَفَهُ الدَّمُ ، فَحَسَمَهُ أُخْرَىٰ ، فَانْتَفَخَتْ يَدُهُ ، فَلَمَّا رَأَىٰ ذَلِكَ ، قَالَ : « اللهُمَّ لا تُخْرِجْ نَفْسِي حَتَّىٰ تُقِرَّ عَيْنِي مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ»، فَاسْتَمْسَكَ عِرْقُهُ، فَمَا قَطَرَ قَطْرَةً حَتَّىٰ نَزَلُوا عَلَىٰ حُكْمِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ، فَحَكَمَ أَنْ يُقْتَلَ رِجَالُهُمْ،وَيُسْتَحْيَا نِسَاؤُهُمْ،

---

(١)(صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُد(٥/ ٢٠٥)،وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ-فِي «صَحِيْحِ أَبِي دَاوُد» (١٥٨٢).

ويَسْتَعِينُ بِهِمُ الْمُسْلِمُونَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَصَبْتَ حُكْمَ اللهِ فِيهِمْ**»،وَكَانُوا أَرْبَعَ مِائَةٍ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ قَتْلِهِمْ ، انْفَتَقَ عِرْقُهُ،فَمَاتَ.

وَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ» (١) ، عَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- قَالَتْ: أَنَّ سَعْدًا قَالَ: اللهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أُجَاهِدَهُمْ فِيكَ، مِنْ قَوْمٍ كَذَّبُوا رَسُولَكَ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَأَخْرَجُوهُ ،اللهُمَّ فَإِنِّي أَظُنُّ أَنَّكَ قَدْ وَضَعْتَ الْحَرْبَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ، فَإِنْ كَانَ بَقِيَ مِنْ حَرْبِ قُرَيْشٍ شَيْءٌ فَأَبْقِنِي لَهُ حَتَّىٰ أُجَاهِدَهُمْ فِيكَ ،وَإِنْ كُنْتَ وَضَعْتَ الْحَرْبَ فَافْجُرْهَا وَاجْعَلْ مَوْتَتِي فِيهَا ، فَانْفَجَرَتْ مِنْ لَبَّتِهِ فَلَمْ يَرُعْهُمْ وَفِي الْمَسْجِدِ خَيْمَةٌ مِنْ بَنِي غِفَارٍ إِلاَّ الدَّمُ يَسِيلُ إِلَيْهِمْ، فَقَالُوا: يَا أَهْلَ الْخَيْمَةِ مَا هَذَا الَّذِي يَأْتِينَا مِنْ قِبَلِكُمْ ، فَإِذَا سَعْدٌ يَغْذُو جُرْحُهُ دَمًا، فَمَاتَ مِنْهَا -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- .

وَلَمَّا مَاتَ -أَيُّهَا النَّاسُ- اهْتَزَّ لِمَوْتِهِ عَرْشُ الرَّحْمَنُ فَرحًا بِقُدُومِهِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، فَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ» (٢) ، مِنْ حَدِيْثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : يَقُولُ : « **اهْتَزَّ عَرْشُ الرَّحْمَنِ لِمَوْتِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ** » .

وَحَمَلَتِ الْمَلائِكَةُ جِنَازَتَهُ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-،فَفِي «سُنُنِ» التِّرْمِذِيِّ بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ صَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي«الْمِشْكَاةِ »(٣)،مِنْ حَدِيْثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤١٢٢) ، وَمُسْلِمٌ (١٧٦٩) .
(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٨٠٣) ، وَمُسْلِمٌ (٢٤٦٩) .
(٣)(صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيِّ(٣٨٤٩)،وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ-فِي «مِشْكَاةِ الْمَصَابِيْحِ» (٦٢٢٨).

-رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: لَمَّا حُمِلَتْ جَنَازَةُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ الْمُنَافِقُونَ: مَا أَخَفَّ جَنَازَتَهُ، وَذَلِكَ لِحُكْمِهِ فِي بَنِي قُرَيْظَةَ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ: « **إِنَّ الْمَلَائِكَةَ كَانَتْ تَحْمِلُهُ** ».

قَالَ بَعْضُهُمْ: (لَمَّا حُمِلَتْ جَنَازَةُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ) أَيْ: لَمَّا حَمَلَهَا النَّاسُ وَرَأَوْهَا خَفِيفَةً (مَا أَخَفَّ جِنَازَتَهُ) مَا لِلتَّعَجُّبِ(وَذَلِكَ) أَي: اسْتِخْفَافُهُ وَاسْتِحْقَارُهُ(لِحُكْمِهِ فِي بَنِي قُرَيْظَةَ) أَيْ: بِأَنْ تُقْتَلَ مُقَاتِلَتُهُمْ وَتُسْبَى ذَرَارِيُّهُمْ، فَنَسَبَهُ الْمُنَافِقُونَ إِلَى الْجَوْرِ وَالْعُدْوَانِ، وَقَدْ شَهِدَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لَهُ بِالْإِصَابَةِ فِي حُكْمِهِ (فَبَلَغَ ذَلِكَ) أَيْ : كَلَامُهُمْ إِنَّ الْمَلَائِكَةَ كَانَتْ تَحْمِلُهُ أَيْ : وَلِذَا كَانَتْ جِنَازَتُهُ خَفِيفَةً عَلَى النَّاسِ ، قَالَ الطِّيبِيُّ : كَانُوا يُرِيدُونَ بِذَلِكَ حَقَارَتَهُ وَازْدِرَاءَهُ ، فَأَجَابَ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِمَا يَلْزَمُ مِنْ تِلْكَ الْخِفَّةِ تَعْظِيمُ شَأْنِهِ وَتَفْخِيمُ أَمْرِهِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-.

رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ ، رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ.

لَلَّهُمَ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْإِيمَانَ وَزَيِّنْهُ فِي قُلُوبِنَا، وَكَرِّهْ إِلَيْنَا الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الرَّاشِدِينَ.

سُبْحَانَكَ اللهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ، أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ .

٢٥ غَزْوَةُ الحُدَيْبِيَةِ

الخُطْبَةُ الأُولَى:

إِنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمِدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلِ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لا شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾[النِّسَاء:١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بُعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الأُمُورِ

مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ :

فَمَا زَالَ الحَدِيْثُ مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنِ السِّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ عَلَىٰ صَاحِبِهَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -، وَحَدِيْثِي مَعَكُمْ اليَوْمَ عَنْ « **غَزْوَةِ الحُدَيْبِيَةِ** » .

وَالحُدَيْبِيَةُ اسْمُ بِئْرٍ تَقَعُ عَلَىٰ بُعْدِ اثْنَيْنِ وَعِشْرِيْن كَيْلًا إِلَىٰ الشِّمَالِ الغَرْبِي مِنْ مَكَّةَ وَتُعْرَفُ الآن بِالشُّمَيْسِي، وَفِيْهَا حَدَائِق الحُدَيْبِيَةُ وَمَسْجِدُ الرِّضْوَانِ(١)، وَأَطْرَافُهَا تَدْخُلُ فِي حُدُودِ الحَرَمِ المَكِّي، وَمُعْظَمُهَا مِنَ الحِلِّ خَارِجَةٌ (٢)، وَقَدْ سُمِّيَتِ الغَزْوَةُ بِهَا لِأَنَّ قُرَيْشًا مَنَعَتْ المُسْلِمِيْنَ مِنْ دُخُول مَكَّةَ وَهُمْ فِي الحُدَيْبِيَة.

وَكَانَ خُرُوجُ الرَّسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِلَىٰ الحُدَيْبِيَةِ -أَيُّهَا النَّاسُ- فِي يَوْمِ الإِثْنَيْنِ مُسْتَهَلِّ ذِي القَعْدَةِ مِنَ السَّنَةِ السَّادِسَةِ بِإِجْمَاعِ عُلَمَاءِ السِّيْرَة (٣)، وَقَصَدَ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِخُرُوجِهِ لِلعُمْرَةُ ، فَفِي «صَحِيْحِ البُخَارِيِّ»(٤)، وَبَلَغَ عَدَدُ المُسْلِمِيْنَ فِي الحُدَيْبِيَةِ أَلْفًا وَأَرْبَعَمِائَةِ رَجُلٍ جَاءَ ذَلِكَ فِي «الصَّحِيْحَيْنِ» (٥) ، وَلَمَّا وَصَلَ المُسْلِمُونَ إِلَىٰ ذِي

---

(١) «نَسَبُ حَرْب» (٣٥٠) .
(٢) «زَادُ المَعَاد » (٣/ ٣٨٠) .
(٣) «دَلَائِلُ النُّبُوَّة» (٢/ ٢١٢) .
(٤) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤١٧٨) .
(٥) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤١٥٥) ، وَمُسْلِمٌ (١٨٥٦) .

الْحُلَيْفَةِ صَلُّوا وَأَحْرَمُوا بِالعُمْرَةِ كَمَا فِي «صَحِيْحِ البُخَارِيِّ» [١]، وَسَاقُوا الهَدْيَ سَبْعِيْنَ بَدَنَةً كَمَا فِي «مُسْنَدِ» أَحْمَدَ بِسَنَدٍ حَسَنٍ [٢]، وَبَعَثَ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَيْنًا إِلَىٰ مَكَّةَ هُوَ بِسْرُ بْنُ سُفْيَانَ الْخُزَاعِيُّ الكَعْبِيّ ، كَمَا فِي «صَحِيْحِ البُخَارِيِّ» [٣]، وَمَضَىٰ الْمُسْلِمُونَ إِلَىٰ أَنْ وَصَلُوا عَسفَانَ عَلَىٰ ثَمَانِيْنَ كَيْلًا مِنْ مَكَّةَ فَجَاءَهُمْ بُسْرُ بْنُ سُفْيَانَ الكَعْبِيُّ بِخَبَرِ قُرَيْشٍ وَأَنَّهَا سَمِعَتْ بِمَسِيْرِهُمْ، وَجَمَعَتْ لَهُمُ الْجُمُوعَ بِصَدِّهِمْ عَنْ دُخُولِ مَكَّةَ ، وَأَنَّ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ خَرَجَ بِخَيْلِهِمْ إِلَىٰ كُرَاعِ الْغَمِيمِ ،عَلَىٰ بُعْدِ أَرْبَعِيْنَ وَسِتِّيْنَ كَيْلًا عَنْ مَكَّةَ ، فَاسْتَشَارَ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي أَنْ يُغِيْرَ عَلَىٰ دِيَارِهِم ، فَقَالَ: « **أَشِيرُوا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيَّ ، أَتَرَوْنَ أَنْ أَمِيلَ إِلَى عِيَالِهِمْ وَذَرَارِيِّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَصُدُّونَا عَنْ الْبَيْتِ ؟ فَإِنْ يَأْتُونَا كَانَ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- قَدْ قَطَعَ عَيْنًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَإِلَّا تَرَكْنَاهُمْ مَحْرُوبِينَ** »، قَالَ أَبُو بَكْرٍ : يَا رَسُولَ اللهِ خَرَجْتَ عَامِدًا لِهَذَا الْبَيْتِ لَا تُرِيدُ قَتْلَ أَحَدٍ وَلَا حَرْبَ أَحَدٍ، فَتَوَجَّهْ لَهُ،فَمَنْ صَدَّنَا عَنْهُ قَاتَلْنَاهُ ، قَالَ : « **امْضُوا عَلَى اسْمِ اللهِ** » . جَاءَ ذَلِكَ فِي «صَحِيْحِ البُخَارِيِّ» [٤].

وَكَانَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -أَيُّهَا النَّاسُ- كَثِيْرُ الاسْتِشَارَةِ

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤١٧٨) .
(٢) (حَسَنٌ) رَوَاهُ وَأَحْمَد (٤/ ٣٢٣) وَسَنَدَهُ حَسَنٌ .
(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤١٧٩) .
(٤) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤١٧٩) .

لِأَصْحَابِهِ ، وَقَدْ صَلَّى رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِأَصْحَابِهِ صَلَاةَ الْخَوْفِ فِي عَسَفَانَ ، عِنْدَمَا عَلِمَ بِقُرْبِ خَيْلِ الْمُشْرِكِيْنَ مِنْهُمْ [١] ، فَتَكُونُ أَوَّلَ صَلَاةِ خَوْفٍ صَلَّاهَا رَسُولُ اللهِ-صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-بِعَسَفَانَ فِي الْحُدَيْبِيَةِ.

وَسَلَكَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- طَرِيْقًا وَعِرَةً عَبْرَ ثَنِيَّةِ الْمَرَارِ وَهِيَ مَهْبَطُ الْحُدَيْبِيَةِ ، وَفِي«صَحِيْح مُسْلِم»[٢] ، مِنْ حَدِيْثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- :«**مَنْ يَصْعَدُ الثَّنِيَّةَ ثَنِيَّةَ الْمُرَارِ..فَإِنَّهُ يُحَطُّ عَنْهُ مَا حُطَّ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ**» ، قَالَ جَابِرٌ: فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ صَعِدَهَا خَيْلُنَا خَيْلُ بَنِي الْخَزْرَجِ ثُمَّ تَتَامَّ النَّاسُ .

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «**وَكُلُّكُمْ مَغْفُورٌ لَهُ إِلَّا صَاحِبَ الْجَمَلِ الْأَحْمَرِ** » .فَأَتَيْنَاهُ فَقُلْنَا لَهُ : تَعَالَ يَسْتَغْفِرْ لَكَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ : وَاللهِ لَأَنْ أَجِدَ ضَالَّتِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لِي صَاحِبُكُمْ، قَالَ : وَكَانَ رَجُلٌ يَنْشُدُ ضَالَّةً لَهُ .

وَقَدْ غَيَّرَ الرَّسُولُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- طَرِيْقُ جَيْشِهِ تَجَنُّبًا لِلقِتَالِ مَعَ خَالِدِ بْنِ الوَلِيْدِ وَخَيَالَةِ الْمُشْرِكِيْنَ ، فَلَمَّا أَحَسَّ خَالِدُ بِذَلِكَ رَجَعَ إِلَىٰ

---

(١)(صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُد(١٢٤٣)،وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ-فِي «صَحِيْحِ أَبِي دَاوُد» (١١٣٣).

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٧٨٠) .

مَكَّةَ ، وَلَمَّا اقْتَرَبَ الرَّسُولُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِنَ الْحُدَيْبِيَةِ -أَيُّهَا النَّاسُ- بَرَكَتْ نَاقَتُهُ : فَقَالُوا : خَلَأَتِ الْقَصْوَاءُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: كَمَا فِي «صَحِيْحِ الْبُخَارِيِّ» (١)، مِنْ حَدِيْثِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ ، وَمَرْوَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ : « **مَا خَلَأَتْ الْقَصْوَاءُ ، وَمَا ذَاكَ لَهَا بِخُلُقٍ ، وَلَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الْفِيلِ ، ثُمَّ قَالَ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَا يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعَظِّمُونَ فِيهَا حُرُمَاتِ اللهِ إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا ، ثُمَّ زَجَرَهَا فَوَثَبَتْ** » .

ثُمَّ عَدَلَ عَنْ دُخُولِ مَكَّةَ إِلَىٰ أَقْصَىٰ الْحُدَيْبِيَةِ ثُمَّ نَزَلَ عَلَىٰ بِئْرٍ قَلِيْلَةِ الْمَاءِ، فَاشْتَكَىٰ الْمُسْلِمُونَ الْعَطَشُ ، فَانْتَزَعَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَنْ يَجْعَلُوهُ فِيهِ، فَمَا زَالَ يَجِيشُ لَهُمْ بِالرِّيِّ حَتَّىٰ صَدَرُوا عَنْهُ .

فَكَانَ تَكْثِيْرُ الْمَاءِ -أَيُّهَا النَّاسُ- مِنْ مُعْجِزَاتِهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ ، وَأَمَّا حَبْسُ نَاقَتِهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَدْ قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ : أَنَّ ذَلِكَ لِيُعْلِمَهُ اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - أَنَّهُ أَرَادَ بِبَعْضِ أَهْلِ مَكَّةَ خَيْرًا ، وَأَنَّهُ لَمْ يُسَلِّطْهُ عَلَيْهِمْ الآنَ ، وَأَنَّ دُخُولَهُ مَكَّةَ غَيْبٌ لَمْ يَأْتِ وَقْتُهُ ، فَهَذَا تَعلِيْمٌ لَهُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَتَأْدِيْبٌ وَتَعلِيْمٌ لِأُمَّتِهِ لِيَرُدُّوا كُلَّ الأَمْرِ لَهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - .

وَكَانَ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-أَيُّهَا النَّاسُ- يَحْرِصُ عَلَىٰ الاسْتِبْقَاءِ عَلَىٰ حَيَاةِ قُرَيْشٍ وَيَأْمَلُ إِسْلَامِهِمْ وَإِفَادَةَ الدَّعْوَةَ مِنْهُمْ ، فَالنَّاسُ مَعَادِنُ خِيَارُهُمْ

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٢٥٤٢) .

فِي الجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الإِسْلَامِ إِذَا فَقِهُوا وَقُرَيْشٌ مِنْ أَكْثَرِ العَرَبِ فَصَاحَةً وَذَكَاءً وَخِبْرَةً وَمَكَانَةً ، وَاسْتِبْقَاؤُهُمْ لِلإِسْلَامِ فِيهِ خَيْرٌ عَظِيْمٌ لِلدَّوْلَةِ وَالدَّعْوَةِ ، كَمَا بَرْهَنَتِ الأَيَّامْ ، وَهَا هُوَ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَتَحَسَّرُ لِعِنَادِ قُرَيْشٍ وَفَنَائِهَا فِي الحَرْبِ مَعَ المُسْلِمِيْنَ ، فَيَقُولُ كَمَا جَاءَ فِي «مُسْنَدِ» أَحْمَدَ بِسَنَدٍ حَسَنٍ [1] : «**يَا وَيْحَ قُرَيْشٍ ، لَقَدْ أَكَلَتْهُمْ الْحَرْبُ ، مَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ خَلَّوْا بَيْنِي وَبَيْنَ سَائِرِ النَّاسِ ، فَإِنْ أَصَابُونِي كَانَ الَّذِي أَرَادُوا ، وَإِنْ أَظْهَرَنِي اللهُ عَلَيْهِمْ ، دَخَلُوا فِي الْإِسْلَامِ وَهُمْ وَافِرُونَ، وَإِنْ لَمْ يَفْعَلُوا ، قَاتَلُوا وَبِهِمْ قُوَّةٌ ، فَمَاذَا تَظُنُّ قُرَيْشٌ ، وَاللهِ إِنِّي لَا أَزَالُ أُجَاهِدُهُمْ عَلَى الَّذِي بَعَثَنِي اللهُ لَهُ، حَتَّى يُظْهِرَهُ اللهُ لَهُ أَوْ تَنْفَرِدَ هَذِهِ السَّالِفَةُ**».

وَلَقَدْ أَرْسَلَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لِقُرَيْشٍ عَنْ طَرِيْقِ رِجَالٍ مُحَايِدِيْنَ وَبِوَاسِطَةِ رُسُلٍ أَرْسَلَهُمْ أَنَّهُ لَا يُرِيْدُ الحَرْبَ ، وَسَعَىٰ لِبَيَانِ مَوْقِفِ أَمَامَ النَّاسِ جَمِيْعًا أَنَّهُ يُرِيْدُ زِيَارَةَ البَيْتِ الحَرَّامِ وَتَعْظِيْمِهِ ، وَقَدْ قَدَّمَ عَلَيْهِ بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ الخُزَاعِيُّ وَبَيَّنَ أَنَّ قُرَيْشًا تَعْتَزِمُ صَدَّ المُسْلِمِيْنَ عَنْ دُخُولِ مَكَّةَ، فَأَوْضَحَ لَهُ الرَّسُولِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَوْقِفَهُ ،فَقَامَ بِتَوْضِيْحِهِ لِقُرَيْشٍ فَأَجَابَتْهُ قُرَيْشٌ : « وَإِنْ كَانَ إِنَّمَا جَاءَ لِذَلِكَ ، فَلَا وَاللهِ لَا يَدْخُلُهَا أَبَدًا عَلَيْنَا عَنْوَةً وَلَا تَتَحَدَّثُ بِذَلِكَ الْعَرَبُ» [2].

---

(١) (حَسَنٌ) رَوَاهُ وَأَحْمَد (٤/ ٣٢٣) وَسَنَدُهُ حَسَنٌ .

(٢)

وَأَرْسَلَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- رُسُلَهُ تَتْرَىٰ إِلَىٰ قُرَيْش يُعْلِنُونَ مَقْصدَهُمْ ، فَأَرْسَلَ خِرَاشَ بْنَ أُمَيَّةَ الْخُزَاعِيَّ ، فَأَرَادَتْ قُرَيْشٌ قَتْلَهُ لَوْلاَ أَنْ مَنَعَهُمْ الأَحَابِيْشُ ، وَأَرَادَ أَنْ يُرْسِلَ عُمَرَ ثُمَّ عَدَّلَ عَنْهُ إِلَىٰ عُثْمَانَ ، عِنْدَمَا بَيَّنَ عُمَرُ شَدِيْدَ عَدَاوَتِهِ لِقُرَيْش وَأَنَّهَا تَعْلَمُ ذَلِكَ ، وَأَنَّ بَنِي عَدِيٍّ قَوْمَهُ لاَ يَحْمُونَهُ ، فَذَهَبَ عُثْمَانُ إِلَىٰ قُرَيْش ، فَأَجَارَهُ أَبَانُ بْنُ سَعِيْدِ بْنِ العَاصِ حَتَّىٰ أَبْلَغَهُمْ رِسَالَةَ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، وَقَدْ سَامَحَتْ لَهُ قُرَيْش بِالطَّوَافِ فَأَبَىٰ أَنْ يَسْبِقَ الرَّسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَقَدْ أَخَّرَتْهُ قُرَيْشٌ ، فَحَسِبَ الْمُسْلِمُونَ أَنَّهَا قَتَلَتْهُ ، فَدَعَا رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لِلْبَيْعَةِ تَحْتَ شَجَرَةِ سَمْرَةٍ فَبَايَعُوهُ جَمِيْعًا سِوَىٰ الجِدِّ بْنِ قَيْسٍ -وَكَانَ مُنَافِقًا- ، وَكَانَتْ البَيْعَةُ عَلَىٰ المَوْتِ كَمَا فِي «الصَّحِيْحَيْنِ»(١) .

وَقَدْ سُمِّيَتْ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ ، لِأَنَّ اللهَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - قَدْ رَضِيَ عَلَيْهِمْ، وَقَدْ ذُكِرَتْ هَذِهِ البَيْعَةُ فِي القُرْآنِ الكَرِيْمِ فِي قَوْلِهِ-سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ ﴾: [الفَتْح: ١٨] .

وَقَدْ وَرَدَ فِي فَضْلِ هَذِهِ البَيْعَةِ -أَيُّهَا النَّاسُ- قَوْلُهُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لَا يَدْخُلُ النَّارَ -إِنْ شَاءَ اللهُ- مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدٌ الَّذِينَ بَايَعُوا**

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤١٦٩) ، وَمُسْلِمٌ (١٨٦٠) .

تَحْتَهَا» كَمَا جَاءَ فِي «صَحِيْح مُسْلِم»[١].

وَقَالَ: رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لِمَنْ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ: «**أَنْتُمْ خَيْرُ أَهْلِ الأَرْضِ**»، جَاءَ ذَلِكَ فِي «صَحِيْحِ البُخَارِيِّ» [٢].

وَلَمَّا كَانَ عُثْمَانَ -أَيُّهَا النَّاسُ- مَحْبُوسًا فِي قُرَيْش، فَقَدَ قَالَ: رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِيَدِهِ اليُمْنَىٰ: « **هَذِهِ يَدُ عُثْمَانَ فَضَرَبَ بِهَا عَلَى يَدِهِ فَقَالَ هَذِهِ لِعُثْمَانَ** » [٣].

ثُمَّ رَجَعَ عُثْمَانَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- إِلَىٰ المُسْلِمِينَ بَعْدَ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ مُبَاشَرَةً.
وَأَسْتَغْفِرُ اللهُ.

---

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٤٦٩).
(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤١٥٤).
(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٦٩٨).

صُلْحُ الحُدَيْبِيَةِ

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ :

الحَمْدُ لله رَبِّ العَالَمِيْنَ ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ أَشْرَفِ المُرْسَلِيْنَ ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

أَمَّا بَعْدُ :

فَتَقَدَّمَ الحَدِيْثُ مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنْ « **غَزْوَةِ الحُدَيْبِيَّةِ** » .

وَالآنَ حَدِيْثِي مَعَكُمْ عَنْ « **صُلْحِ الحُدَيْبِيَّةِ** » .

أَيُّهَا النَّاسُ لَقَدْ أَرْسَلَتْ قُرَيْشٌ عَدَدًا مِنَ الرُّسُلِ لِلتَّفَاوُضِ ، أَوَّلُهُمْ عُرْوَةُ ابْنَ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيَّ ، وَقَدْ لَاحَظَ تَعْظِيْمَ المُسْلِمِيْنَ لِرَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَحُبَّهُمْ لَهُ ، وَتَفَانِيْهُمْ فِي طَاعَتِهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، فَلَمَّا رَجَعَ إِلَىٰ قُرَيْشٍ ، قَالَ كَمَا فِي «صَحِيْحِ البُخَارِيِّ» [(١)] ، « أَيْ قَوْمِ وَاللهِ لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَىٰ المُلُوكِ ، وَوَفَدْتُ عَلَىٰ قَيْصَرَ وَكِسْرَىٰ وَالنَّجَاشِيِّ ، وَاللهِ إِنْ رَأَيْتُ مَلِكًا قَطُّ يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعَظِّمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحَمَّدًا ، وَاللهِ إِنْ تَنَخَّمَ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ، فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ ، وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَىٰ وَضُوئِهِ ، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيْهِ

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٢٧٣١) .

النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ،وَإِنَّهُ قَدْ عَرَضَ عَلَيْكُمْ خُطَّةَ رُشْد فَاقْبَلُوهَا.فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ كِنَانَةَ: دَعُوني أَتِه.فَقَالُوا : ائْتِه، فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَى النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَأَصْحَابِه، قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- :«**هَذَا فُلانٌ ، وَهُوَ مِنْ قَوْم يُعَظِّمُونَ الْبُدْنَ ، فَابْعَثُوهَا لَهُ**». فَبُعِثَتْ لَهُ ، وَاسْتَقْبَلَهُ قَوْمٌ يُلَبُّونَ . فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ ، قَالَ : سُبْحَانَ اللهِ ! مَا يَنْبَغِي لِهَؤُلاءِ أَنْ يُصَدُّوا عَنِ الْبَيْتِ ».

فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ مِكْرَزُ بْنُ حَفْص ، فَقَالَ : دَعُونِي آتِيه ، فَقَالُوا: ائْتِه ، فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ ، قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: **هَذَا مِكْرَزٌ، وَهُوَ رَجُلٌ فَاجِرٌ** ، فَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَبَيْنَمَا هُوَ يُكَلِّمُهُ إِذْ جَاءَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: لَقَدْ سَهُلَ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ .

فَقَالَ سُهَيْلُ: هَاتِ اكْتُبْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابًا ، فَدَعَا النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الْكَاتِبَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، قَالَ سُهَيْلٌ : أَمَّا الرَّحْمَنُ ، فَوَاللهِ مَا أَدْرِي مَا هُوَ ، وَلَكِنْ اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللهُمَّ كَمَا كُنْتَ تَكْتُبُ ، فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ : وَاللهِ لَا نَكْتُبُهَا إِلَّا بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللهُمَّ ، ثُمَّ قَالَ : هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ ، فَقَالَ سُهَيْلٌ : وَاللهِ لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ مَا صَدَدْنَاكَ عَنِ الْبَيْتِ وَلَا قَاتَلْنَاكَ ، وَلَكِنْ اكْتُبْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : وَاللهِ إِنِّي لَرَسُولُ اللهِ ، وَإِنْ كَذَّبْتُمُونِي اكْتُبْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ .

فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : عَلَىٰ أَنْ تُخَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْبَيْتِ فَنَطُوفَ بِهِ ، فَقَالَ سُهَيْلٌ : وَاللهِ لَا تَتَحَدَّثُ الْعَرَبُ ، أَنَّا أُخِذْنَا ضُغْطَةً ، وَلَكِنْ ذَلِكَ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ ، فَكَتَبَ ، فَقَالَ سُهَيْلٌ ، وَعَلَىٰ : أَنَّهُ لَا يَأْتِيكَ مِنَّا رَجُلٌ ، وَإِنْ كَانَ عَلَىٰ دِينِكَ إِلَّا رَدَدْتَهُ إِلَيْنَا ، قَالَ الْمُسْلِمُونَ : سُبْحَانَ اللهِ ، كَيْفَ يُرَدُّ إِلَىٰ الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ جَاءَ مُسْلِمًا ؟ فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ دَخَلَ أَبُو جَنْدَلِ بْنُ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو يَرْسُفُ فِي قُيُودِهِ ، وَقَدْ خَرَجَ مِنْ أَسْفَلِ مَكَّةَ حَتَّىٰ رَمَىٰ بِنَفْسِهِ بَيْنَ أَظْهُرِ الْمُسْلِمِينَ ، فَقَالَ سُهَيْلٌ : هَذَا يَا مُحَمَّدُ ، أَوَّلُ مَا أُقَاضِيكَ عَلَيْهِ أَنْ تَرُدَّهُ إِلَيَّ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّا لَمْ نَقْضِ الْكِتَابَ بَعْدُ ، قَالَ : فَوَاللهِ إِذًا لَمْ أُصَالِحْكَ عَلَىٰ شَيْءٍ أَبَدًا .

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَأَجِزْهُ لِي ، قَالَ : مَا أَنَا بِمُجِيزِهِ لَكَ ، قَالَ : بَلَىٰ ، فَافْعَلْ ، قَالَ : مَا أَنَا بِفَاعِلٍ ، قَالَ مِكْرَزٌ : بَلْ قَدْ أَجَزْنَاهُ لَكَ .

وَقَدْ تَمَّ الإِتِّفَاقُ عَلَى الأُمُورِ الآتِيَةِ :

عَلَىٰ وَضْعِ الْحَرْبِ عَشْرَ سِنِينَ ، يَأْمَنُ فِيهَا النَّاسُ ، وَيَكُفُّ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ ، عَلَىٰ أَنَّهُ مَنْ أَتَىٰ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -مِنْ أَصْحَابِهِ بِغَيْرِ إِذْنِ وَلِيِّهِ رَدَّهُ عَلَيْهِمْ ، وَمَنْ أَتَىٰ قُرَيْشًا مِمَّنْ مَعَ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لَمْ يَرُدُّوهُ عَلَيْهِ ، وَإِنَّ بَيْنَنَا عَيْبَةً مَكْفُوفَةً ، وَإِنَّهُ لَا إِسْلَالَ وَلَا إِغْلَالَ وَكَانَ فِي شَرْطِهِمْ حِينَ كَتَبُوا الْكِتَابَ أَنَّهُ مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَقْدِ مُحَمَّدٍ وَعَهْدِهِ دَخَلَ فِيهِ .

وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَقْدِ قُرَيْشٍ وَعَهْدِهِمْ دَخَلَ فِيهِ ، فَتَوَاثَبَتْ

خُزَاعَةُ ، فَقَالُوا : نَحْنُ مَعَ عَقْدِ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَعَهْدِهِ، وَتَوَاثَبَتْ بَنُو بَكْرٍ ، فَقَالُوا : نَحْنُ فِي عَقْدِ قُرَيْشٍ وَعَهْدِهِمْ ، وَأَنَّكَ تَرْجِعُ عَنَّا عَامَنَا هَذَا ، فَلَا تَدْخُلْ عَلَيْنَا مَكَّةَ ، وَأَنَّهُ إِذَا كَانَ عَامٌ قَابِلٌ ، خَرَجْنَا عَنْكَ ، فَتَدْخُلُهَا بِأَصْحَابِكَ ، وَأَقَمْتَ فِيهِمْ ثَلَاثًا مَعَكَ سِلَاحُ الرَّاكِبِ لَا تَدْخُلْهَا بِغَيْرِ السُّيُوفِ فِي الْقُرُبِ » .

هَكَذَا كَانَ صُلْحُ الْحُدَيْبِيَةِ -أَيُّهَا النَّاسُ- ، وَالْوَاقِعُ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ تَذَمَّرُوا مِنْ هَذِهِ الاتِّفَاقِيَّةِ وَضَاقُوا بِهَا ذَرْعًا ، لِتَصَوُّرِ مُعْظَمِهِمْ أَنَّ فِي شُرُوطِ الصُّلْحِ إِجْحَافًا بِهِمْ أَدَّتْ إِلَىٰ غَضَبِ الْمُسْلِمِينَ حَتَّىٰ إِذَا أَمَرَهُمُ الرَّسُولُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَأَنْ يَنْحَرُوا الْهَدْيَ وَيَحْلِقُوا رُؤُوسَهُمْ ، وَكَرَّرَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ لَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ ، فَلَمَّا رَأَوْهُ قَامَ بِمَشُورَةٍ مِنْ أُمِّ سَلَمَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- فَذَبَحَ بُدْنَهُ وَحَلَقَ رَأْسَهُ قَامُوا: « وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ لِبَعْضٍ، حَتَّىٰ كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا غَمًّا » جَاءَ ذَلِكَ فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» (١) .

فَدَعَا رَسُولُ اللهِ-صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لِمَنْ حَلَقَ ثَلَاثًا، وَلِمَنْ قَصَّرَ مَرَّةً، جَاءَ ذَلِكَ فِي «مُسْنَدِ» أَحْمَدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ (٢) . وَكَانَ عَدَدُ مَا نَحَرَهُ الْمُسْلِمُونَ مِنَ الإِبْلِ سَبْعِينَ ، جَاءَ ذَلِكَ فِي «مُسْنَدِ» أَحْمَدَ بِسَنَدٍ حَسَنٍ (٣) ، كُلَّ بَدَنَةٍ عَنْ سَبْعَةٍ ، جَاءَ ذَلِكَ فِي«صَحِيحِ مُسْلِمٍ»(٤).

---

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٢٧٣١) .
(٢) (صَحِيحٌ) أَخْرَجَهُ الإِمَامُ أَحْمَد (٢/ ٣٤) .
(٣) (حَسَنٌ) أَخْرَجَهُ الإِمَامُ أَحْمَد (٤/ ٣٢٤) .
(٤) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢١٥٣).

وَهَكَذَا -أَيُّهَا النَّاسُ- تَحَلَّلَ المُسْلِمُونَ مِنْ عُمْرَتِهِمْ، وَشُرِعَ التَّحَلُّلُ لِلمُحْصَرِ وَأَنَّهُ لَا يَلْزَمُهُ القَضَاءُ .

ثُمَّ شَرَعَ النَّاسُ في التَّهَيُّؤِ لِلعَوْدَةِ إِلَىٰ المَدِيْنَةِ بَعْدَ أَنْ قَامُوا في المَدِيْنَةِ عِشْرِيْنَ يَوْمًا ، وَفي الطَّرِيْقِ إِلَىٰ المَدِيْنَةِ -أَيُّهَا النَّاسُ- نَزَلَتْ سُورَةُ الفَتْحِ ﴿**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١**﴾ [الفتح:١].

وَقَدْ عَبَّرَ الرَّسُولُ اللهِ-صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَنْ عَظِيْمِ فَرْحَتِهِ بِنُزُولِهَا بِقَوْلِهِ كَمَا في «صَحِيْحِ البُخَارِيِّ»(١) ، مِنْ حَدِيْثِ عُمَرَ بْنُ الْخَطَّابِ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- : « **لَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ سُورَةٌ لَهِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾** » .

وَبِنُزُولِ هَذِهِ السُّورَةِ -أَيُّهَا النَّاسُ- انْقَلَبَتْ كَآبَةُ المُسْلِمُونَ إِلَىٰ فَرَحٍ غَامِرٍ وَأَدْرَكُوا أَنَّهُ لاَ يُمْكِنُ أَنْ يُحِيطُوا بِالأَسْبَابِ وَالنَّتَائِجِ ، وَأَنَّ التَّسْلِيْمَ لأَمْرِ اللهِ وَرَسُولِهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِيْهِ كُلُّ الخَيْرِ لَهُمْ وَلِدَعْوَةِ الإِسْلَامِ(٢).

اللهُمَّ افْتَحْ لَنَا فَتْحًا مُبِينًا ، وَاهْدِنَا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ، وَانْصُرْنَا نَصْرًا عَزِيزًا، وَأَتِمَّ عَلَيْنَا نِعْمَتَكَ، وَأَنْزِلْ في قُلُوبِنَا سَكِينَتَكَ،وَانْشُرْ عَلَيْنَا فَضْلَكَ وَرَحْمَتَكَ، وَسُبْحَانَكَ اللهُمَّ وَبِحَمْدِكَ،أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ،أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ.

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤١٧٧) .
(٢) انْظُرْ: « السِّيْرَةُ النَّبَوِيَّةِ الصَّحِيْحَة» لِلدُّكْتُور/ العِمَرِي ، بَاب غَزْوَةُ الحُدَيْبِيَةِ (٢/ ٤٣٤) ، فَقَدْ اسْتَفَدْتُ مِنْهُ كَثِيْرًا – جَزَىٰ اللهُ مُؤَلِّفَهُ خَيْرًا .

٢٦ بَعْضُ مَا أَكْرَمَ اللهُ نَبِيَّهُ وَأَصْحَابَهُ فِي غَزْوَةِ الحُدَيْبِيَةِ

الخُطْبَةُ الأُولَى:

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمِدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلِ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النِّسَاء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بُعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ :

فَمَا زَالَ الْحَدِيْثُ مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنِ السِّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ عَلَىٰ صَاحِبِهَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -، وَحَدِيْثِي مَعَكُمْ الْيَوْمَ عَنْ « **بَعْضِ مَا أَكْرَمَ اللهُ نَبِيَّهُ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَأَصْحَابَهُ فِي غَزْوَةِ الْحُدَيْبِيَةِ** » .

وَمِمَّا أَكْرَمَ اللهُ بِهِ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- تَكْثِيْرُ الْمَاءِ ، فَقَدْ نَزَحَ بِئْرُ الْحُدَيْبِيَةِ حَتَّىٰ مَا بَقِيَ فِيْهِ قَطْرَةُ مَاءٍ ، فَبَصَقَ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِيْهَا وَدَعَا ، فَرَوِيَ مِنْهَا الصَّحَابَةُ حَتَّىٰ ارْتَحَلُو .

فَفِي «صَحِيْحِ الْبُخَارِيِّ» (١) مِنْ حَدِيْثِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- : أَنَّهُمْ كَانُوا مَعَ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ أَلْفًا وَأَرْبَعَ مِائَةٍ أَوْ أَكْثَرَ ، فَنَزَلُوا عَلَىٰ بِئْرٍ فَنَزَحُوهَا ، فَأَتَوْا رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَأَتَىٰ الْبِئْرَ وَقَعَدَ عَلَىٰ شَفِيرِهَا ، ثُمَّ قَالَ : **إِيتُونِي بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ، فَأُتِيَ بِهِ ، فَبَصَقَ فَدَعَا ، ثُمَّ قَالَ : دَعُوهَا سَاعَةً ، فَأَرْوَوْا أَنْفُسَهُمْ وَرِكَابَهُمْ حَتَّى ارْتَحَلُوا** » .

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَىٰ : « **تَوَضَّأَ ، ثُمَّ تَمَضْمَضَ وَدَعَا ، ثُمَّ صَبَّهُ فِيهَا** ».

---

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤١٥١) .

فَفِي «صَحِيْحِ البُخَارِيِّ» (١) مِنْ حَدِيْثِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: تَعُدُّونَ أَنْتُمُ الْفَتْحَ فَتْحَ مَكَّةَ، وَقَدْ كَانَ فَتْحُ مَكَّةَ فَتْحًا، وَنَحْنُ نَعُدُّ الْفَتْحَ بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ، كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَرْبَعَ عَشْرَةَ مِائَةً، وَالْحُدَيْبِيَةُ بِئْرٌ، فَنَزَحْنَاهَا فَلَمْ نَتْرُكْ فِيهَا قَطْرَةً، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَأَتَاهَا فَجَلَسَ عَلَىٰ شَفِيرِهَا، ثُمَّ دَعَا بِإِنَاءٍ مِنْ مَاءٍ فَتَوَضَّأَ، ثُمَّ مَضْمَضَ، وَدَعَا ثُمَّ صَبَّهُ فِيهَا، فَتَرَكْنَاهَا غَيْرَ بَعِيدٍ ثُمَّ إِنَّهَا أَصْدَرَتْنَا مَا شِئْنَا نَحْنُ وَرِكَابَنَا».

وَمِمَّا أَكْرَمَ اللهُ بِهِ نَبِيَّنَا -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي غَزْوَةِ الْحُدَيْبِيَّةِ -أَيُّهَا النَّاسُ- نَبْعُ الْمَاءِ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ الشَّرِيْفَةِ.

فَفِي «صَحِيْحِ البُخَارِيِّ» (٢) مِنْ حَدِيْثِ جَابِرٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: عَطِشَ النَّاسُ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ وَرَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بَيْنَ يَدَيْهِ رِكْوَةٌ فَتَوَضَّأَ مِنْهَا، ثُمَّ أَقْبَلَ النَّاسُ نَحْوَهُ، قَالُوا: لَيْسَ عِنْدَنَا مَاءٌ نَتَوَضَّأُ بِهِ وَنَشْرَبُ إِلَّا مَا فِي رِكْوَتِكَ، فَوَضَعَ النَّبِيُّ - صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَدَهُ فِي الرِّكْوَةِ، فَجَعَلَ الْمَاءُ يَفُورُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ كَأَمْثَالِ الْعُيُونِ، قَالَ: فَشَرِبْنَا وَتَوَضَّأْنَا.

وَمِمَّا أَكْرَمَ اللهُ بِهِ نَبِيَّنَا -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي غَزْوَةِ الْحُدَيْبِيَّةِ، أَنْ أَنْزَلَ

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤١٥٠).
(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤١٥٢).

عَلَيْهِ سُورَةِ الفَتْحِ .

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ۝٣ ﴾ [الفَتْح:١-٣].

وَقَدِ اشْتَمَلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ العَظِيْمَةِ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَلَىٰ المُبَشِّرَاتِ الكَثِيْرَةِ الطَّيِّبَةِ لِرَسُولِ اللهِ - صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَلِلصَّحَابَةِ الكِرَامِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ - يُجْبِرُ بِذَلِكَ كَسْرَهُمْ وَصَدَّهُمْ عَنِ المَسْجِدِ الحَرَامِ ، وَكَانُوا فِي غَايَةِ الشَّوْقِ إِلَيْهِ ، وَهَذَا مِمَّا جَعَلَهُمْ يَتَأَخَّرُونَ عَنْ تَنْفِيْذِ أَمْرِ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَنْحَرِ الهَدْيِ وَحَلْقِ الرُّؤُوسِ أَوْ تَقْصِيْرِهَا وَكَأَنَّهُمْ يَنْتَظِرُونَ أَمْرًا آخَرَ وَأَحَبَّ إِلَىٰ قُلُوبِهِمْ ، فَلَمَّا سَلَّمُوا وَسَمِعُوا وَأَطَاعُوا نَزَلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ تُسَلِّيْهِمْ وَتُبَشِّرُهُمْ .

فَمِنَ المُبَشِّرَاتِ -أَيُّهَا النَّاسُ- تَسْمِيَةُ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- هَذَا الصُّلْحِ فَتْحًا لِلمُسْلِمِيْنَ .

وَمِنَ المُبَشِّرَاتِ الخَاصَّةِ بِرَسُولِ اللهِ - صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَغْفِرَةُ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- مَا تَقَدَّمَ وَمَا تَأَخَّرَ مِنْ ذَنْبِهِ .

وَمِنَ المُبَشِّرَاتِ العَامَّةِ لِلمُسْلِمِيْنَ البِشَارَةُ بِالجَنَّةِ مَعَ تَكْفِيْرِ السَّيِّئَاتِ، قَالَ-سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ۝٥﴾ [الفتح:٥].

وَمِنَ أَعْظَمِ المُبَشِّرَاتِ -أَيُّهَا النَّاسُ- إِخْبَارُ اللهِ بِرِضَاهُ عَنْهُمْ: ﴿۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ۝١٨﴾ [الفتح:١٨].

وَمِنَ المُبَشِّرَاتِ -أَيُّهَا النَّاسُ- أَنْ وَعَدَ اللهُ رَسُولَهُ- صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِمَغَانِمَ كَثِيرَةٍ يَأْخُذُونَهَا، قَالَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢٠﴾ [الفتح:٢٠].

قَالَ بَعْضُ أَهْلِ العِلْمِ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الآيَةِ: «إِنَّ اللهَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- وَعَدَ المُؤْمِنِينَ بِالفُتُوحَاتِ الَّتِي وَصَلَتْ إِلَىٰ الأَنْدَلُسِ غَرْبًا وَعَجَّلَ لَهُمْ غَنِيمَةَ خَيْبَرَ، وَكَفَّ أَيْدِيَ اليَهُودِ حَيْثُ هَمُّوا بِالغَارَةِ عَلَىٰ بُيُوتِ الصَّحَابَةِ، وَفِيهَا أَزْوَاجُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ، فَصَرَفَ اللهُ عَنْهُمْ، وَفِي تِلْكَ آيَةٌ يَسْتَدِلُّونَ بِهَا عَلَىٰ حِفْظِ اللهِ لَهُمْ فِي حُضُورِهِمْ وَمَغِيبِهِمْ»(١).

وَمَدَحَ اللهُ المُسْلِمِينَ بِقَوْلِهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ۝٢٦﴾ [الفتح:٢٠].

وَأَخْبَرَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- أَنَّ الرُّؤْيَا الَّتِي رَآهَا رَسُولُ- صَلَّىٰ اللهُ

---

(١) «تَفْسِيرُ الجَزَائِرِيِّ» (٥/ ١٠٨).

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِدُخُولِهِمْ المَسْجِدِ الحَرَامَ مُحَلِّقِيْنَ رُؤُوسَهُمْ وَمُقَصِّرِيْنَ آمِنِيْنَ لاَ يَخَافُونَ شَيْئًا لاَ بُدَّ أَنْ تَتَحَقَّقَ ، وَكَانَ ذَلِكَ بَعْدَ عَامٍ مِنْ صُلْحِ الحُدَيْبِيَةِ فِي عُمْرَةِ القَضَاءِ فِي ذِي القَعْدَةِ مِنْ سَنَةِ سَبْعٍ ، وَبَشَّرَهُمْ بِالْعِزِّ وَالتَّمْكِيْنِ وَظُهُورِ الدِّيْنِ .

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ -: ﴿ **هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا** ﴿٢٨﴾ ﴾ [الفَتْحُ:٢٨].

قَالَ ابْنُ تَيْمِيَةَ -رَحِمَهُ اللهُ- كَمَا فِي «الجَوَابِ الصَّحِيْحِ» [1]: « إِنَّمَا هُوَ بِمَا يُظْهِرُهُ مِنْ آيَاتِهِ وَبَرَاهِيْنِهِ ، وَذَلِكَ إِنَّمَا يَتِمُّ بِالعِلْمِ بِمَا يُنْقَلُ عَنْ مُحَمَّدٍ مِنْ آيَاتِهِ الَّتِي هِيَ الأَدِلَّةُ وَشَرَائِعُهُ الَّتِي هِيَ المَدْلُولُ المَقْصُودُ بِالأَدِلَّةِ، فَهَذِهِ قَدْ أَظْهَرَهُ قُوَّةً وَنَصْرًا وَتَأْيِيدًا عَلَىٰ كُلِّ دِيْنٍ ، وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ».

وَمِنَ المُبَشِّرَاتِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أُخْبِرَ بِأَنَّهُ لاَ يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ .

فَفِي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ صَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي «ظِلَالِ الجَنَّةِ» [2]، مِنْ حَدِيْثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : « **لاَ يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ مِمَّنْ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ** » .

---

(١) «الجَوَابُ الصَّحِيْح» (٦/ ٣٦١) .

(٢)(صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُد (٤٦٢٧) ، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «ظِلَالِ الجَنَّةِ» (٧٦٠).

وَهُوَ عِنْدَ «مُسْلِم»[١]، مِنْ حَدِيْثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- بِلَفْظٍ: « **لا يَدْخُلُ النَّارَ إِنْ شَاءَ اللهُ مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ ، أَحَدٌ الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا** » .

وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: « **لِمَنْ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ، أَنْتُمْ خَيْرُ أَهْلِ الأَرْضِ** » جَاءَ ذَلِكَ فِي «صَحِيْحِ البُخَارِيِّ» [٢] ، وَأَخْبَرَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- أَنَّهُ قَدْ رَضِيَ عَنْهُمْ .

فَقَالَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- : ﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ [الفَتْحِ:١٨].

وَرِضَا اللهِ -أَيُّهَا النَّاسُ- أَعْظَمُ مَطْلُوبٍ وَإِذَا رَضِيَ اللهُ عَنِ العَبْدِ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا .

قَالَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- : ﴿ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [الفَتْحِ:١٨].

وَمِمَّا أَكْرَمَ اللهُ بِهِ رَسُولَهُ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَالْمُؤْمِنِيْنَ -أَيُّهَا النَّاسُ- أَنَّهُ أَتَاحَ الفُرْصَةَ لِتَوْسِيعِ نِطَاقِ الدَّعْوَةِ إِلَىٰ الإِسْلَامِ دَاخِلَ الجزِيْرَةِ وَخَارِجَهَا، حَيْثُ أَرْسَلَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - دِحْيَةَ بْنَ خَلِيْفَةَ الكَلْبِيَّ إِلَىٰ قَيْصَرَ ، وَعَبْدَا للهِ بْنَ حُذَافَةَ السَّهْمِي إِلَىٰ كِسْرَى، وَعَمْرُو بْنَ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيَّ

---

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٤٩٦) .
(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤١٥٤) .

إِلَىٰ نَجَاشِيِّ الحَبَشَةِ، وَحَاطِبَ بْنَ أَبِي بَلْتَعَةَ اللَّخْمِيُّ إِلَىٰ المُقَوقِسَ حَاكِمِ مَصْرِ، وَسَلِيطَ بْنَ عُمْرٍو العَامِرِيِّ إِلَىٰ هَوْذَةَ بْنَ عَلِيِّ الحَنَفِيَّ فِي اليَمَامَةِ »(١).

وَفِي «صَحِيْحِ مُسْلِمٍ» مِنْ حَدِيْثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَتَبَ إِلَىٰ كِسْرَىٰ، وَإِلَىٰ قَيْصَرَ، وَإِلَىٰ النَّجَاشِيِّ، وَإِلَىٰ كُلِّ جَبَّارٍ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، وَلَيْسَ بِالنَّجَاشِيِّ الَّذِي -صَلَّىٰ عَلَيْهِ النَّبِيُّ- صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-(٢).

وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ حَجَرٍ -رَحِمَهُ اللهُ- أَنَّ ذَلِكَ كَانَ سَنَةَ سِتٍّ(٣)، أَيْ بَعْدَ صُلْحِ الحُدَيْبِيَةِ.

وَقَدْ أَخْرَجَ «البُخَارِيُّ»(٤)، نَصَّ كِتَابِ الرَّسُولِ- صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الَّذِي بَعَثَ بِهِ دِحْيَةَ إِلَىٰ عَظِيْمِ بُصْرَىٰ، فَدَفَعَهُ إِلَىٰ هِرَقْلَ، وَنَصُّهُ:

فَإِذَا فِيهِ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللهِ وَرَسُولِهِ، إِلَىٰ هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ، سَلَامٌ عَلَىٰ مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى، أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الْإِسْلَامِ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ، يُؤْتِكَ اللهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ، ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ

(١) انْظُرْ: «تَارِيْخُ الطَّبَرِيِّ» (٢/ ٢٨٨) وَ«سِيْرَةُ ابْنِ هِشَامٍ» (٤/ ٢٧٩)، وَ«الطَّبَقَاتُ» (١/ ٢٥٨).
(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٧٧٤).
(٣) «الفَتْحُ» (١/ ٣٢).
(٤) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٢٦٨١).

﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آلَ عِمْرَانَ: ٦٤].

وَقَدْ ثَبَتَ -أَيُّهَا النَّاسُ- أَنَّ الرَّسُولَ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لَمَّا أَرَادَ أَنْ يَكْتُبَ كِتَابًا إِلَىٰ الرُّومِ قِيلَ لَهُ: «إِنَّهُمْ لَنْ يَقْرَءُوا كِتَابَكَ إِذَا لَمْ يَكُنْ مَخْتُومًا، فَاتَّخَذَ خَاتَمًا مِنْ فِضَّةٍ، وَنَقْشُهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ».

فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» (١)، مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: «كَتَبَ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كِتَابًا أَوْ أَرَادَ أَنْ يَكْتُبَ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّهُمْ لَا يَقْرَءُونَ كِتَابًا إِلَّا مَخْتُومًا فَاتَّخَذَ خَاتَمًا مِنْ فِضَّةٍ، نَقْشُهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَىٰ بَيَاضِهِ فِي يَدِهِ».

وَمِمَّا أَكْرَمَ اللهُ بِهِ رَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ إِسْلَامُ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ، وَعَمْرُو بْنِ الْعَاصِ، وَعُثْمَانَ بْنَ طَلْحَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ- وَكَانَ إِسْلَامُهُمَ فِي شَهْرِ صَفَرٍ بَعْدَ الْحُدَيْبِيَةِ، وَكَانَتْ الْحُدَيْبِيَةُ فِي ذِي الْقَعْدَةِ.

وَلَمْ يَمْنَعْ تَأَخُّرُ إِسْلَامِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ، وَعَمْرُو بْنِ الْعَاصِ، مِنْ تَبَوُّئِهِمَا الْمَكَانَةَ الْعَالِيَةَ عِنْدَ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَأَرْسَلَ عُمَرًا أَمِيرًا عَلَىٰ ذَاتِ السَّلَاسِلِ وَسَمَّىٰ خَالِدًا سَيْفَ اللهِ.

وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ.

---

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٦٥) وَاللَّفْظُ لَهُ، وَمُسْلِمٌ (٢٠٩٢).

غَزْوَةُ ذَاتُ القِرْدِ

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ :

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ أَشْرَفِ المُرْسَلِيْنَ ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

أَمَّا بَعْدُ :

فَتَقَدَّمَ الحَدِيْثُ مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنْ « **بَعْضِ مَا أَكْرَمَ اللهُ نَبِيَّهُ وَأَصْحَابَهُ فِيْ غَزْوَةُ الحُدَيْبِيَةِ** » .

وَالآنَ حَدِيْثِي مَعَكُمْ عَنْ « **غَزْوَةِ ذَاتُ قِرْدٍ** » .

وَهَذِهِ الغَزْوَةُ -أَيُّهَا النَّاسُ- بَعْدَ الحُدَيْبِيَةِ ، وَقَبْلَ خَيْبَرَ بِثَلَاثِ لَيَالٍ .

وَذَاتُ قِرْدٍ اسْمُ مَاءٍ قَرِيْبٍ مِنْ خَيْبَرَ ، فَسُمِّيَتِ الغَزْوَةُ بِاسْمِهِ .

جاءَ فِي «الصَّحِيْحَيْنِ» (١) ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي عُبَيْدٍ قَالَ: سَمِعْتُ سَلَمَةَ بْنَ الأَكْوَعِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- يَقُولُ: خَرَجْتُ قَبْلَ أَنْ يُؤَذَّنَ بِالأُولَىٰ - أَيْ بِغَلَسٍ- وَكَانَتْ لِقَاحُ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- تَرْعَىٰ بِذِي قَرَدٍ . قَالَ: فَلَقِيَنِي غُلَامٌ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ فَقَالَ:أُخِذَتْ لِقَاحُ رَسُولِ اللهِ

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤١٩٤) ، وَمُسْلِمٌ (١٨٠٦) .

-صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَقُلْتُ: مَنْ أَخَذَهَا؟، قَالَ: غَطَفَانُ، قَالَ: فَصَرَخْتُ ثَلَاثَ صَرَخَاتٍ: يَا صَبَاحَاهْ ، قَالَ فَأَسْمَعْتُ مَا بَيْنَ لَابَتَيِ الْمَدِينَةِ، ثُمَّ انْدَفَعْتُ عَلَىٰ وَجْهِي حَتَّىٰ أَدْرَكْتُهُمْ بِذِي قَرَدٍ ، وَقَدْ أَخَذُوا يَسْقُونَ مِنَ الْمَاءِ ، فَجَعَلْتُ أَرْمِيهِمْ بِنَبْلِي ، وَكُنْتُ رَامِيًا ، وَأَقُولُ :

أَنَا ابْنُ الْأَكْوَعِ   وَالْيَوْمُ يَوْمُ الرُّضَّعِ

وَأَرْتَجِزُ حَتَّىٰ اسْتَنْقَذْتُ اللِّقَاحَ مِنْهُمْ ، وَاسْتَلَبْتُ مِنْهُمْ ثَلَاثِينَ بُرْدَةً ، قَالَ: وَجَاءَ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَالنَّاسُ ، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ ، إِنِّي قَدْ حَمَيْتُ الْقَوْمَ الْمَاءَ وَهُمْ عِطَاشٌ - أَيْ مَنَعْتُهُمْ مِنْ شُرْبِ الْمَاءِ- فَابْعَثْ إِلَيْهِمْ السَّاعَةَ-، فَقَالَ : «**يَا ابْنَ الْأَكْوَعِ مَلَكْتَ فَأَسْجِحْ** » أَيْ قَدَرْتَ فَاعْفُ.

قَالَ : ثُمَّ رَجَعْنَا وَيُرْدِفُنِي رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلَىٰ نَاقَتِهِ، حَتَّىٰ دَخَلْنَا الْمَدِينَةَ » .

وَأَنْتُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- تُلَاحِظُونَ فُرْطَ شَجَاعَةِ الصَّحَابَةِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ- وَكَيْفَ تَغَلَّبَ الشَّابُّ سَلَمَةُ بْنُ الْأَكْوَعِ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- عَلَىٰ مَجْمُوعَةٍ مِنَ النَّاسِ ، وَاسْتَرَدَّ مِنْهُمْ لِقَاحُ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَلْ وَغَنِمَ ثَلَاثِيْنَ بُرْدَةً وَهِيَ الدُّرُوعُ ، وَاللِّقَاحُ هِيَ النُّوقُ ذَاتُ اللَّبَنِ ، قَرِيبَةُ عَهْدٍ بِالوِلَادَةِ .

وَأَمَّا الصَّرْخَةُ الَّتِي صَرَخَهَا سَلَمَةُ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- : «يَا صَبَاحَاهُ » فَهِيَ

صَرْخَةُ اسْتِغَاثَةٍ ، تَقُولُهَا العَرَبُ عِنْدَ مُفَاجَأَةِ العَدُوِّ ، وَالغَالِبُ عَلَىٰ العَدُوِّ أَنْ يُصَبِّحَ القَوْمَ وَيَأْتِيَهُمْ عَلَىٰ حَالِ الغِرَّةِ وَالأَمْنِ .

وَلَقَدْ أَسْمَعَ سَلَمَةُ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- طَرَفَيْ المَدِيْنَةِ ، مِمَّا يَدُلُّ أَنَّه كَانَ وَاسِعَ الصَّوْتِ جِدًّا .

وَقَوْلُهُ : « يَوْمُ الرُّضَّعِ » أَيْ يَوْمَ هَلاَكِ اللِّئَام .

اللهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَعَافِنَا وَاهْدِنَا وَارْزُقْنَا واجْبُرْنَا وَارْفَعْنَا .

اللهُمَ حَبَّبْ إِلَيْنَا الْإِيمَانَ وَزَيِّنْهُ فِي قُلُوبِنَا، وَكَرِّهْ إِلَيْنَا الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الرَّاشِدِينَ .

اللهُمَّ أَغْنِنَا بِالْعِلْمِ، وَزَيِّـنَّا بِالْحِلْمِ، وَأَكْرِمْنَا بِالتَّقْوَى، وَجَمِّلْنَا بِالعَافِيَةِ .

وَسُبْحَانَكَ اللهُمَّ وَبِحَمْدِكَ،أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ،أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ.

٢٧ غَزْوَةُ خَيْبَرَ

الخُطْبَةُ الأُولَى[١]:

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ،نَحْمِدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلِ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لا شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾[النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأَحْزَاب:٧٠-٧١] .

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الأُمُورِ

مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ :

فَمَا زَالَ الحَدِيْثُ مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنِ السِّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ عَلَىٰ صَاحِبِهَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -، وَحَدِيْثِي مَعَكُمْ اليَوْمَ عَنْ « **غَزْوَةُ خَيْبَرَ** » .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : حَدَّثَنِي الزُّهْرِيُّ عَنْ عروة ، عَنْ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ وَالْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ ، أَنَّهُمَا حَدَّثَاهُ جَمِيعًا ، قَالَا : انْصَرَفَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَامَ الْحُدَيْبِيَةِ، فَنَزَلَتْ عَلَيْهِ سُورَةُ الْفَتْحِ فِيمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، فَأَعْطَاهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهَا خَيْبَرَ ﴿ **وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ** ﴾ [الْفَتْحِ : ٢٠] خَيْبَرَ ، فَقَدِمَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الْمَدِينَةَ فِي ذِي الْحِجَّةِ ، فَأَقَامَ بِهَا حَتَّىٰ سَارَ إِلَىٰ خَيْبَرَ فِي الْمُحَرَّمِ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِالرَّجِيعِ- وَادٍ بَيْنَ خَيْبَرَ وَغَطَفَانَ- فَتَخَوَّفَ أَنْ تُمِدَّهُمْ غَطَفَانُ ، فَبَاتَ بِهِ حَتَّىٰ أَصْبَحَ فَغَدَا إِلَيْهِمْ .

كَانَ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِذَا وَصَلَ لَيْلًا لَا يُقَاتِلُ حَتَّىٰ يُصْبِحَ، فَفُوجِئَ يَهُودُ خَيْبَرَ وَهُمْ ذَاهِبُونَ إِلَىٰ حُرُوثِهِمْ بِمَسَاحِيهِمْ وَمَكَاتِلِهِمْ وَآلَاتِ زُرُوعِهِمْ بِالنَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-فَقَالُوا : مُحَمَّدٌ وَالْخَمِيسَ ، أَيْ: وَالْجَيْشُ ، وَاسْتَبْشَرَ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِرُؤْيَةِ آلَاتِ الزِّرَاعَةِ وَالهَدَمِ ، فَاسْتَبْشَرَ بِخَرَابِ خَيْبَرَ .

فَفِي «الصَّحِيحَيْن»(١)، مِنْ حَدِيْثِ أَنَس -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَتَىٰ خَيْبَرَ لَيْلًا وَكَانَ إِذَا أَتَىٰ قَوْمًا بِلَيْلٍ لَمْ يُغِرْ بِهِمْ حَتَّىٰ يُصْبِحَ، فَلَمَّا أَصْبَحَ خَرَجَتْ الْيَهُودُ بِمَسَاحِيهِمْ وَمَكَاتِلِهِمْ، فَلَمَّا رَأَوْهُ قَالُوا: مُحَمَّدٌ وَاللهِ مُحَمَّدٌ وَالْخَمِيسُ، فَقَالَ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**خَرِبَتْ خَيْبَرُ، إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ**».

فَحَاصَرَهُمْ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-أَيُّهَا النَّاسُ- بِضعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً، كَمَا قَالَ ابْنُ إِسْحَاق، وَقِيْلَ: أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي شِدَّةِ الحَرِّ، وَأَصَابَتْهُمْ مَخْمَصَةٌ شَدِيْدَةٌ - أَيْ مَجَاعَةٌ - فَقَالَ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يَفْتَحُ اللهُ عَلَى يَدَيْهِ**».

وَاسْتَشْرَفَ أَكَابِرُ الصَّحَابَةِ لِذَلِكَ، فَكَانَ الفَائِزُ بِذَلِكَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، فَقَتَلَ قَائِدَهُمْ وَفَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ.

فَفِي «الصَّحِيحَيْن»(٢)، مِنْ حَدِيثِ سَهْلُ بْنُ سَعْدٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-قَالَ يَوْمَ خَيْبَرَ: «**لَأُعْطِيَنَّ هَذِهِ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يَفْتَحُ اللهُ عَلَى يَدَيْهِ، يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ**»، قَالَ: فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَاهَا.

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤١٩٧)، وَمُسْلِمٌ (١٣٦٥).
(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٢١٠)، وَمُسْلِمٌ (٢١٠٦).

فَقَالَ : « **أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِب ؟** » ، فَقِيلَ : هُوَ يَا رَسُولَ اللهِ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ ، قَالَ : « **فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ** » ، فَأُتِيَ بِهِ ، فَبَصَقَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي عَيْنَيْهِ ، وَدَعَا لَهُ فَبَرَأَ ، حَتَّىٰ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ، فَقَالَ عَلِيٌّ : يَا رَسُولَ اللهِ ، أُقَاتِلُهُمْ حَتَّىٰ يَكُونُوا مِثْلَنَا ؟ ، فَقَالَ : « **انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللهِ فِيهِ ، فَوَاللهِ لأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ** » .

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»[1] مِنْ حَدِيثِ سَلَمَةَ بْنُ الْأَكْوَعِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ : خَرَجْنَا إِلَىٰ خَيْبَرَ مَعَ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، قَالَ : فَجَعَلَ عَامِرٌ يَرْتَجِزُ بِالْقَوْمِ :

تَاللهِ لَوْلا اللهُ مَا اهْتَدَيْنَا ... وَلا تَصَدَّقْنَا وَلا صَلَّيْنَا

وَنَحْنُ عَنْ فَضْلِكَ مَا اسْتَغْنَيْنَا ... فَثَبِّتِ الأَقْدَامَ إِنْ لاقَيْنَا

وَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- :« **مَنْ هَذَا ؟** » ، فَقَالَ : أَنَا عَامِرٌ. قَالَ : « **غَفَرَ لَكَ رَبُّكَ** » . قَالَ : وَمَا اسْتَغْفَرَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لإِنْسَانٍ يَخُصُّهُ إِلا اسْتُشْهِدَ .

---

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٨٠٧) .

قَالَ : فَنَادَىٰ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، وَهُوَ عَلَىٰ جَمَلٍ لَهُ : يَا نَبِيَّ اللهِ لَوْلا مَتَّعْتَنَا بِعَامِرٍ.قَالَ : فَلَمَّا قَدِمْنَا خَيْبَرَ خَرَجَ مَلِكُهُمْ مُرَحِّبٌ ، يَخْطِرُ بِسَيْفِهِ يَقُولُ :

قَدْ عَلِمَتْ خَيْبَرُ أَنِّي مَرْحَبُ   شَاكِي السِّلاحِ بَطَلٌ مُجَرِّبُ
إِذَا الْحُرُوبُ أَقْبَلَتْ تَلَهَّبُ

قَالَ: وَبَرَزَ لَهُ عَمِّي عَامِرٌ ، فَقَالَ :

قَدْ عَلِمَتْ خَيْبَرُ أَنِّي عَامِرٌ   شَاكِي السِّلاحِ بَطَلٌ مُغَامِرُ

قَالَ : فَاخْتَلَفَا ضَرْبَتَيْنِ ، فَوَقَعَ سَيْفُ مَرْحَبٍ فِي تُرْسِ عَامِرٍ ، وَذَهَبَ عَامِرٌ يَسْفُلُ لَهُ، فَرَجَعَ سَيْفُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ فَقَطَعَ أَكْحَلَهُ ، وَكَانَتْ فِيهَا نَفْسُهُ. قَالَ سَلَمَةُ: فَخَرَجْتُ فَإِذَا نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُونَ : بَطَلَ عَمَلُ عَامِرٍ ، قَتَلَ نَفْسَهُ . قَالَ : فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَأَنَا أَبْكِي ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، بَطَلَ عَمَلُ عَامِرٍ قَتَلَ نَفْسَهُ .

قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **مَنْ قَالَ ذَلِكَ ؟** » قُلْتُ : نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِكَ . قَالَ : « **كَذَبَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ ، بَلْ لَهُ أَجْرُهُ مَرَّتَيْنِ** » . ثُمَّ أَرْسَلَنِي إِلَىٰ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، وَهُوَ أَرْمَدُ ، فَقَالَ : « **لأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ رَجُلا يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ ، وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ** » .

قَالَ : فَأَتَيْتُ عَلِيًّا -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- ، فَجِئْتُ بِهِ أَقُودُهُ ، وَهُوَ أَرْمَدُ ، حَتَّىٰ

أَتَيْتُ بِهِ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، فَبَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ فَبَرَأَ وَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ ، وَخَرَجَ مَرْحَبٌ ، فَقَالَ :

قَدْ عَلِمَتْ خَيْبَرُ أَنِّي مَرْحَبُ شَاكِي السِّلاحِ بَطَلٌ مُجَرِّبُ
إِذَا الْحُرُوبُ أَقْبَلَتْ تَلَهَّبُ

فَقَالَ عَلِيٌّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- :

أَنَا الَّذِي سَمَّتْنِي أُمِّي حَيْدَرَةْ كَلَيْثِ غَابَاتٍ كَرِيهِ الْمَنْظَرَةْ
أُوفِيهِمْ بِالصَّاعِ كَيْلَ السَّنْدَرَةْ

قَالَ : فَضَرَبَ رَأْسَ مَرْحَب فَقَتَلَهُ ، ثُمَّ كَانَ الْفَتْحُ عَلَىٰ يَدَيْهِ .

وَبِذَلِكَ -أَيُّهَا النَّاسُ- تَحَقَّقَ وَعْدُ اللهِ لِلْمُسْلِمِينَ إِذْ عَجَّلَ لَهُمْ غَنَائِمَ خَيْبَرَ فِي : ﴿ **فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ** ﴾ [الفتح:٢٠].

فَفِي «سُنَنِ» أَبِي دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ ، صَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ أَبِي دَاوُدَ» (١)، مِنْ حَدِيثِ بُشَيْرِ بْنِ يَسَارٍ مَوْلَىٰ الْأَنْصَارِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- عَنْ رِجَالٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لَمَّا ظَهَرَ عَلَىٰ خَيْبَرَ قَسَمَهَا عَلَىٰ سِتَّةٍ وَثَلَاثِينَ سَهْمًا ، جَمَعَ كُلُّ سَهْمٍ مِائَةَ سَهْمٍ ، فَكَانَ لِرَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَلِلْمُسْلِمِينَ

---

(١) (صَحِيحٌ) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُد (٣٠١٢) ، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «صَحِيحِ أَبِي دَاوُد» (٢٦٠٣).

النِّصْفُ مِنْ ذَلِكَ ، وَعَزَلَ النِّصْفَ الْبَاقِيَ لِمَنْ نَزَلَ بِهِ مِنَ الْوُفُودِ وَالْأُمُورِ ، وَنَوَائِبِ النَّاسِ » .

فَفِي «صَحِيْحِ البُخَارِيِّ» (١) ، مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، قَالَ : لَمَّا فُتِحَتْ خَيْبَرَ ، أُهْدِيَتْ لِرَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- شَاةٌ فِيهَا سُمٌّ .

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **اجْمَعُوا لِي مَنْ كَانَ هَا هُنَا مِنَ الْيَهُودِ** » ، فَجُمِعُوا لَهُ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «**إِنِّي سَائِلُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَهَلْ أَنْتُمْ صَادِقِيَّ عَنْهُ ؟** » ، قَالُوا : نَعَمْ ، يَا أَبَا الْقَاسِمِ .

فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **مَنْ أَبُوكُمْ ؟** » ، قَالُوا : أَبُونَا فُلَانٌ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: « **كَذَبْتُمْ ، بَلْ أَبُوكُمْ فُلَانٌ** » ، قَالُوا : صَدَقْتَ وَبَرَرْتَ .

فَقَالَ لَهُمْ : « **هَلْ أَنْتُمْ صَادِقِيَّ عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتُكُمْ عَنْهُ ؟** » ، فَقَالُوا : نَعَمْ ، وَإِنْ كَذَبْنَاكَ ، عَرَفْتَ كَذِبَنَا كَمَا عَرَفْتَهُ فِي آبَائِنَا . فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **فَمَنْ أَهْلُ النَّارِ ؟** » ، فَقَالُوا : نَكُونُ فِيهَا يَسِيرًا ثُمَّ تَخْلُفُونَنَا فِيهَا ، قَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **اخْسَئُوا فِيهَا ، وَاللهِ لاَ نَخْلُفُكُمْ فِيهَا أَبَدًا** » .

ثُمَّ قَالَ لَهُمْ : « **هَلْ أَنْتُمْ صَادِقِيَّ عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتُكُمْ عَنْهُ ؟** » ، قَالُوا :

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣١٦٩) .

نَعَمْ ، قَالَ : « **هَلْ جَعَلْتُمْ فِي هَذِهِ الشَّاةِ سُمًّا ؟** » ، قَالُوا : نَعَمْ ، قَالَ : « **مَا حَمَلَكُمْ عَلَى ذَلِكَ ؟** » ، قَالُوا : أَرَدْنَا إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا أَنْ نَسْتَرِيحَ مِنْكَ ، وَإِنْ كُنْتَ نَبِيًّا لَمْ يَضُرَّكَ .

وَقَدْ جَاءَ -أَيُّهَا النَّاسُ- أَنَّ هَذِهِ الأَكْلَةَ مِنْ أَسْبَابِ مَرَضِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مَرَضَ الوَفَاةِ ، فَفِي «صَحِيحِ البُخَارِيِّ» (١) تَعْلِيْقًا ، وَوَصَلَهُ البَزَّارُ وَالحَاكِمُ (٢) ، مِنْ حَدِيْثِ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ : « **يَاعَائِشَةُ مَا أَزَالُ أَجِدُ أَلَمَ الطَّعَامِ الَّذِي أَكَلْتُ بِخَيْبَرَ ، فَهَذَا أَوَانُ انْقِطَاعِ أَبْهَرِي مِنْ ذَلِكَ السُّمِّ** » .

وَأَنْتُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- تُلَاحِظُونَ كَذِبَ الْيَهُودِ وَعِنَادَهُمْ لِاعْتِرَافِهِمْ بِصِدْقِهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فِيمَا أَخْبَرَ بِهِ عَنِ اسْمِ أَبِيهِمْ وَبِمَا وَقَعَ مِنْهُمْ مِنْ دَسِيسَةِ السُّمِّ ، وَمَعَ ذَلِكَ فَعَانَدُوا وَاسْتَمَرُّوا عَلَى تَكْذِيبِهِ .

وَأَشْنَعُ مِنْ ذَلِكَ افْتِرَاؤُهُمْ عَلَى اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- بِقَوْلِهِمْ : أَنَّهُمْ سَوْفَ يَكُونُونَ فِي النَّارِ يَسِيرًا ، ثُمَّ يَخْلُفُهُمُ الْمُسْلِمُونَ ، تَعَالَى اللهُ عَمَّا يَقُولُونَ مِنَ الكَذِبِ وَالافْتِرَاءِ وَالزُّورِ قَوْلاً عَظِيمًا .

وَأَسْتَغْفِرُ اللهُ .

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (مُعَلَّقًا مَجْزُومًا بِهِ) (٤٤٢٨) .
(٢) «فَتْحُ البَارِي» (٧/ ٧٣٧) .

زَوَاجُهُ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِنْ صَفِيَّةِ بِنْتِ حُيَيٍّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا-

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ أَشْرَفِ المُرْسَلِيْنَ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَتَقَدَّمَ الحَدِيْثُ مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنْ «**غَزْوَةِ خَيْبَرَ**».

وَالآنَ حَدِيْثِي مَعَكُمْ عَنْ «**زَوَاجِهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِنْ صَفِيَّةِ بِنْتِ حُيَيٍّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا-**».

أَيُّهَا النَّاسُ كَانَتْ أُمُّ المُؤْمِنِيْنَ صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيِّ بْنِ أَخْطَبُ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- قَدْ رَأَتْ رُؤْيَا قَبْلَ مَجِيءَ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّهَا سَوْفَ تَكُونُ مِنْ نِسَائِهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

فَقَدْ أَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ فِي «الكَبِيْرِ» بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ، صَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيْحَةِ»[1]، مِنْ حَدِيْثِ ابْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ: كَانَ بِعَيْنَيْ

---

(١) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي «الكَبِيْرِ» (٢٤/ ٦٧)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «الصَّحِيْحَةِ» (٢٧٩٣).

صَفِيَّةَ خُضْرَةٌ ، فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:« **مَا هَذِهِ الْخُضْرَةُ بِعَيْنَيْكِ ؟** » . قَالَتْ: قُلْتُ لِزَوْجِي : إِنِّي رَأَيْتُ فِيمَا يَرَىٰ النَّائِمُ كَأَنَّ قَمَرًا وَقَعَ فِي حِجْرِي ، فَلَطَمَنِي وَقَالَ : أَتُرِيدِينَ مَلِكَ يَثْرِبَ ؟ .

وَكَانَتْ صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيِّ بْن أَخْطَبَ-رَضِيَ اللهُ عَنْهَا-أَيُّهَا النَّاسُ- ذَاتَ جَمَالٍ بَاهِرٍ،زِدْ عَلَىٰ ذَلِكَ أَنَّهَا سَيِّدَةُ قُرَيْظَةَ وَالنَّضِيرِ،وَبِنْتُ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِهِمْ.

كَمَا أَنَّهَا مِنْ نَسْلِ نَبِيِّ اللهِ هَارُونَ بْنِ عِمْرَانَ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، فَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» [(١)] ، مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، قَالَ : قَدِمْنَا خَيْبَرَ ، فَلَمَّا فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ الْحِصْنَ ذُكِرَ لَهُ جَمَالُ صَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَيِّ بْنِ أَخْطَبَ وَقَدْ قُتِلَ زَوْجُهَا وَكَانَتْ عَرُوسًا ، فَاصْطَفَاهَا النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لِنَفْسِهِ ، فَخَرَجَ بِهَا حَتَّىٰ بَلَغْنَا سَدَّ الصَّهْبَاءِ حَلَّتْ ، فَبَنَىٰ بِهَا رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، ثُمَّ صَنَعَ حَيْسًا فِي نِطَعٍ صَغِيرٍ ، ثُمَّ قَالَ لِي : « **آذِنْ مَنْ حَوْلَكَ** » ، فَكَانَتْ تِلْكَ وَلِيمَتَهُ عَلَىٰ صَفِيَّةَ ، ثُمَّ خَرَجْنَا إِلَىٰ الْمَدِينَةِ ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يُحَوِّي لَهَا وَرَاءَهُ بِعَبَاءَةٍ ، ثُمَّ يَجْلِسُ عِنْدَ بَعِيرِهِ فَيَضَعُ رُكْبَتَهُ،وَتَضَعُ صَفِيَّةُ رِجْلَهَا عَلَىٰ رُكْبَتِهِ حَتَّىٰ تَرْكَبَ.

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهَا كَانَتْ سَيِّدَةَ قُرَيْظَةَ وَالنَّضِيرِ، مَا جَاءَ فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» [(٢)]، مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-قَالَ : «أَنَّ رَسُولَ اللهِ

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٢١١) .
(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٧١) .

-صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- غَزَا خَيْبَرَ ، ... فَجُمِعَ السَّبْيُ ، فَجَاءَ دِحْيَةُ الكَلْبِيُّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، فَقَالَ : يَا نَبِيَّ اللهِ ، أَعْطِنِي جَارِيَةً مِنَ السَّبْيِ ، قَالَ: اذْهَبْ فَخُذْ جَارِيَةً ، فَأَخَذَ صَفِيَّةَ بِنْتَ حُيَيٍّ ، فَجَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ : يَا نَبِيَّ اللهِ ، أَعْطَيْتَ دِحْيَةَ صَفِيَّةَ بِنْتَ حُيَيٍّ ، سَيِّدَةَ قُرَيْظَةَ وَالنَّضِيرِ ، لاَ تَصْلُحُ إِلَّا لَكَ ، قَالَ : « **ادْعُوهُ بِهَا** » ، فَجَاءَ بِهَا ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهَا النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ : « **خُذْ جَارِيَةً مِنَ السَّبْيِ غَيْرَهَا** » ، قَالَ : فَأَعْتَقَهَا النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَتَزَوَّجَهَا .

وَمِمَّا يَدُلُّ أَنَّهَا مِنْ نَسْلِ نَبِيِّ اللهِ هَارُونَ بْنِ عِمْرَانَ-عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، مَا جَاءَ فِي «مُسْنَدِ» أَحْمَد وَ«سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «المِشْكَاةِ»[1]، مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ:أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -قَالَ لِصَفِيَّةَ : « **إِنَّكِ لَابْنَةُ نَبِيٍّ، وَإِنَّ عَمَّكِ لَنَبِيٌّ ، وَإِنَّكِ لَتَحْتَ نَبِيٍّ** » .

وَقَدْ كَانَتْ-رَضِيَ اللهُ عَنْهَا-وَجَدَتْ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ-صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-لِأَنَّهُ قَتَلَ أَبَاهَا وَزَوْجَهَا،فَمَا زَالَ يَعْتَذِرُ إِلَيْهَا حَتَّىٰ ذَهَبَ مَا فِي نَفْسِهَا. فَقَدْ أَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ فِي « الكَبِيرِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ ، صَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي

(١)(صَحِيحٌ) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٣/ ١٥٣) ، وَأَبُو دَاوُدَ (٣٨٩٤) ، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ- فِي «المِشْكَاةِ » (٦١٨٣).

«الصَّحِيْحَةِ» (١) ، مِنْ حَدِيْثِ ابْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- عَنْ صَفِيَّةَ أَنَّهَا قَالَتْ : وَمَا كَانَ أَبْغَضُ إِلَيَّ مِنْ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قَتَلَ أَبِي وَزَوْجِي، فَمَا زَالَ يَعْتَذِرُ إِلَيَّ وَيَقُولُ : « **يَا صَفِيَّةُ إِنَّ أَبَاكِ أَلَّبَ عَلَيَّ الْعَرَبَ، وَفَعَلَ وَفَعَلَ** » ، حَتَّىٰ ذَهَبَ ذَاكَ مِنْ نَفْسِي .

اللهُمَّ ارْحَمْنَا ، فَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ، وَارْزُقْنَا ، فَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ، وَاغْفِرْ لَنَا فَأَنْتَ خَيْرُ الغَافِرِينَ ، وَانْصُرْنَا ، فَأَنْتَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ.

رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً.

وَسُبْحَانَكَ اللهُمَّ وَبِحَمْدِكَ،أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ،أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ.

---

(١) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي «الكَبِيْرِ» (٢٤/ ٦٧) ، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ - فِي «الصَّحِيْحَةِ» (٢٧٩٣) .

٢٨ قُدُومِ جَعْفَرَ وَأَصْحَابِ السَّفِينَةِ ثُمَّ عُمْرَةِ القَضَاءِ

الخُطْبَةُ الأُولَى[١]:

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ،نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلِ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لا شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾[النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ [الأَحْزَاب:٧٠-٧١] .

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ

مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ :

فَمَا زَالَ الحَدِيْثُ مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنِ السِّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ عَلَىٰ صَاحِبِهَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -، وَحَدِيْثِي مَعَكُمْ اليَوْمَ عَنْ « **قُدُومِ جَعْفَرَ وَأَصْحَابِ السَّفِيْنَةِ ثُمَّ عُمْرَةِ القَضَاءِ** » .

أَيُّهَا النَّاسُ ، قَدْ جَاءَ فِي «الصَّحِيْحَيْنِ»(١) ،مِنْ حَدِيْثِ أَبِي مُوسَىٰ الأَشْعَرِيِّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ : بَلَغَنَا مَخْرَجُ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَنَحْنُ بِالْيَمَنِ ،فَخَرَجْنَا مُهَاجِرِينَ إِلَيْهِ أَنَا وَأَخَوَانِ لِي ،أَنَا أَصْغَرُهُمَا أَحَدُهُمَا أَبُو بُرْدَةَ ،وَالْآخَرُ أَبُو رُهْمٍ ،إِمَّا قَالَ: بِضْعًا ، وَإِمَّا قَالَ : ثَلَاثَةً وَخَمْسِينَ أَوْ اثْنَيْنِ وَخَمْسِينَ رَجُلًا مِنْ قَوْمِي .

قَالَ: فَرَكِبْنَا سَفِينَةً فَأَلْقَتْنَا سَفِينَتُنَا إِلَىٰ النَّجَاشِيِّ بِالْحَبَشَةِ ،فَوَافَقْنَا جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَأَصْحَابَهُ عِنْدَهُ ،فَقَالَ جَعْفَرٌ : إِنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بَعَثَنَا هَاهُنَا وَأَمَرَنَا بِالْإِقَامَةِ فَأَقِيمُوا مَعَنَا فَأَقَمْنَا مَعَهُ حَتَّىٰ قَدِمْنَا جَمِيعًا .

قَالَ : فَوَافَقْنَا رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حِينَ افْتَتَحَ خَيْبَرَ فَأَسْهَمَ لَنَا ،أَوْ قَالَ: أَعْطَانَا مِنْهَا ،وَمَا قَسَمَ لِأَحَدٍ غَابَ عَنْ فَتْحِ خَيْبَرَ مِنْهَا شَيْئًا إِلَّا لِمَنْ شَهِدَ مَعَهُ ، إِلَّا لِأَصْحَابِ سَفِينَتِنَا مَعَ جَعْفَرٍ وَأَصْحَابِهِ قَسَمَ

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٢٣٠) ، وَمُسْلِمٌ (٢٥٠٢) وَاللَّفْظُ لَهُ .

لَهُمْ مَعَهُمْ، قَالَ: فَكَانَ نَاسٌ مِنَ النَّاسِ يَقُولُونَ لَنَا - يَعْنِي لِأَهْلِ السَّفِينَةِ- نَحْنُ سَبَقْنَاكُمْ بِالْهِجْرَةِ .

قَالَ : فَدَخَلَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْس، وَهِيَ مِمَّنْ قَدِمَ مَعَنَا عَلَىٰ حَفْصَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -زَائِرَةً ، وَقَدْ كَانَتْ هَاجَرَتْ إِلَىٰ النَّجَاشِيِّ فِيمَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِ ، فَدَخَلَ عُمَرُ عَلَىٰ حَفْصَةَ وَأَسْمَاءُ عِنْدَهَا .

فَقَالَ: عُمَرُ حِينَ رَأَىٰ أَسْمَاءَ مَنْ هَذِهِ؟، قَالَتْ: أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ قَالَ عُمَرُ : الْحَبَشِيَّةُ هَذِهِ ؟! ،الْبَحْرِيَّةُ هَذِهِ؟!.

فَقَالَتْ : أَسْمَاءُ نَعَمْ ، فَقَالَ عُمَرُ : سَبَقْنَاكُمْ بِالْهِجْرَةِ فَنَحْنُ أَحَقُّ بِرَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِنْكُمْ .

فَغَضِبَتْ وَقَالَتْ كَلِمَةً : كَذَبْتَ يَا عُمَرُ ،كَلَّا وَاللهِ ، كُنْتُمْ مَعَ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يُطْعِمُ جَائِعَكُمْ، وَيَعِظُ جَاهِلَكُمْ، وَكُنَّا فِي دَارِ أَوْ فِي أَرْضِ الْبُعَدَاءِ الْبُغَضَاءِ فِي الْحَبَشَةِ ،وَذَلِكَ فِي اللهِ وَفِي رَسُولِهِ ، وَأَيْمُ اللهِ لَا أَطْعَمُ طَعَامًا وَلَا أَشْرَبُ شَرَابًا حَتَّىٰ أَذْكُرَ مَا قُلْتَ لِرَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَنَحْنُ كُنَّا نُؤْذَىٰ وَنُخَافُ، وَسَأَذْكُرُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَأَسْأَلُهُ ، وَ وَاللهِ لَا أَكْذِبُ وَلَا أَزِيغُ وَلَا أَزِيدُ عَلَىٰ ذَلِكَ .

قَالَ فَلَمَّا جَاءَ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللهِ إِنَّ عُمَرَ قَالَ كَذَا وَكَذَا .

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **لَيْسَ بِأَحَقَّ بِي مِنْكُمْ وَلَهُ وَلِأَصْحَابِهِ هِجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ، وَلَكُمْ أَنْتُمْ أَهْلَ السَّفِينَةِ هِجْرَتَانِ** » .

قَالَتْ: فَلَقَدْ رَأَيْتُ أَبَا مُوسَىٰ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ، يَأْتُونِي أَرْسَالًا يَسْأَلُونِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ، مَا مِنْ الدُّنْيَا شَيْءٌ هُمْ بِهِ أَفْرَحُ وَلَا أَعْظَمُ فِي أَنْفُسِهِمْ مِمَّا قَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

وَأَمَّا عُمْرَةُ الْقَضَاءِ -أَيُّهَا النَّاسُ- فَقَدْ كَانَتْ فِي ذِي الْقَعْدَةِ مِنَ السَّنَةِ السَّابِعَةِ مِنْ الهِجْرَةِ ، خَرَجَ الرَّسُولُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِلَىٰ مَكَّةَ قَاصِدًا العُمْرَةِ ، كَمَا اتَّفَقَ مَعَ قُرَيْشٍ فِي صُلْحِ الحُدَيْبِيَةِ [1]، وَتُسَمَّىٰ عُمْرَةُ القَضِيَّةِ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَضَىٰ قُرَيْشًا عَلَيْهَا وَلَيْسَ لِأَنَّهُ قَضَىٰ العُمْرَةَ الَّتِي صُدَّ عَنِ البَيْتِ فِيْهَا ، فَإِنَّهَا لَمْ تَكُنْ فَسَدَتْ بِصَدِّهِمْ عَنِ البَيْتِ ، بَلْ كَانَتْ عُمْرَةً تَامَّةً مُتَقَبَّلَةً ، فَهِيَ مَعْدُودَةٌ فِي عُمَرِ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، وَهِيَ أَرْبَعُ : عُمْرَةُ الحُدَيْبِيَةِ ، وَعُمْرَةُ القَضَاءِ ، وَعُمْرَةُ الجَعْرَانَةِ ، وَالعُمْرَةُ الَّتِي قَرَنَهَا مَعَ حِجَّةِ الوَدَاعِ .

فَفِي «صَحِيْحِ البُخَارِيِّ» [2]، مِنْ حَدِيْثِ ابْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ : أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- خَرَجَ مُعْتَمِرًا، فَحَالَ كُفَّارُ قُرَيْشٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَيْتِ، فَنَحَرَ هَدْيَهُ وَحَلَقَ رَأْسَهُ بِالْحُدَيْبِيَةِ ، فَصَالَحَهُمْ عَلَىٰ

---

(١) انْظُرْ: «جَوَامِعُ السِّيْرَةِ» لابْنِ حَزْمٍ ، وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ إِسْحَاقُ وَمُوسَىٰ بْن عُقْبَةُ وَيَعْقُوبُ بِسَنَد حَسَن (٧/ ٥) .
(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٢٧٠١) .

أَنْ يَعْتَمِرُوا الْعَامَ الْمُقْبِلَ ،وَلَا يَحْمِلَ سِلَاحًا عَلَيْهِمْ إِلَّا سُيُوفًا ، وَلَا يُقِيمَ بِهَا إِلَّا مَا أَحَبُّوا ، فَاعْتَمَرَ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ ، فَدَخَلَهَا كَمَا كَانَ صَالَحَهُمْ، فَلَمَّا أَنْ أَقَامَ ثَلَاثًا أَمَرُوهُ أَنْ يَخْرُجَ فَخَرَجَ » .

قَالَ الحَافِظُ ابْنُ حَجر -رَحِمَهُ اللهُ-: « وَقَالَ الحَاكِمُ في «الإِكْلِيْلِ» : تَوَاتَرَتِ الْأَخْبَارُ أَنَّهُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لَمَّا أَهَلَّ ذُو الْقَعْدَةِ أَمَرَ أَصْحَابَهُ أَنْ يَعْتَمِرُوا قَضَاءَ عُمْرَتِهِمْ ، وَأَنْ لَا يَتَخَلَّفَ أَحَدٌ مِمَّنْ شَهِدَ الْحُدَيْبِيَةَ ، فَخَرَجُوا إِلَّا مَنِ اسْتُشْهِدَ ، وَخَرَجَ مَعَهُ آخَرُونَ مُعْتَمِرِيْنَ ، فَكَانَتْ عُدَّتُهُمْ أَلْفَيْنِ سِوَىٰ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ »[١] .

فَفِي «سُنَنِ النِّسَائِيِّ» بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ صَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي«صَحِيْحِ النِّسَائِيِّ»[٢]، مِنْ حَدِيْثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - دَخَلَ مَكَّةَ فِي عُمْرَةِ الْقَضَاءِ ، وَابْنُ رَوَاحَةَ بَيْنَ يَدَيْهِ يَقُولُ:

خُلُّوا بَنِي الْكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ   الْيَوْمَ نَضْرِبُكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ
ضَرْبًا يُزِيلُ الْهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ   وَيُذْهِلُ الْخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ

فَقَالَ عُمَرُ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: يَا ابْنَ رَوَاحَةَ ، فِي حَرَمِ اللهِ وَبَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ تَقُولُ الشِّعْرَ ؟!.

(١) «فَتْحُ البَارِيِّ» (٧/ ٥٧٢) .
(٢)(صَحِيْحٌ)أَخْرَجَهُ النِّسَائِيِّ»(٩/ ٣٢٠)وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي«صَحِيْحِ النِّسَائِيِّ»(٢٨٧٣).

فَقَالَ النَّبِيُّ - صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : « **خَلِّ يَا عُمَرُ ، فَهُوَ أَسْرَعُ فِيهِمْ مِنْ نَضْحِ النَّبْلِ** » ، وَفِي لَفْظٍ : « **فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَكَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَشَدُّ مِنْ وَقْعِ النَّبْلِ** » .

لَقَدْ طَافَ الْمُسْلِمُونَ بِالكَعْبَةِ -أَيُّهَا النَّاسُ- ، وَأَمَرَهُمْ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنْ يُظْهِرُوا القُوَّةَ وَالجَلَدِ فِي طَوَافِهِمْ .

فَفِي «صَحِيْحِ البُخَارِيِّ» [(١)]، مِنْ حَدِيْثِ ابْنِ عَبَّاس -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ : قَدِمَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَأَصْحَابُهُ مَكَّةَ ، وَقَدْ وَهَنَتْهُمْ حُمَّىٰ يَثْرِب ، قَالَ الْمُشْرِكُونَ : إِنَّهُ يَقْدَمُ عَلَيْكُمْ غَدًا قَوْمٌ قَدْ وَهَنَتْهُمْ الْحُمَّىٰ وَلَقُوا مِنْهَا شِدَّةً ، فَجَلَسُوا مِمَّا يَلِي الْحِجْرَ ، وَأَمَرَهُمْ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنْ يَرْمُلُوا ثَلَاثَةَ أَشْوَاطٍ ، وَيَمْشُوا مَا بَيْنَ الرُّكْنَيْنِ لِيَرَىٰ الْمُشْرِكُونَ جَلَدَهُمْ ، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ : هَؤُلَاءِ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّ الْحُمَّىٰ قَدْ وَهَنَتْهُمْ، هَؤُلَاءِ أَجْلَدُ مِنْ كَذَا وَكَذَا ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَلَمْ يَمْنَعْهُ أَنْ يَأْمُرَهُمْ أَنْ يَرْمُلُوا الأَشْوَاطَ كُلَّهَا إِلَّا الْإِبْقَاءُ عَلَيْهِمْ » .

وَكَانَتْ قُرَيْشٌ -أَيُّهَا النَّاسُ- قَدْ تَرَكَتْ مَكَّةَ إِلَىٰ جَبَلِ قُيْقَعَانِ تَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَطُوفُونَ ،جَاءَ ذَلِكَ فِي «مُسْنَدِ أَحْمَدَ» [(٢)]، وَكَانُوا يَتَعَجَّبُونَ مِنْ قُوَّتِهِمْ ، وَقُيْقَعَانُ يُوَاجِهُ مَا بَيْنَ الرُّكْنَيْنِ مِنَ الكَعْبَةِ .

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (١٦٠٢) .

(٢)(صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٣٥٣٦) ، بِسَنَدٍ صَحِيْح.

وَالرَّمْلُ -أَيُّهَا النَّاسُ- هُوَ الإِسْرَاعُ وَمُقَارَبَةُ الخُطَا .

وَقَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ : هُوَ شَبِيهٌ بِالْهَرْوَلَةِ ، وَأَصْلُهُ أَنْ يُحَرِّكَ الْمَاشِي مَنْكِبَيْهِ فِي مَشْيِهِ .

قَالَ الحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ -رَحِمَهُ اللهُ- : « وَيُؤْخَذُ مِنْهُ جَوَازُ إِظْهَارِ الْقُوَّةِ بِالْعِدَّةِ وَالسِّلَاحِ وَنَحْوِ ذَلِكَ لِلْكُفَّارِ إِرْهَابًا لَهُمْ ، وَلَا يُعَدُّ ذَلِكَ مِنَ الرِّيَاءِ الْمَذْمُومِ . وَفِيهِ جَوَازُ الْمَعَارِيضِ بِالْفِعْلِ كَمَا يَجُوزُ بِالْقَوْلِ ، وَرُبَّمَا كَانَتْ بِالْفِعْلِ أَوْلَىٰ »[1] .

فَفِي «صَحِيْحِ البُخَارِيِّ»[2]، مِنْ حَدِيْثِ البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، قَالَ : ...... فَلَمَّا دَخَلَهَا وَمَضَىٰ الأَجَلُ أَتَوْا عَلِيًّا ، فَقَالُوا : قُلْ لِصَاحِبِكَ : اخْرُجْ عَنَّا ، فَقَدْ مَضَىٰ الأَجَلُ ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فَتَبِعَتْهُ ابْنَةُ حَمْزَةَ ، تُنَادِي يَا عَمِّ يَا عَمِّ ، فَتَنَاوَلَهَا عَلِيٌّ فَأَخَذَ بِيَدِهَا، وَقَالَ لِفَاطِمَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- : دُونَكِ ابْنَةَ عَمِّكِ حَمِّلِيْهَا ، فَاخْتَصَمَ فِيهَا عَلِيٌّ وَزَيْدٌ وَجَعْفَرٌ ، قَالَ عَلِيٌّ : أَنَا أَخَذْتُهَا ، وَهِيَ بِنْتُ عَمِّي ، وَقَالَ جَعْفَرٌ : ابْنَةُ عَمِّي وَخَالَتُهَا تَحْتِي ، وَقَالَ زَيْدٌ : ابْنَةُ أَخِي .

فَقَضَىٰ بِهَا النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لِخَالَتِهَا ، وَقَالَ : الخَالَةُ بِمَنْزِلَةِ الأُمِّ .

---

(١) «فَتْحُ البَارِيِّ» (٣/ ٥٤٩) .
(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٢٦٩٩) .

وَقَالَ لِعَلِيٍّ : أَنْتَ مِنِّي وَأَنَا مِنْكَ وَقَالَ لِجَعْفَرٍ : أَشْبَهْتَ خَلْقِي وَخُلُقِي ، وَقَالَ لِزَيْدٍ : أَنْتَ أَخُونَا وَمَوْلَانَا .

وَقَالَ عَلِيٌّ : أَلَا تَتَزَوَّجُ بِنْتَ حَمْزَةَ ؟ قَالَ : إِنَّهَا ابْنَةُ أَخِي مِنَ الرَّضَاعَةِ .

وَتَزَوَّجَ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَيْمُونَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- وَبَنَىٰ بِهَا بِسَرْفٍ » .

وَقَدْ أَنْزَلَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [الفَتْحُ:٢٧].

وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ .

زَوَاجُ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِمَيْمُونَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا-

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ :

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ أَشْرَفِ المُرْسَلِيْنَ ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

أَمَّا بَعْدُ :

فَتَقَدَّمَ الحَدِيْثُ مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنْ « **قُدُومِ جَعْفَرٍ وَأَصْحَابِ السَّفِيْنَةِ ثُمَّ عُمْرَةِ القَضَاءِ** » .

وَالآنَ حَدِيْثِي مَعَكُمْ عَنْ « **زَوَاجِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِمَيْمُونَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا-** » لِأَنَّهُ تَزَوَّجَهَا فِي رِحْلَةِ عُمْرَةِ القَضَاءِ .

وَقَدْ جَاءَ فِي «صَحِيْحِ البُخَارِيِّ» [1]، مِنْ حَدِيْثِ ابْنُ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ : أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- تَزَوَّجَ مَيْمُونَةَ فِي عُمْرَةِ القَضَاءِ » .

فَفِي «صَحِيْحِ البُخَارِيِّ» [2]، مِنْ حَدِيْثِ البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ -رَضِيَ اللهُ

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٢٥٩) .
(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٢٦٩٩) .

عَنْهُ - « أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- تَزَوَّجَ مَيْمُونَةَ وَهُوَ مُحْرِمٌ ، وَبَنَىٰ بِهَا بِسَرِفٍ » .

وَسَرْفٌ -أَيُّهَا النَّاسُ- هُوَ مَوْضِعٌ قُرْبَ التَّنْعِيمِ .

وَكَانَتْ مَيْمُونَةُ -أَيُّهَا النَّاسُ- هِيَ آخِرُ مَنْ تَزَوَّجَهَا رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَكَانَتْ آخِرِ نِسَائِهِ مَوْتًا بَعْدَهُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَالعَجَبُ أَنَّهَا مَاتَتْ بِسَرِفٍ فِي المَوْضِعِ الَّتِي بَنَىٰ بِهَا رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، فَمَكَانَ عُرْسِهَا هُوَ مَكَانُ دَفْنِهَا ، فَرَضِيَ اللهُ عَنْهَا وَأَرْضَاهَا.

فَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ»[١]،مِنْ حَدِيْثِ ابْنُ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ: **« تَزَوَّجَ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مَيْمُونَةَ وَهُوَ مُحْرِمٌ ، وَبَنَى بِهَا وَهُوَ حَلَالٌ ، وَمَاتَتْ بِسَرِفٍ »** .

قَالَ الحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي الفَتْحِ عِنْدَ شَرْحِهِ لِحَدِيْثِ ابْنُ عَبَّاسٍ : « وَقَدْ عَارَضَ حَدِيثَ ابْنِ عَبَّاسٍ حَدِيثُ عُثْمَانَ « **لَا يَنْكِحُ الْمُحْرِمُ وَلَا يُنْكَحُ** » أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ[٢]، وَيُجْمَعُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ بِحَمْلِ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَلَىٰ أَنَّهُ مِنْ خَصَائِصِ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- »[٣].

رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ، رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (١٢٨٠) ، وَمُسْلِمٌ (١٤٨٦) .
(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٠٣٠) .
(٣) «فَتْحُ البَارِيِّ» (٤/ ٥٢) .

عَلَىٰ الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا، رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ، وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ، أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَىٰ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ .

رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا ، وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا ، وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ .

رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ ، رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيْم .

وَسُبْحَانَكَ اللهُمَّ وَبِحَمْدِكَ،أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ،أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ.

٢٨ غَزْوَةُ مُؤْتَةَ

الخُطْبَةُ الأُوْلَىٰ:

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ،نَحْمِدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلِ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾[النِّسَاء:١] .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَـٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأَحْزَاب:٧٠-٧١] .

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الأُمُورِ

مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ :

فَمَا زَالَ الحَدِيْثُ مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنِ السِّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ عَلَىٰ صَاحِبِهَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -، وَحَدِيْثِي مَعَكُمْ اليَوْمَ عَنْ « **غَزْوَةِ مُؤْتَةَ** » .

وَ غَزْوَةُ مُؤْتَةَ -أَيُّهَا النَّاسُ- كَانَتْ أَعْظَمَ حَرْبٍ دَامِيَةٍ خَاضَهَا المُسْلِمُونَ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَهِيَ مُقَدِّمَةٌ وَتَمْهِيْدٌ لِفُتُوحِ بُلْدَانِ النَّصَارَىٰ [١] .

فَفِي جُمَادِ الأَوَّلِ مِنْ سَنَةِ ثَمَانٍ مِنَ الهِجْرَةِ ، بَعَثَ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- جَيْشًا قُوَامُهُ ثَلَاثَةُ آلَافِ مُقَاتِلٍ إِلَىٰ الشَّامِ .

وَقَدْ عَيَّنَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -، فَإِنْ أُصِيْبَ فَجَعْفَرُ بْن أَبِي طَالِبٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- ، فَإِنْ أُصِيْبَ فَعَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، جَاءَ ذَلِكَ فِي «صَحِيْحِ البُخَارِيِّ» [٢] .

وَهَذِهِ -أَيُّهَا النَّاسُ- يَدُلُّ عَلَىٰ جَوَازِ تَعْلِيْقِ الإِمَارَةِ بِشَرْطٍ ، وَتَوَلِيَةِ عِدَّةِ أُمَرَاءَ بِالتَّرْتِيْبِ [٣] ، وَهَذِهِ هِيَ المَرَّةُ الأُوْلَىٰ -أَيُّهَا النَّاسُ- الَّتِي يَتَّخِذُ الرَّسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِثْلَ هَذَا الاحْتِيَاطِ ، وَرُبَّمَا كَانَ مُتَوَقِّعًا أَنْ

---

(١) «الرَّحِيْقُ المَخْتُوم» (٣٩٤) .
(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٢٦١) .
(٣) «فَتْحُ البَارِيِّ» (٧/ ٥١٣) .

تَحُفَّ الأَخْطَارُ هَذِهِ الحَمْلَةَ لِوَجْهَتِهَا البَعِيْدَةِ ، وَلِعَدَمِ وُقُوعِ احْتِكَاكٍ سَابِقٍ بِمَنَاطِقَ تَخْضَعُ لِنُفُوذِ دَوْلَةٍ قَوِيَّةٍ كَالأَمْبَرَاطُورِيَّةِ البِيزَنْطِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ قَبَائِلُ الشَّامِ وَأَطْرَافُهَا مُوَالِيَةٍ لَهَا سِيَاسِيًّا .

وَقَدْ وَصَلَ الجَيْشُ -أَيُّهَا النَّاسُ- إِلَىٰ مَعَّانٍ عِنْدَمَا وَصَلَتْهُ أَخْبَارُ وُصُولِ هِرَقْلَ بِأَرْضِ مَآبٍ -وَهِيَ البَلْقَاءُ - فِي مِائَةِ أَلْفٍ مِنَ الرُّومِ ، وَمِائَةِ أَلْفٍ أُخْرَىٰ مِنْ نَصَارَىٰ العَرَبِ لَخَمٍ وَجُذَامَ وَقُضَاعَةَ (بَهْرَاءَ ، وَبَلِيٍّ، وَبَلْقِينَ).

فَأَمْضَىٰ المُسْلِمُونَ لَيْلَتَيْنِ يَتَشَاوَرُونَ فِي أَمْرِهِمْ ، وَبَعْضُهُمْ يَرَىٰ مُكَاتَبَةَ الرَّسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَإِخْبَارَهُ بِقُوَّةِ العَدُوِّ وَلِيَمُدَّهُمْ أَوْ يَأْمُرَهُمْ بِأَمْرِهِ .

قَالَ : فَشَجَّعَ النَّاسَ عَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ ، وَقَالَ : « يَا قَوْمِ ، وَاللَّهِ إِنَّ الَّتِي تَكْرَهُونَ ، لَلَّتِي خَرَجْتُمْ تَطْلُبُونَ الشَّهَادَةُ ، وَمَا نُقَاتِلُ النَّاسَ بِعَدَدٍ وَلَا قُوَّةٍ وَلَا كَثْرَةٍ ، مَا نُقَاتِلُهُمْ إِلَّا بِهَذَا الدِّينِ الَّذِي أَكْرَمَنَا اللهُ بِهِ ، فَانْطَلِقُوا فَإِنَّمَا هِيَ إِحْدَىٰ الْحُسْنَيَيْنِ إِمَّا ظُهُورٌ وَإِمَّا شَهَادَةٌ »(١).

وَأَحْدَثَتْ كَلِمَاتُهُ أَثَرَهَا فَدَبَّ الحَمَاسُ فِي الجَيْشِ ، وَفَقَدَتْ آرَاءُ المُتَرَيِّثِيْنَ قُوَّتَهَا ، فَانْدَفَعَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ بِالنَّاسِ إِلَىٰ مَنْطِقَةِ مُؤْتَةَ جَنُوبَ الكَرْكِ بِيَسِيرٍ، حَيْثُ آثَرَ الاصْطِدَامَ بِالرُّومِ هُنَاكَ، فَكَانَتْ مَلْحَمَةً سَجَّلَ فِيهَا القَادَةُ الثَّلَاثَةُ بُطُولَاتٍ عَظِيْمَةً ، انْتَهَتْ بِاسْتِشْهَادِهِمْ ، فَشَاطَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ عَنْ رِمَاحِ

(١) «ابْنُ إِسْحَاقَ » دُونَ إِسْنَادٍ ، انْظُرْ : « سِيْرَةُ ابْنِ هِشَامٍ» (٣/ ٤٣٠) .

الرُّوْم ، فَاسْتُشْهِدَ ، وَأَخذَ الرَّايَةَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِب ، فَعَقَرَ فَرَسَهُ الشَّقْرَاءَ، وَقَاتَلَ بالرَّايَةِ فَقُطِعَتْ يَمِيْنُهُ ، فَأَمْسَكَهَا بِشِمَالِهِ ، فَقُطِعَتْ فَاحْتَضَنَ الرَّايَةَ حَتَّىٰ اسْتُشْهِدَ ، فَأَخَذَ الرَّايَةَ عَبْدُ اللهِ ابْنُ رَوَاحَةَ فَتَرَدَّدَ يَسِيْرًا ، ثُمَّ انْدَفَعَ فَقَاتَلَ حَتَّىٰ اسْتُشْهِدَ ، فَأَخذَ الرَّايَةَ ثَابتُ بْنُ أَرْقَمَ وَنَادَىٰ فِي المُسْلِمِيْنَ أَنْ يَخْتَارُوا لَهُمْ قَائِدًا ، فَاخْتَارُوا خَالِدَ بْنَ الوَلِيْدِ ، وَقَدْ أَدْرَكَ خَالِدَ بْنَ الوَلِيْد خُطُورَةَ المَوْقِفِ ، فَأَعَادَ تَنْظِيْمَ جَيْشِهِ ، وَبَدَّلَ المُيْسَرَةَ بالمَيْمَنَةِ ، وَجعَلَ قِسْمًا مِنَ الجَيْشِ يَتَقَدَّمُونَ مِنَ الخَلْفِ وَكَأَنَّهُمْ أَمْدَادٌ جَدِيْدَةٌ ، لإِيْهَامِ الرُّوْمِ ، وَتَمَكَّنَ مِنْ خِلاَلِ ذَلِكَ مِنَ القِيَامِ بِانْسِحَابٍ مُنَظَّمٍ لَمْ يُفْقِدْهُ إِلَّا اليَسِيْرَ مِنْ جُنْدِهِ ، حَيْثُ سَمَّتِ المَصَادِرُ ثَلاَثَةَ عَشَرَ شَهِيْدًا .

وَيُعْتَبَرُ هَذَا الانْسِحَابُ المُنَظَّمُ النَّاجِحُ -أَيُّهَا النَّاسُ- فَتْحًا عَظِيْمًا ، حَيْثُ تَمَكَّنَ خَالِدُ مِنْ انْقَاذِ جَيْشِهِ ، مِنْ بَحْرٍ مُتَلَاطِمِ الأَمْوَاجِ وَمِنْ فَيَالِقَ تَرْبُوْ عَلَيْهِمْ سَبْعِيْنَ ضِعْفًا بِخَسَائِرَ طَفِيْفَةٍ مَعَ الإِثْخَانَ فِي الرُّوْمِ وَإِصَابَتِهِمْ بِقَتْلَىٰ وَجَرْحَىٰ .

وَلاَ شَكَّ أَنَّ اسْتِبْسَالَ المُسْلِمِيْنَ -أَيُّهَا النَّاسُ- وَشَجَاعَتَهُمُ النَّادِرَةِ ، وَحِرْصَهُمْ عَلَىٰ الشَّهَادَةِ بالإِضَافَةِ إِلَىٰ عَبْقَرِيَّةِ خَالِدٍ العَسْكَرِيَّةِ هُوَ الَّذِي مَكَّنَ لَهُمْ بِعَوْنِ اللهِ مِنَ الخَلاَصِ مِنَ المَأْزَقِ .

لَقَدْ وُجِدَ فِي جَسَدِ جَعْفَرَ بْنِ أَبِي طَالِبٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَكْثَرَ مِنْ تِسْعِيْنَ

إِصَابَةً بِالرِّمَاحِ وَالسِّهَامِ ،جاء ذَلِكَ في «صَحِيْحِ البُخَارِيِّ» [١]، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- ، وَكَانَ حَاضِرًا ، وَمَا أَقْعَدَهُ ذَلِكَ عَنِ القِتَالِ حَتَّىٰ الرَّمَقِ الأَخِيْرِ .

وَيُحَدِّثُنَا خَالِدُ بْنُ الوَلِيْدِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- كَمَا فِي «صَحِيْحِ البُخَارِيِّ»[٢]، بِقَوْلِهِ : « لَقَدِ انْقَطَعَتْ فِي يَدِي يَوْمَ مُؤْتَةَ تِسْعَةُ أَسْيَافٍ ، فَمَا بَقِيَ فِي يَدِي إِلَّا صَفِيحَةٌ يَمَانِيَةٌ » .

وَمِنْ مُعْجِزَاتِهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّهُ أَخْبَرَ أَصْحَابَهُ بِاسْتِشْهَادِ القَادَةِ الثَّلَاثَةِ وَعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ الدُّمُوعَ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُ الرَّسُولُ بِالخَبَرِ، وَأَخْبَرَهُمْ بِاسْتِلَامِ خَالِدٍ الرَّايَةَ وَبَشَّرَهُمْ بِالفَتْحِ عَلَىٰ يَدَيْهِ .

فَفِي «صَحِيْحِ البُخَارِيِّ» [٣]،مِنْ حَدِيْثِ أَنَسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- نَعَىٰ زَيْدًا وَجَعْفَرًا وَابْنَ رَوَاحَةَ لِلنَّاسِ ، قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُمْ خَبَرُهُمْ ، فَقَالَ : « **أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ فَأُصِيبَ ، ثُمَّ أَخَذَ جَعْفَرٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَ ابْنُ رَوَاحَةَ فَأُصِيبَ ، وَعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ ، حَتَّى أَخَذَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللهِ ، حَتَّى فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِمْ** » .

وَالمُرَادُ بِالفَتْحِ فِي هَذَا الحَدِيْثِ -أَيُّهَا النَّاسُ- إِمَّا بِالإِنْسِحَابِ المُنَظَّمِ النَّاجِحِ، وَإِمَّا مَا أَوْقَعَهُ المُسْلِمُونَ بِالرُّومِ مِنْ خَسَائِرَ رُغْمَ تَفَوُّقِهِمُ العَدَدِيِّ

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٢٦٥) .
(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٢٦٢) .
(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٢٧٩٨) .

الكَبِيرُ ، وَقَدْ بَيَّنَ الرَّسُولُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مَكَانَةَ شُهَدَاءِ مُؤْتَةَ عِنْدَ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- بِقَوْلِهِ كَمَا فِي «صَحِيْحِ البُخَارِيِّ» (١)، مِنْ حَدِيْثِ أَنَسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- «مَا يَسُرُّنِي -أَوْ قَالَ : مَا يَسُرُّهُمْ أَنَّهُمْ عِنْدَنَا» أَيْ : لِمَا نَالَهُمْ مِنْ عَظِيْمِ التَّكْرِيْمِ» (٢).

وَقَدْ أَبْدَلَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- جَعْفَر بِيَدَيْهِ جَنَاحَيْنِ فِي الجَنَّةِ ، فَفِي «سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ» وَ«مُسْتَدْرَكِ» الحَاكِمِ بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ صَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيْحَةِ»(٣)، مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **رَأَيْتُ جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ مَلِكًا يَطِيرُ فِي الْجَنَّةِ مَعَ الْمَلائِكَةِ بِجَنَاحَيْنِ** » .

وَفِي «صَحِيْحِ البُخَارِيِّ» (٤) ، عَنِ الشَّعْبِيِّ ، قَالَ : كَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- إِذَا سَلَّمَ عَلَىٰ ابْنِ جَعْفَرٍ ، قَالَ : « السَّلامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ ذِي الْجَنَاحَيْنِ » .

وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ .

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٢٧٩٨) .
(٢) انْظُرْ : « السِّيـرَةُ النَّبَوِيَّةِ الصَّحِيْحَة » للعمري بَاب: غَزْوَةُ مُؤْتَه ، فَقَدْ أَفَدْتُ مِنْهُ كَثِيْرًا.
(٣) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيِّ (٣٧٦٣) ، وَالحَاكِمِ (٤٩٣٥) ، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «الصَّحِيْحَة» (١٢٢٦).
(٤) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٧٠٩) .

غَزْوَةُ ذَاتِ السَّلَاسِلِ (١)

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ :

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ أَشْرَفِ المُرْسَلِيْنَ ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

أَمَّا بَعْدُ :

فَتَقَدَّمَ الحَدِيْثُ مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنْ « **غَزْوَةِ مُؤْتَةَ** » .

وَالآنَ حَدِيْثِي مَعَكُمْ عَنْ « **غَزْوَةِ ذَاتِ السَّلَاسِلِ** » .

أَيُّهَا النَّاسُ لَمْ تَمْضِ سِوَىٰ أَيَّامٍ عَلَىٰ عَوْدَةِ الجَيْشِ مِنْ مُؤْتَةَ إِلَىٰ المَدِيْنَةِ ، حَتَّىٰ جَهَّزَ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- جَيْشًا بِقِيَادَةِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- إِلَىٰ ذَاتِ السَّلَاسِلِ ، وَذَلِكَ لِتَأْدِيبِ قُضَاعَةَ الَّتِي غَرَّهَا مَا حَدَثَ فِي مُؤْتَةَ الَّتِي اشْتَرَكَتْ فِيْهَا إِلَىٰ جَانِبِ الرُّوْمِ ، فَتَجَمَّعَتْ تُرِيْدُ الدُّنُوَّا مِنَ المَدِيْنَةِ ، فَتَقَدَّمَ عَمْرُو بْنُ العَاصِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- فِي دِيَارِهَا وَمَعَهُ ثَلَثُمِائَةٍ مِنَ المُهَاجِرِيْنَ وَالأَنْصَارِ ، وَأَمَرَهُ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنْ يَسْتَعِيْنَ بِبَعْضِ فُرُوعِ قُضَاعَةِ ،وَقَدْ بَلَغَ عَمْرُو بْنُ العَاصِ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-

---

(١) انْظُرْ : «السِّيْرَةُ النَّبَوِيَّة الصَّحِيْحَة » لِلعِمَرِي بَاب: غَزْوَةُ ذَاتِ السَّلَاسِلِ ، فَقَدْ أَفَدْتُ مِنْهُ كَثِيْرًا ، جَزَاهُ اللهُ خَيْرًا.

أَنَّ جُمُوعَهَا كَبِيرَةٌ ، فَاسْتَمَدَّ الرَّسُولَ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَأَمَدَّهُ بِمائَتَيْنِ مِنَ الْمُهَاجِرِيْنَ وَالأَنْصَارِ ، فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ ، وَعَلَيْهِمْ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرْاحِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ- .

وَقَدْ تَوَغَّلَ الجَيْشُ -أَيُّهَا النَّاسُ- فِي قُضَاعَةِ الَّتِي هَرَبَتْ وَتَفَرَّقَتْ، وَقَدْ أَعَادَتْ هَذِهِ الحَمْلَةُ الهَيْبَةَ لِلمُسْلِمِيْنَ فِي هَذِهِ المَنْطِقَةِ ، تِلْكَ الهَيْبَةُ الَّتِي كَانَتْ أَحْدَاثُ غَزْوَةِ مُؤْتَةَ قَدْ زَعْزَعَتْهَا (١) .

وَفِيْهَا صَلَّىٰ عَمْرو بْنُ العَاصِ بِالْمُسْلِمِيْنَ بَعْدَأَنْ تَيَمَّمَ مِنَ الجَنَابَةِ ، حَيْثُ خَافَ عَلَىٰ نَفْسِهِ المَرَضَ إِذَا اغْتَسَلَ بِسَبَبِ البَرْدِ ، وَكَأَنَّ بَعْضَ الصَّحَابَةِ شَكَّ فِي هَذَا الصَّنِيعِ ، فَأَخْبَرَ النَّبِيَّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِمَا صَنَعَ عَمْرُو، فَقَالَ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « صَلَّيْتَ بِأَصْحَابِكَ وَأَنْتَ جُنُبٌ ؟ »، فَأَخْبَرَهُ بِالَّذِي مَنَعَهُ مِنَ الاغْتِسَالِ، لَقَدْ خَافَ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِنْ قَسْوَةِ البَرْدِ .

فَفِي «سُنَنِ» أَبِي دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ صَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي«صَحِيْحِ أَبِي دَاوُدَ» (٢)، مِنْ حَدِيْثِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ : احْتَلَمْتُ فِي لَيْلَةٍ بَارِدَةٍ فِي غَزْوَةِ ذَاتِ السَّلَاسِلِ فَأَشْفَقْتُ أَنْ أَغْتَسِلَ فَأَهْلِكَ ، فَتَيَمَّمْتُ ، ثُمَّ صَلَّيْتُ بِأَصْحَابِي الصُّبْحَ .

---

(١) انْظُرْ : «السِّيرَةُ النَّبَوِيَّةُ الصَّحِيْحَةِ » لِلعِمَرِي بَاب: غَزْوَةُ ذَاتِ السَّلَاسِلِ ، فَقَدْ أَفَدْتُ مِنْهُ كَثِيْرًا ، جَزَاهُ اللهُ خَيْرًا.

(٢) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ «أَبُو دَاوُد» (٣٣٤) ، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي « أَبِي دَاوُد » (٣٢٣).

فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ - صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ : « **يَا عَمْرُو صَلَّيْتَ بِأَصْحَابِكَ وَأَنْتَ جُنُبٌ؟**» ، فَأَخْبَرْتُهُ بِالَّذِي مَنَعَنِي مِنَ الاغْتِسَالِ وَقُلْتُ : إِنِّي سَمِعْتُ اللهَ يَقُولُ : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ﴾ [النِّسَاء:٢٩] ، فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ- صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -وَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا» .

وَهَذَا -أَيُّهَا النَّاسُ- إِقْرَارٌ مِنْهُ - صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَلَىٰ اجْتِهَادِهِ ، فَإِنَّ التَّيَمُّمَ يَجُوزُ إِذَا كَانَ اسْتِعْمَالُ المَاءِ مَظَنَّةَ الضَّرَرِ .

اللهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُك رَحْمَةً مِنْ عِنْدِك تَهْدِي بِهَا قُلُوبَنَا، وتَجْمَعَ بِهَا أَمْرَنَا، وتَلُمَّ بِهَا شَعَثَنَا، وتَحْفَظُ بِهَا غائِبَنَا، وتَرْفَعَ بِهَا شَاهِدَنَا، وتُبَيِّضَ بِهَا وُجُوهَنَا، وتُزَكِّيَ بِهَا أَعْمَالَنَا ، وتُلْهِمَنَا بِهَا رُشْدَنَا، وتَرُدَّ بِهَا أُلْفَتَنَا ، وتَعْصِمَنَا بِهَا مِنْ كُلِّ سُوْءٍ.

وَسُبْحَانَكَ اللهُمَّ وَبِحَمْدِكَ،أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ،أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ.

٢٩ فَتْحُ مَكَّة

الخُطْبَةُ الأُولَى[١]:

إِنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمِدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلِ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾

[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾[النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾

[الأَحْزَاب:٧٠-٧١] .

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الأُمُورِ

مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ :

فَمَا زَالَ الحَدِيْثُ مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنِ السِّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ عَلَىٰ صَاحِبِهَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -، وَحَدِيْثِي مَعَكُمْ اليَوْمَ عَنْ « **فَتْحِ مَكَّةَ** » .

وَفَتْحُ مَكَّةَ -أَيُّهَا النَّاسُ- الحَدِيْثُ عَنْهُ ذُو شُجُونٍ ، فَهُوَ كَمَا وَصَفَهُ ابْنُ القَيِّمِ -رَحِمَهُ اللهُ- : « هُوَ الْفَتْحُ الْأَعْظَمُ الَّذِي أَعَزَّ اللهُ بِهِ دِينَهُ وَرَسُولَهُ ، وَجُنْدَهُ وَحِزْبَهُ الْأَمِينَ ، وَاسْتَنْقَذَ بِهِ بَلَدَهُ وَبَيْتَهُ الَّذِي جَعَلَهُ هُدًىٰ لِلْعَالَمِينَ مِنْ أَيْدِي الْكُفَّارِ وَالْمُشْرِكِينَ ، وَهُوَ الْفَتْحُ الَّذِي اسْتَبْشَرَ بِهِ أَهْلُ السَّمَاءِ ، وَضَرَبَتْ أَطْنَابُ عِزِّهِ عَلَىٰ مَنَاكِبِ الْجَوْزَاءِ ، وَدَخَلَ النَّاسُ بِهِ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا ، وَأَشْرَقَ بِهِ وَجْهُ الْأَرْضِ ضِيَاءً وَابْتِهَاجًا »[(١)].

وَأَمَّا سَبَبُ هَذِهِ الغَزْوَةِ -أَيُّهَا النَّاسُ- فَهُوَ نَقْضُ قُرَيْشٍ لِمُعَاهَدَةِ الحُدَيْبِيَةِ.

فَقَدْ أَخْرَجَ ابْنُ إِسْحَاقَ ، بِسَنَدٍ حَسَنٍ ، عَنْ مَرْوَانَ بْنِ الحَكَمِ ، وَالمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ ،قَالا : كَانَ فِي صُلْحِ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قُرَيْشٍ، أَنَّهُ مَنْ شَاءَ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَقْدِ مُحَمَّدٍ وَعَهْدِهِ دَخَلَ، وَمَنْ شَاءَ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَقْدِ قُرَيْشٍ وَعَهْدِهِمْ دَخَلَ ، وَفِيْهِ أَنَّ خُزَاعَةَ فِي عَقْدِ

---

(١) «البِدَايَةُ وَالنِّهَايَة »(٦/ ٥٠٨)،مِنْ طَرِيْقِ الطَّبَرِيِّ في«تَارِيخِ الأُمَمِ»(٢/ ٣/ ١١١)، وَالبَيْهَقِيُّ فِي «دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ » (٥/ ٧٠٥) بِسَنَدٍ حَسَنٍ إِلَىٰ ابْنِ إِسْحَاقٍ ، وَقَدْ صَرَّحَ بِالتَّحْدِيْثِ، وَهُوَ حُجَّةٌ فِي السِّيَرِ وَالمَغَازِي .

مُحَمَّدٍ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -وَعَهْدِهِ ، وَدَخَلَتْ بَنُو بَكْرٍ فِي عَقْدِ قُرَيْشٍ وَعَهْدِهِمْ ، فَمَكَثُوا فِي تِلْكَ الْهُدْنَةِ نَحْوَ السَّبْعَةِ أَوِ الثَّمَانِيَةَ عَشَرَ شَهْرًا ، ثُمَّ إِنَّ بَنِي بَكْرٍ الَّذِينَ وَثَبُوا عَلَىٰ خُزَاعَةَ لَيْلًا بِمَاءٍ لَهُمْ يُقَالُ لَهُ : الْوَتِيرُ - وَهُوَ قَرِيبٌ مِنْ مَكَّةَ- ، فَقَالَتْ قُرَيْشٌ : مَا يَعْلَمُ بِنَا مُحَمَّدٌ، وَهَذَا اللَّيْلُ وَمَا يَرَانَا أَحَدٌ ، فَأَعَانُوهُمْ عَلَيْهِمْ بِالْكُرَاعِ وَالسِّلَاحِ فَقَاتَلُوهَا مَعَهُمْ لِلضِّغْنِ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَأَنَّ عَمْرَو بْنَ سَالِمٍ رَكِبَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عِنْدَمَا كَانَ مِنْ أَمْرِ خُزَاعَةَ وَبَنِي بَكْرٍ بِالْوَتِيرِ حَتَّىٰ قَدِمَ الْمَدِينَةَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يُخْبِرُهُ الْخَبَرَ ... ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **نُصِرْتَ يَا عَمْرُو بْنَ سَالِمٍ** » .

ثُمَّ شَرَعَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي الْجِهَازِ إِلَىٰ مَكَّةَ ، وَسَأَلَ اللَّهَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - أَنْ يُعَمِّيَ عَلَىٰ قُرَيْشٍ الْأَخْبَارَ، فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - ؛وَلِذَلِكَ لَمَّا كَتَبَ حَاطِبُ بْنُ أَبِي بَلْتَعَةَ كِتَابًا إِلَىٰ أَهْلِ مَكَّةَ يُعْلِمُهُمْ فِيهِ بِمَا هَمَّ بِهِ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِنَ الْعَزْمِ عَلَىٰ قِتَالِهِمْ ، وَبَعَثَ بِهِ مَعَ امْرَأَةٍ ، وَقَدْ تَأَوَّلَ فِي ذَلِكَ مُصْلَحَةً تَعُودُ عَلَيْهِ ، وَقَبِلَ ذَلِكَ مِنْهُ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-وَصَدَّقَهُ لِأَنَّهُ كَانَ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ وَالْحُدَيْبِيَةِ، وَبَعَثَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلِيًّا وَالزُّبَيْرَ وَالْمِقْدَادَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ-،فَقَالَ كَمَا جَاءَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»[(١)]، انْطَلِقُوا حَتَّىٰ تَأْتُوا

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٩٨٣) ، وَمُسْلِمٌ (٢٤٩٤) .

رَوْضَةَ خَاخٍ ، فَإِنَّ بِهَا ظَعِينَةً مَعَهَا كِتَابٌ ، فَخُذُوهُ مِنْهَا، قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-رَاوِي الحَدِيْثِ-فَانْطَلَقْنَا تَعَادَىٰ بِنَا خَيْلُنَا، حَتَّىٰ أَتَيْنَا الرَّوْضَةَ ، فَإِذَا نَحْنُ بِالظَّعِينَةِ ، قُلْنَا لَهَا : أَخْرِجِي الْكِتَابَ قَالَتْ مَا مَعِي كِتَابٌ ، فَقُلْنَا : لَتُخْرِجِنَّ الْكِتَابَ أَوْ لَنُلْقِيَنَّ الثِّيَابَ ، قَالَ: فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا » .

وَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لِعَشْرٍ خَلَوْنَ مِنْ رَمَضَانَ، فِي عَشَرَةِ آلافِ مُقَاتِلٍ ، مِنَ الْمُهَاجِرِيْنَ وَالأَنْصَارِ وَقَبَائِلِ العَرَبِ، وَاسْتَخْلَفَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلَىٰ الْمَدِيْنَةِ أَبَا رُهْمٍ كُلْثُوْمَ بْنَ حُصَيْنٍ ، وَلَقِيَهُ عَمُّهُ العَبَّاسُ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- بِذِي الْحُلَيْفَةِ وَقِيْلَ بِالْجُحْفَةِ ، فَأَسْلَمَ وَرَجَعَ مَعَهُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَبَعَثَ أَهْلَهُ وَمَتَاعَهُ إِلَىٰ الْمَدِيْنَةِ ، وَفِي طَرِيْقِ الْمُسْلِمِيْنَ إِلَىٰ مَكَّةَ قَدِمَ بَعْضُ زُعَمَاءِ الْمُشْرِكِيْنَ فَأَعْلَنُوا إِسْلامَهُمْ، فَفِي الأَبْوَاءِ قَدِمَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ ،أَخُو رَسُولِ اللهِ-صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِنَ الرَّضَاعَةِ ، وَعَبْدُ اللهِ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيْرَةِ ، فَأَسْلَمَا وَكَانَا شَدِيْدَيْنِ فِي مُعَادَاةِ الإِسْلَامِ، فَكَانَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ يَهْجُو الْمُسْلِمِيْنَ وَيُقَاتِلُهُمْ فِي سَائِرِ الْحُرُوبِ عِشْرِيْنَ سَنَةً ، حَتَّىٰ قَذَفَ اللهُ فِي قَلْبِهِ الإِسْلَام ، وَحَسُنَ إِسْلَامُهُ ، فَكَانَ أَحَدُ الَّذِيْنَ صَمَدُوا مَعَ الرَّسُولِ-صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي غَزْوَةِ حُنَيْنٍ حِيْنَ فَرَّ النَّاسُ .

كَانَ عَبْدُ اللهِ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيْرَةِ شَدِيْدِ العَدَاوَةِ لِلْمُسْلِمِيْنَ ، وَهُوَ

أَخُو أُمِّ سَلَمَةَ -أُمِّ الْمُؤْمِنِيْنَ- لِأَبِيْهَا ، وَقَدِمَ عَلَىٰ الرَّسُولِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بَيْنَ السُّقْيَا والعَرَجِ عَلَىٰ طَرِيْقِ (المَدِيْنَة- مَكَّة) فَأَسْلَمَ وَحَسُنَ إِسْلَامُهُ فَشَهِدَ فَتْحَ مَكَّةَ ، وَاسْتُشْهِدَ فِي حِصَارِ الطَّائِفِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-.

وَفِي مَرِّ الظَّهْرَانِ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَسْكَرَ الْمُسْلِمُونَ وَعَمِيَت أَخْبَارُهُمْ فَخَرَجَ أَبُو سُفْيَان بْنُ حَرْبٍ وَحَكَيْمُ بْنِ حِزَام وَبَدِيْلُ بْنُ وَرَقَاء الْخُزَاعِيِّ، يَتَحَسَّسُونَ الأَخْبَارَ فَالْتَقَىٰ بِهِمُ العَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِب ، وَكَانَ يُرِيْدُ أَنْ يُرْسِلَ إِلَىٰ قُرَيْش رَسُولاً يَطْلُبُ مِنْهُمْ أَنْ يَخْرُجُوا لِمُصَالَحَةِ الرَّسُولِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ عَلَيْهِمْ مَكَّةَ ، وَكَانَ أَبُو سُفْيَانَ وَصَاحِبَاهُ يَتِنَاقَشُونَ بَيْنَهُمْ فِي أَمْرِ الجَيْشِ المُعَسْكَرِ بِمَرِّ الظَّهْرَان ، وَقَدْ ظَنَّهُ بَعْضُهُمْ خُزَاعَةَ ، مِمَّا يَدُلُّ عَلَىٰ نَجَاحِ الْمُسْلِمِيْنَ فِي كِتْمَانِ خَبَرَ تَقَدُّمِهِمْ إِلَىٰ مَكَّةَ ، فَلَمَّا أَخْبَرَهُمُ العَبَّاسُ أَنَّهُ جَيْشُ الْمُسْلِمِيْنَ ، سَأَلُوهُ عَنْ رَأْيِه ، فَطَلَبَ مِنْ أَبِي سُفْيَانَ أَنْ يَمْضِيَ مَعَهُ وَبِجِوَارِه إِلَىٰ مُعَسْكَرِ الْمُسْلِمِيْنَ ، فَوَافَقَ وَقَابَلَ الاثْنَانِ الرَّسُولُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَدَعَا أَبَا سُفْيَانَ إِلَىٰ الإِسْلَام فَتَلَطَّفَ فِي الكَلَامِ وَتَرَدَّدَ فِي الإِسْلَام ، فَأَمَرَ الرَّسُولُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- العَبَّاسَ بِأَنْ يَأْخُذَهُ إِلَىٰ خَيْمَتِه وَيُحْضِرَهُ صَبَاحَ اليَوْمِ التَّالِي ، فَفَعَلَ وَأَسْلَمَ أَبُو سُفْيَانَ فِي اليَوْمِ التَّالِي ، وَأَطْلَعَهُ العَبَّاسُ عَلَىٰ قُوَّةِ الْمُسْلِمِيْنَ حَيْثُ اسْتَعْرَضَ الجَيْشَ أَمَامَهُ ، فَأَدْرَكَ أَبُو سُفْيَانَ قُوَّةَ الْمُسْلِمِيْنَ وَأَنَّهُ لَا قِبَلَ لِقُرَيْش بِهِمْ ، حَتَّىٰ إِذَا مَرَّت بِهِ كَتِيْبَةُ الْمُهَاجِرِيْنَ وَالأَنْصَارِ وَفِيْهِمْ رَسُولُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-

قَالَ : وَاللهِ لَقَدْ أَصْبَحَ مُلْكُ ابْنِ أَخِيكَ الْيَوْمَ عَظِيمًا ، فَقَالَ الْعَبَّاسُ: وَيْحَكَ يَا أَبَا سُفْيَانَ ، إِنَّهَا النُّبُوَّةُ قَالَ : فَنِعْمَ إِذًا .

وَمَضَىٰ أَبُو سُفْيَانَ إِلَىٰ مَكَّةَ فَأَخْبَرَ قُرَيْشًا بِقُوَّةِ الْمُسْلِمِيْنَ ، وَنَهَاهُمْ عَنِ الْمُقَاوَمَةِ ، كَمَا جَاءَ ذَلِكَ فِي «صَحِيْحِ مُسْلِمٍ » (١) .

وَكَانَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ يَحْمِلُ رَايَةَ الأَنْصَارِ عِنْدَ اسْتِعْرَاضِ الجَيْشِ، فَقَالَ لَمَّا مَرَّ بِأَبِي سُفْيَانَ : الْيَوْمَ يَوْمُ الْمَلْحَمَةِ ، الْيَوْمَ تُسْتَحَلُّ الْكَعْبَةُ ،

فَلَمَّا مَرَّ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِأَبِي سُفْيَانَ قَالَ: أَلَمْ تَعْلَمْ مَا قَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ ؟، قَالَ: مَا قَالَ ؟، قَالَ كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ: كَذَبَ سَعْدٌ ، وَلَكِنْ هَذَا يَوْمٌ يُعَظِّمُ اللهُ فِيهِ الْكَعْبَةَ ، وَيَوْمٌ تُكْسَىٰ فِيهِ الْكَعْبَةُ » كَمَا جَاءَ ذَلِكَ فِي «صَحِيْحِ البُخَارِيِّ» (٢) .

وَكَلِمَةُ « كَذَبَ » كَانَتْ تُسْتَعْمَلُ بِمَعْنَىٰ أَخْطَأَ .

وَفِي مَرِّ الظَّهْرَانِ -أَيُّهَا النَّاسُ- قَرَّرَ رَسُولُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الزَّحْفَ إِلَىٰ مَكَّةَ، فَعَيَّنَ القَادَةَ، وَقَسَّمَ الجَيْشَ إِلَىٰ مَيْمَنَةٍ وَمَيْسَرَةٍ وَقَلْبٍ، فَكَانَ خَالِدُ بْنُ الوَلِيْدِ فِي الْمُجَنِّبَةِ الْيُمْنَى، وَالزُّبَيْرُ فِي الْمُجَنِّبَةِ الْيُسْرَى، وَأَبُوعُبَيْدَةَ عَلَىٰ الرِّجَالَةِ ، وَكَانَتْ رَايَةُ الرَّسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- سَوْدَاءَ، وَلِوَاؤُهُ أَبْيَضَ .

وَأَمَّا قِصَّةُ دُخُولِ الجَيْشِ الْمُطَفَّرِ -أَيُّهَا النَّاسُ- ، فَكَمَا جَاءَ فِي «صَحِيْحِ

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٧٨٠) .
(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٢٨٠) .

مُسْلِمٌ »[١] ، مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَوْمَ الْفَتْحِ ، فَجَعَلَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ عَلَىٰ الْمُجَنِّبَةِ الْيُمْنَىٰ ، وَجَعَلَ الزُّبَيْرَ عَلَىٰ الْمُجَنِّبَةِ الْيُسْرَىٰ ، وَجَعَلَ أَبَا عُبَيْدَةَ عَلَىٰ الْبَيَاذِقَةِ وَبَطْنِ الْوَادِي ، فَقَالَ : « **يَا أَبَا هُرَيْرَةَ ادْعُ لِي الْأَنْصَارَ** » ، فَدَعَوْتُهُمْ فَجَاءُوا يُهَرْوِلُونَ ، فَقَالَ : « **يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ هَلْ تَرَوْنَ أَوْبَاشَ قُرَيْشٍ** » ، قَالُوا : نَعَمْ قَالَ: « **انْظُرُوا إِذَا لَقِيتُمُوهُمْ غَدًا أَنْ تَحْصُدُوهُمْ حَصْدًا** » ، وَأَخْفَىٰ بِيَدِهِ وَوَضَعَ يَمِينَهُ عَلَىٰ شِمَالِهِ ، وَقَالَ : « **مَوْعِدُكُمْ الصَّفَا** » .

قَالَ : فَمَا أَشْرَفَ يَوْمَئِذٍ لَهُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَنَامُوهُ ، قَالَ : وَصَعِدَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الصَّفَا ، وَجَاءَتْ الْأَنْصَارُ فَأَطَافُوا بِالصَّفَا ، فَجَاءَ أَبُو سُفْيَانَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ أُبِيدَتْ خَضْرَاءُ قُرَيْشٍ ، لَا قُرَيْشَ بَعْدَ الْيَوْمِ، قَالَ أَبُو سُفْيَانَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ ، وَمَنْ أَلْقَى السِّلَاحَ فَهُوَ آمِنٌ ، وَمَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ** ».

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ -رَحِمَهُ اللهُ-: « وَتَجَمَّعَ سُفَهَاءُ قُرَيْشٍ وَأَخِفَّاؤُهَا مَعَ عِكْرِمَةَ ابْنِ أَبِي جَهْلٍ، وَصَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ،وَسُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو ، بِالْخَنْدَمَةِ لِيُقَاتِلُوا الْمُسْلِمِينَ، وَكَانَ حِمَاسُ بْنُ قَيْسِ بْنِ خَالِدٍ أَخُو بَنِي بَكْرٍ يُعِدُّ سِلَاحًا قَبْلَ دُخُولِ رَسُولِ اللهِ-صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ:لِمَاذَا تُعِدُّ مَا أَرَى؟.

---

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٧٨٠) .

قَالَ : لِمُحَمَّد وَأَصْحَابه ، قَالَتْ : وَاللهِ مَا يَقُومُ لِمُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ شَيْءٌ ، قَالَ: إِنِّي وَاللهِ لأَرْجُو أَنْ أُخْدِمَك بَعْضَهُمْ ، ثُمَّ قَالَ:

إِنْ يُقْبِلُوا الْيَوْمَ فَمَالِي عِلَّةْ　　هَذَا سِلَاحٌ كَامِلٌ وَأَلَّهْ

وَذُو غِرَارَيْنِ سَرِيعُ السَّلَّة

ثُمَّ شَهِدَ الْخَنْدَمَةَ مَعَ صَفْوَانَ وَعِكْرِمَةَ وَسُهَيْلِ بْنِ عَمْرو فَلَمَّا لَقِيَهُمْ الْمُسْلِمُونَ نَاوَشُوهُمْ شَيْئًا مِنْ قِتَالٍ ، فَقُتِلَ كُرْزُ بْنُ جَابِرٍ الْفِهْرِيّ ، وَخُنَيْسُ بْنُ خَالِدِ بْنِ رَبِيعَةَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَكَانَا فِي خَيْلِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ ، فَشَذَّا عَنْهُ فَسَلَكَا طَرِيقًا غَيْرَ طَرِيقِهِ فَقُتِلَا جَمِيعًا ، وَأُصِيبَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ نَحْوُ اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا ، ثُمَّ انْهَزَمُوا وَانْهَزَمَ حِمَاسٌ صَاحِبُ السِّلَاحِ حَتَّىٰ دَخَلَ بَيْتَهُ ، فَقَالَ لِامْرَأَتِهِ : أَغْلِقِي عَلَيَّ بَابِي ، فَقَالَتْ : وَأَيْنَ مَا كُنْت تَقُولُ؟، فَقَالَ:

إِنَّكِ لَوْ شَهِدْتِ يَوْمَ الْخَنْدَمَةْ　　إِذْ فَرَّ صَفْوَانُ وَفَرَّ عِكْرِمَةْ

وَاسْتَقْبَلَتْنَا بِالسُّيُوفِ الْمُسْلِمَةْ　　يَقْطَعْنَ كُلَّ سَاعِدٍ وَجُمْجُمَهْ

ضَرْبًا فَلَا نَسْمَعُ إِلَّا غَمْغَمَهْ　　لَهُمْ نَهِيتٌ حَوْلَنَا وَهَمْهَمَهْ

لَمْ تَنْطِقِي فِي اللَّوْمِ أَدْنَى كَلِمَةْ (١)

وَأَسْتَغْفِرُ اللهُ .

---

(١) « زَادُ المِعَادِ » (٣/ ٤٠٤-٤٠٥).

كَيْفَ دَخَلَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ مَكَّةَ

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ :

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ أَشْرَفِ المُرْسَلِيْنَ ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

أَمَّا بَعْدُ :

فَتَقَدَّمَ الحَدِيْثُ مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنْ « **فَتْحِ مَكَّةَ** » .

وَالآنَ حَدِيْثِي مَعَكُمْ عَنْ« **كَيْفَ دَخَلَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مَكَّةَ**».

لَمْ يَدْخُلِ الرَّسُولُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مَكَّةَ -أَيُّهَا النَّاسُ- دُخُولَ الفَاتِحِيْنَ المُتَغَطْرِسِيْنَ ، بَلْ كَانَ خَاشِعًا للهِ شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ ، يَقْرَأُ سُورَةَ الفَتْحِ، وَيُرَجِّعُ فِي قِرَاءَتِهَا ، كَمَا جَاءَ ذَلِكَ فِي «صَحِيْحِ البُخَارِيِّ» (١) . وَكَانَ عَلَىٰ رَاحِلَتِهِ ، وَكَانَ دُخُولُ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مَكَّةَ مِنْ كَدَاءَ الَّتِي بِأَعْلَىٰ مَكَّةَ ، فَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ»(٢)، مِنْ حَدِيْثِ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- «أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- دَخَلَ عَامَ الفَتْحِ مِنْ كَدَاءٍ الَّتِي

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٢٨١) .
(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٢٩٠) ، وَمُسْلِمٌ (١٢٥٨) .

بِأَعْلَىٰ مَكَّةَ» .

وَكَانَ دُخُولُ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَكَّةَ مِنْ هَذَا المَكَانِ -أَيُّهَا النَّاسُ- كَانَ تَحْقِيقًا لِقَوْلِ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ حِيْنَ هَجَا قُرَيْشًا وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ خَيْلَ اللهِ سَتَدْخُلُ مِنْ كَدَاءَ .

فَفِي «صَحِيْحِ مُسْلِمٌ » (١)،مِنْ حَدِيْثِ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- قَالَتْ: قَالَ حَسَّانُ :

هَجَوْتَ مُحَمَّدًا فَأَجَبْتُ عَنْهُ ... وَعِنْدَ اللهِ فِي ذَاكَ الْجَزَاءُ
هَجَوْتَ مُحَمَّدًا بَرًّا تَقِيًا ... رَسُولَ اللهِ شِيمَتُهُ الْوَفَاءُ
فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعِرْضِي ... لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وِقَاءُ
ثَكِلْتُ بُنَيَّتِي إِنْ لَمْ تَرَوْهَا ... تُثِيرُ النَّقْعَ مِنْ كَنَفَيْ كَدَاءِ
يُبَارِينَ الأَعِنَّةَ مُصْعِدَاتٍ ... عَلَى أَكْتَافِهَا الأَسَلُ الظِّمَاءُ
تَظَلُّ جِيَادُنَا مُتَمَطِّرَاتٍ ... تُلَطِّمُهُنَّ بِالْخُمُرِ النِّسَاءُ
فَإِنْ أَعْرَضْتُمُوا عَنَّا اعْتَمَرْنَا ... وَكَانَ الْفَتْحُ وَانْكَشَفَ الْغِطَاءُ

ثُمَّ طَافَ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِالكَعْبَةِ ، اسْتَلَمَ الرُّكْنِ بِمِحْجَنِهِ كَرَاهَةَ أَنْ يُزَاحِمُ الطَّائِفِيْنَ وَتَعْلِيمًا لِأُمَّتِهِ ، جَاءَ ذَلِك فِي «سُنَنِ» أَبِي دَاوُدَ

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٤٩٠) .

بِسَنَدٍ حَسَنٍ [١] .

وَقَدْ بَيَّنَ الرَّسُولُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حُرْمَةَ مَكَّةَ، وَأَنَّهَا لا تُغْزَىٰ بَعْدَ الفَتْحِ، جَاءَ ذَلِكَ فِي سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ، بِسَنَدٍ حَسَنٍ [٢] .

كَمَا أَعْلَىٰ مِنْ مَكَانَةِ قُرَيْشٍ، فَأَعْلَنَ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّهُ «**لَا يُقْتَلُ قُرَشِيٌّ صَبْرًا بَعْدَ هَذَا الْيَوْمِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»، جَاءَ ذَلِكَ فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» [٣] .

وَقَدْ أَمَرَ الرَّسُولُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِتَحْطِيمِ الأَصْنَامِ وَتَطْهِيرِ البَيْتِ الحَرَامِ مِنْهَا، وَشَارَكَ ذَلِكَ بِيَدِهِ، فَكَانَ يَهْوِي بِقَوْسِهِ إِلَيْهَا فَتَسَاقَطُ وَهُوَ يَقْرَأُ ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾ [الإِسْرَاءُ: ٨١] . جَاءَ ذَلِكَ فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» [٤] .

وَكَانَ حَوْلَ البَيْتِ سِتُّونَ وَثَلاثُ مِائَةِ نُصُبٍ، جَاءَ ذَلِكَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» [٥]، وَلَطَّخَ بِالزَّعْفَرَانِ صُورَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ، وَهُمْ يَسْتَقْسِمُونَ بِالأَزْلَامِ، وَكَانَتْ هَذِهِ الصُّوَرُ دَاخِلَ الكَعْبَةِ، وَقَالَ: «**قَاتَلَهُمُ اللهُ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَسْتَقْسِمُ بِالأَزْلَامِ**» جَاءَ ذَلِكَ فِي «صَحِيحِ البُخَارِيِّ» [٦] .

---

(١) (حَسَنٌ) أَخْرَجَهُ «أَبُو دَاوُد» (١/ ٤٣٤) .
(٢) (حَسَنٌ) أَخْرَجَهُ «التِّرْمِذِيِّ» (٣/ ٨٣) .
(٣) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٧٨٢) .
(٤) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٧٨١) .
(٥) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٢٨٧)، وَمُسْلِمٌ (١٧٨١) .
(٦) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٢٨٨) .

وَفِي رِوَايَةٍ« لِلبُخَارِيِّ» أَنَّ صُورةَ مَرْيَمَ كَانَتْ دَاخِلَ الكَعْبَةِ .

وَجَاءَ فِي «صَحِيح البُخَارِيِّ» (٧)، أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- «**لَمْ يَدْخُلِ الكَعْبَةَ إِلَّا بَعْدَ أَنْ مُحِيَتْ هَذِهِ الصُّوَرُ مِنْهَا** » .

ثُمَّ دَخَلَ الكَعْبَةَ فَصَلَّىٰ فِيهَا رَكْعَتَيْنِ ، وَذَلِكَ بَيْنَ العَمُودَيْنِ المُقَدَّمَيْنِ مِنْهَا؛ وَكَانَتِ مَبْنِيَّةً عَلَىٰ سِتَّةِ أَعْمِدَةٍ مُتَوَازِيَةٍ ، وَقَدْ جَعَلَ بَابَ الكَعْبَةِ خَلْفَ ظَهْرِهِ وَتَرَكَ عَمُودَيْنِ عَنْ يَسَارِهِ وَعَمُودًا عَنْ يَمِينِهِ ، وَثَلاَثَةً وَرَاءَهُ ، جَاءَ ذَلِكَ فِي«الصَّحِيحَيْنِ»(٨)، ثُمَّ خَرَجَ فَدَعَا عُثْمَانَ بْن طَلْحَةَ فَأَعْطَاهُ مِفْتَاحُ الكَعْبَةِ، وَكَانَتْ الحِجَابَةُ فِي بَنِي شَيْبَةَ فِي الجَاهِلِيَّةِ فَأَبْقَاهَا بِأَيْدِيهِمْ ، كَمَا فِي «مُسْنَدِ عَبْدِ الرَّازِقِ » (٩) .

ثُمَّ إِنَّ الرَّسُولُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - اسْتَلَمَ الحَجَرَ الأَسْوَدَ وَطَافَ بِالبَيْتِ مُهَلِّلاً مُكَبِّرًا ذَاكِرًا شَاكِرًا ، وَكَانَ غَيْرَ مُحْرِم وَعَلَىٰ رَأْسِهِ المِغْفَر ، ثُمَّ لَبَسَ عِمَامَةً سَوْدَاءَ ، مِمَّا يَدُلُّ عَلَىٰ جَوَازِ دُخُولِ مَكَّةَ بِغَيْرِ إِحْرَامٍ لِمَنْ لَمْ يُرِدْ حَجًّا وَلاَ عُمْرَةً ، كَمَا فِي«الصَّحِيحَيْنِ»(١٠) .

وَهَكَذَا -أَيُّهَا النَّاسُ- تَمَّ تَطْهِيرُ البَيْتِ العَتِيقِ مِنْ مَظَاهِرِ الوَثَنِيَّة وَأَوْضَارِ الجَاهِلِيَّةِ لِيَعُودَ كَمَا أَرَادَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- وَكَمَا قَصَدَ بِبِنَائِهِ إِبْرَاهِيمُ

(٧) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٢٨٨) .
(٨) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٢٨٩) ، وَمُسْلِمٌ (١٣٩٩) .
(٩) « مُصَنَّفُ عَبْدُ الرَّزَّاق» (٥/ ٨٣-٨٤-٨٥) ، وَ«فَتْحُ البَارِيِّ» (٨/ ١٩) .
(١٠) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٢٨٩) ، وَمُسْلِمٌ (١٣٢٩) .

وَإِسْمَاعِيْلُ ، مَكَانًا لِعِبَادَةِ اللهِ وَتَوْحِيْدِهِ .

وَلاَ شَكَّ -أَيُّهَا النَّاسُ- أَنَّ تَطْهِيْرَ البَيْتِ مِنَ الأَصْنَامِ كَانَ أَكْبَرَ ضَرْبَةٍ لِلوَثَنِيَّةِ فِي أَرْجَاءِ الجَزِيْرَةِ العَرَبِيَّةِ ، حَيْثُ كَانَتْ الكَعْبَةُ أَعْظَمُ مَرَاكِزِهَا وَمَا أَنْ تَمَّ فَتْحُ مَكَّةَ وَطُهِّرَتِ الكَعْبَةُ حَتَّىٰ أَرْسَلَ الرَّسُولُ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- خَالِدَ بْنَ الوَلِيْدِ إِلَىٰ نَخْلَةَ لِهَدْمِ العُزَّىٰ الَّتِي كَانَتْ مُضَرُ جَمِيْعًا تُعَظِّمُهَا ، فَهَدَمَهَا (١) ، وَأَرْسَلَ عَمْرُو بْنَ العَاصِ إِلَىٰ سِوَاعَ صَنَمِ هُذَيْلٍ فَهَدَمَهُ (٢)، وَأَرْسَلَ سَعْدَ بْنَ زَيْدٍ الأَشْهَلِيِّ إِلَىٰ مَنَاةَ بِالمُشَلَّلِ (نَاحِيَةِ قَدِيْدٍ عَلَىٰ طَرِيْقِ مَكَّةَ - المَدِيْنَةِ) فَهَدَمَهَا (٣).

وَبِذَلِكَ -أَيُّهَا النَّاسُ- أُزِيْلَتْ أَكْبَرُ مَرَاكِزِ الوَثَنِيَّةِ، حَيْثُ ذَكَرَهَا القُرْآنُ الكَرِيْمُ ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ ﴾ [النَّجم : ١٩-٢٠] .

وَفِي فَتْحِ مَكَّةَ -أَيُّهَا النَّاسُ- نَزَلَتْ سُورَةُ النَّصْرُ، كَمَا جَاءَ فِي «صَحِيْحِ البُخَارِيِّ»(٤)، قَالَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴿٣﴾ ﴾ [النَّصْرُ :١-٣] (٥).

---

(١) « سِيْرَةُ ابْنِ هِشَامٍ» (٢/ ٤٣٦) ، وَ«طَبَقَاتُ ابْنِ سَعْدٍ» (٢/ ١٤٥) .
(٢) «طَبَقَاتُ ابْنِ سَعْدٍ» (٢/ ١٤٦) .
(٣) «طَبَقَاتُ ابْنِ سَعْدٍ» (٢/ ١٤٦) .
(٤) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٢٩٤) .
(٥) انْظُرْ : «السِّيْـرَةُ النَّبَوِيَّةُ الصَّحِيْحَةِ » لِلعِمَرِي بَاب: فَتْحُ مَكَّةَ ، فَقَدْ أَفَدْتُ مِنْهُ كَثِيْرًا .

رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ ، رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ .

رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ .

رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ .

وَسُبْحَانَكَ اللهُمَّ وَبِحَمْدِكَ،أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ،أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ.

٣٠ غَزْوَةُ حُنَيْنٍ

الخُطْبَةُ الأُولَى[١]:

إِنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمِدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلِ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾[النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأَحْزَاب:٧٠-٧١] .

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الأُمُورِ

مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ :

فَمَا زَالَ الحَدِيْثُ مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنِ السِّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ عَلَىٰ صَاحِبِهَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -، وَحَدِيْثِي مَعَكُمْ اليَوْمَ عَنْ « **غَزْوَةِ حُنَيْنٍ** » .

فَبَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ -أَيُّهَا النَّاسُ- سَقَطَتْ زَعَامَةُ قُرَيْشٍ ، فَحَمَلَتْ هَوَازِنُ رَايَةَ الشِّرْكِ، وَهِيَ قَبِيْلَةٌ عَرَبِيَّةٌ شَهِيْرَةٌ مُضَرِيَّةٌ عَدْنَانِيَّةٌ، مِنْهَا فُرُوعٌ جَمَّةٌ غَزِيْرَةٌ، مِنْهَا ثَقِيْفٌ الَّتِي اسْتَقَرَّتْ فِي الطَّائِفِ الحَصِيْنَةِ فِي حِيْنَ انْتَشَرَتْ بُطُونُ هَوَازِنَ الأُخْرَىٰ عَلَىٰ سَاحِلِ البَحْرِ الأَحْمَرِ مِنْ حُدُودِ الشَّامِ إِلَىٰ حُدُودِ اليَمَنِ ، تَجَمَّعَتْ هَذِهِ القَبِيْلَةُ فِي «حُنَيْنٍ» وَالَّتِي لاَ تَبْعُدُ عَنْ مَكَّةَ سِوَىٰ عِشْرِيْنَ كَيْلاً شَرْقِي مَكَّةَ ، وَتُعْرَفُ الآنَ بِالشَّرَائِعِ [١].

وَكَانَ عَدَدَ جَيْشِ هَوَازِنَ كَمَا ذَكَرَ الوَاقِدِيُّ عِشْرِيْنَ أَلْفًا [٢] ، وَرَجَّحَ ذَلِكَ الحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ فِي «الفَتْحِ» [٣] ، وَذَلِكَ بِقِيَادَةِ مَالِكِ بْنِ عَوْفٍ النَّصْرِيِّ ، وَكَانَ فِي الثَّلَاثِيْنَ مِنْ عُمُرِهِ، وَقَدْ عُرِفَ بِالشَّجَاعَةِ وَحُسْنِ البَلَاءِ فِي القِتَالِ، وَأَسْلَمَ فِيمَا بَعْدُ وَحَسُنَ إِسْلَامُهُ ، فَاسْتَعْمَلَهُ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ مِنْ قَوْمِهِ [٤].

---

(١) انْظُرْ : «السِّيـرَةُ النَّبَوِيَّةُ الصَّحِيْحَة » لِلعِمَرِي (٢/ ٤٨٩) .
(٢) «مَغَازِي الوَاقدي » (٣/ ٨٩٣) .
(٣) «فَتْحُ البَارِيّ» (٨/ ٢٩) .
(٤) «الفُصُولُ » لِابْنِ كَثِيْرٍ (٢٤١) .

فَفِي مُسْتَدَرَكِ «الحَاكِم» بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ صَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي «إِرْوَاءِ الغَلِيْلِ»[1] ، مِنْ حَدِيْث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-، أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- سَارَ إِلَىٰ حُنَيْنٍ لَمَّا فَرَغَ مِنْ فَتْحِ مَكَّةَ، جَمَعَ مَالِكَ بْنَ عَوْفٍ النَّصْرِيَّ مِنْ بَنِي نَصْرٍ، وَجُشَمَ وَمِنْ سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ، وَأَوْزَاعَ مِنْ بَنِي هِلَالٍ، وَنَاسًا مِنْ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَاصِمِ بْنِ عَوْفِ بْنِ عَامِرٍ، وَأَوْزَعَتْ مَعَهُمُ الْأَحْلَافُ مِنْ ثَقِيفٍ، وَبَنُو مَالِكٍ، ثُمَّ سَارَ بِهِمْ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَسَارَ مَعَ الْأَمْوَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْأَبْنَاءِ.

فَلَمَّا سَمِعَ بِهِمْ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بَعَثَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي حَدْرَدٍ الْأَسْلَمِيَّ، فَقَالَ: « اذْهَبْ فَادْخُلْ بِالْقَوْمِ حَتَّىٰ تَعْلَمَ لَنَا مِنْ عِلْمِهِمْ ».

فَدَخَلَ فَمَكَثَ فِيهِمْ يَوْمًا أَوْ يَوْمَيْنِ، ثُمَّ أَقْبَلَ فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ: أَلَا تَسْمَعُ مَا يَقُولُ ابْنُ أَبِي حَدْرَدٍ؟، فَقَالَ عُمَرُ: كَذَبَ ابْنُ أَبِي حَدْرَدٍ، فَقَالَ ابْنُ أَبِي حَدْرَدٍ: إِنْ كَذَّبْتَنِي فَرُبَّمَا كَذَّبْتَ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي، فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَا تَسْمَعُ مَا يَقُولُ ابْنُ أَبِي حَدْرَدٍ؟.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **قَدْ كُنْتَ يَا عُمَرُ ضَالًّا**

---

(١) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ الحَاكِمُ(٣/ ٤٨)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «إِرْوَاءِ الغَلِيْلِ» (١٥١٥).

فَهَدَاكَ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- » .

ثُمَّ بَعَثَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِلَىٰ صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ فَسَأَلَهُ أَدْرَاعًا مِائَةَ دِرْعٍ ، وَمَا يُصْلِحُهَا مِنْ عِدَّتِهَا ، فَقَالَ: أَغَصْبًا يَا مُحَمَّدُ ؟، قَالَ: « **بَلْ عَارِيَةٌ مَضْمُونَةٌ حَتَّى نُؤَدِّيَهَا إِلَيْكَ** » ، ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- سَائِرًا » .

وَقَدْ سَارَ مَعَ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَشَرَةُ آلَافٍ مِنَ الَّذِيْنَ كَانُوا مَعَهُ فِي الفَتْحِ ، وَأَلْفَانِ مِنْ طُلَقَاءِ مَكَّةَ، وَشَهِدَ مَعَهُ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ حُنَيْنًا، وَهُو مُشْرِكٌ ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي خَمْسٍ خَلَتْ مِنْ شَوَّالٍ مِنَ السَّنَةِ الثَّامِنَةِ لِلهِجْرَةِ، وَمَرَّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلَىٰ شَجَرَةٍ يُعَظِّمُهَا الْمُشْرِكُونَ ، يُقَالُ لَهَا ذَاتُ أَنْوَاطٍ ، فَقَالَ بَعْضُ جُهَّالِ الأَعْرَابِ : اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **قُلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى لِمُوسَى:** ﴿ **قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ** ﴾ [الْأَعْرَاف: ١٣٨] ، **لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قبلكُمْ** » . جَاءَ ذَلِكَ فِي «مُسْنَدِ» أَحْمَدَ بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ صَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي «مَوَارِدِ الظَّمْآنِ» (١) .

ثُمَّ نَهَضَ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَوَافَىٰ حُنَيْنَ وَهُوَ وَادٍ مِنْ أَوْدِيَةِ تِهَامَةَ،

(١) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٥/ ٩٨) ،وَالتِّرْمِذِيُّ(٢١٨٠) ، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «مَوَارِدِ الظَّمْآنِ» (١٥٤٠).

وَقَدْ كَمَنَّتْ لَهُمْ هَوَازِنُ فِيهِ ، وَذَلِكَ فِي عِمَايَةِ الصُّبْحِ -أَيْ ظَلَامُهُ- فَحَمَلُوا عَلَى الْمُسْلِمِينَ حَمْلَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ، فَوَلَّى الْمُسْلِمُونَ لَا يَلْوِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، جَاءَ ذَلِكَ فِي «مُسْنَدِ» أَحْمَدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «فِقْهِ السِّيرَةِ»[١].

فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [التَّوْبَة:٢٥-٢٦] .

وَثَبَتَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَلَمْ يَفِرَّ وَمَعَهُ مِنَ الصَّحَابَةِ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ ، وَعَلِيٌّ ، وَعَمُّهُ الْعَبَّاسُ وَأَبْنَاهُ الْفَضْلُ وَقُثَمُ وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَابْنُهُ جَعْفَرُ ، وَآخَرُونَ .

فَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»[٢]، عَنْ كَثِيرِ بْنِ عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ قَالَ: قَالَ عَبَّاسٌ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَوْمَ حُنَيْنٍ ، فَلَزِمْتُ أَنَا وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَلَمْ نُفَارِقْهُ ، وَرَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلَى بَغْلَةٍ لَهُ بَيْضَاءَ أَهْدَاهَا لَهُ فَرْوَةُ بْنُ نُفَاثَةَ الْجُذَامِيُّ ، فَلَمَّا الْتَقَى الْمُسْلِمُونَ

(١) (صَحِيحٌ) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٣/ ٣٧٦-٣٧٧)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «تَخْرِيجِ فِقْهِ السِّيرَةِ» (٤٢٢).
(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٧٧٥) .

وَالْكُفَّارُ وَلَّىٰ الْمُسْلِمُونَ مُدْبِرِينَ ، فَطَفِقَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَرْكُضُ بَغْلَتَهُ قِبَلَ الْكُفَّارِ.

قَالَ عَبَّاسٌ : وَأَنَا آخِذٌ بِلِجَامِ بَغْلَةِ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَكُفُّهَا إِرَادَةَ أَنْ لَا تُسْرِعَ وَأَبُو سُفْيَانَ آخِذٌ بِرِكَابِ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **أَيْ عَبَّاسُ نَادِ أَصْحَابَ السَّمُرَةِ** » ، فَقَالَ عَبَّاسٌ : وَكَانَ رَجُلًا صَيِّتًا ، فَقُلْتُ بِأَعْلَىٰ صَوْتِي أَيْنَ أَصْحَابُ السَّمُرَةِ ، قَالَ : فَوَاللهِ لَكَأَنَّ عَطْفَتَهُمْ حِينَ سَمِعُوا صَوْتِي عَطْفَةُ الْبَقَرِ عَلَىٰ أَوْلَادِهَا ، فَقَالُوا : يَا لَبَّيْكَ يَا لَبَّيْكَ ، قَالَ: فَاقْتَتَلُوا وَالْكُفَّارَ، وَالدَّعْوَةُ فِي الْأَنْصَارِ ، يَقُولُونَ: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ ، يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ .

قَالَ: ثُمَّ قُصِرَتْ الدَّعْوَةُ عَلَىٰ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ ، فَقَالُوا: يَا بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ ، يَا بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ ، فَنَظَرَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَهُوَ عَلَىٰ بَغْلَتِهِ كَالْمُتَطَاوِلِ عَلَيْهَا إِلَىٰ قِتَالِهِمْ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : **هَذَا حِينَ حَمِيَ الْوَطِيسُ ، قَالَ: ثُمَّ أَخَذَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حَصَيَاتٍ فَرَمَىٰ بِهِنَّ وُجُوهَ الْكُفَّارِ ثُمَّ قَالَ:** « **انْهَزَمُوا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ** » .

قَالَ : فَذَهَبْتُ أَنْظُرُ ، فَإِذَا الْقِتَالُ عَلَىٰ هَيْئَتِهِ فِيمَا أَرَىٰ ، قَالَ : فَوَاللهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَمَاهُمْ بِحَصَيَاتِهِ ، فَمَا زِلْتُ أَرَىٰ حَدَّهُمْ كَلِيلًا وَأَمْرَهُمْ مُدْبِرًا » .

قَالَ النَّوَوِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- : « قَالَ الْعُلَمَاءُ : فِي هَذَا الْحَدِيثِ دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّ

فِرَارَهُمْ لَمْ يَكُنْ بَعِيدًا ، وَأَنَّهُ لَمْ يَحْصُلِ الْفِرَارُ مِنْ جَمِيعِهِمْ ، وَإِنَّمَا فَتَحَهُ عَلَيْهِمْ مَنْ فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ مِنْ مُسْلِمَةِ أَهْلِ مَكَّةَ الْمُؤَلَّفَةِ ، وَمُشْرِكِيهَا الَّذِينَ لَمْ يَكُونُوا أَسْلَمُوا ، وَإِنَّمَا كَانَتْ هَزِيمَتُهُمْ فَجْأَةً لِانْصِبَابِهِمْ عَلَيْهِمْ دَفْعَةً وَاحِدَةً ، وَرَشْقِهِمْ بِالسِّهَامِ ، وَلِاخْتِلَاطِ أَهْلِ مَكَّةَ مَعَهُمْ مِمَّنْ لَمْ يَسْتَقِرَّ الْإِيمَانُ فِي قَلْبِهِ، وَمِمَّنْ يَتَرَبَّصُ بِالْمُسْلِمِينَ الدَّوَائِرَ ، وَفِيهِمْ نِسَاءٌ وَصِبْيَانٌ خَرَجُوا لِلْغَنِيمَةِ ، فَتَقَدَّمَ إِخْفَاؤُهُمْ فَلَمَّا رَشَقُوهُمْ بِالنَّبْلِ وَلَّوْا فَانْقَلَبَتْ أُولَاهُمْ عَلَىٰ أُخْرَاهُمْ ، إِلَىٰ أَنْ أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ كَمَا ذَكَرَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- فِي الْقُرْآنِ (١).

فَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٌ» (٢) ، مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: أَنَّ أُمَّ سُلَيْمٍ اتَّخَذَتْ يَوْمَ حُنَيْنٍ خِنْجَرًا -أَيْ سِكِّينًا-، فَكَانَ مَعَهَا فَرَآهَا أَبُو طَلْحَةَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ هَذِهِ أُمُّ سُلَيْمٍ مَعَهَا خِنْجَرٌ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- « **مَا هَذَا الْخِنْجَرُ ؟** » .

قَالَتْ : اتَّخَذْتُهُ إِنْ دَنَا مِنِّي أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ بَقَرْتُ بِهِ بَطْنَهُ ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَضْحَكُ ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ ، اقْتُلْ مَنْ بَعْدَنَا مِنَ الطُّلَقَاءِ انْهَزَمُوا بِكَ،فَقَالَ رَسُولُ اللهِ-صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**يَا أُمَّ سُلَيْمٍ إِنَّ اللهَ قَدْ كَفَى وَأَحْسَنَ** » .

(١) « شَرْحُ النَّوَوِيِّ عَلَىٰ مُسْلِم » (١٢/ ١١٥) .
(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٨٠٩) .

وَالطُّلَقَاءُ -أَيُّهَا النَّاسُ- هُمُ الَّذِيْنَ أَسْلَمُوا يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ، سُمُّوا بِذَلِكَ لأَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مَنَّ عَلَيْهِمْ وَأَطْلَقَهُمْ، وَكَانَ فِي إِسْلامِهِمْ ضَعْفٌ، فَاعْتَقَدَتْ أُمُّ سَلِيمٍ أَنَّهُمْ مُنَافِقُونَ، يَسْتَحِقُّونَ الْقَتْلَ لانْهِزَامِهِمْ، وَقَوْلُهَا: (انْهَزَمُوا بِكَ) أَيْ: انْهَزَمُوا عَنْكَ، أَيْ: أَنَّهُمْ كَانُوا سَبَبَ الهَزِيْمَةِ.

لَقَدْ أَسْفَرَتِ المَعْرَكَةُ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَلَىٰ فَتْحٍ مُبِيْنٍ وَنَصْرٍ عَظِيْمٍ، فَقَدْ فَرَّتْ هَوَازِنُ بَيْنَ يَدَيِّ المُسْلِمِيْنَ، وَالمُسْلِمُونَ يَتَّبِعُونَهُمْ يَقْتُلُونَ وَيَأْسِرُونَ، فَلَمْ يَرْجِعْ آخِرُ الصَّحَابَةِ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِلَّا وَالأَسَارَىٰ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَحَازَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَمْوَالَهُمْ وَعِيَالَهُمْ [١].

وَانْحَازَتْ طَوَائِفُ مِنْ هَوَازِنَ إِلَىٰ أَوْطَاسٍ، فَبَعَثَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِلَيْهِمْ أَبَا عَامِرٍ الأَشْعَرِيِّ.

فَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ» [٢]، مِنْ حَدِيْثِ أَبِي مُوسَىٰ الأَشْعَرِيِّ- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: لَمَّا فَرَغَ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِنْ حُنَيْنٍ بَعَثَ أَبَا عَامِرٍ عَلَىٰ جَيْشٍ إِلَىٰ أَوْطَاسٍ، فَلَقِيَ دُرَيْدَ بْنَ الصِّمَّةِ، فَقُتِلَ دُرَيْدٌ، وَهَزَمَ اللهُ أَصْحَابَهُ، فَقَالَ أَبُو مُوسَىٰ: وَبَعَثَنِي مَعَ أَبِي عَامِرٍ، قَالَ: فَرُمِيَ أَبُو عَامِرٍ فِي رُكْبَتِهِ رَمَاهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي جُشَمٍ بِسَهْمٍ، فَأَثْبَتَهُ فِي رُكْبَتِهِ فَانْتَهَيْتُ إِلَيْهِ،

(١) «الفُصُولُ فِي سِيْرَةِ الرَّسُولِ» لابْنِ كَثِيْرٍ (٢٣٧).
(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٣٢٣)، وَمُسْلِمٌ (٢٤٩٨).

فَقُلْتُ يَا عَمِّ : مَنْ رَمَاكَ ؟ فَأَشَارَ أَبُو عَامِرٍ ، إِلَىٰ أَبِي مُوسَىٰ ، فَقَالَ : إِنَّ ذَاكَ قَاتِلِي تَرَاهُ ذَلِكَ الَّذِي رَمَانِي .

قَالَ أَبُو مُوسَىٰ : فَقَصَدْتُ لَهُ فَاعْتَمَدْتُهُ فَلَحِقْتُهُ ، فَلَمَّا رَآنِي وَلَّىٰ عَنِّي ذَاهِبًا فَاتَّبَعْتُهُ وَجَعَلْتُ أَقُولُ لَهُ أَلَا تَسْتَحْيِي ، أَلَسْتَ عَرَبِيًّا أَلَا تَثْبُتُ فَكَفَّ، فَالْتَقَيْتُ أَنَا وَهُوَ فَاخْتَلَفْنَا أَنَا وَهُوَ ضَرْبَتَيْنِ ، فَضَرَبْتُهُ بِالسَّيْفِ فَقَتَلْتُهُ ، ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَىٰ أَبِي عَامِرٍ ، فَقُلْتُ : إِنَّ اللَّهَ قَدْ قَتَلَ صَاحِبَكَ ، قَالَ : فَانْزِعْ هَذَا السَّهْمَ فَنَزَعْتُهُ ، فَنَزَا مِنْهُ الْمَاءُ - أَيْ ظَهَرَ وَجَرَىٰ - ، فَقَالَ يَا ابْنَ أَخِي : انْطَلِقْ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَأَقْرِئْهُ مِنِّي السَّلَامَ وَقُلْ لَهُ ، يَقُولُ لَكَ أَبُو عَامِرٍ : اسْتَغْفِرْ لِي .

قَالَ : وَاسْتَعْمَلَنِي أَبُو عَامِرٍ عَلَىٰ النَّاسِ ، وَمَكَثَ يَسِيرًا ، ثُمَّ إِنَّهُ مَاتَ ، فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَىٰ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، دَخَلْتُ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي بَيْتٍ عَلَىٰ سَرِيرٍ مُرْمَلٍ وَعَلَيْهِ فِرَاشٌ ، وَقَدْ أَثَّرَ رِمَالُ السَّرِيرِ بِظَهْرِ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَجَنْبَيْهِ ، فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبَرِنَا وَخَبَرِ أَبِي عَامِرٍ ، وَقُلْتُ لَهُ : قَالَ : قُلْ لَهُ يَسْتَغْفِرْ لِي .

فَدَعَا رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -بِمَاءٍ فَتَوَضَّأَ مِنْهُ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ : «**اللهُمَّ اغْفِرْ لِأَبِي عَامِرٍ عَبْدِكَ** »، حَتَّىٰ رَأَيْتُ بَيَاضَ إِبْطَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ: «**اللهُمَّ اجْعَلْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَوْقَ كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِكَ أَوْ مِنَ النَّاسِ** » .

فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ وَلِي، فَاسْتَغْفِرْ، فَقَالَ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**اللهُمَّ اغْفِرْ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ قَيْسٍ ذَنْبَهُ، وَأَدْخِلْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُدْخَلًا كَرِيمًا**».

وَكَانَ أَبِي عَامِرٍ -أَيُّهَا النَّاسُ- رَابِعَ أَرْبَعَةٍ، اسْتُشْهِدَ يَوْمَ حُنَيْنٍ، وَالثَّانِي أَيْمَنُ ابْنُ أُمِّ أَيْمَنَ، وَالثَّالِثُ يَزِيدُ بْنُ زَمعَةَ بْنِ الأَسْوَدِ، وَأَمَّا الْمُشْرِكُونَ فَقُتِلَ مِنْهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ»(١).

وَأَسْتَغْفِرُ اللهُ.

---

(١) «الفُصُولُ فِي سِيرَةِ الرَّسُولِ» لِابْنِ كَثِيرٍ (٢٣٧).

غَزْوَةُ الطَّائِفِ

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ :

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ أَشْرَفِ المُرْسَلِيْنَ ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

أَمَّا بَعْدُ :

فَتَقَدَّمَ الحَدِيْثُ مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنْ « **غَزْوَةِ حُنَيْنٍ** » .

وَالآنَ حَدِيْثِي مَعَكُمْ عَنْ « **غَزْوَةِ الطَّائِفِ** ».

فَبَعْدَ أَنْ شَتَّتَ المُسْلِمُونَ هَوَازِنَ وَتَعَقَّبُوهَا فِي نَخْلَةِ وَأُوْطَاسٍ، اتَّجَهُوا إِلَىٰ مَدِيْنَةِ الطَّائِفِ الَّتِي تَحَصَّنَتْ فِيْهَا ثَقِيْفٌ ، وَمَعَهُمْ مَالِكُ بْنُ عَوْفِ النَّصْرِيِّ قَائِدُ هَوَازِنَ .

وَكَانَتْ الطَّائِفُ -أَيُّهَا النَّاسُ- تَمْتَازُ بِمَوْقِعِهَا الجَبَلِيِّ وبِأَسْوَارِهَا القَوِيَّةِ وَحُصُونِهَا الدِّفَاعِيَّةِ وَلَيْسَ إِلَيْهَا مَنْفَذٌ سِوَىٰ الأَبْوَابِ الَّتِي أَغْلَقَتْهَا ثَقِيْفٌ بَعْدَ أَنْ أَدْخَلَتْ مِنَ الأَقْوَاتِ مَا يَكْفِي لِسَنَةٍ كَامِلَةٍ ، وَهَيَّأَتْ مِنْ وَسَائِلِ الحَرْبِ مَا يَكْفُلُ لَهَا الصُّمُودَ طَوِيْلاً (١) .

---

(١) انْظُرْ : « السِّيْـرَةُ النَّبَوِيَّةُ الصَّحِيْحَةِ » لِلعِمَرِي (٥٠٧) .

فَحَاصَرَ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَهْلَ الطَّائِفِ بِضْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً[١].

فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»[٢]، مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ: حَاصَرَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَهْلَ الطَّائِفِ، فَلَمْ يَنَلْ مِنْهُمْ شَيْئًا، فَقَالَ: «**إِنَّا قَافِلُونَ إِنْ شَاءَ اللهُ**»، قَالَ أَصْحَابُهُ: نَرْجِعُ وَلَمْ نَفْتَحْهُ؟ فَقَالَ: «**اغْدُوا عَلَى الْقِتَالِ**»، فَغَدَوْا عَلَيْهِ فَأَصَابَهُمْ جِرَاحٌ.

فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**إِنَّا قَافِلُونَ غَدًا، فَأَعْجَبَهُمْ ذَلِكَ، فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-**».

قَالَ النَّوَوِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ-: «أَنَّهُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَصَدَ الشَّفَقَةَ عَلَىٰ أَصْحَابِهِ وَالرِّفْقَ بِهِمْ بِالرَّحِيلِ عَنِ الطَّائِفِ لِصُعُوبَةِ أَمْرِهِ، وَشِدَّةِ الْكُفَّارِ الَّذِينَ فِيهِ، وَتَقْوِيَتِهِمْ بِحِصْنِهِمْ وَمَعَ أَنَّهُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلِمَ أَوْ رَجَا أَنَّهُ سَيَفْتَحُهُ بَعْدَ هَذَا بِلَا مَشَقَّةٍ كَمَا جَرَىٰ، فَلَمَّا رَأَىٰ حِرْصَ أَصْحَابِهِ عَلَىٰ الْمُقَامِ وَالْجِهَادِ أَقَامَ، وَجَدَّ فِي الْقِتَالِ، فَلَمَّا أَصَابَتْهُمُ الْجِرَاحُ رَجَعَ إِلَىٰ مَا كَانَ قَصَدَهُ أَوَّلًا مِنَ الرِّفْقِ بِهِمْ فَفَرِحُوا بِذَلِكَ لِمَا رَأَوْا مِنَ الْمَشَقَّةِ الظَّاهِرَةِ، وَلَعَلَّهُمْ نَظَرُوا فَعَلِمُوا أَنَّ رَأْيَ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَبْرَكُ وَأَنْفَعُ وَأَحْمَدُ عَاقِبَةً، وَأَصْوَبُ مِنْ رَأْيِهِمْ، فَوَافَقُوا عَلَىٰ الرَّحِيلِ، وَفَرِحُوا فَضَحِكَ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- تَعَجُّبًا مِنْ سُرْعَةِ تَغَيُّرِ رَأْيِهِمْ. وَاللهُ أَعْلَمُ»[٣].

---

(١) «جَوَامِعُ السِّيرَة» لابْنِ حَزْمٍ (٢٣٧).
(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٣٢٥)، وَمُسْلِمٌ (١٧٧٨).
(٣) «شَرْحُ النَّوَوِيِّ عَلَىٰ مُسْلِمٍ» هَامِشٌ (١٢/ ١٢٤).

وَقَدْ وَجَهَ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- نِدَاءً إِلَىٰ عَبِيْدِ الطَّائِف أَنَّ مَنْ يَنْزِلُ مِنْهُمْ مِنَ الحِصْنِ وَيَخْرُجُ إِلَىٰ المُسْلِمِيْنَ فَهُوَ حُرٌّ ، فَخَرَجَ ثَلاثَةٌ وَعِشْرُونَ مِنَ العَبِيْدِ ، مِنْهُمْ أَبُو بَكْرَةَ الثَّقَفِيُّ ، فَأَسْلَمُوا فَأَعْتَقَهُمْ .

فَفِي «صَحِيْحِ البُخَارِيِّ» (١) مِنْ حَدِيْثِ أَبِي الْعَالِيَةِ أَوْ أَبِي عُثْمَانَ النَّهْدِيِّ قَالَ : « سَمِعْتُ سَعْدًا وَأَبَا بَكْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قَالَ عَاصِمٌ: قُلْتُ: لَقَدْ شَهِدَ عِنْدَكَ رَجُلَانِ حَسْبُكَ بِهِمَا، قَالَ: أَجَلْ، أَمَّا أَحَدُهُمَا، فَأَوَّلُ مَنْ رَمَىٰ بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَنَزَلَ إِلَىٰ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ثَالِثَ ثَلَاثَةٍ وَعِشْرِينَ مِنْ الطَّائِفِ » .

قَالَ ابْنُ القَيِّم -رَحِمَهُ اللهُ- : «وَاسْتُشْهِدَ مَعَ رَسُول اللهِ - صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِالطَّائِف جَمَاعَةٌ ، ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنَ الطَّائِف إِلَىٰ الْجِعْرَانَةِ ، ثُمَّ دَخَلَ مِنْهَا مُحْرِمًا بِعُمْرَةٍ فَقَضَىٰ عُمْرَتَهُ ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ » (٢) .

اللهُمَ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْإِيمَانَ وَزَيِّنْهُ فِي قُلُوبِنَا، وَكَرِّهْ إِلَيْنَا الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الرَّاشِدِينَ.

اللهُمَّ تَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ وَأَحْيِنَا مُسْلِمِينَ وَأَلْحِقْنَا بِالصَّالِحِينَ غَيْرَ خَزَايَا وَلَا مَفْتُونِينَ .

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٣٢٧) .
(٢) « زَادُ المَعَادِ» (٣/ ٤٩٨) .

اللهُمَّ قَاتِلْ الْكَفَرَةَ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ رُسُلَكَ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِكَ، وَاجْعَلْ عَلَيْهِمْ رِجْزَكَ وَعَذَابَكَ ، اللهُمَّ قَاتِلْ الْكَفَرَةَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَهَ الْحَقِّ .

وَسُبْحَانَكَ اللهُمَّ وَبِحَمْدِكَ،أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ،أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ.

٣١ غَنَائِمُ حُنَيْنٍ

الخُطْبَةُ الأُولَى[1]:

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ،نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾[النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ [الأَحْزَاب:٧٠-٧١] .

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ

مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ :

فَمَا زَالَ الحَدِيْثُ مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنِ السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ عَلَىٰ صَاحِبِهَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -، وَحَدِيْثِي مَعَكُمْ اليَوْمَ عَنْ « **غَنَائِمِ حُنَيْنٍ** » .

أَيُّهَا النَّاسُ لَقَدْ بَشَّرَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- المُسْلِمِيْنَ بِغَنَائِمِ كَثِيْرَةٍ مِنْهَا غَنَائِمُ حُنَيْنٍ.

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ **وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ** ﴾ [الفَتْحُ:٢٠] .

قَالَ العُلَمَاءُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ :﴿ **وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ** ﴾ أَيْ مِنَ الفُتُوحَاتِ الإِسْلَامِيَّةِ الَّتِي وَصَلَتْ إِلَىٰ الأَنْدَلُسِ شَرْقًا .

وَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ :﴿ **فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ** ﴾ أَيْ غَنِيْمَةَ خَيْبَرَ » (١).

وَقَدْ بَشَّرَ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- المُسْلِمِيْنَ بِأَنَّ غَنَائِمَ حُنَيْنٍ مِنْ نَصِيْبِهِمْ ، فَفِي «سُنَنِ» أَبِي دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ صَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيْحِ أَبِي دَاوُدَ» (٢)، مِنْ حَدِيْثِ سَهْلِ بْنِ الحَنْظَلِيَّةِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- «أَنَّهُمْ سَارُوا

---

(١) « تَفْسِيْرُ الجَزَائِرِيِّ» (٥/ ٥٠٨) .

(٢)(صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ أَبو دَاوُد (٢٥٠١) ، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «صَحِيحِ أَبِي دَاوُدَ» (٢١٨٣).

مَعَ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَوْمَ حُنَيْنٍ فَأَطْنَبُوا السَّيْرَ حَتَّىٰ كَانَ عَشِيَّةٌ ، فَحَضَرَتْ صَلَاةُ الظُّهْرِ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَجَاءَ رَجُلٌ فَارِسٌ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنِّي انْطَلَقْتُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ حَتَّىٰ طَلَعْتُ جَبَلَ كَذَا وَكَذَا، فَإِذَا أَنَا بِهَوَازِنَ عَنْ بَكْرَةِ أَبِيهِمْ بِظُعُنِهِمْ وَبِنَعَمِهِمْ وَشَائِهِمْ، اجْتَمَعُوا إِلَىٰ حُنَيْنٍ ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَقَالَ : « **تِلْكَ غَنِيمَةُ الْمُسْلِمِينَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللهُ** » .

أَيُّهَا النَّاسُ لَقَدْ جُمِعَتْ غَنَائِمُ حُنَيْنٍ إِلَىٰ الْجُعْرَانَةِ ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قَدْ أَخَّرَ قِسْمَتَهَا حَتَّىٰ بَعْدَ عَوْدَتِهِ مِنَ الطَّائِفِ ، وَانْتَظَرَ بِضْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً مُنْتَظِرًا قُدُومَ هَوَازِنَ عَلَيْهِ وَدُخُولَهَا فِي الإِسْلَامِ ، لَكِنَّهَا أَبْطَأَتْ عَلَيْهِ ، فَقَسَّمَ الْغَنَائِمَ ، جَاءَ ذَلِكَ فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» (١) .

وَالأَصْلُ -أَيُّهَا النَّاسُ- أَنَّ الْغَنِيمَةَ تُؤْخَذُ مِنْهَا الْخُمُسُ يَتَصَرَّفُ فِيهَا رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَفْقًا لِتَوْجِيهِ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ ۞ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [الأَنْفَالُ : ٤١] .

وَأَمَّا الأَرْبَعَةُ الأَخْمَاسُ الأُخْرَىٰ -أَيُّهَا النَّاسُ- فَهِيَ حِصَّةُ الْمُقَاتِلِينَ الَّذِينَ شَهِدُوا الْقِتَالَ ، تُوَزَّعُ بَيْنَهُمْ بِالتَّسَاوِي ، لِلرَّاجِلِ سَهْمٌ ، وَلِلْفَارِسِ ثَلَاثَةُ أَسْهُمٍ ، سَهْمٌ لَهُ وَسَهْمَانِ لِفَرَسِهِ ، هَذَا -أَيُّهَا النَّاسُ- فِي الْغَنَائِمِ الْمَنْقُولَةِ.

---

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٣١٩) .

وَأَمَّا الغَنَائِمُ غَيْرُ المَنْقُولَةِ فَالإِمَامُ مُخَيَّرٌ فِيْهَا بَيْنَ قِسْمَتِهَا أَوْ وَقْفِهَا وَاعْتِبَارِهَا مِلْكًا لِلدَّوْلَةِ ، وَالأَمْوَالُ الَّتِي يَحُوزُهَا المُسْلِمُونَ فِي القِتَالِ ، وَهِيَ الغَنِيْمَةُ كَمَا سَبَقَ ، وَأَمَّا الأَمْوَالُ الَّتِي يَحُوزُنَهَا دُونَ قِتَالٍ فَتُسَمَّىٰ بِالفَيْءِ ، وَيُصْرَفُ فِي المَصَالِحِ العَامَّةِ وِفْقًا لاجْتِهَادِ الحَاكِمِ ، وَقَدْ يُعْطِي الحَاكِمُ النَّفْلَ لِبَعْضِ المُقَاتِلِيْنَ لِحُسْنِ بَلائِهِمْ حَسَبَ اجْتِهَادِهِ ، وَيَجُوزُ لِلحَاكِمِ أَنْ يَنْفُلَ هَؤُلاَءِ المُقَاتِلِيْنَ المُبَرِّزِيْنَ مِنَ الغَنِيْمَةِ قَبْلَ إِخْرَاجِ الخُمُسِ مِنْهَا أَوْ بَعْدَهَا ، كَمَا يَجُوزُ أَنْ يُعْطِيَهُمْ مِنَ الخُمُسِ، وَكَذَلِكَ يَأْذَنُ لَهُمْ بِأَخْذِ سَلَبِ مَنْ قَتَلُوهُ (١) .

كَمَا يَجُوزُ لِلحَاكِمِ -أَيُّهَا النَّاسُ- أَنْ يَصْرِفَ الغَنَائِمَ بَعْضَهَا أَوْ كُلَّهَا يَتَأَلَّفُ بِهَا بَعْضَ النَّاسِ مِنْ أَجْلِ الدُّخُولِ فِي هَذَا الدِّيْنِ ، أَوْ لِيَتَمَكَّنَ مَعَانِي الإِيْمَانِ فِي قُلُوبِهِمْ ، تِلْكَ -أَيُّهَا النَّاسُ- خُلاَصَةُ أَحْكَامِ الغَنَائِمِ .

وَقَدْ حَظِيَ بِهَذِهِ الغَنَائِمِ -أَيُّهَا النَّاسُ- الطُّلَقَاءُ وَالأَعْرَابُ تَأْلِيْفًا لِقُلُوبِهِمْ لِقُرْبِ عَهْدِهِمْ بِالإِسْلَامِ وَعَدَمِ تَمَكُّنِ مَعَانِي الإِيْمَانِ فِي قُلُوبِهِمْ .

فَأَعْطَىٰ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِائَةً مِنَ الإِبِلِ لِكُلٍّ مِنْ عُيَيْنَةَ بْنِ حِصْنٍ -مِنْ زُعَمَاءَ غَطَفَانَ- وَالأَقْرَعِ بْنِ حَابِسٍ -مِنْ زُعَمَاءِ تَمِيْمٍ- وَعَلْقَمَةَ بْنِ عَلاَثَةَ ، وَالعَبَّاسَ بْنَ مِرْدَاسٍ ، وَسُهَيلِ بْنِ عَمْرٍو ، وَحَكِيْمِ بْنِ حِزَامٍ ، وَأَبِي سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ ، وَصَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ مِنْ زُعَمَاءِ قُرَيْشٍ .

---

(١) انْظُرْ : «السِّيْـرَةُ النَّبَوِيَّةُ الصَّحِيْحَة» لِلعِمَرِي (٢/ ٥١١-٥١٢) .

فَفِي «صَحِيْح مُسْلِمٌ» (١) ، مِنْ حَدِيْث ابْنِ شِهَاب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: « **غزَا رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، غَزْوَةَ الْفَتْح ، فَتْح مَكَّةَ، ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، بِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَاقْتَتَلُوا بِحُنَيْنٍ ، فَنَصَرَ اللهُ دِينَهُ وَالْمُسْلِمِينَ ، وَأَعْطَى رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، يَوْمَئِذٍ صَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ مِائَةً مِنَ النَّعَمِ ، ثُمَّ مِائَةً ، ثُمَّ مِائَةً** » .

قَالَ ابْنُ شِهَاب : حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ ، أَنَّ صَفْوَانَ ، قَالَ : وَاللهِ لَقَدْ أَعْطَانِي رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، مَا أَعْطَانِي ، وَإِنَّهُ لأَبْغَضُ النَّاسِ إِلَيَّ ، فَمَا بَرِحَ يُعْطِينِي ، حَتَّىٰ إِنَّهُ لأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ .

لَكِنْ هَؤُلاَءِ الْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبُهُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- بَعْدَ تَمَكُّنِ الإِيْمَانِ مِنْ قُلُوبِهِمْ، دَاسَوا الدُّنْيَا بِأَقْدَامِهِمْ ، فَهَذَا حَكِيْمُ بْنِ حِزَام -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- كَانَ يُحِبُّ أَنْ يَنَالَهُ مِنْ أُعْطِيَاتِ الرَّسُولِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، فَكُلَّمَا أَعْطَاهُ سَأَلَهُ الْمَزِيْدُ ، ثُمَّ بَيَّنَ لَهُ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِيْمَا بَعْدَ نَظْرَةَ الإِسْلَام إِلَىٰ الْمَالِ وَوَعَظَهُ ، فَإِذَا بِهِ يَرْغَبُ حَتَّىٰ عَنْ أَخْذِ عَطَائِهِ السَّنَوِيِّ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ ، جَاءَ ذَلِكَ فِي«الصَّحِيْحَيْنِ» (٢) .

وَهَذَا -أَيُّهَا النَّاسُ- يُوَضِّحُ مَا حَدَثَ مِنْ تَحَوُّلٍ عَظِيْمٍ فِي نُفُوسِ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ الَّتِي تَشَبَّعَتْ بِمَعَانِي الإِسْلَامِ عَلَىٰ مَرِّ الأَيَّامِ (٣).

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٣١٣) .
(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (١٤٧٢)، وَمُسْلِمٌ (١٠٣٥)، وَانْظُرْ: «الفَتْح»(٣/ ٣٣٦) .
(٣) انْظُرْ : «السِّيـرَةُ النَّبَوِيَّةُ الصَّحِيْحَة » لِلعِمَرِي (٢/ ٥١٣) .

فَفِي «صَحِيح مُسْلِمٌ»[١]، مِنْ حَدِيْث أَنَس بْنِ مَالِك -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: « **إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيُسْلِمُ مَا يُرِيدُ إِلَّا الدُّنْيَا ، فَمَا يُسْلِمُ حَتَّى يَكُونَ الْإِسْلَامُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا** » .

وَقَدْ تَأَثَّرَ بَعْضُ الْمُسْلِمُونَ فِي بِدَايَةِ الأَمْرِ -أَيُّهَا النَّاسُ- لِعَدَمِ شُمُولِهِمْ بِالأُعْطِيَاتِ ، فَكَانَ لَابُدَّ مِنْ بَيَانِ الحِكْمَةِ لَهُمْ فِي ذَلِكَ .

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَمَا فِي «صَحِيْح البُخَارِيِّ»[٢] مِنْ حَدِيْثِ عَمْرُو بْنُ تَغْلِبَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ : « ... **فَوَاللهِ إِنِّي لَأُعْطِي الرَّجُلَ وَأَدَعُ الرَّجُلَ ، وَالَّذِي أَدَعُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الَّذِي أُعْطِي، وَلَكِنِّي أُعْطِي أَقْوَامًا لِمَا أَرَى فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْجَزَعِ وَالْهَلَعِ ، وَأَكِلُ أَقْوَامًا إِلَى مَا جَعَلَ اللهُ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْغِنَى وَالْخَيْرِ...**» .

وَقَالَ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَمَا فِي «الصَّحِيْحَيْنِ»[٣] ، مِنْ حَدِيْث أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- : « **إِنِّي لَأُعْطِي رِجَالًا حُدَثَاءَ عَهْدٍ بِكُفْرٍ أَتَأَلَّفُهُمْ**» .

وَقَالَ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَمَا فِي «الصَّحِيْحَيْنِ»[٤]، مِنْ حَدِيْث أَنَسُ ابْنُ مَالِكٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- : « **إِنِّي لَأُعْطِي الرَّجُلَ وَغَيْرُهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ**

---

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٣١٢) .
(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٨٨١) .
(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٠٧٦) ، وَمُسْلِمٌ (١٠٥٩) .
(٤) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (١٤٠٨) ، وَمُسْلِمٌ (١٥٠) .

خَشْيَةَ أَنْ يُكَبَّ فِي النَّارِ عَلَى وَجْهِهِ » .

وَبَعْدَ قِسْمَةِ الغَنَائِمِ -أَيُّهَا النَّاسُ- قَدِمَ وَفْدُ هَوَازِنَ يُعْلِنُ إِسْلَامُهَا ، وَيَطْلُبُ مِنَ الرَّسُولِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- رَدَّ الأَمْوَالِ وَالسَّبْيِ عَلَيْهِمْ، فَخَيَّرَهُمْ بَيْنَ السَّبْيِ وَالمَالِ ، فَاخْتَارُوا السَّبْيَ .

فَفِي «صَحِيحِ البُخَارِيِّ» (١) مِنْ حَدِيثِ مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ ، وَالْمِسْوَرَ بْنَ مَخْرَمَةَ أَخْبَرَاهُ « أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَامَ حِينَ جَاءَهُ وَفْدُ هَوَازِنَ مُسْلِمِينَ ، فَسَأَلُوهُ أَنْ يَرُدَّ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَسَبْيَهُمْ .

فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **أَحَبُّ الْحَدِيثِ إِلَيَّ أَصْدَقُهُ ، فَاخْتَارُوا إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ : إِمَّا السَّبْيَ ، وَإِمَّا الْمَالَ ، وَقَدْ كُنْتُ اسْتَأْنَيْتُ بِكُمْ** » ، وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- انْتَظَرَهُمْ بِضْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً حِينَ قَفَلَ مِنْ الطَّائِفِ ، فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- غَيْرُ رَادٍّ إِلَيْهِمْ إِلَّا إِحْدَىٰ الطَّائِفَتَيْنِ ، قَالُوا : فَإِنَّا نَخْتَارُ سَبْيَنَا .

فَقَامَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **فِي الْمُسْلِمِينَ فَأَثْنَى عَلَى اللهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ، ثُمَّ قَالَ : أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ إِخْوَانَكُمْ هَؤُلَاءِ قَدْ جَاءُونَا تَائِبِينَ ، وَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ أَنْ أَرُدَّ إِلَيْهِمْ سَبْيَهُمْ، فَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يُطَيِّبَ بِذَلِكَ فَلْيَفْعَلْ ، وَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَكُونَ عَلَى حَظِّهِ حَتَّى نُعْطِيَهُ إِيَّاهُ مِنْ أَوَّلِ مَا يُفِيءُ اللهُ**

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٣١٨-٤٣١٩) .

عَلَيْنَا فَلْيَفْعَلْ » ، فَقَالَ النَّاسُ : قَدْ طَيَّبْنَا ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لَهُمْ .

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **إِنَّا لَا نَدْرِي مَنْ أَذِنَ مِنْكُمْ فِي ذَلِكَ مِمَّنْ لَمْ يَأْذَنْ ، فَارْجِعُوا حَتَّى يَرْفَعُوا إِلَيْنَا عُرَفَاؤُكُمْ أَمْرَكُمْ** » ، فَرَجَعَ النَّاسُ فَكَلَّمَهُمْ عُرَفَاؤُهُمْ ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَأَخْبَرُوهُ أَنَّهُمْ قَدْ طَيَّبُوا وَأَذِنُوا .

وَأَسْتَغْفِرُ اللهُ .

تَأَثُّرُ بَعْضِ الأَنْصَارِ لِعَدَمِ شُمُولِهِمْ بِالأُعْطِيَاتِ وَمَوْعِظَةُ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لَهُمْ

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ :

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ أَشْرَفِ المُرْسَلِيْنَ ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

أَمَّا بَعْدُ :

فَتَقَدَّمَ الحَدِيْثُ مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنْ « **غَنَائِمِ حُنَيْنٍ** » .

وَالآنَ حَدِيْثِي مَعَكُمْ عَنْ « **تَأَثُّرُ بَعْضِ الأَنْصَارِ لِعَدَمِ شُمُولِهِمْ بِالأُعْطِيَاتِ وَمَوْعِظَةُ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لَهُمْ** ».

أَيُّهَا النَّاسُ لَقَدْ تَأَثَّرَ بَعْضُ الأَنْصَارِ فِي بِدَايَةِ الأَمْرِ ، لِعَدَمِ شُمُولِهِمْ بِالأُعْطِيَاتِ، فَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ» [١]، مِنْ حَدِيْثِ أَنَسُ ابْنُ مَالِكٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- : « أَنَّ أُنَاسًا مِنَ الأَنْصَارِ قَالُوا يَوْمَ حُنَيْنٍ حِينَ أَفَاءَ اللهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَمْوَالِ هَوَازِنَ مَا أَفَاءَ ، فَطَفِقَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يُعْطِي رِجَالًا مِنْ قُرَيْشٍ الْمِائَةَ مِنَ الْإِبِلِ ، فَقَالُوا : يَغْفِرُ اللهُ لِرَسُولِ اللهِ يُعْطِي قُرَيْشًا وَيَتْرُكُنَا ، وَسُيُوفُنَا تَقْطُرُ مِنْ دِمَائِهِمْ » .

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٣٣١) ، وَمُسْلِمٌ (١٠٥٩) .

وَالَّذِي نُقِلَ عَنِ الأَنْصَارِ -أَيُّهَا النَّاسُ- إِنَّمَا كَانَ عَنْ بَعْضِ شَبَابِهِمْ ، لاَ عَنْ شُيُوخِهِمْ وَكُهُولِهِمْ ، وَمَعَ ذَلِكَ جَمَعَهُمُ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- شَبَابًا وَكُهُولاً وَشُيُوخًا ، وَوَعَظَهُمْ مَوْعِظَةً بَلِيْغَةً ، اشْتَمَلَتْ مَنَاقِبَ عَظِيْمَةً لَهُمْ ، وَثَنَاءِ الرَّسُولِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- البَالِغَ عَلَيْهِمْ ، وَجِلَتْ لَهَا القُلُوبُ ، وَذَرَفَتْ مِنْهَا الدُّمُوعُ ، فَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ»(١) ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ وَعَبْدِ اللهِ بْنِ زَيْدٍ وَأَنَسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ- : « لَمَّا أَعْطَىٰ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مَا أَعْطَىٰ مِنْ تِلْكَ الْعَطَايَا فِي قُرَيْشٍ وَقَبَائِلِ الْعَرَبِ ، وَلَمْ يَكُنْ فِي الأَنْصَارِ مِنْهَا شَيْءٌ ، وَجَدَ هَذَا الْحَيُّ مِنَ الأَنْصَارِ فِي أَنْفُسِهِمْ ، حَتَّىٰ كَثُرَتْ مِنْهُمُ الْقَالَةُ - مِنَ الكَلَامِ الرَّدِيءُ- حَتَّىٰ قَالَ قَائِلُهُمْ : لَقَدْ لَقِيَ وَاللهِ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-قَوْمَهُ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنَّ هَذَا الْحَيَّ مِنَ الأَنْصَارِ قَدْ وَجَدُوا عَلَيْكَ فِي أَنْفُسِهِمْ ؛ لِمَا صَنَعْتَ فِي هَذَا الْفَيْءِ الَّذِي أَصَبْتَ ، قَسَمْتَ فِي قَوْمِكَ ، وَأَعْطَيْتَ عَطَايَا عِظَامًا فِي قَبَائِلِ الْعَرَبِ ، وَلَمْ يَكُنْ فِي هَذَا الْحَيِّ مِنَ الأَنْصَارِ شَيْءٌ .

قَالَ : « **فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ ذَلِكَ يَا سَعْدُ ؟** »، قَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، مَا أَنَا إِلَّا مِنْ قَوْمِي ، قَالَ : « **فَاجْمَعْ لِي قَوْمَكَ فِي الْحَظِيرَةِ** » .

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٣٩٠) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ زَيْدٍ وَ (٤٣٣١) و(٤٣٣٧) عَنْ أَنَسٍ ، وَمُسْلِمٌ (١٠٥٩) عَنْ أَنسٍ (١٠٦١) ، وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ زَيْدٍ وَأَحْمَدَ (٣/ ٧٦-٧٧-٨٩-) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ .

قَالَ : فَخَرَجَ سَعْدٌ ، فَجَمَعَ الأَنْصارَ في تِلْكَ الحَظِيرَةِ ، قَالَ : فَجَاءَهُ رِجَالٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ فَتَرَكَهُمْ فَدَخَلُوا ، وَجَاءَ آخَرُونَ فَرَدَّهُمْ ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا إِلَيْهِ أَتَاهُ سَعْدٌ ، فَقَالَ : قَدِ اجْتَمَعَ لَكَ هَذَا الحَيُّ مِنَ الأَنْصَارِ .

فَأَتَاهُمْ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِ بِالَّذِي هُوَ لَهُ أَهْلٌ ، ثُمَّ قَالَ : « **يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ مَقَالَةٌ بَلَغَتْنِي عَنْكُمْ** - أَيْ كَلامُ - **وَمَوْجِدَةٌ وَجَدْتُمُوهَا ، فِي أَنْفُسِكُمْ** - أَيْ سَخْطٌ وَغَضَبٌ-، **أَلَمْ آتِكُمْ ضُلَّالًا فَهَدَاكُمُ اللهُ، وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللهُ، وَأَعْدَاءً فَأَلَّفَ اللهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ؟** » .

قَالُوا : بَلَىٰ ، اللهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ وَأَفْضَلُ .

فَقَالَ : « **أَلا تُجِيبُونِي يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ ؟** » .

قَالُوا : وَبِمَاذَا نُجِيبُكَ يَا رَسُولَ اللهِ ؟، لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ الْمَنُّ وَالْفَضْلُ .

قَالَ:« **أَمَا وَاللهِ لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ فَصَدَقْتُمْ وَلَصُدِّقْتُمْ؛ أَتَيْتَنَا مُكَذَّبًا فَصَدَّقْنَاكَ، وَمَخْذُولا فَنَصَرْنَاكَ، وَطَرِيدًا فَآوَيْنَاكَ،وَعَائِلا فَآسَيْنَاكَ ، أَوَجَدْتُمْ -يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ- فِي أَنْفُسِكُمْ فِي لُعَاعَةٍ مِنَ الدُّنْيَا** - أَيْ الشَّيءُ التَّافِهُ الحَقِيرُ- **تَأَلَّفْتُ بِهَا قَوْمًا لِيُسْلِمُوا، وَوَكَلْتُكُمْ إِلَى إِسْلامِكُمْ ؟!، أَفَلا تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ وَتَرْجِعُوا بِرَسُولِ اللهِ إِلَى رِحَالِكُمْ ؟!.**

فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، لَوْلا الهِجْرَةُ ؛ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الأَنْصَارِ ، وَلَوْ

سَلَكَ النَّاسُ شِعْبًا وَسَلَكَتِ الأَنْصَارُ شِعْبًا ، لَسَلَكْتُ شِعْبَ الأَنْصَارِ ، اللهُمَّ ارْحَم الأَنْصَارَ، وَأَبْنَاءَ الأَنْصَارِ، وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الأَنْصَارِ » .

قَالَ : فَبَكَىٰ الْقَوْمُ حَتَّىٰ أَخْضَلُوا لِحَاهُمْ ، وَقَالُوا : رَضِينَا بِرَسُولِ اللهِ قِسْمًا وَحَظًّا » .

رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ ، رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ .

رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا ، إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

وَسُبْحَانَكَ اللهُمَّ وَبِحَمْدِكَ،أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إلا أَنْتَ،أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ.

٣٢ غَزْوَةُ تَبُوكٍ

الخُطْبَةُ الأُوْلَى[1]:

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلِ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾[النِّسَاء:١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ [الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الأُمُورِ

مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ :

فَمَا زَالَ الحَدِيْثُ مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنِ السِّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ عَلَىٰ صَاحِبِهَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -، وَحَدِيْثِي مَعَكُمْ اليَوْمَ عَنْ « **غَزْوَةُ تَبُوكٍ** » .

وَتَبُوكُ -أَيُّهَا النَّاسُ- مَوْقِعُ شَمَالِ الحِجَازِ ، يَبْعُدُ عَنِ المَدِيْنَةِ المُنَوَّرَةِ ثَمَانِيَةَ وَسَبْعِيْنَ وَثَمَانِمَائَةِ كَيْلاً حَسَبَ الطُّرُقِ المُعَبَّدَةِ فِي الوَقْتِ الحَاضِرِ، وَكَانَتْ مِنْ دِيَارِ قُضَاعَةَ الخَاضِعَةِ لِسُلْطَانِ الرُّومِ آنَذَاكَ .

وَأَمَّا سَبَبُ غَزْوَةُ تَبُوكَ قَالَ الحَافِظُ ابْنُ كَثِيْرٍ -رَحِمَهُ اللهُ- : « وَلَمَّا أَنْزَلَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - عَلَىٰ رَسُولِهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ۝٢٩ ﴾ [التَّوْبَةُ:٢٩] . نَدَبَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَهْلَ المَدِيْنَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الأَعْرَابِ وَأَعْلَمَهُمْ بِغَزْوِ الرُّوْمِ، وَذَلِكَ فِي رَجَبِ سَنَةَ تِسْعٍ » (١) .

وَقَدْ أَخْبَرَ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَنْ وَجْهَةِ الجَيْشِ بَعْدَ أَنْ ظَلَّ يَعْتَمِدُ عَلَىٰ عُنْصُرِ المُفَاجَأَةِ فِي غَالِبِ غَزَوَاتِهِ؛لِأَنَّ العَدُوَّ كَثِيْرٌ، وَالمَسَافَةُ

---

(١) «الفُصُولُ فِي سِيْرَةِ الرَّسُولِ » لِابْنِ كَثِيْرٍ (٢٤٣-٤٢٤) .

بَعِيْدَةٌ، والحَرُّ شَدِيْدٌ ، فَلاَ بُدَّ مِنَ الاسْتِعْدَادِ وَالتَّزَوُّدِ (١).

فَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ» (٢)، مِنْ حَدِيْثِ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- يَقُولُ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَلَّمَا يُرِيدُ غَزْوَةً يَغْزُوهَا إِلَّا وَرَّىٰ بِغَيْرِهَا، حَتَّىٰ كَانَتْ غَزْوَةُ تَبُوكَ، فَغَزَاهَا رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي حَرٍّ شَدِيدٍ، وَاسْتَقْبَلَ سَفَرًا بَعِيدًا وَمَفَازًا، وَاسْتَقْبَلَ غَزْوَ عَدُوٍّ كَثِيرٍ، فَجَلَّىٰ لِلْمُسْلِمِينَ أَمْرَهُمْ، لِيَتَأَهَّبُوا أُهْبَةَ عَدُوِّهِمْ، وَأَخْبَرَهُمْ بِوَجْهِهِ الَّذِي يُرِيدُ» .

وَسُمِّيَتْ هَذِهِ الغَزْوَةُ بِغَزْوَةِ العُسْرَةِ ، دَلَّ ذَلِكَ عَلَىٰ قَوْلُ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ ﴾ [التَّوْبَةُ:١١٧] .

وَقَدْ حَثَّ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلَىٰ النَّفَقَةِ وَوَعَدَ الْمُنْفِقِيْنَ بِعَظِيْمِ الأَجْرِ مِنَ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- فَسَارَعَ أَغْنِيَاءُ الصَّحَابَةِ وَفُقَرَاءُهُمْ إِلَىٰ تَقْدِيْمِ الأَمْوَالِ ، وَكَانَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَكْثَرَ الْمُنْفِقِيْنَ عَلَىٰ جَيْشِ تَبُوكٍ.

فَفِي «صَحِيْحِ البُخَارِيِّ» (٣) مِنْ حَدِيْثِ أَبِي عَمْرٍو الْقُرَشِيِّ -رَضِيَ اللهُ

---

(١) انْظُرْ : « صَحِيْحُ السِّيْرَةِ » (٥٨٤) .
(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٢٩٤٨) ، وَمُسْلِمٌ (٢٧٦٩) .
(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ فِي كِتَابِ » الفَضَائِلُ» (٧/٦٢) وَهُوَ فِي (٢٧٧٨)، عَنْ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-.

عَنْهُ- وَقَالَ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **مَنْ جَهَّزَ جَيْشَ الْعُسْرَةِ فَلَهُ الْجَنَّةُ ، فَجَهَّزَهُ عُثْمَانُ** » ، وَجَاءَ أَبُو خَيْثَمَةَ الْأَنْصَارِيُّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- بِصَاعِ تَمْرٍ، فَلَمَزَهُ الْمُنَافِقُونَ.

فَفِي «صَحِيْح مُسْلِمٌ» (١) ، مِنْ حَدِيْثِ كَعْبَ بْنَ مَالِك -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: « ...فبَيْنَا هُوَ علىٰ ذَلِكَ -أَيْ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- رَأَىٰ رَجُلاً مُبَيِضاً يَزُولُ بِهِ السَّرَابُ، فقالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**كُنْ أَبَا خَيْثَمَةَ، فَإِذا هوَ أَبُو خَيْثَمَةَ الأَنْصَارِيُّ** » ، وَهُوَ الَّذي تَصَدَّقَ بِصَاعِ تَمْرٍ حِيْنَ لَمزَهُ الْمُنَافِقُونَ .

وَقَدْ أَنْزَلَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ **ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٧٩** ﴾ [التَّوْبَةُ:٧٩] .

ثُمَّ أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَيُّهَا النَّاسُ- نَهَضَ فِي أَكْبَرِ جَيْشٍ قَادَهُ فِي حَيَاتِهِ، إِذْ كَانُوا ثَلاثِيْنَ أَلْفًا ، وَهُوَ عَدَدٌ يَدُلُّ عَلَىٰ مَدَىٰ اسْتِجَابَةِ الْمُؤْمِنِيْنَ لِدَوَاعِي العَقِيْدَةِ فِي تِلْكَ الظُّرُوفِ القَاسِيَةِ مِنَ الحَرِّ الشَّدِيْدِ وَالعُسْرَةِ (٢).

وَاسْتَخْلَفَ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلِيَّ بْنِ أَبِي طَالِب عَلَىٰ النِّسَاءِ وَالذُّرِيَّةِ ، فَآذَاهُ الْمُنَافِقُونَ فَقَالُوا : تَرَكَهُ عَلَىٰ النِّسَاءِ وَالذُّرِيَّةِ ، فَلَحِقَ بِرَسُولِ

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٧٦٩) .
(٢) انْظُرْ : «السِّيْـرَةُ النَّبَوِيَّةُ الصَّحِيْحَةِ » لِلعِمَرِي (٥٣١) .

اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، فَشَكَا إِلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ» (١)، مِنْ حَدِيثِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- « **أَلَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى؟ ، غَيْرَ أَنَّهُ لا نَبِيَّ بَعْدِي** » .

وَتَخَلَّفَ عَنْ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- النِّسَاءُ وَالذُّرِّيَّةُ ، وَمَنْ عَذَرَهُ اللهُ مِنَ الرِّجَالِ وَمِمَّنْ لاَ يَجِدُ ظَهْرًا يَرْكَبُهُ أَوْ نَفَقَةً،وَمِنْهُمُ العِرْبَاضُ بْنُ سَارِيَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- .

وَفِي «مُسْنَدِ» أَحْمَدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي«الصَّحِيحَةِ»(٢)، عَنْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَمْرٍو السُّلَمِيُّ ، وَحُجْرُ بْنُ حُجْرٍ ، قَالَا : أَتَيْنَا الْعِرْبَاضَ بْنَ سَارِيَةَ . وَهُوَ مِمَّنْ نَزَلَ فِيهِ : ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ لِتَحۡمِلَهُمۡ قُلۡتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ﴾ [التَّوْبَة : ٩٣] .

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ -رَحِمَهُ اللهُ- : « وَتَخَلَّفَ مُنَافِقُونَ كُفْرًا وَعِنَادًا ، وَكَانُوا نَحْوَ الثَّمَانِيْنَ رَجُلاً ، وَتَخَلَّفَ عُصَاةٌ مِثْلُ : مُرَارَةِ بْنِ الرَّبِيْعِ ، وَكَعْبَ بْنِ مَالِكٍ، وَهِلَالِ بْنِ أُمَيَّةَ ، ثُمَّ تَابَ اللهُ عَلَيْهِمْ بَعْدَ قُدُومِهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِخَمْسِيْنَ لَيْلَةً ، ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- سَارَ فَمَرَّ فِي

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٤١٦) ، وَمُسْلِمٌ (٢٤٠٤) .

(٢) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ أَحْمَد (٤/ ١٢٦-١٢٧) ، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «الصَّحِيْحَةِ» (٩٣٧) .

طَرِيْقِه بالحِجْرِ ، وَهِيَ مَدَائِنُ ثَمُودَ ، المَعْرُوفَة اليَوْمَ بِاسْمِ مَدَائِنِ صَالِحٍ ، فَأَمَرَهُمْ أَنْ لاَ يَدْخُلُوا عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ ، إِلَّا أَنْ يُكُونُوا بَاكِيْنَ ، وَأَنْ لاَ يَشْرَبُوا إِلَّا مِنْ بِئْرِ النَّاقَةِ ، فَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ» (١)، مِنْ حَدِيْثِ ابْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- «قَالَ: مَرَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلَىٰ الْحِجْرِ، فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : «**لَا تَدْخُلُوا مَسَاكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ، إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ حَذَرًا، أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَهُمْ**» ثُمَّ زَجَرَ فَأَسْرَعَ حَتَّىٰ خَلَّفَهَا .

فَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ» (٢)، مِنْ حَدِيْثِ ابْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ: «إِنَّ النَّاسَ نَزَلُوا مَعَ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلَىٰ الْحِجْرِ أَرْضِ ثَمُودَ ، فَاسْتَقَوْا مِنْ آبَارِهَا وَعَجَنُوا بِهِ الْعَجِينَ فَأَمَرَهُمْ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنْ يُهْرِيقُوا مَا اسْتَقَوْا مِنْ آبَارِهَا ، وَيَعْلِفُوا الإِبِلَ الْعَجِينَ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَسْتَقُوا مِنَ الْبِئْرِ الَّتِي كَانَتْ تَرِدُهَا النَّاقَةُ » .

وَجَاءَ فِي رِوَايَةِ «البُخَارِيِّ» (٣) : « وَجَازَهَا مُقَنِّعًا » .

قَالَ النَّوَوِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- : « وَفِيهِ الْحَثُّ عَلَىٰ الْمُرَاقَبَةِ عِنْدَ الْمُرُورِ بِدِيَارِ الظَّالِمِينَ ، وَمَوَاضِعِ الْعَذَابِ ، وَمِثْلُهُ الإِسْرَاعُ فِي وَادِي مُحَسِّرٍ لِأَنَّ أَصْحَابَ الْفِيلِ هَلَكُوا هُنَاكَ ، فَيَنْبَغِي لِلْمَارِّ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْمَوَاضِعِ الْمُرَاقَبَةُ وَالْخَوْفُ

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٣٨١) ، وَمُسْلِمٌ (٢٩٨٠) .
(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٣٧١) ، وَمُسْلِمٌ (٢٩٨٠) .
(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٣٧٩) .

وَالْبُكَاءُ ، وَالِاعْتِبَارُ بِهِمْ وَبِمَصَارِعِهِمْ ، وَأَنْ يَسْتَعِيذَ بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ» (١) .

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ -رَحِمَهُ اللهُ- : « ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بَلَغَ تَبُوكَ ، وَلَمَّا انْتَهَى إِلَى هُنَاكَ ؛ لَمْ يَلْقَ عَدُوًّا ، وَرَأَى أَنَّ دُخُولَهُمْ إِلَى أَرْضِ الشَّامِ هَذِهِ السَّنَةَ يَشُقُّ عَلَيْهِمْ ، وَعَزَمَ عَلَى الرُّجُوعِ ، وَصَالَحَ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يُحَنَّةَ بْنَ رُؤْبَةَ صَاحِبَ أَيْلَةَ .

وَبَعَثَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ إِلَى أُكَيْدِرَ دَوْمَةَ -أَيْ دَوْمَةَ الْجَنْدَلِ- فَجِيءَ بِهِ فَصَالَحَهُ -أَيْضًا- وَرَدَّهُ . ثُمَّ رَجَعَ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَكَانَ رُجُوعُهُ مِنْ هَذِهِ الْغَزْوَةِ فِي رَمَضَانَ مِنْ سَنَةِ تِسْعٍ .

وَأَنْزَلَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- فِيهَا عَامَّةَ سُورَةِ التَّوْبَةِ وَعَاتَبَ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ - عَزَّ وَجَلَّ- : ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾ [التَّوْبَةُ:١٢٠-١٢١] .

---

(١) « شَرْحُ النَّوَوِيِّ عَلَى مُسْلِمٍ » (١٨/ ١١١-١١٢) .

وَلَمَّا اقْتَرَبَ النَّبِيَّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِنَ المَدِيْنَةِ أَسْرَعَ ، وَقَالَ كَمَا فِي «صَحِيْحِ البُخَارِيِّ» (١) مِنْ حَدِيْثِ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: « **إِنِّي مُسْرِعٌ فَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ فَلْيُسْرِعْ مَعِي وَمَنْ شَاءَ فَلْيَمْكُثْ** »، قَالَ أَبُو حُمَيْدٍ: فَخَرَجْنَا حَتَّىٰ أَشْرَفْنَا عَلَىٰ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **هَذِهِ طَابَةُ وَهَذَا أُحُدٌ وَهُوَ جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ** » .

وَخَرَجَ النَّاسُ لِاسْتِقْبَالِ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عِنْدَ ثَنِيَّةِ الْوَدَاعِ .

فَفِي «صَحِيْحِ البُخَارِيِّ» (٢) مِنْ حَدِيْثِ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: «**لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الْمَدِينَةَ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ تَلَقَّاهُ النَّاسُ ، فَلَقِيتُهُ مَعَ الصِّبْيَانِ عَلَى ثَنِيَّةِ الْوَدَاعِ** » .

وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ .

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٧٤٢) .
(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٠٨٢) .

قِصَّةُ الثَّلَاثَةِ الَّذِيْنَ خُلِّفُوا

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ :

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ أَشْرَفِ المُرْسَلِيْنَ ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

أَمَّا بَعْدُ :

فَتَقَدَّمَ الحَدِيْثُ مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنْ « **غَزْوَةِ تَبُوكٍ** » .

وَالآنَ حَدِيْثِي مَعَكُمْ عَنْ « **قِصَّةِ الثَّلَاثَةِ الَّذِيْنَ خُلِّفُوا** » .

وَهَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةُ -أَيُّهَا النَّاسُ- هُمْ : مُرَارَةِ بْنُ الرَّبِيْعِ ، وَكَعْبُ بْنُ مَالِكٍ ، وَهِلَالُ بْنُ أُمَيَّةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ- .

فَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ» (١)، مِنْ حَدِيْثِ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ : « لَمْ أَتَخَلَّفْ عَنْ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا قَطُّ ، إِلَّا فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ ، غَيْرَ أَنِّي قَدْ تَخَلَّفْتُ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ ، وَلَمْ يُعَاتِبْ أَحَدًا تَخَلَّفَ عَنْهُ ، إِنَّمَا خَرَجَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَالمُسْلِمُونَ يُرِيدُونَ عِيرَ قُرَيْشٍ ، حَتَّىٰ جَمَعَ اللهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّهِمْ عَلَىٰ غَيْرِ مِيعَادٍ .

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٤١٨) ، وَمُسْلِمٌ (٢٧٦٩) وَقَدْ أَوْرَدتُ الحَدِيْثِ مُخْتَصَرًا .

وَقَالَ : وَلَمْ يَذْكُرْنِي رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حَتَّىٰ بَلَغَ تَبُوكَ ، فَقَالَ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْقَوْمِ بِتَبُوكَ: مَا فَعَلَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ؟، قَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ: يَا رَسُولَ اللهِ ، حَبَسَهُ بُرْدَاهُ وَالنَّظَرُ فِي عِطْفَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ : بِئْسَ مَا قُلْتَ وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا ، فَسَكَتَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

وَقَالَ : وَأَصْبَحَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَادِمًا وَكَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ بَدَأَ بِالْمَسْجِدِ فَيَرْكَعُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ جَلَسَ لِلنَّاسِ فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ جَاءَهُ الْمُخَلَّفُونَ فَطَفِقُوا يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ وَيَحْلِفُونَ لَهُ وَكَانُوا بِضْعَةً وَثَمَانِينَ رَجُلًا ، فَقَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلَانِيَتَهُمْ وَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ وَوَكَلَ سَرَائِرَهُمْ إِلَىٰ اللهِ ، حَتَّىٰ جِئْتُ .

فَلَمَّا سَلَّمْتُ تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ الْمُغْضَبِ ، ثُمَّ قَالَ : تَعَالَ ، فَجِئْتُ أَمْشِي حَتَّىٰ جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَقَالَ لِي : مَا خَلَّفَكَ أَلَمْ تَكُنْ قَدِ ابْتَعْتَ ظَهْرَكَ ؟، قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنِّي وَاللهِ لَوْ جَلَسْتُ عِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا لَرَأَيْتُ أَنِّي سَأَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ بِعُذْرٍ ، وَلَقَدْ أُعْطِيتُ جَدَلًا ، وَلَكِنِّي وَاللهِ لَقَدْ عَلِمْتُ لَئِنْ حَدَّثْتُكَ الْيَوْمَ حَدِيثَ كَذِبٍ تَرْضَىٰ بِهِ عَنِّي لَيُوشِكَنَّ اللهُ أَنْ يُسْخِطَكَ عَلَيَّ ، وَلَئِنْ حَدَّثْتُكَ حَدِيثَ صِدْقٍ تَجِدُ عَلَيَّ فِيهِ إِنِّي لَأَرْجُو فِيهِ عُقْبَىٰ اللهِ وَاللهِ مَا كَانَ لِي عُذْرٌ ، وَاللهِ مَا كُنْتُ قَطُّ أَقْوَىٰ وَلَا أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْكَ .

قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **أَمَّا هَذَا فَقَدْ صَدَقَ، فَقُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللهُ فِيكَ** »، فَقُمْتُ وَثَارَ رِجَالٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ، فَاتَّبَعُونِي، فَقَالُوا لِي : وَاللهِ مَا عَلِمْنَاكَ أَذْنَبْتَ ذَنْبًا قَبْلَ هَذَا، لَقَدْ عَجَزْتَ فِي أَنْ لَا تَكُونَ اعْتَذَرْتَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِمَا اعْتَذَرَ بِهِ إِلَيْهِ الْمُخَلَّفُونَ، فَقَدْ كَانَ كَافِيَكَ ذَنْبَكَ اسْتِغْفَارُ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لَكَ .

قَالَ : فَوَاللهِ مَا زَالُوا يُؤَنِّبُونَنِي حَتَّىٰ أَرَدْتُ أَنْ أَرْجِعَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَأُكَذِّبَ نَفْسِي .

قَالَ : ثُمَّ قُلْتُ لَهُمْ : هَلْ لَقِيَ هَذَا مَعِي مِنْ أَحَدٍ ؟، قَالُوا : نَعَمْ لَقِيَهُ مَعَكَ رَجُلَانِ، قَالَا : مِثْلَ مَا قُلْتَ ؟، فَقِيلَ لَهُمَا مِثْلَ مَا قِيلَ لَكَ، قَالَ : قُلْتُ : مَنْ هُمَا ؟، قَالُوا : مُرَارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ الْعَامِرِيُّ، وَهِلَالُ بْنُ أُمَيَّةَ الْوَاقِفِيُّ، قَالَ : فَذَكَرُوا لِي رَجُلَيْنِ صَالِحَيْنِ قَدْ شَهِدَا بَدْرًا فِيهِمَا أُسْوَةٌ، قَالَ : فَمَضَيْتُ حِينَ ذَكَرُوهُمَا لِي .

قَالَ : فَكَمُلَ لَنَا خَمْسُونَ لَيْلَةً مِنْ حِينَ نُهِيَ عَنْ كَلَامِنَا، قَالَ : ثُمَّ صَلَّيْتُ صَلَاةَ الْفَجْرِ صَبَاحَ خَمْسِينَ لَيْلَةً عَلَىٰ ظَهْرِ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِنَا، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عَلَىٰ الْحَالِ الَّتِي ذَكَرَ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- مِنَّا قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي، وَضَاقَتْ عَلَيَّ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ أَوْفَي عَلَىٰ سَلْعٍ، يَقُولُ بِأَعْلَىٰ صَوْتِهِ : يَا كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ أَبْشِرْ، قَالَ : فَخَرَرْتُ سَاجِدًا، وَعَرَفْتُ أَنْ قَدْ

جَاءَ فَرَجٌ ، قَالَ : فَآذَنَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- النَّاسَ بِتَوْبَةِ اللهِ عَلَيْنَا حِينَ صَلَّىٰ صَلاةَ الْفَجْرِ ، فَذَهَبَ النَّاسُ يُبَشِّرُونَنَا ، فَذَهَبَ قِبَلَ صَاحِبَيَّ مُبَشِّرُونَ وَرَكَضَ رَجُلٌ إِلَيَّ فَرَسًا وَسَعَىٰ سَاعٍ مِنْ أَسْلَمَ قِبَلِي ، وَأَوْفَىٰ الْجَبَلَ ، فَكَانَ الصَّوْتُ أَسْرَعَ مِنَ الْفَرَسِ ، فَلَمَّا جَاءَنِي الَّذِي سَمِعْتُ صَوْتَهُ يُبَشِّرُنِي ، فَنَزَعْتُ لَهُ ثَوْبَيَّ فَكَسَوْتُهُمَا إِيَّاهُ بِبِشَارَتِهِ وَاللهِ مَا أَمْلِكُ غَيْرَهُمَا يَوْمَئِذٍ ، وَاسْتَعَرْتُ ثَوْبَيْنِ فَلَبِسْتُهُمَا ، فَانْطَلَقْتُ أَتَأَمَّمُ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَتَلَقَّانِي النَّاسُ فَوْجًا فَوْجًا يُهَنِّئُونِي بِالتَّوْبَةِ ، وَيَقُولُونَ : لِتَهْنِئْكَ تَوْبَةُ اللهِ عَلَيْكَ .

قَالَ : فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، قَالَ : وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُورِ ، وَيَقُولُ : أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ ، قَالَ : فَقُلْتُ : أَمِنْ عِنْدِكَ يَا رَسُولَ اللهِ أَمْ مِنْ عِنْدِ اللهِ ؟ ، فَقَالَ : لَا بَلْ مِنْ عِنْدِ اللهِ .

قَالَ: فَأَنْزَلَ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ

﴿هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [التَّوْبَةُ:١١٧-١١٨] .

اللهُمَ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْإِيمَانَ وَزَيِّنْهُ فِي قُلُوبِنَا، وَكَرِّهْ إِلَيْنَا الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الرَّاشِدِينَ.

اللهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَىٰ طَاعَتِكَ .

اللهُمَّ اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ

وَسُبْحَانَكَ اللهُمَّ وَبِحَمْدِكَ،أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ،أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ.

٣٣ الوُفُــودُ

الخُطْبَةُ الأُوْلَىٰ:

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ،نَحْمِدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلِ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾[النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأَحْزَاب:٧٠-٧١] .

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الأُمُورِ

مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ :

فَمَا زَالَ الحَدِيْثُ مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنِ السِّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ عَلَىٰ صَاحِبِهَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -، وَحَدِيْثِي مَعَكُمْ اليَوْمَ عَنْ « **الوُفُودِ** » الَّذِيْنَ تَوَافَدُوا لِلدُّخُولِ فِي دِيْنَ اللهِ أَفْوَاجًا ، تَوَافَدُوا إِلَىٰ المَدِيْنَةِ وَعَدَدُهُمْ يَزِيْدُ عَلَىٰ سَبْعِيْنَ وَفْدًا .

وَكَانَتْ غَزْوَةُ فَتْح مَكَّةَ -أَيُّهَا النَّاسُ-مَعْرَكَةً فَاصِلَةً،قَضَتْ عَلَىٰ الوَثَنِيَّةِ قَضَاءً بَاتًّا ، عَرَفَتِ العَرَبُ لِأَجْلِهَا الحَقَّ مِنَ البَاطِلِ، وَزَالَتْ عَنْهُمُ الشُّبُهَاتُ فَتَسَارَعُوا إِلَىٰ اعْتِنَاقِ الإِسْلَامِ [١].

فَفِي «صَحِيْحِ البُخَارِيِّ» [٢] ، عَنْ عَمْرِو بْنِ سَلَمَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: كُنَّا بِمَاءٍ مَمَرَّ النَّاسِ، وَكَانَ يَمُرُّ بِنَا الرُّكْبَانُ ، فَنَسْأَلُهُمْ : مَا لِلنَّاسِ، مَا لِلنَّاسِ، مَا هَذَا الرَّجُلُ؟، فَيَقُولُونَ : يَزْعُمُ أَنَّ اللهَ أَرْسَلَهُ أَوْحَىٰ إِلَيْهِ، أَوْ أَوْحَىٰ اللهُ بِكَذَا ، فَكُنْتُ أَحْفَظُ ذَلِكَ الْكَلَامَ وَكَأَنَّمَا يُقَرُّ فِي صَدْرِي ، وَكَانَتْ الْعَرَبُ تَلَوَّمُ بِإِسْلَامِهِمُ الْفَتْحَ، فَيَقُولُونَ : اتْرُكُوهُ وَقَوْمَهُ ، فَإِنَّهُ إِنْ ظَهَرَ عَلَيْهِمْ فَهُوَ نَبِيٌّ صَادِقٌ ، فَلَمَّا كَانَتْ وَقْعَةُ أَهْلِ الْفَتْحِ بَادَرَ كُلُّ قَوْمٍ بِإِسْلَامِهِمْ ، وَبَدَرَ أَبِي قَوْمِي بِإِسْلَامِهِمْ ، فَلَمَّا قَدِمَ ، قَالَ : جِئْتُكُمْ وَاللهِ مِنْ عِنْدِ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ

---

(١) « الرَّحِيْقُ المَخْتُوم » (٤٤٧) .
(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٣٠٢) .

اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حَقًّا ، فَقَالَ : « **صَلُّوا صَلَاةَ كَذَا فِي حِينِ كَذَا ، وَصَلُّوا صَلَاةَ كَذَا فِي حِينِ كَذَا ، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ ، فَلْيُؤَذِّنْ أَحَدُكُمْ وَلْيَؤُمَّكُمْ أَكْثَرُكُمْ قُرْآنًا** » .

وَمَعَ أَنَّ الوُفُودَ -أَيُّهَا النَّاسُ- كَمَا ذَكَرَ أَهْلُ المَغَازِي يَزِيْدُ عَدَدُهَا عَلَىٰ سَبْعِيْنَ وَفْدًا ، فَسَوْفَ أَقْتَصِرُ عَلَىٰ ذِكْرِ بَعْضِهَا .

فَمِنْ تِلْكَ الوُفُودِ-أَيُّهَا النَّاسُ-وَفْدُ بَنِي تَمِيمٍ .

فَفِي «صَحِيْحِ البُخَارِيِّ» (١) مِنْ حَدِيْثِ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ : أَتَىٰ نَفَرٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ النَّبِيَّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ: «**اقْبَلُوا الْبُشْرَى يَا بَنِي تَمِيمٍ**» . قَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ قَدْ بَشَّرْتَنَا فَأَعْطِنَا فَرُئِيَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ فَجَاءَ نَفَرٌ مِنْ الْيَمَنِ فَقَالَ : « **اقْبَلُوا الْبُشْرَى إِذْ لَمْ يَقْبَلْهَا بَنُو تَمِيمٍ** » ، قَالُوا : قَدْ قَبِلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ » .

فَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ» (٢)، مِنْ حَدِيْثِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - قَالَ: إِنَّ وَفْدَ عَبْدِ الْقَيْسِ لَمَّا أَتَوُا النَّبِيَّ - صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : « **مَنِ الْقَوْمُ ؟ أَوْ : مَنِ الْوَفْدُ ؟** » قَالُوا : رَبِيعَةُ . قَالَ : « **مَرْحَبًا بِالْقَوْمِ - أَوْ : بِالْوَفْدِ - غَيْرَ خَزَايَا وَلَا نَدَامَى** » .

وَمِنْ تِلْكَ الوُفُودِ-أَيُّهَا النَّاسُ-وَفْدُ بَنِي دَوْسٍ .

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٣٦٥) .
(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٥٣) ، وَمُسْلِمٌ (١٧) .

فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» [١]،مِنْ حَدِيْث أَبِي هُرَيْرَةَ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-قَالَ: جَاءَ الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرو إِلَىٰ النَّبِيِّ-صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ: إِنَّ دَوْسًا قَدْ هَلَكَتْ عَصَتْ وَأَبَتْ ، فَادْعُ اللهَ عَلَيْهِمْ . فَقَالَ :« **اللهُمَّ اهْدِ دَوْسًا وَأْتِ بِهِمْ**» .

وَمِنْ تِلْكَ الوُفُودِ-أَيُّهَا النَّاسُ-وَفْدُ بَنِي حَنِيْفَةِ .

فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» [٢]، مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-قَالَ : بَعَثَ النَّبِيُّ - صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - خَيْلاً قِبَلَ نَجْدٍ، فَجَاءَتْ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ يُقَالُ لَهُ ثُمَامَةُ بْنُ أُثَالٍ، فَرَبَطُوهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ - صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ : « **مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ ؟** ».

فَقَالَ: عِنْدِي خَيْرٌ يَا مُحَمَّدُ ! إِنْ تَقْتُلْنِي تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وَإِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَىٰ شَاكِرٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ مِنْهُ مَا شِئْتَ .

فَتُرِكَ حَتَّىٰ كَانَ الْغَدُ ثُمَّ قَالَ لَهُ : « **مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ ؟** ».

قَالَ: مَا قُلْتُ لَكَ إِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَىٰ شَاكِرٍ !

فَتَرَكَهُ حَتَّىٰ كَانَ بَعْدَ الْغَدِ فَقَالَ: « **مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ ؟** ».

فَقَالَ : عِنْدِي مَا قُلْتُ لَكَ ! ، فَقَالَ : « **أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ** » .

فَانْطَلَقَ إِلَىٰ نَجْلٍ قَرِيبٍ مِنَ الْمَسْجِدِ، فَاغْتَسَلَ، ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَقَالَ:

---

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٢٧٢٠) ، وَمُسْلِمٌ (٢٥٢٤) .
(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٣٧٢) ، وَمُسْلِمٌ (١٧٦٤) .

أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إلا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله ! يَا مُحَمَّدُ ! وَاللهِ، مَا كَانَ عَلَىٰ الأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ، فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهُكَ أَحَبَّ الْوُجُوهِ إِلَيَّ، وَاللهِ مَا كَانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ، فَأَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيَّ، وَاللهِ مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضُ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ، فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ الْبِلَادِ إِلَيَّ، وَإِنَّ خَيْلَكَ أَخَذَتْنِي، وَأَنَا أُرِيدُ الْعُمْرَةَ ، فَمَاذَا تَرَىٰ ؟ .

فَبَشَّرَهُ رَسُولُ اللهِ –صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْتَمِرَ فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ، قَالَ لَهُ قَائِلٌ : صَبَوْتَ ؟! قَالَ : لا، وَلَكِنْ أَسْلَمْتُ مَعَ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ –صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، وَلا، وَاللهِ لَا يَأْتِيكُمْ مِنْ الْيَمَامَةِ حَبَّةُ حِنْطَةٍ حَتَّىٰ يَأْذَنَ فِيهَا النَّبِيُّ – صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ».

فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» (١)، مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا – قَالَ: قَدِمَ مُسَيْلِمَةُ الْكَذَّابُ عَلَىٰ عَهْدِ النَّبِيِّ – صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – الْمَدِينَةَ، فَجَعَلَ يَقُولُ: إِنْ جَعَلَ لِي مُحَمَّدٌ الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ تَبِعْتُهُ، فَقَدِمَهَا فِي بَشَرٍ كَثِيرٍ مِنْ قَوْمِهِ، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ –صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَمَعَهُ ثَابِتُ بْنُ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ، وَفِي يَدِ النَّبِيِّ – صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قِطْعَةُ جَرِيدَةٍ، حَتَّىٰ وَقَفَ عَلَىٰ مُسَيْلِمَةَ فِي أَصْحَابِهِ، قَالَ: «**لَوْ سَأَلْتَنِي هَذِهِ الْقِطْعَةَ مَا أَعْطَيْتُكَهَا، وَلَنْ أَتَعَدَّى أَمْرَ اللهِ فِيكَ، وَلَئِنْ أَدْبَرْتَ لَيَعْقِرَنَّكَ اللهُ، وَإِنِّي لَأُرَاكَ الَّذِي أُرِيتُ فِيكَ مَا أُرِيتُ، وَهَذَا ثَابِتٌ يُجِيبُكَ عَنِّي**» ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُ.

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٣٧٣)، وَمُسْلِمٌ (٢٢٧٣) .

قَالَ ابْنُ عَبَّاس : فَسَأَلْتُ عَنْ قَوْلِ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِنَّكَ أُرَىٰ الَّذِي أُرِيتُ فِيهِ مَا أَرَيْتُ فَأَخْبَرَنِي أَبُو هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: « **بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ فِي يَدَيَّ سِوَارَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ فَأَهَمَّنِي شَأْنُهُمَا فَأُوحِيَ إِلَيَّ فِي الْمَنَامِ أَنْ انْفُخْهُمَا فَنَفَخْتُهُمَا فَطَارَا فَأَوَّلْتُهُمَا كَذَّابَيْنِ يَخْرُجَانِ بَعْدِي أَحَدُهُمَا الْعَنْسِيُّ وَالْآخَرُ مُسَيْلِمَةُ** » . وَالحَدِيْثُ فِي «الصَّحِيْحَيْنِ» (١) .

وَمِنْ تِلْكَ الوُفُودِ-أَيُّهَا النَّاسُ-وَفْدُ بَنِي نَجْرَانِ .

فَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ» (٢)، مِنْ حَدِيْثِ حُذَيْفَةَ بْنُ اليَمَانِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ : جَاءَ العَاقِبُ وَالسَّيِّدُ ، صَاحِبَا نَجْرَانَ ، إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يُرِيدَانِ أَنْ يُلاعِنَاهُ ، قَالَ : فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ : لاَ تَفْعَلْ ، فَوَاللهِ لَئِنْ كَانَ نَبِيًّا فَلاَعَنَّا لاَ نُفْلِحُ نَحْنُ ، وَلاَ عَقِبُنَا مِنْ بَعْدِنَا ، قَالاَ : إِنَّا نُعْطِيكَ مَا سَأَلْتَنَا ، وَابْعَثْ مَعَنَا رَجُلًا أَمِينًا ، وَلاَ تَبْعَثْ مَعَنَا إِلَّا أَمِينًا .

فَقَالَ : « **لأَبْعَثَنَّ مَعَكُمْ رَجُلًا أَمِينًا حَقَّ أَمِين**» ، فَاسْتَشْرَفَ لَهُ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -فَقَالَ : « **قُمْ يَا أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الجَرَّاحِ فَلَمَّا قَامَ ، قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : هَذَا أَمِينُ هَذِهِ الأُمَّةِ** » .

وَمِنْ تِلْكَ الوُفُودِ-أَيُّهَا النَّاسُ-وَفْدُ ضِمَامِ بْنِ ثَعْلَبَةَ عَنْ قَوْمِهِ بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ .

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٣٧٤) ، وَمُسْلِمٌ (٢٢٧٤) .
(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٧٤٥) ، وَمُسْلِمٌ (٢٤٢٠) .

فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»(١)، مِنْ حَدِيثِ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ مَعَ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي الْمَسْجِدِ، دَخَلَ رَجُلٌ عَلَىٰ جَمَلٍ، فَأَنَاخَهُ فِي الْمَسْجِدِ ثُمَّ عَقَلَهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: أَيُّكُمْ مُحَمَّدٌ؟ وَالنَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَّكِئٌ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ، فَقُلْنَا: هَذَا الرَّجُلُ الأَبْيَضُ الْمُتَّكِئُ. فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ : ابْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ-صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «**قَدْ أَجَبْتُكَ**». فَقَالَ الرَّجُلُ لِلنَّبِيِّ- صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: إِنِّي سَائِلُكَ فَمُشَدِّدٌ عَلَيْكَ فِي الْمَسْأَلَةِ، فَلاَ تَجِدْ عَلَيَّ فِي نَفْسِكَ؟ فَقَالَ: «**سَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ**».

فَقَالَ: أَسْأَلُكَ بِرَبِّكَ وَرَبِّ مَنْ قَبْلَكَ، آللَّهُ أَرْسَلَكَ إِلَىٰ النَّاسِ كُلِّهِمْ؟، فَقَالَ: «**اللهُمَّ نَعَمْ**». قَالَ: أَنْشُدُكَ بِاللهِ، آللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ نُصَلِّيَ الصَّلَوَاتِ الخَمْسَ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ؟، قَالَ: «**اللهُمَّ نَعَمْ**». قَالَ: أَنْشُدُكَ بِاللهِ، آللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ نَصُومَ هَذَا الشَّهْرَ مِنَ السَّنَةِ؟، قَالَ: «**اللهُمَّ نَعَمْ**». قَالَ: أَنْشُدُكَ بِاللهِ، آللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ تَأْخُذَ هَذِهِ الصَّدَقَةَ مِنْ أَغْنِيَائِنَا فَتَقْسِمَهَا عَلَىٰ فُقَرَائِنَا؟، فَقَالَ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**اللهُمَّ نَعَمْ**».

فَقَالَ الرَّجُلُ : آمَنْتُ بِمَا جِئْتَ بِهِ ، وَأَنَا رَسُولُ مَنْ وَرَائِي مِنْ قَوْمِي ، وَأَنَا ضِمَامُ بْنُ ثَعْلَبَةَ أَخُو بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ .

وَأَسْتَغْفِرُ اللهُ .

---

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٦٣) ، وَمُسْلِمٌ (١٢) .

الوُفُـــودُ

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ :

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ أَشْرَفِ المُرْسَلِيْنَ ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

أَمَّا بَعْدُ :

فَمَازَالَ الحَدِيْثُ مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنْ « **الوُفُودِ** » . وَقَدْ قَدَّمْنَا أَنَّ عَدَدُهُمْ يَزِيْدُ عَلَىٰ سَبْعِيْنَ وَفْدًا ، وَقَدِ اقْتَصَرْتُ عَلَىٰ ذِكْرِ بَعْضِهِمْ .

وَحَدِيْثِي مَعَكُمْ الآنَ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنْ « **قُدُومِ تَمِيْمٍ الدَّارِيِّ وَإِخْبَارِهِ عَنِ الدَّجَّالِ وَالجَسَّاسَةِ** » فَهُوَ مِنَ الوُفُودِ الَّذِيْنَ وَفَدُوا عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- .

فَفِي «صَحِيْحِ مُسْلِمٍ»[1]، مِنْ حَدِيْثِ فَاطِمَةَ بِنْتَ قَيْسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- قَالَتْ : « سَمِعْتُ نِدَاءَ الْمُنَادِي مُنَادِي رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يُنَادِي الصَّلَاةَ جَامِعَةً فَخَرَجْتُ إِلَىٰ الْمَسْجِدِ فَصَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَكُنْتُ فِي صَفِّ النِّسَاءِ الَّتِي تَلِي ظُهُورَ الْقَوْمِ ، فَلَمَّا قَضَىٰ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -صَلَاتَهُ جَلَسَ عَلَىٰ الْمِنْبَرِ، وَهُوَ يَضْحَكُ،

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٩٤٢) .

فَقَالَ : لِيَلْزَمْ كُلُّ إِنْسَانٍ مُصَلَّاهُ ، ثُمَّ قَالَ : أَتَدْرُونَ لِمَ جَمَعْتُكُمْ ؟ قَالُوا : اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ .

قَالَ : إِنِّي وَاللهِ مَا جَمَعْتُكُمْ لِرَغْبَةٍ وَلَا لِرَهْبَةٍ ، وَلَكِنْ جَمَعْتُكُمْ ، لِأَنَّ تَمِيمًا الدَّارِيَّ كَانَ رَجُلًا نَصْرَانِيًّا ، فَجَاءَ فَبَايَعَ وَأَسْلَمَ ، وَحَدَّثَنِي حَدِيثًا وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْ مَسِيحِ الدَّجَّالِ،حَدَّثَنِي أَنَّهُ رَكِبَ فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ، مَعَ ثَلَاثِينَ رَجُلًا مِنْ لَخْمٍ وَجُذَامَ ، فَلَعِبَ بِهِمِ الْمَوْجُ شَهْرًا فِي الْبَحْرِ ، ثُمَّ أَرْفَئُوا إِلَىٰ جَزِيرَةٍ فِي الْبَحْرِ حَتَّىٰ مَغْرِبِ الشَّمْسِ، فَجَلَسُوا فِي أَقْرُبِ السَّفِينَةِ فَدَخَلُوا الْجَزِيرَةَ فَلَقِيَتْهُمْ دَابَّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرُ الشَّعَرِ ، لَا يَدْرُونَ مَا قُبُلُهُ مِنْ دُبُرِهِ ، مِنْ كَثْرَةِ الشَّعَرِ ، فَقَالُوا : وَيْلَكِ مَا أَنْتِ؟ فَقَالَتْ : أَنَا الْجَسَّاسَةُ، قَالُوا : وَمَا الْجَسَّاسَةُ ؟.

قَالَتْ : أَيُّهَا الْقَوْمُ ! انْطَلِقُوا إِلَىٰ هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ ، فَإِنَّهُ إِلَىٰ خَبَرِكُمْ بِالْأَشْوَاقِ ، قَالَ : لَمَّا سَمَّتْ لَنَا رَجُلًا فَرِقْنَا مِنْهَا أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً ، قَالَ : فَانْطَلَقْنَا سِرَاعًا ، حَتَّىٰ دَخَلْنَا الدَّيْرَ ، فَإِذَا فِيهِ أَعْظَمُ إِنْسَانٍ رَأَيْنَاهُ قَطُّ خَلْقًا، وَأَشَدُّهُ وِثَاقًا ، مَجْمُوعَةٌ يَدَاهُ إِلَىٰ عُنُقِهِ ، مَا بَيْنَ رُكْبَتَيْهِ إِلَىٰ كَعْبَيْهِ بِالْحَدِيدِ ، قُلْنَا: وَيْلَكَ مَا أَنْتَ ؟ ، قَالَ : قَدْ قَدَرْتُمْ عَلَىٰ خَبَرِي ، فَأَخْبِرُونِي مَا أَنْتُمْ؟، قَالُوا : نَحْنُ أُنَاسٌ مِنَ الْعَرَبِ رَكِبْنَا فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ ، فَصَادَفْنَا الْبَحْرَ حِينَ اغْتَلَمَ فَلَعِبَ بِنَا الْمَوْجُ شَهْرًا ، ثُمَّ أَرْفَأْنَا إِلَىٰ جَزِيرَتِكَ هَذِهِ ، فَجَلَسْنَا فِي أَقْرُبِهَا ، فَدَخَلْنَا الْجَزِيرَةَ ، فَلَقِيَتْنَا دَابَّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرُ الشَّعَرِ ، لَا يُدْرَىٰ مَا قُبُلُهُ

مِنْ دُبُرِهِ مِنْ كَثْرَةِ الشَّعَرِ ، فَقُلْنَا : وَيْلَكِ مَا أَنْتِ ؟ .

فَقَالَتْ : أَنَا الْجَسَّاسَةُ ، قُلْنَا : وَمَا الْجَسَّاسَةُ ؟ قَالَتْ : اعْمِدُوا إِلَىٰ هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ ، فَإِنَّهُ إِلَىٰ خَبَرِكُمْ بِالْأَشْوَاقِ ، فَأَقْبَلْنَا إِلَيْكَ سِرَاعًا ، وَفَزِعْنَا مِنْهَا ، وَلَمْ نَأْمَنْ أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً ، فَقَالَ : أَخْبِرُونِي عَنْ نَخْلِ بَيْسَانَ ، قُلْنَا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ ؟ قَالَ : أَسْأَلُكُمْ عَنْ نَخْلِهَا ، هَلْ يُثْمِرُ ؟ قُلْنَا لَهُ : نَعَمْ، قَالَ : أَمَا إِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ لَا تُثْمِرَ .

قَالَ : أَخْبِرُونِي عَنْ بُحَيْرَةِ الطَّبَرِيَّةِ ، قُلْنَا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ ؟ قَالَ: هَلْ فِيهَا مَاءٌ ؟ قَالُوا : هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ ، قَالَ : أَمَا إِنَّ مَاءَهَا يُوشِكُ أَنْ يَذْهَبَ.

قَالَ : أَخْبِرُونِي عَنْ عَيْنِ زُغَرَ ، قَالُوا : عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ ؟ قَالَ : هَلْ فِي الْعَيْنِ مَاءٌ ؟ وَهَلْ يَزْرَعُ أَهْلُهَا بِمَاءِ الْعَيْنِ ؟ ، قُلْنَا لَهُ : نَعَمْ ، هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ، وَأَهْلُهَا يَزْرَعُونَ مِنْ مَائِهَا .

قَالَ : أَخْبِرُونِي عَنْ نَبِيِّ الْأُمِّيِّينَ مَا فَعَلَ ؟ ، قَالُوا : قَدْ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ وَنَزَلَ يَثْرِبَ ، قَالَ : أَقَاتَلَهُ الْعَرَبُ ؟ ، قُلْنَا : نَعَمْ ، قَالَ : كَيْفَ صَنَعَ بِهِمْ ؟ فَأَخْبَرْنَاهُ أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ عَلَىٰ مَنْ يَلِيهِ مِنَ الْعَرَبِ وَأَطَاعُوهُ ، قَالَ لَهُمْ : قَدْ كَانَ ذَلِكَ ؟ ، قُلْنَا : نَعَمْ .

قَالَ : أَمَا إِنَّ ذَاكَ خَيْرٌ لَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ ، وَإِنِّي مُخْبِرُكُمْ عَنِّي ، إِنِّي أَنَا الْمَسِيحُ، وَإِنِّي أُوشِكُ أَنْ يُؤْذَنَ لِي فِي الْخُرُوجِ ، فَأَخْرُجَ فَأَسِيرَ فِي الْأَرْضِ فَلَا أَدَعَ قَرْيَةً إِلَّا هَبَطْتُهَا فِي أَرْبَعِينَ لَيْلَةً غَيْرَ مَكَّةَ وَطَيْبَةَ ، فَهُمَا مُحَرَّمَتَانِ عَلَيَّ كِلْتَاهُمَا، كُلَّمَا

أَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَ وَاحِدَةً - أَوْ وَاحِدًا - مِنْهُمَا اسْتَقْبَلَنِي مَلَكٌ بِيَدِهِ السَّيْفُ صَلْتًا ، يَصُدُّنِي عَنْهَا ، وَإِنَّ عَلَىٰ كُلِّ نَقْبٍ مِنْهَا مَلَائِكَةً يَحْرُسُونَهَا .

قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، وَطَعَنَ بِمِخْصَرَتِهِ فِي الْمِنْبَرِ : هَذِهِ طَيْبَةُ ، هَذِهِ طَيْبَةُ ، هَذِهِ طَيْبَةُ - يَعْنِي الْمَدِينَةَ - أَلَا هَلْ كُنْتُ حَدَّثْتُكُمْ ذَلِكَ ؟ .

فَقَالَ النَّاسُ : نَعَمْ ، فَإِنَّهُ أَعْجَبَنِي حَدِيثُ تَمِيمٍ ، أَنَّهُ وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْهُ ، وَعَنِ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ ، أَلَا إِنَّهُ فِي بَحْرِ الشَّأْمِ ، أَوْ بَحْرِ الْيَمَنِ ، لَا بَلْ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ ، مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ ، مَا هُوَ وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَىٰ الْمَشْرِقِ ، قَالَتْ : فَحَفِظْتُ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- .

اللهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنَ الفِتَنِ ، اللهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنَ الفِتَنِ .

اللهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ، اللهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ ، اللهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ.

وَسُبْحَانَكَ اللهُمَّ وَبِحَمْدِكَ،أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ،أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ.

٣٤ حَجُّ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّق بِالنَّاسِ

الخُطْبَةُ الأُولَىٰ:

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلِ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لا شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾[النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأَحْزَاب:٧٠-٧١] .

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ

مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ، وَكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ .

ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ :

فَمَا زَالَ الحَدِيْثُ مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنِ السِّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ عَلَىٰ صَاحِبِهَا الصَّلاةُ وَالسَّلامُ -، وَحَدِيْثِي مَعَكُمْ اليَوْمَ عَنْ « **حَجِّ أَبِي بَكْرٍ بِالنَّاسِ** » .

أَيُّهَا النَّاسُ لَمْ يَحُجَّ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَامَ الفَتْحِ ، بَلْ اعْتَمَرَ مِنَ الجُعْرَانَةِ بَعْدَ رُجُوعِهِ مِنَ الطَّائِفِ وَرَجَعَ إِلَىٰ المَدِيْنَةِ .

وَقَدْ حَجَّ المُسْلِمُونَ وَالمُشْرِكُونَ مَعًا فِي العَامِ الثَّامِنِ ، وَالَّذِي حَجَّ بِالمُسْلِمِيْنَ عتَابُ بْنُ أُسَيْدٍ أَمِيْرُ مَكَّةَ مِنْ قِبَلِ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَلَمَّا كَانَ العَامُ التَّاسِعُ مِنَ الهِجْرَةِ أَمَرَ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيْقَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنْ يَحُجَّ بِالنَّاسِ ، فَخَرَجَ فِي ذِي الحَجَّةِ إِلَىٰ مَكَّةَ، فَلَمَّا خَرَجَ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيْقَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- نَزَلَتْ سُورَةُ بَرَاءَةٍ ، فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- بِصَدْرِ سُورَةُ بَرَاءَةٍ لِيُعْلِنَهَا عَلَىٰ النَّاسِ فِي مَوْسِمِ الحَجِّ يَوْمَ النَّحْرِ ، وَهُوَ العَاشِرُ مِنْ ذِي الحَجَّةِ ، وَقَالَ : « **لَا يُبَلِّغُهَا إِلَّا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي** » ، رَوَىٰ ذَلِكَ ابْنُ هِشَامٍ عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ بِسَنَدٍ حَسَنٍ حَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي «فِقْهِ السِّيْرَةِ» (١) .

فَقَوْلُهُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **لَا يُبَلِّغُهَا إِلَّا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي** » ، تَمَشٍّ عَلَىٰ عَادَةِ العَرَبِ فِي عُهُودِ الدِّمَاءِ وَالأَمْوَالِ أَنْ لَا يَنْبِذَ لِلقَوْمِ عُهُودَهُمْ

---

(١) سَيَأْتِي تَخْرِيجُهُ بِطُولِهِ - إِنْ شَاءَ اللهُ - .

إِلَّا صَاحِبُ الشَّأْنِ أَوْ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ ، وَرِعَايَةُ هَذَا الإِفْهَامِ لَيْسَتْ بِوَاجِبَةٍ بَلْ هِيَ مِنَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حِيطَةٌ وَإِعْذَارٌ »[1].

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿ بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾ فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢﴾ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَـٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ ﴾ [التَّوْبَةُ: ١-٤].

قَالَ الجَزَائِرِيُّ -حَفِظَهُ اللهُ-:

« هَذِهِ السُّورَةُ القُرْآنِيَةُ الوَحِيدَةُ الَّتِي خَلَتْ مِنَ البَسْمَلَةِ لِأَنَّهَا مُفْتَتَحَةٌ بِآيَاتِ عَذَابٍ ، فَتَنَافَى مَعَهَا ذِكْرُ الرَّحْمَةِ وَ هَذِهِ السُّورَةُ مِنْ آخِرِ مَا نَزَلَ مِنَ القُرْآنِ الكَرِيْمِ ، وَقَدْ بَعَثَ الرَّسُولُ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلِيًّا وَبَعْضَ أَصْحَابِهِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ- فِي حَجِّ سَنَةَ تِسْعٍ يَقْرَأُونَ هَذِهِ الآيَةَ فِي المَوْسِمِ ، وَهِيَ تُعَلِّمُ المُشْرِكِيْنَ أَنَّهُ مَنْ كَانَ لَهُ عَهْدٌ بِلاَ حَدٍّ شَهْرٍ أَوْ سَنَةٍ مَثَلاً ، أَوْ كَانَ لَهُ عَهْدٌ دُونَ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ، أَوْ كَانَ لَهُ فَوْقَ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ وَنَقَضَهُ ، تُعْلِمُهُمْ بِأَنَّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَسِيحُوا فِي الأَرْضِ بِأَنَّ كَامِلَ مُدَّةِ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ، فَإِنْ أَسْلَمُوا

(١) «فِقْهُ السِّيـرَةِ» (٤٥٢).

فَهُوَ خَيْرٌ لَهُمْ ، وَإِنْ خَرَجُوا مِنَ الجَزِيْرَةِ فَإِنَّ لَهُمْ ذَلِكَ ، وَإِنْ بَقُوا كَافِرِيْنَ فَسَوْفَ يُؤْخَذُونَ وَيُقْتَلُونَ حَيْثُمَا وُجِدُوا فِي دِيَارِ الجَزِيْرَةِ الَّتِي أَصْبَحَت دَارَ إِسْلَامٍ بِفَتْحِ مَكَّةَ ، وَدُخُولِ أَهْلِ الطَّائِفِ فِي الإِسْلَامِ هَذَا مَعْنَىٰ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ ﴿ بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ ﴾ أَيْ وَاصِلَةٌ ﴿ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾ فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ﴾ تَبْدَأُ مِنْ يَوْمِ الإِعْلَانِ ، وَهُوَ يَوْمَ العِيْدِ عِيْدِ الأَضْحَىٰ .

وَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ﴾ أَيْ غَيْرُ فَائِتِيْهِ وَلاَ هَارِبِيْنَ مِنْ قَهْرِهِ وَسُلْطَانِهِ عَلَيْكُمْ هَذَا أَوَّلاً ، وَثَانِيًا ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ أَيْ مُذِلُّهُمْ وَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ ﴾ أَيْ مُحَمَّدٌ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَالأَذَانُ الإِعْلَانُ ، وَالإِعْلَامُ ﴿ إِلَى ٱلنَّاسِ ﴾ وَهُمْ المُشْرِكُونَ ﴿ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ ﴾ أَيْ يَوْمَ عِيْدِ الأَضْحَىٰ حَيْثُ تَفَرَّغَ الحُجَّاجُ لِلإِقَامَةِ بِمِنَىٰ لِلرَّاحَةِ وَالاسْتِجْمَامِ قَبْلَ العَوْدَةِ إِلَىٰ دِيَارِهِمْ، وَصُورَةُ الإِعْلَانِ عَنْ تِلْكَ البَرَاءَةِ هِيَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ ﴾ أَيْ كَذَلِكَ بَرِيءَ مِنَ المُشْرِكِيْنَ وَعَلَيْهِ ﴿ فَإِن تُبْتُمْ ﴾ أَيُّهَا المُشْرِكُونَ إِلَىٰ اللهِ -تَعَالَىٰ- بِتَوْحِيْدِهِ وَالإِيْمَانِ بِرَسُولِهِ وَطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ﴿ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ ﴾ مِنَ الإِصْرَارِ عَلَىٰ الشِّرْكِ وَالكُفْرُ وَالعِصْيَانُ ﴿ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ ﴾ أَيْ أَعْرَضْتُمْ عَنِ الإِيْمَانِ وَالطَّاعَةِ ﴿ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ ﴾ بِحَالٍ مِنَ الأَحْوَالِ ، فَلَنْ تَفُوتُوهُ وَلَنْ تَهْرَبُوا مِنْ

سُلْطَانِه ، فَإِنَّ اللهَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- لاَ يَغْلِبُهُ غَالِبٌ ، وَلاَ يَفُوتُهُ هَارِبٌ ، ثُمَّ قَالَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- لِرَسُولِهِ : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ أَيْ أَخْبِرْهُمْ بِهِ فَإِنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ لاَ مَحَالَةَ إِلَّا أَنْ يَتُوبُوا ، وَقَوْلُهُ -تَعَالَىٰ- فِي الآيَةِ الرَّابِعَةِ ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ ﴾ مِنْ شُرُوطِ المُعَاهَدَةِ ﴿ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَـٰهِرُوا۟ ﴾ أَيْ لَمْ يُعَاوِنُوا ﴿ عَلَيْكُمْ أَحَدًا ﴾ بِرِجَالٍ وَلاَ بِسِلَاحٍ وَلَا حَتَّىٰ بِمَشُورَةٍ وَرَأْيٍ ، فَهَؤُلاَءِ لَمْ يَبْرَأِ اللهُ مِنْهُمْ وَلاَ رَسُولُهُ، وَعَلَيْهِ ﴿ فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ﴾ أَيْ مُدَّةِ أَجَلِهِمُ المُحَدَّدِ بِزَمَنٍ مُعَيَّنٍ ، فَوَفُّوا لَهُمْ وَلاَ تَنْقُضُوا لَهُمْ عَهْدًا إِلَىٰ أَنْ يَنْقُضُوهُ هُمْ بِأَنْفُسِهِمْ ، أَوْ تَنْتَهِي مُدَّتُهُمْ ، وَحِينَئِذٍ إِمَّا الإِسْلَامُ وَإِمَّا السَّيْفُ إِذْ لَمْ يَبْقَ مَجَالٌ لِبَقَاءِ الشِّرْكِ فِي دَارِ الإِسْلَامِ وَقُبَّتِهِ »[1].

أَيُّهَا النَّاسُ لَقَدْ فَصَّلَتِ السُّنَّةُ بِمَا بَعَثَ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلِيًّا، رَوَىٰ ابْنُ إِسْحَاقَ بِسَنَدٍ حَسَنٍ إِلَىٰ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي«فِقْهِ السِّيْرَةِ»[2]، قَالَ : لَمَّا نَزَلَتْ ﴿ بَرَآءَةٌ ﴾ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَقَدْ بَعَثَ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ لِيُقِيمَ لِلنَّاسِ الْحَجَّ قِيلَ لَهُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، لَوْ بَعَثْت بِهِ إِلَىٰ أَبِي بَكْرٍ .

---

(١) «تَفْسِيْرُ الجَزَائِرِيّ » (٢/ ٣٧٧-٣٨٨) .

(٢) (حَسَنٌ) أَخْرَجَهُ ابْنُ هِشَامٍ فِي «السِّيْـرَةِ»(٢/ ٥٤٥) ، وَهُوَ مُرْسَلٌ لَكِنْ لَهُ شَوَاهِد يَتَقَوَّىٰ بِهَا ، ذَكَرَهَا ابْنُ كَثِيْرٍ فِي «السِّيْـرَةِ» (٤/ ٧٠-٧٢)، وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي«فِقْهِ السِّيْـرَةِ» (٤٥٢).

فَقَالَ : « **إِنَّهُ لَا يُؤَدِّي عَنِّي إِلَّا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي** ». ثُمَّ دَعَا عَلِيًّا ، فَقَالَ لَهُ : « **اُخْرُجْ بِهَذِهِ الْقُصَّةِ مِنْ صَدْرِ بَرَاءَةَ ، وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ يَوْمَ النَّحْرِ إِذَا اجْتَمَعُوا بِمِنًى أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ كَافِرٌ ، وَلَا يَحُجُّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ ، وَلَا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ ، وَمَنْ كَانَ لَهُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَهْدٌ فَهُوَ لَهُ إِلَى مُدَّتِهِ** » .

فَخَرَجَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- عَلَىٰ نَاقَةِ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حَتَّىٰ أَدْرَكَ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، فَلَمَّا رَآهُ أَبُو بَكْرٍ قَالَ : أَمِيرٌ أَمْ مَأْمُورٌ ؟، قَالَ بَلْ مَأْمُورٌ . ثُمَّ مَضَيَا ، فَأَقَامَ أَبُو بَكْرٍ لِلنَّاسِ الْحَجَّ ، وَالْعَرَبُ إِذْ ذَاكَ فِي تِلْكَ السَّنَةِ عَلَىٰ مَنَازِلِهِمْ مِنَ الْحَجِّ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، حَتَّىٰ إِذَا كَانَ يَوْمُ النَّحْرِ قَامَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- فَأَذَّنَ فِي النَّاسِ بِالَّذِي أَمَرَهُ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ كَافِرٌ ، وَلَا يَحُجُّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ ، وَلَا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عُرْيَانًا ، وَمَنْ كَانَ لَهُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَهْدٌ فَهُوَ لَهُ إِلَىٰ مُدَّتِهِ » ، وَأَجَّلَ النَّاسَ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ مِنْ يَوْمِ أَذَّنَ فِيهِمْ ، لِيَرْجِعَ كُلُّ قَوْمٍ إِلَىٰ مَأْمَنِهِمْ أَوْ بِلَادِهِمْ ، ثُمَّ لَا عَهْدٌ لِمُشْرِكٍ وَلَا ذِمَّةٌ إِلَّا أَحَدٌ كَانَ لَهُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَهْدٌ إِلَىٰ مُدَّةٍ .

فَلَمْ يَحُجَّ بَعْدَ ذَلِكَ الْعَامِ مُشْرِكٌ ، وَلَمْ يَطُفْ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ . ثُمَّ قَدِمَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

وَلَمْ يَكُنْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَيُّهَا النَّاسُ- يُؤَذِّنُ فِي النَّاسِ لِوَحْدِهِ ، بَلْ كَانَ هُنَاكَ مُؤَذِّنُونَ آخَرُونَ بَثَّهُمْ أَبِي بَكْرٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - فِي الْمَجَامِعِ الكَبِيْرَةِ يُعْينُونَ عَلِيًّا - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - عَلَى إِبْلَاغِ رِسَالَتِهِ وَيَصِحُونَ هُنَا وَهُنَاكَ ، لا يَحُجُّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ ، وَلَا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ، وَمِنْهُمْ أَبُو هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -.

فَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ» (١) ، عَنْ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أَخْبَرَهُ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقُ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - بَعَثَهُ فِي الْحَجَّةِ الَّتِي أَمَّرَهُ عَلَيْهَا رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَبْلَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ فِي رَهْطٍ يُؤَذِّنُ فِي النَّاسِ يَوْمَ النَّحْرِ : لَا يَحُجُّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ ، وَلَا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ » .

وَأَسْتَغْفِرُ اللهُ .

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٦٩) وَ (٣٧١١) ، وَمُسْلِمٌ (١٣٤٧) .

بَعْثُ النَّبِيِّ ـصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَـ عَلِيًّا وَمُعَاذ وَأَبَا مُوسَى إِلَى اليَمَن

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ :

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ أَشْرَفِ المُرْسَلِيْنَ ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

أَمَّا بَعْدُ :

تَقَدَّمَ الحَدِيْثُ مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنْ « **حَجِّ أَبِي بَكْرٍ بِالنَّاسِ** » .

وَالآنَ حَدِيْثِي مَعَكُمْ عَنْ« **بَعْثِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلِيًّا وَمُعَاذَ وَأَبَا مُوسَىٰ إِلَى اليَمَنِ** » .

فَعَنِ عَنِ الْبَرَاءِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: بَعَثَ أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ إِلَىٰ أَهْلِ الْيَمَنِ ، يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ الْإِسْلَام . قَالَ الْبَرَاءُ: فَكُنْتُ فِيمَنْ خَرَجَ مَعَ خَالِد ، فَأَقَمْنَا سِتَّةَ أَشْهُر نَدْعُوهُمْ إِلَىٰ الْإِسْلَام فَلَمْ يُجِيبُوهُ ، ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بَعَثَ عَلِيًّا -رَضِي اللهُ عَنْهُ- فَأَمَرَهُ أَنْ يُقْفِلَ خَالِدًا ، إِلَّا رَجُلاً كَانَ مِمَّنْ مَعَ خَالِدٍ أَحَبَّ أَنْ يُعَقِّبَ مَعَ عَلِيٍّ فَلْيُعَقِّبْ مَعَهُ .

قَالَ الْبَرَاءُ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: فَكُنْتُ مِمَّنْ عَقِبَ مَعَهُ، فَلَمَّا دَنَوْنَا مِنَ الْقَوْمِ خَرَجُوا إِلَيْنَا، فَصَلَّىٰ بِنَا عَلِيٌّ وَصَفَّنَا صَفًّا وَاحِدًا ثُمَّ تَقَدَّمَ بَيْنَ أَيْدِينَا فَقَرَأَ عَلَيْهِمْ كِتَابَ رَسُولِ اللهِ - صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فَأَسْلَمَتْ هَمْدَانُ جَمِيعًا، فَكَتَبَ عَلِيٌّ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ - صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِإِسْلَامِهِمْ، فَلَمَّا قَرَأَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الْكِتَابَ خَرَّ سَاجِدًا، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ: «**السَّلَامُ عَلَى هَمْدَانَ، السَّلَامُ عَلَى هَمْدَانَ**».

وَصَدْرُ الْحَدِيْثِ -أَيُّهَا النَّاسُ- فِي «صَحِيْحِ الْبُخَارِيِّ»، وَهَذَا تَمَامُهُ بِإِسْنَادِهِ عِنْدَ الْبَيْهَقِيِّ، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي «إِرْوَاءِ الْغَلِيْلِ»[1].

ذَلِكَ -أَيُّهَا النَّاسُ- مَا جَاءَ فِي بَعْثِ رَسُولِ اللهِ - صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَلِيًّا -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- إِلَىٰ الْيَمَنِ، وَأَمَّا بَعْثُ مُعَاذَ وَأَبَا مُوسَىٰ.

فَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ»[2]، مِنْ حَدِيْثِ أَبِي مُوسَىٰ الأَشْعَرِيِّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: أَقْبَلْتُ إِلَىٰ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَمَعِي رَجُلَانِ مِنَ الأَشْعَرِيِّينَ أَحَدُهُمَا عَنْ يَمِينِي وَالآخَرُ عَنْ يَسَارِي فَكِلَاهُمَا سَأَلَ الْعَمَلَ وَالنَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَسْتَاكُ فَقَالَ: «**مَا تَقُولُ يَا أَبَا مُوسَى أَوْ يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ قَيْس**»، قَالَ: فَقُلْتُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا أَطْلَعَانِي عَلَىٰ مَا فِي أَنْفُسِهِمَا، وَمَا شَعَرْتُ أَنَّهُمَا يَطْلُبَانِ الْعَمَلَ، قَالَ: وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَىٰ سِوَاكِهِ

(١) «صَحِيْحُ الْبُخَارِيُّ» (٤٣٤٩) وَالْبَيْهَقِيُّ (٢/ ٣٦٩)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «إِرْوَاءِ الْغَلِيْلِ» (٤٥٢).
(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٣٤١)، وَمُسْلِمٌ (١٧٣٣).

تَحْتَ شَفَتِهِ وَقَدْ قَلَصَتْ فَقَالَ : « **لَنْ أَوْ لَا نَسْتَعْمِلُ عَلَى عَمَلِنَا مَنْ أَرَادَهُ ، وَلَكِنْ اذْهَبْ أَنْتَ يَا أَبَا مُوسَى أَوْ يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ قَيْسٍ** » .

فَبَعَثَهُ عَلَىٰ الْيَمَنِ ثُمَّ أَتْبَعَهُ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ ، فَلَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِ قَالَ : انْزِلْ وَأَلْقَىٰ لَهُ وِسَادَةً ، وَإِذَا رَجُلٌ عِنْدَهُ مُوثَقٌ، قَالَ : « **مَا هَذَا ؟** » ، قَالَ : هَذَا كَانَ يَهُودِيًّا فَأَسْلَمَ، ثُمَّ رَاجَعَ دِينَهُ دِينَ السَّوْءِ فَتَهَوَّدَ ، قَالَ: لَا أَجْلِسُ حَتَّىٰ يُقْتَلَ قَضَاءُ اللهِ وَرَسُولِهِ فَقَالَ : « **اجْلِسْ نَعَمْ** » ، قَالَ : لَا أَجْلِسُ حَتَّىٰ يُقْتَلَ قَضَاءُ اللهِ وَرَسُولِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَأَمَرَ بِهِ فَقُتِلَ ، ثُمَّ تَذَاكَرَا الْقِيَامَ مِنَ اللَّيْلِ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا مُعَاذٌ : أَمَّا أَنَا فَأَنَامُ وَأَقُومُ ، وَأَرْجُو فِي نَوْمَتِي ، مَا أَرْجُو فِي قَوْمَتِي .

أَيُّهَا النَّاسُ لَقَدْ أَوْصَىٰ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- حِيْنَ بَعَثَهُ إِلَىٰ الْيَمَنِ بِوَصِيَّةٍ عَظِيْمَةٍ ، تَضَمَّنَتْ مِنْهَجًا مُتَكَامِلَ فِي الدَّعْوَةِ إِلَىٰ اللهِ فَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ»[١]، مِنْ حَدِيْثِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- حِينَ بَعَثَهُ إِلَىٰ الْيَمَنِ : « **إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ ، فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ**

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٣٤٧) ، وَمُسْلِمٌ (١٩) .

اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ » .

اللهُمَّ انْفَعْنَا وَانْفَعْ بِنَا ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ ، اللهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَمَا قُرِّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قُرِّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ .

وَسُبْحَانَكَ اللهُمَّ وَبِحَمْدِكَ،أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ،أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ.

٣٥ حِجَّةُ الوَدَاعِ

الخُطْبَةُ الأُولَى:

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ،نَحْمِدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لا شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾[النِّسَاء:١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الأُمُورِ

مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ :

فَمَا زَالَ الحَدِيْثُ مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنِ السِّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ عَلَىٰ صَاحِبِهَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -، وَحَدِيْثِي مَعَكُمْ اليَوْمَ عَنْ « **حِجَّةِ الوَدَاعِ** » .

وَكَانَتْ حِجَّةُ الوَدَاعِ -أَيُّهَا النَّاسُ- فِي العَامِ العَاشِرِ مِنَ الهِجْرَةِ ، وَسُمِّيَتْ حِجَّةُ الوَدَاعِ لِأَنَّهُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَدَّعَ النَّاسَ فِيْهَا وَلَمْ يَحُجَّ بَعْدَهَا.

فَفِي «صَحِيْحِ البُخَارِيِّ» (١) مِنْ حَدِيْثِ عَنِ ابْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ: « كُنَّا نَتَحَدَّثُ بِحَجَّةِ الوَدَاعِ، وَالنَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بَيْنَ أَظْهُرِنَا، وَلاَ نَدْرِي مَا حَجَّةُ الوَدَاعِ » .

وَفِي رِوَايَةٍ «لِلْبُخَارِيِّ» (٢) مِنْ حَدِيْث عَنِ ابْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ : وَقَفَ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَوْمَ النَّحْرِ بَيْنَ الْجَمَرَاتِ فِي الْحَجَّةِ الَّتِي حَجَّ بِهَذَا ، وَقَالَ : « **هَذَا يَوْمُ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ** » ، فَطَفِقَ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: « **اللهُمَّ اشْهَدْ وَوَدَّعَ النَّاسَ** » ، فَقَالُوا : هَذِهِ حَجَّةُ الْوَدَاعِ .

قَالَ الحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ -رَحِمَهُ اللهُ-: « قَوْلُهُ : (**وَلَا نَدْرِي مَا حِجَّةُ الْوَدَاعِ**) كَأَنَّهُ شَيْءٌ ذَكَرَهُ النَّبِيُّ - صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَتَحَدَّثُوا بِهِ وَمَا

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٤٠٢) .
(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (١٦٥٥) .

فَهِمُوا أَنَّ الْمُرَادَ بِالْوَدَاعِ وَدَاعُ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، حَتَّىٰ وَقَعَتْ وَفَاتُهُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بَعْدَهَا بِقَلِيلٍ فَعَرَفُوا الْمُرَادَ ، وَعَرَفُوا أَنَّهُ وَدَّعَ النَّاسَ بِالْوَصِيَّةِ الَّتِي أَوْصَاهُمْ بِهَا أَنْ لَا يَرْجِعُوا بَعْدَهُ كُفَّارًا ، وَأَكَّدَ التَّوْدِيعَ بِإِشْهَادِ اللهِ عَلَيْهِمْ بِأَنَّهُمْ شَهِدُوا أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ مَا أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ بِهِ ، فَعَرَفُوا حِينَئِذٍ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِمْ : حِجَّةُ الْوَدَاعِ » [١] .

وَكَانَتْ حِجَّةُ الْوَدَاعِ -أَيُّهَا النَّاسُ- أَعْظَمَ حِجَّةٍ فِي التَّارِيْخِ وَأَفْضَلَهَا، أَقَامَ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِيهَا شَعَائِرَ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- ، وَعَظَّمَ حُرُمَاتِهِ ، وَصَدَعَ بِدِيْنِهِ ، وَبَيَّنَ لِلنَّاسِ مَنَاسِكَهُمْ، وَخَطَبَ يُنْذِرُهُمْ وَيُعَلِّمُهُمْ وَيُبَشِّرُهُمْ .

وَلَمَّا عَزَمَ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلَىٰ الحَجِّ -أَيُّهَا النَّاسُ- أَذَّنَ فِي النَّاسِ بِهِ ، فَتَجَهَّزُوا لِلْخُرُجِ مَعَهُ ، وَسَمِعَ بِذَلِكَ مَنْ حَوْلَ الْمَدِيْنَةِ ، فَقَدِمُوا يُرِيْدُونَ الحَجِّ مَعَ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَوَفَاهُ فِي الطَّرِيْقِ خَلَائِقُ لاَ يُحْصُونَ ، فَكَانُوا مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ، وَمِنْ خَلْفِهِ ، وَعَنْ يَمِيْنِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ مُدَّ الْبَصَرِ » .

جَاءَ فِي «صَحِيْحِ مُسْلِمٍ» [٢] ، مِنْ حَدِيْثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- فِي وَصْفِ حَجَّةِ النَّبِيِّ - صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: « إِنَّ رَسُولَ

(١) «فَتْحُ البَارِيّ» (٨/ ١٠٧) .
(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٩٠٩) .

اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مَكَثَ تِسْعَ سِنِينَ لَمْ يَحُجَّ ، ثُمَّ أَذَّنَ فِي النَّاسِ فِي الْعَاشِرَةِ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حَاجٌّ ، فَقَدِمَ الْمَدِينَةَ بَشَرٌ كَثِيرٌ ، كُلُّهُمْ يَلْتَمِسُ أَنْ يَأْتَمَّ بِرَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَيَعْمَلَ مِثْلَ عَمَلِهِ ، فَخَرَجْنَا مَعَهُ» .

كُلُّهُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- شُرِّفُوا بِالحَجِّ مَعَ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَهَلْ حِجَّةٌ أَفْضَلُ مِنْ حِجَّةٍ يَؤُمُّهُمْ فِيهَا أَفْضَلُ البَشَرِ، وَخَاتَمُ الرُّسُلِ ، يَهْتَدُونَ بِهَدْيِهِ ، وَيَسْتَنُّونَ بِسُنَّتِهِ ، وَيُقَلِّدُونَهُ فِي أَفْعَالِهِ ، وَيَنْعَمُونَ بِرُؤْيَتِهِ وَطِيبِ صُحْبَتِهِ ، وَيَسْتَمِعُونَ إِلَىٰ خِطَابِهِ، وَيَأْخُذُونَ عَنْهُ مَنَاسِكَهُمْ، وَيُشَارِكُونَهُ فِي تَعْظِيمِ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- وَذِكْرِهِ وَشُكْرِهِ ، فَمَا أَعْظَمُ تِلْكَ الحِجَّةِ وَيَالَسَعَادَةِ مَنْ حَضَرَهَا .

إِنَّ مَنْ حَضَرَهَا -أَيُّهَا النَّاسُ- طَافَ مَعَ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِالبَيْتِ، وَوَقَفَ مَعَهُ فِي عَرَفَةَ ، وَفِي المَشْعَرِ الحَرَامِ وَفِي مُزْدَلِفَةَ، وَشَارَكَهُ فِي الهَدْيِ وَفِي الجِمَارِ، وَبَاتَ مَعَهُ فِي مِنًى ، وَاسْتَمَعَ إِلَيْهِ وَهُوَ يَخْطُبُ فِي النَّاسِ يُعَلِّمُهُمْ مَنَاسِكَهُمْ وَدِينَهُمْ، وَيَحُضُّهُمْ عَلَىٰ مَا فِيهِ فَلَاحُهُمْ، وَيَنْهَاهُمْ عَمَّا يَضُرُّهُمْ ، فَلَوْ كَانَ الأَمْرُ -أَيُّهَا النَّاسُ- بِالاخْتِيَارِ لَاخْتَارَ كُلُّ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَحُجُّوا مَعَهُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، وَذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ، وَاللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ » .

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ -رَحِمَهُ اللهُ- :«صَلَّىٰ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-

الظُّهْرَ يَوْمَ الْخَمِيسِ ، لِستٍّ بَقِينَ لِذِي الْقَعْدَةِ مِنْ سَنَةِ عَشْرٍ بِالمَدِيْنَةِ ، ثُمَّ خَرَجَ مِنْهَا بِمَنْ مَعَهُ مِنَ المُسْلِمِيْنَ مِنْ أَهْلِ المَدِيْنَةِ وَمَنْ تَجَمَّعَ مِنَ الأَعْرَابِ، فَصَلَّىٰ العَصْرِ بِذِي الْحُلَيْفَةِ ، وَهُوَ مِيْقَاتُ أَهْلِ المَدِيْنَةِ ، وَيُعْتَبَرُ جُزْءًا مِنْ وَادِي العَقِيْقِ ، وَأَتَاهُ آتٍ مِنْ رَبِّهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- وَهُوَ فِي وَادِي العَقِيْقِ يَأْمُرُهُ عَنْ رَبِّهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- أَنْ يَقُولَ فِي حِجَّتِهِ هَذِهِ : « حِجَّةٌ فِي عُمْرَةٍ» جَاءَ ذَلِكَ فِي «صَحِيْحِ البُخَارِيِّ» [١]، عَنْ عُمَرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- ، وَفِي «صَحِيْحِ مُسْلِمٍ» [٢] ، عَنْ أَنَسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- .

وَمَعْنَىٰ هَذَا : أَنَّ اللهَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- أَمَرَهُ أَنْ يُقْرِنَ الحَجَّ مَعَ العُمْرَةِ، فَأَصْبَحَ فَأَخْبَرَ النَّاسَ بِذَلِكَ ، وَطَافَ عَلَىٰ نِسَائِهِ يَوْمَئِذٍ بِغُسْلٍ وَاحِدٍ ، جَاءَ ذَلِكَ فِي «الصَّحِيْحَيْنِ»[٣]،مِنْ حَدِيْثِ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- .

وَسَاقَ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الهَدْيَ مِنْ مِنْ ذِي الْحُلَيْفَةِ، وَأَمَرَ مَنْ كَانَ مَعَهُ هَدْيٌ أَنْ يُهِلَّ كَمَا أَهَلَّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، وَسَارَ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَالنَّاسُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَخَلْفِهِ ، وَعَنْ يَمِيْنِهِ ، وَشِمَالِهِ، أُمَمًا لاَ يُحْصَوْنَ كَثِيْرَةٌ ، كُلُّهُمْ قَدِمَ لِيَأْتَمَّ بِهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- .

فَلَمَّا قَدِمَ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مَكَّةَ طَافَ لِلقُدُومِ، ثُمَّ سَعَىٰ بَيْنَ الصَّفَا وَالمَرْوَةِ ، وَأَمَرَ الَّذِيْنَ لَمْ يَسُوقُوا هَدْيًا أَنْ يَفْسَخُوا حِجَّهُمْ إِلَىٰ عُمْرَةٍ،

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (١٥٣٤) .
(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٢٥١) .
(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٢٧٠) ، وَمُسْلِمٌ (١١٩٢) .

وَيَتَحَلَّلُوا حِلاً تامًّا، ثُمَّ يُهِلُّوا بالحَجِّ وَقْتَ خُرُوجِهُمْ إِلَىٰ مِنىً ، وَقَالَ : «**لَوْ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ مَا سُقْتُ الْهَدْيَ وَلَجَعَلْتُهَا عُمْرَةً**». جَاءَ ذَلِكَ فِي «الصَّحِيْحَيْنِ»[١]، مِنْ حَدِيْثِ جَابِرٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- .

وَقَدِمَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- مِنَ اليَمَنِ هَدْيًا، فَأَشْرَكَهُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي هَدْيِهِ وَكَانَ حَاصِلُهَا مَائَةَ بَدَنَةٍ ، ثُمَّ خَرَجَ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِلَىٰ مِنىً ، فَبَاتَ بِهَا ، وَكَانَتْ لَيْلَةُ الجُمْعَةِ التَّاسِعَ مِنْ ذِي الحِجَّةِ، ثُمَّ أَصْبَحَ فَسَارَ إِلَىٰ عَرَفَةَ، وَخَطَبَ بِنَمِرَةٍ خُطْبَةً عَظِيْمَةً ، شَهِدَهَا مِنْ أَصْحَابِهِ نَحْوَ أَرْبَعِيْنَ أَلْفًا -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِيْنَ- وَجَمَعَ بَيْنَ الظُّهْرِ وَالعَصْرِ، ثُمَّ وَقَفَ بِعَرَفَةَ ، ثُمَّ بَاتَ بِالمُزْدَلِفَةِ ، وَجَمَعَ بَيْنَ المَغْرِبِ والعِشَاءِ، لَيْلَتَئِذٍ ، ثُمَّ أَصْبَحَ فَصَلَّىٰ الفَجْرِ أَوَّلَ وَقْتِهَا .

ثُمَّ سَارَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ إِلَىٰ مِنَىً ، فَرَمَي جَمْرَةَ العَقَبَةِ ، وَنَحَرَ وَحَلَقَ، ثُمَّ أَفَاضَ ، فَطَافَ بِالبَيْتِ طَوَافَ الفَرْضِ، وَهُوَ طَوَافُ الزِّيَارَةِ... ثُمَّ حُلَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ حُرِمَ مِنْهُ .

وَخَطَبَ ثَانِي يَوْمِ النَّحْرِ خُطْبَةً عَظِيْمَةً ، وَوَصَّىٰ وَحَذَّرَ وَأَنْذَرَ ، وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُ بَلَغَ الرِّسَالَةَ .

فَنَحْنُ نَشْهَدُ أَنَّهُ بَلَّغَ الرِّسَالَةَ ، وَأَدَّىٰ الأَمَانَةَ، وَنَصَحَ الأُمَّةَ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - تَسْلِيْمًا كَثِيْرًا دَائِمًا إِلَىٰ يَوْمِ الدِّيْنِ ، ثُمَّ أَقْبَلَ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (١٥٦٨) ، وَمُسْلِمٌ (١٢١٨) .

وَسَلَّمَ - مُنْصَرِفًا إِلَىٰ الْمَدِيْنَةِ ، وَقَدْ أَكْمَلَ اللهُ لَهُ دِيْنَهُ » .

وَذَلِكَ عِنْدَ نُزُولِ قَوْلِ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ -: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ ﴾ [المَائِدَة:٣] .

وَأَسْتَغْفِرُ اللهُ .

خُطَبُ النَّبِيُّ ـصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَـ فِي حِجَّةِ الوَدَاعِ

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ :

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ أَشْرَفِ المُرْسَلِيْنَ ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

أَمَّا بَعْدُ :

تَقَدَّمَ الحَدِيْثُ مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنْ « **حِجَّةِ الوَدَاعِ** » .

وَالآنَ حَدِيْثِي مَعَكُمْ عَنْ« **خُطَبِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي حِجَّةِ الوَدَاعِ**» .

أَيُّهَا النَّاسُ، لَقَدْ خَطَبَ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي حِجَّةِ الوَدَاعِ خُطْبَتَيْنِ عَظِيْمَتَيْنِ .

فَالخُطْبَةُ الأُوْلَىٰ خَطَبَهَا يَوْمَ عَرَفَةَ بِعَرَفَةَ ، وَالخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ يَوْمَ النَّحْرِ بِمِنَىً، فَأَمَّا خُطْبَةُ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِعَرَفَةَ فَإِنَّه -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-وَقَفَ يَوْمَ الجُمُعَةِ فِي عَرَفَةَ ، وَخَطَبَ فِي النَّاسِ خُطْبَةً عَظِيْمَةً بَلِيْغَةً بَيَّنَ فِيْهَا الحُقُوقَ والحُرُمَاتِ، وَوَضَعَ فِيْهَا مَآثِرَ الجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمَيْهِ،

وَأَوْصَىٰ بالنِّسَاءِ خَيْرًا ، ، وَدَلَّ عَلَىٰ سَبِيْلِ العِصْمَةِ مِنَ الضَّلَالِ، ثُمَّ أَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ بَلاَغِهِ فَشَهِدُوا فِي ذَلِكَ الجَمْعِ العَظِيْمِ شَهَادَةً مَا اجْتَمَعَ حَشْدٌ مِثْلُهُ يَشْهَدُونَ عَلَىٰ مِثْلِ مَا شَهِدُوا عَلَيْهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ –صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فِي تِلْكَ الجُمُوعِ العَظِيْمَةِ ، كَمَا جَاءَ فِي «صَحِيْحِ مُسْلِمٍ» (١)،وَسُنَنِ أَبِي دَاوُدَ وَابْنِ مَاجه، مِنْ حَدِيْثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا –: «**إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا ، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا ، أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمَيَّ مَوْضُوعٌ ، وَدِمَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ،وَإِنَّ أَوَّلَ دَمٍ أَضَعُ مِنْ دِمَائِنَا دَمُ ابْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ ، كَانَ مُسْتَرْضِعًا فِي بَنِي سَعْدٍ فَقَتَلَتْهُ هُذَيْلٌ ، وَربَا الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ ، وَأَوَّلُ رِبًا أَضَعُ رِبَانَا رِبَا عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، فَإِنَّهُ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ ، فَاتَّقُوا اللهَ فِي النِّسَاءِ ، فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللهِ ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللهِ، وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ ، فَإِنْ فَعَلْنَ ذَلِكَ فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ ، وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ، وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ ، كِتَابُ اللهِ ، وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي ، فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ ؟**» .

قَالُوا : نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ .

فَقَالَ : « بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ ، يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْكُتُهَا إِلَى النَّاسِ اللهُمَّ ،

---

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٢١٨) وَأَبُو دَاوُدَ (١٩٠٥) ، وَابْنِ مَاجه (٣٠٧٤) ، وَالدَّارِمِيُّ (١٨٥٠) .

اشْهَدْ ، اللهُمَّ ، اشْهَدْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ » .

تِلْكَ -أَيُّهَا النَّاسُ- خُطْبَةُ يَوْمِ عَرَفَةٍ فِي عَرَفَةَ ، ثُمَّ أَنَّهُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- خَطَبَ الخُطْبَةَ الثَّانِيَةَ فِي ثَانِي يَوْمِ النَّحْرِ بِمِنًى .

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ -رَحِمَهُ اللهُ- :« وَخَطَبَ ثَانِي يَوْمِ النَّحْرِ خُطْبَةً عَظِيمَةً، وَوَصَّىٰ وَحَذَّرَ وَأَنْذَرَ ، وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُ بَلَّغَ الرِّسَالَةَ [١] .

وَفِيمَا يَأْتِي نَصُّ الخُطْبَةِ كَمَا جَاءَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»[٢]، مِنْ حَدِيثِ أَبِي بَكْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -، عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، أَنَّهُ قَالَ : «**إِنَّ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ، السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا ، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ، ثَلاثٌ مُتَوَالِيَاتٌ : ذُو الْقِعْدَةِ ، وَذُو الْحِجَّةِ، وَالْمُحَرَّمُ ، وَرَجَبُ شَهْرُ مُضَرَ ، الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ** » ، ثُمَّ قَالَ : « **أَيُّ شَهْرٍ هَذَا ؟** » قُلْنَا : اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : فَسَكَتَ حَتَّىٰ ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ ، قَالَ : « **أَلَيْسَ ذَا الْحِجَّةِ ؟** » قُلْنَا : بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللهِ ، قَالَ : « **فَأَيُّ بَلَدٍ هَذَا ؟** » قُلْنَا : اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : فَسَكَتَ حَتَّىٰ ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ ، قَالَ : « **أَلَيْسَ الْبَلْدَةَ هِيَ ؟** » قُلْنَا : بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللهِ ، قَالَ : « **فَأَيُّ يَوْمٍ هَذَا ؟** » قُلْنَا : اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، فَسَكَتَ حَتَّىٰ ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ ، قَالَ : « **أَلَيْسَ هَذَا يَوْمَ النَّحْرِ ؟** » فَقُلْنَا

(١) « الفُصُول» (٢٥٧) .
(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٥٢٣٠) ، وَمُسْلِمٌ (١٦٧٩) .

: بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللهِ ، قَالَ : « **فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ** » ، قَالَ مُحَمَّدٌ : وَأَحْسَبُهُ قَالَ: « **وَأَعْرَاضَكُمْ ، عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا ، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا ، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا ، وَسَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ ، فَلَا تَرْجِعُنَّ بَعْدِي ضُلَالًا ، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ ، أَلَا لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ مِنْكُمُ الْغَائِبَ ، فَلَعَلَّ بَعْضَ مَنْ يَبْلُغُهُ أَنْ يَكُونَ أَوْعَى لَهُ مِنْ بَعْضِ مَنْ سَمِعَهُ** » .

قَالَ : فَكَانَ مُحَمَّدٌ يَعْنِي ابْنَ سِيرِينَ إِذَا ذَكَرَهُ يَقُولُ : صَدَقَ النَّبِيُّ – صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، صَدَقَ النَّبِيُّ – صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، ثُمَّ قَالَ : « **أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ ؟** » .

اللهُمَّ وَفِّقْنَا لِهُدَاكَ وَاجْعَلْ عَمَلَنَا فِي رِضَاكَ، اللهُمَّ أَرِنَا الحَقَّ حقًّا وَارْزُقْنَا اتِّبَاعَهُ، وَأَرِنَا البَاطِلَ بَاطِلاً وَارْزُقْنَا اجْتِنَابَهُ ، اللهُمَّ آتِ نُفُوسَنَا تَقْوَاهَا ، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلاهَا .

وَسُبْحَانَكَ اللهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ .

٣٦ مَرَضُ الرَّسُولِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ وَوَفَاتِهِ

الخُطْبَةُ الأُولَى:

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلِ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأَحْزَاب: ٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الأُمُورِ

مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ :

فَمَا زَالَ الحَدِيْثُ مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنِ السِّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ عَلَىٰ صَاحِبِهَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -، وَحَدِيْثِي مَعَكُمْ اليَوْمَ عَنْ « **مَرَضِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَوَفَاتِهِ** » .

فَبَعْدَ أَنْ تَكَامَلَتْ الدَّعْوَةُ وَبَلَّغَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - البَلَاغُ المُبِيْنَ، أَخَذَتْ طَلَائِعُ التَّوْدِيْعِ لِلحَيَاةِ وَالأَحْيَاءِ تَلُوحُ فِي الآفَاقِ ، فَنَعَىٰ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - نَبِيَّهُ إِلَىٰ نَفْسِهِ .

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ۝٣﴾ [سُورَةُ النَّصْرِ] .

فَفِي «صَحِيْحِ البُخَارِيِّ»[١]، مِنْ حَدِيْثِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-، قَالَ : كَانَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- ، يُدْنِينِي ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ : إِنَّ لَنَا أَبْنَاءً مِثْلَهُ ، فَقَالَ : إِنَّهُ مِنْ حَيْثُ تَعْلَمُ ، فَسَأَلَ عُمَرُ ابْنَ عَبَّاسٍ عَنْ هَذِهِ الآيَةِ ، ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١﴾، فَقَالَ : أَجَلُ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَعْلَمَهُ إِيَّاهُ . قَالَ : مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلَّا مَا تَعْلَمُ» .

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٦٢٧) .

وَنَعَىٰ رَسُولُ اللهِ - صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - نَفْسَهُ إِلَىٰ النَّاسِ يَوْمَ الحَجِّ الأَكْبَرِ فَقَالَ كَمَا فِي «صَحِيْح مُسْلِمٌ»[١]، مِنْ حَدِيْث جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- : «**لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ ، فَإِنِّي لا أَدْرِي لَعَلِّي لا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ**» .

وَنَعَىٰ نَفْسَهُ - صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لِلنَّاسِ عِنْد رُجُوعِهِ مِنْ حِجَّةِ الوَدَاعِ ، كَمَا فِي «صَحِيْح مُسْلِمٌ»[٢]، مِنْ حَدِيْثِ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، قَالَ : « **أَمَّا بَعْدُ أَلا أَيُّهَا النَّاسُ ، فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ ...** » .

قَالَ ابْنُ كَثِيْرٍ -رَحِمَهُ اللهُ- :

بَعْدَ رُجُوعِهِ - صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنْ حِجَّةِ الوَدَاعِ أَقَامَ بَقِيَّةَ ذِي الحُجَّةِ وَالمُحَرَّمَ وَصَفَرًا ، ثُمَّ ابْتَدَأَ وَجَعُهُ - صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي رَأْسِهِ فَمَكَثَ وَجِعًا اثْنَىٰ عَشَرَ يَوْمًا ، وَقِيْلَ : أَرْبَعَةُ عَشَرَ يَوْمًا[٣].

وَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ صَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي «الإِرْوَاء»[٤]، عَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا-،قَالَتْ: « **رَجَعَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ذَاتَ يَوْمٍ مِنْ جِنَازَةٍ بِالْبَقِيعِ وَأَنَا أَجِدُ صُدَاعًا فِي رَأْسِي ، فَأَنَا أَقُولُ : وَارَأْسَاهُ،**

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٢٩٧) .
(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٤٠٨) .
(٣) « الفُصُول» (٢٥٧) .
(٤)(صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ أَحْمد (٢٥٣٨٠)،وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي«الإِرْوَاءِ» (٧٠٠).

فَقَالَ : مَا ضَرَّكِ لَوْ مِتِّ قَبْلِي كَفَّنْتُكِ ثُمَّ صَلَّيْتُ عَلَيْكِ وَدَفَنْتُكِ . قَالَتْ : كَأَنِّي بِكَ وَاللهِ لَوْ قَدْ فَعَلْتَ ذَلِكَ لَقَدْ رَجَعْتَ إِلَى بَيْتِي فَعَرَّسْتَ فِيهِ بِبَعْضِ نِسَائِكَ ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ثُمَّ بُدِئَ بِهِ فِي وَجَعِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ » .

فَجَعَلَ - صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَعَ هَذَا -أَيُّهَا النَّاسُ- يَدُورُ عَلَىٰ نِسَائِهِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُنَّ- حَتَّىٰ شُقَّ عَلَيْهِ ، فَاسْتَأْذَنَهُنَّ أَنْ يُمَرَّضَ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- فَأَذِنَّ لَهُ .

فَفِي «صَحِيْحِ البُخَارِيِّ» (١)، مِنْ حَدِيْثِ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا-، قَالَتْ : لَمَّا ثَقُلَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَاشْتَدَّ بِهِ وَجَعُهُ اسْتَأْذَنَ أَزْوَاجَهُ أَنْ يُمَرَّضَ فِي بَيْتِي فَأَذِنَّ لَهُ، فَخَرَجَ وَهْوَ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ تَخُطُّ رِجْلَاهُ فِي الأَرْضِ بَيْنَ عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَبَيْنَ رَجُلٍ آخَرَ .

قَالَ عُبَيْدُ اللهِ: فَأَخْبَرْتُ عَبْدَ اللهِ بِالَّذِي قَالَتْ عَائِشَةُ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا-: فَقَالَ لِي عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ: هَلْ تَدْرِي مَنِ الرَّجُلُ الآخَرُ الَّذِي لَمْ تُسَمِّ عَائِشَةُ؟ قَالَ: قُلْتُ لاَ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ هُوَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، وَكَانَتْ عَائِشَةُ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- زَوْجُ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- تُحَدِّثُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لَمَّا دَخَلَ بَيْتِي وَاشْتَدَّ بِهِ وَجَعُهُ قَالَ: «**هَرِيقُوا عَلَيَّ مِنْ سَبْعِ قِرَبٍ لَمْ تُحْلَلْ أَوْكِيَتُهُنَّ لَعَلِّي أَعْهَدُ إِلَى**

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٤٤٢) .

النَّاسِ» فَأَجْلَسْنَاهُ فِي مِخْضَبٍ لِحَفْصَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- ثُمَّ طَفِقْنَا نَصُبُّ عَلَيْهِ مِنْ تِلْكَ الْقِرَبِ، حَتَّىٰ طَفِقَ يُشِيرُ إِلَيْنَا بِيَدِهِ أَنْ قَدْ فَعَلْتُنَّ، قَالَتْ: ثُمَّ خَرَجَ إِلَىٰ النَّاسِ فَصَلَّىٰ بِهِمْ وَخَطَبَهُمْ » .

وَفِي «صَحِيْحِ البُخَارِيِّ» (١)، مِنْ حَدِيْثِ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا-، قَالَتْ : لَمَّا ثَقُلَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- جَاءَ بِلَالٌ يُؤْذِنُهُ بِالصَّلَاةِ فَقَالَ: « **مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ** » ، قَالَتْ : فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ أَسِيفٌ، وَإِنَّهُ مَتَىٰ يَقُمْ مَقَامَكَ لَا يُسْمِعْ النَّاسَ ، فَلَوْ أَمَرْتَ عُمَرَ، فَقَالَ : « **مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ** » قَالَتْ : فَقُلْتُ لِحَفْصَةَ : قُولِي لَهُ إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ أَسِيفٌ، وَإِنَّهُ مَتَىٰ يَقُمْ مَقَامَكَ لَا يُسْمِعْ النَّاسَ، فَلَوْ أَمَرْتَ عُمَرَ، فَقَالَتْ لَهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **إِنَّكُنَّ لَأَنْتُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ** » ، قَالَتْ : فَأَمَرُوا أَبَا بَكْرٍ يُصَلِّي بِالنَّاسِ.

قَالَتْ : فَلَمَّا دَخَلَ فِي الصَّلَاةِ وَجَدَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِنْ نَفْسِهِ خِفَّةً فَقَامَ يُهَادَىٰ بَيْنَ رَجُلَيْنِ وَرِجْلَاهُ تَخُطَّانِ فِي الأَرْضِ، قَالَتْ: فَلَمَّا دَخَلَ الْمَسْجِدَ سَمِعَ أَبُو بَكْرٍ حِسَّهُ ذَهَبَ يَتَأَخَّرُ فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قُمْ مَكَانَكَ فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حَتَّىٰ جَلَسَ عَنْ يَسَارِ أَبِي بَكْرٍ ، قَالَتْ: فَكَانَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٧١٣) .

يُصَلِّي بِالنَّاسِ جَالِسًا وَأَبُو بَكْرٍ قَائِمًا يَقْتَدِي أَبُو بَكْرٍ بِصَلَاةِ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَيَقْتَدِي النَّاسُ بِصَلَاةِ أَبِي بَكْرٍ .

وَفِي يَوْمِ الاثْنَيْنِ، بَيْنَا المُسْلِمُونَ فِي صَلَاةِ الفَجْرِ، كَمَا فِي «صَحِيحِ البُخَارِيِّ»(١)، مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- وَأَبُو بَكْرٍ يُصَلِّي بِهِمْ ، لَمْ يَفْجَأْهُمْ إِلَّا رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ كَشَفَ سِتْرَ حُجْرَةِ عَائِشَةَ، فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ وَهُمْ فِي صُفُوفِ الصَّلَاةِ ، ثُمَّ تَبَسَّمَ وَضَحِكَ ، فَنَكَصَ أَبُو بَكْرٍ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ لِيَصِلَ الصَّفَّ، وَظَنَّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يُرِيدُ أَنْ يَخْرُجَ إِلَىٰ الصَّلَاةِ ، فَقَالَ أَنَسٌ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- وَهَمَّ الْمُسْلِمُونَ أَنْ يَفْتَتِنُوا فِي صَلَاتِهِمْ فَرَحًا بِرَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَأَشَارَ إِلَيْهِمْ بِيَدِهِ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنْ أَتِمُّوا صَلَاتَكُمْ،ثُمَّ دَخَلَ الْحُجْرَةَ وَأَرْخَىٰ السِّتْرَ، فَتُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِنْ يَوْمِهِ ذَلِكَ » .

إِنَّهَا النَّظْرَةُ الأَخِيرَةِ -أَيُّهَا النَّاسُ- نَظْرَةُ الوَدَاعِ وَهُوَ يَبْتَسِمُ وَيَضْحَكُ رِضًا وَسُرُورًا بِثَبَاتِ أَصْحَابِهِ عَلَىٰ الحَقِّ ، إِنَّهَا البَسْمَةَ الأَخِيرَةُ الَّتِي لَمْ يَرَاهَا صُحْبُهُ وَأَحِبَّاؤُهُ بَعْدَهَا فِي الدُّنْيَا إِنَّهَا طَلَّةُ الفِرَاقِ ، لَنْ يَنْعَمُوا بِرُؤْيَةِ هَذَا الوَجْهِ الكَرِيْمِ فِي الدُّنْيَا بَعْدَ اليَوْمِ أَبَدًا -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- .

وَفِي «صَحِيحِ البُخَارِيِّ» (٢)، مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا-،

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٦٨٠) ، وَمُسْلِمٌ (٤١٩) .
(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٤٦٣) .

قَالَتْ : كَانَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ وَهُوَ صَحِيحٌ : « **إِنَّهُ لَمْ يُقْبَضْ نَبِيٌّ قَطُّ حَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ فِي الْجَنَّةِ** » .

فَلَمَّا نَزَلَ بِرَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَرَأْسُهُ عَلَى فَخِذِي غُشِيَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ أَفَاقَ فَأَشْخَصَ بَصَرَهُ إِلَى السَّقْفِ ثُمَّ قَالَ: « **اللهُمَّ الرَّفِيقَ الْأَعْلَى** ».

فَقُلْتُ: إِذًا لَا يَخْتَارُنَا ، وَعَرَفْتُ الْحَدِيثَ الَّذِي كَانَ يُحَدِّثُنَا بِهِ وَهُوَ صَحِيحٌ قَالَتْ فَكَانَتْ تِلْكَ آخِرُ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **اللهُمَّ الرَّفِيقَ الْأَعْلَى** » .

وَأَسْتَغْفِرُ اللهُ .

تَجْهِيزُ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَدَفْنُهُ

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ :

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ أَشْرَفِ المُرْسَلِيْنَ ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

أَمَّا بَعْدُ :

تَقَدَّمَ الحَدِيْثُ مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنْ « **مَرَضِ الرَّسُولِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَوَفَاتِهِ** » ، والآنَ حَدِيْثِي مَعَكُمْ عَنْ « **تَجْهِيْزِهِ وَدَفْنِهِ وَالصَّلَاةِ عَلَيْهِ** » -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- .

أَيُّهَا النَّاسُ ،لَقَدْ تُوُفِّيَ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَوْمَ الاثْنَيْنِ كَمَا جَاءَ فِي «الصَّحِيْحَيْنِ»[1] ،مِنْ حَدِيْثِ أَنَسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ:«أَنَّ الْمُسْلِمِينَ بَيْنَا هُمْ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ مِنْ يَوْمِ الِاثْنَيْنِ وَأَبُو بَكْرٍ يُصَلِّي لَهُمْ لَمْ يَفْجَأْهُمْ إِلَّا رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَدْ كَشَفَ سِتْرَ حُجْرَةِ عَائِشَةَ فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ وَهُمْ فِي صُفُوفِ الصَّلَاةِ ثُمَّ تَبَسَّمَ يَضْحَكُ فَنَكَصَ أَبُو بَكْرٍ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ لِيَصِلَ الصَّفَّ وَظَنَّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يُرِيدُ أَنْ يَخْرُجَ إِلَىٰ الصَّلَاةِ فَقَالَ أَنَسٌ وَهَمَّ الْمُسْلِمُونَ أَنْ يَفْتَتِنُوا فِي صَلَاتِهِمْ فَرَحًا بِرَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (١٢٠٦) ، وَمُسْلِمٌ (٤١٩) .

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَأَشَارَ إِلَيْهِمْ بِيَدِهِ رَسُولُ اللهِ-صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنْ أَتِمُّوا صَلَاتَكُمْ ثُمَّ دَخَلَ الْحُجْرَةَ وَأَرْخَىٰ السِّتْرَ،وَتُوُفِّيَ ذَلِكَ الْيَوْمَ».

فِي «الصَّحِيحَيْنِ» (١)، مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا-، « أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- تُوُفِّيَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّيْنَ » .

ثُمَّ إِنَّ الْمُسْلِمُونَ غَسَلُوا رَسُولَ اللهِ-صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي ثِيَابِهِ ، فَفِي «مُسْنَدِ أَحْمَدَ» بِسَنَدٍ حَسَنٍ حَسَّنَهُ الوَادِعِيُّ فِي«الصَّحِيْحِ الْمُسْنَدِ»(٢)، عَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا-، قَالَتْ : « لَمَّا أَرَادُوا غُسْلَ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- اخْتَلَفُوا فِيهِ، فَقَالُوا : وَاللهِ مَا نَرَىٰ كَيْفَ نَصْنَعُ، أَنُجَرِّدُ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَمَا نُجَرِّدُ مَوْتَانَا أَمْ نُغَسِّلُهُ وَعَلَيْهِ ثِيَابُهُ؟ قَالَتْ: فَلَمَّا اخْتَلَفُوا أَرْسَلَ اللهُ عَلَيْهِمْ السِّنَةَ حَتَّىٰ وَاللهِ مَا مِنَ الْقَوْمِ مِنْ رَجُلٍ إِلَّا ذَقْنُهُ فِي صَدْرِهِ نَائِمًا، قَالَتْ : ثُمَّ كَلَّمَهُمْ مِنْ نَاحِيَةِ الْبَيْتِ، لا يَدْرُونَ مَنْ هُوَ، فَقَالَ : اغْسِلُوا النَّبِيَّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَعَلَيْهِ ثِيَابُهُ، قَالَتْ : فَثَارُوا إِلَيْهِ، فَغَسَّلُوا رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَهُوَ فِي قَمِيصِهِ يُفَاضُ عَلَيْهِ الْمَاءُ وَالسِّدْرُ، وَيُدَلِّكُهُ الرِّجَالُ بِالْقَمِيصِ، وَكَانَتْ تَقُولُ : لَوْ اسْتَقْبَلْتُ مِنَ الْأَمْرِ مَا اسْتَدْبَرْتُ مَا غَسَّلَ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِلَّا نِسَاؤُهُ » .

---

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٥٢٦) ، وَمُسْلِمٌ (٢٣٤٩) .

(٢) (حَسَنٌ) أَخْرَجَهُ أَحْمَد (٢٥٧٧٤) ، وَأَبُو دَاوُدَ (٢٧٣٣) ، وَحَسَّنَهُ شَيْخُنَا الوَادِعِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «الصَّحِيْحِ الْمُسْنَدِ»(٢/ ٤٧٢) .

ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كُفِّنَ فِي ثَلَاثِ أَثْوَابٍ، فَفِي «صَحِيْحِ البُخَارِيِّ» (١)، مِنْ حَدِيْثِ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا-، قَالَتْ: «**كُفِّنَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي ثَلَاثَةِ أَثْوَابٍ بِيضٍ سَحُولِيَّةٍ مِنْ كُرْسُفٍ لَيْسَ فِيهَا قَمِيصٌ وَلَا عِمَامَةٌ**».

ثُمَّ إِنَّ الْمُسْلِمِيْنَ صَلَّوْا عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَدُفِنَ فِي الْمَكَانِ الَّذِي مَاتَ فِيْهِ.

قَالَ ابْنُ أَبِي عَاصِمٍ فِي الآحَادِ وَالمَثَانِي بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ صَحَّحَهُ الوَادِعِيُّ فِي «الصَّحِيْحِ المُسْنَدِ»(٢)، مِنْ حَدِيْثِ سَالِمِ بْنِ عُبَيْدٍ، وَكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ، قَالَ: «**أُغْمِيَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فِي مَرَضِهِ فَأَفَاقَ، فَقَالَ: حَضَرَتِ الصَّلَاةُ؟**» فَقَالُوا: نَعَمْ. -وَفِيْهِ- قَالُوا: يَا صَاحِبَ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، أَنُصَلِّي عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ؟.

قَالَ: نَعَمْ، قَالُوا: وَكَيْفَ؟.

قَالَ: يَدْخُلُ قَوْمٌ فَيُكَبِّرُونَ وَيُصَلُّونَ، وَيَدْعُونَ، ثُمَّ يَخْرُجُونَ، ثُمَّ يَدْخُلُ قَوْمٌ فَيُكَبِّرُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَدْعُونَ، ثُمَّ يَخْرُجُونَ، حَتَّىٰ يَدْخُلَ النَّاسُ.

قَالُوا: يَا صَاحِبَ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَيُدْفَنُ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؟.

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (١٢٦٤).

(٢) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ ابْن أَبِي عَاصِم فِي «الآحَاد وَالمَثَانِي» (٣/ ١٢)، وَصَحَّحَهُ شَيْخُنَا الوَادِعِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ فِي «الصَّحِيْحِ المُسْنَدِ»(١/ ٣١١-٣١٢).

قَالَ: نَعَمْ، قَالُوا: أَيْنَ؟ .

قَالَ: فِي الْمَكَانِ الَّذِي قَبَضَ اللهُ فِيهِ رُوحَهُ، فَإِنَّ اللهَ لَمْ يَقْبِضْ رُوحَهُ إِلا فِي مَكَانٍ طَيِّبٍ.

فَعَلِمُوا أَنْ قَدْ صَدَقَ، ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَنْ يَغْسِلَهُ بَنُو أَبِيهِ، وَاجْتَمَعَ الْمُهَاجِرُونَ يَتَشَاوَرُونَ، فَقَالُوا: انْطَلِقْ بِنَا إِلَىٰ إِخْوَانِنَا مِنَ الأَنْصَارِ نُدْخِلُهُمْ مَعَنَا فِي هَذَا الأَمْرِ.

فَقَالَتِ الأَنْصَارُ: مِنَّا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- : مَنْ لَهُ مِثل هَذِهِ الثَّلاثِ ﴿إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]، مَنْ هُمَا؟، قَالَ: ثُمَّ بَسَطَ يَدَهُ فَبَايَعَهُ وَبَايَعَهُ النَّاسُ بَيْعَةً حَسَنَةً جَمِيلَةً » .

اللهُمَّ إِنَّ نَبِيَّكَ قَدْ بَلَّغَ الرِّسَالَةَ وَأَدَّىٰ الأَمَانَةَ فَاجْزِهِ عَنَّا خَيْرً ، اللهُمَّ آتِهِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ .

اللهُمَّ وَفِّقْنَا لِلعَمَلِ بِسُنَّتِهِ عَلَىٰ الوَجْهِ الَّذِي يُرْضِيْكَ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِيْنَ، اللهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَزْوَاجِهِ وَسَلِّمْ تَسْلِيْمًا كَثِيْرًا .

وَسُبْحَانَكَ اللهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ .

٣٧ أَثَرُ وَفَاةُ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ عَلَى أَصْحَابِهِ

الخُطْبَةُ الأُوْلَى[١]:

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمِدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلِ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأَحْزَاب: ٧٠-٧١].

أَمَّا بُعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الأُمُورِ

مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ :

فَمَا زَالَ الحَدِيْثُ مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنِ السِّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ عَلَىٰ صَاحِبِهَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -، وَحَدِيْثِي مَعَكُمْ اليَوْمَ عَنْ « **أَثَرُ وَفَاةُ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلَى أَصْحَابِهِ** » .

فَبَعْدَ أَنِ اسْتَأْثَرَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- بِنَبِيِّهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَقَدْ أَكْمَلَ لَهُ وَلَنَا دِيْنَهُ، وَأَتَمَّ عَلَيْنَا وَعَلَيْهِ نِعْمَتَهُ ،كَمَا قَالَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المَائِدَة:٣].

وَمَا مِنْ شَيْءٍ فِي الدُّنْيَا يَكْمُلُ -أَيُّهَا النَّاسُ- إِلَّا وَجَاءَهُ النُّقْصَانُ (١).

فَكَانَ مَوْتُ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَاصِمَةُ الظَّهْرِ وَمُصِيْبَةُ العُمْرِ بَلْ إِنَّهَا لَأَعْظَمُ المَصَائِبِ ، فَلَمْ يُصِبْ المُسْلِمُونَ بِمُصِيْبَةٍ هِيَ أَعْظَمُ عَلَيْهِمْ مِنْ مَوْتِ نَبِيِّهِمْ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- .

فَفِي سُنَنِ الدَّرَامِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ صَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيْحَةِ» (٢)، مِنْ حَدِيْثِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ-صَلَّىٰ اللهُ

---

(١) «العَوَاصِمُ مِنَ القَوَاصِم» لابْنِ العَرَبِي (٥٤) .

(٢) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ الدَّرَامِيُّ فِي سُنَنِهِ (١/ ٤٠) وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «الصَّحِيْحَةِ» (١١٠١) .

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **إِذَا أُصِيبَ أَحَدُكُمْ مُصِيبَةٌ فَلْيَذْكُرْ مُصِيبَتَهُ بِي، فَإِنَّهَا أَعْظَمُ الْمَصَائِبِ** » .

فَالنَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-أَيُّهَا النَّاسُ- أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ أَنْفُسِنَا وَوَالِدِيْنَا وَأَهْلِنَا وَالنَّاسِ أَجْمَعِيْنَ ، فَحُبُّهُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَرْضٌ عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ وَلاَ يَتِمُّ الإِيْمَانُ إِلَّا بِذَلِكَ .

فَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ» [١]، مِنْ حَدِيْثِ أَنَسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ-صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ** » .

وَفِي «صَحِيْحِ البُخَارِيُّ» [٢]، مِنْ حَدِيْثِ عَبْدُ اللهِ بْنَ هِشَامٍ ، قَالَ : كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي ، فَقَالَ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ** » ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : فَإِنَّهُ الْآنَ وَاللهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **الْآنَ يَا عُمَرُ** » .

وَكَانَ الصَّحَابَةُ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ - يَخَافُونَ مِنْ فِرَاقِ رَسُولِ اللهِ-صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، وَمَنْ أَحَبَّ شَيْئًا -أَيُّهَا النَّاسُ- خَشِيَ أَن يَفْقِدَهُ .

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (١٥) ، وَمُسْلِمٌ (٤٤) .
(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٦٦٣٢) .

فَحِينَ مَاتَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- طَاشَتْ عُقُولُ كَثِيرٍ مِنَ الصَّحَابَةِ، فَلَمْ يُصَدِّقُوا أَنَّ نَبِيَّهُمْ الَّذِي أَخَذَ بِيَدَيْهِمْ إِلَىٰ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ وَأَحَبُّوهُ أَعْظَمَ مِنْ حُبِّهِمْ لِأَنْفُسِهِمْ مَاتَ ! .

فَفِي «صَحِيْحِ البُخَارِيِّ»(١)، مِنْ حَدِيْثِ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا-، زَوْجِ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مَاتَ وَأَبُو بَكْرٍ بِالسُّنْحِ -قَالَ إِسْمَاعِيلُ: يَعْنِي بِالْعَالِيَةِ- فَقَامَ عُمَرُ يَقُولُ: وَاللهِ مَا مَاتَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-. قَالَتْ وَقَالَ عُمَرُ: وَاللهِ مَا كَانَ يَقَعُ فِي نَفْسِي إِلاَّ ذَاكَ، وَلَيَبْعَثَنَّهُ اللهُ فَلَيَقْطَعَنَّ أَيْدِيَ رِجَالٍ وَأَرْجُلَهُمْ. فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَكَشَفَ عَنْ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَبَّلَهُ فَقَالَ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، طِبْتَ حَيًّا وَمَيِّتًا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ يُذِيقُكَ اللهُ الْمَوْتَتَيْنِ أَبَدًا. ثُمَّ خَرَجَ فَقَالَ: أَيُّهَا الْحَالِفُ، عَلَىٰ رِسْلِكَ. فَلَمَّا تَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ جَلَسَ عُمَرُ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-.

فَحَمِدَ اللهَ أَبُو بَكْرٍ وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِ وَقَالَ: أَلاَ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ فَإِنَّ اللهَ حَيٌّ لاَ يَمُوتُ وَقَالَ: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الزمر: ٣٠].

وَقَالَ: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٦٧٠) .

ﭐنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡۚ وَمَن يَنقَلِبۡ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ وَسَيَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٤٤]. قَالَ: فَنَشَجَ النَّاسُ يَبْكُونَ.

فَهَذَا -أَيُّهَا النَّاسُ- دَلِيلٌ أَنَّ الصَّحَابَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ - لَمْ يَكُونُوا مُصَدِّقِيْنَ مَوْتَ نَبِيِّهِمْ لِعِظَمِ قَدْرِهِ فِي نُفُوسِهِمْ ، حَتَّىٰ تَلاَ عَلَيْهُمْ أَبُو بَكْرِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - الآيَةَ فَنَشَجَ النَّاسُ يَبْكُونَ .

لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ شَخْصٌ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَمَا جَاءَ فِي سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ ، فَلَمَّا مَاتَ أَظْلَمَتِ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِهِمْ ، بَلْ أَظْلَمَ كُلُّ شَيْءٍ .

فَفِـي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ ، صَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي « حَاشِيَةِ فِقْهِ السِّيْرَةِ» [(١)]، مِنْ حَدِيْثِ أَنَسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-قَالَ: « لَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي قَدِمَ فِيهِ رَسُولُ اللهِ - صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الْمَدِينَةَ أَضَاءَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ ، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ أَظْلَمَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ ، وقَالَ : مَا نَفَضْنَا عَنْ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الأَيْدِي ، حَتَّىٰ أَنْكَرْنَا قُلُوبَنَا » .

وَفِي سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ وَابْنِ مَاجَّه بَسَنَدٍ صَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي« صَحِيْحِ ابْنِ مَاجَّه» ، الوَادِعِيُّ فِي«الصَّحِيْحِ الْمُسْنَدِ»[(٢)]، مِنْ حَدِيْثِ أَنَسٍ -رَضِيَ اللهُ

(١) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (١٣٤١٨) وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «حَاشِيَةِ فِقْهِ السِّيْرَةِ» (٢٠١) .

(٢) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ الدَّارَمِي (٨٨) ، وَالتِّرْمِذِي (٢٥٥) ، وابْن مَاجه (١٦٢١)، وَحَسَّنَهُ شَيْخُنَا الوَادِعِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ فِي «الصَّحِيْحِ الْمُسْنَدِ»(١/ ١٠٤) .

عَنْهُ–قَالَ: « وَذَكَرَ النَّبِيَّ –صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَالَ: «شَهِدْتُهُ يَوْمَ دَخَلَ الْمَدِينَةَ فَمَا رَأَيْتُ يَوْمًا قَطُّ، كَانَ أَحْسَنَ وَلَا أَضْوَأَ مِنْ يَوْمِ دَخَلَ عَلَيْنَا فِيهِ رَسُولُ اللهِ –صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، وَشَهِدْتُهُ يَوْمَ مَوْتِهِ، فَمَا رَأَيْتُ يَوْمًا كَانَ أَقْبَحَ، وَلَا أَظْلَمَ مِنْ يَوْمٍ مَاتَ فِيهِ رَسُولُ اللهِ –صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–» .

وَنَحْنُ –أَيُّهَا النَّاسُ– نَسْأَلُ مِنَ اللهِ –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ– أَنْ يَجْعَلْنَا مِنَ الَّذِينَ قَالَ فِيهِمْ رَسُولُ اللهِ –صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: « **مِنْ أَشَدِّ أُمَّتِي لِي حُبًّا نَاسٌ يَكُونُونَ بَعْدِي يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ رَآنِي بِأَهْلِهِ وَمَالِهِ** » .

كَمَا جَاءَ فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»[١]، مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– فَنَحْنُ نُشْهِدُ اللهَ أَنَّنَا نُحِبُّ رَسُولَ اللهِ –صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– ، وَنُحِبُّ أَصْحَابَهُ كُلَّهُمْ أَجْمَعِينَ ، فَنَسْأَلُهُ –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ– أَنْ يَحْشُرَنَا مَعَهُمْ ، فَإِنَّ الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

كَمَا جَاءَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»[٢]، مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ–: أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ –صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– عَنِ السَّاعَةِ ، فَقَالَ: مَتَىٰ السَّاعَةُ؟، قَالَ: « **وَمَاذَا أَعْدَدْتَ لَهَا ؟** » قَالَ : لَا شَيْءَ إِلَّا أَنِّي أُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ –صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– ، فَقَالَ : « **أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ** » .

قَالَ النَّوَوِيُّ –رَحِمَهُ اللهُ– فِي شَرْحِهِ لِهَذَا الْحَدِيثِ : « فِيهِ فَضْلُ حُبِّ

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٨٣٢) .
(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٦٨٨) ، وَمُسْلِمٌ (٢٦٣٩) .

اللهِ وَرَسُولِهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَالصَّالِحِينَ ، وَأَهْلِ الْخَيْرِ ، الْأَحْيَاءِ وَالْأَمْوَاتِ ، وَمِنْ فَضْلِ مَحَبَّةِ اللهِ وَرَسُولِهِ امْتِثَالُ أَمْرِهِمَا ، وَاجْتِنَابُ نَهْيِهِمَا، وَالتَّأَدُّبُ بِالْآدَابِ الشَّرْعِيَّةِ ، وَلَا يُشْتَرَطُ فِي الِانْتِفَاعِ بِمَحَبَّةِ الصَّالِحِينَ أَنْ يَعْمَلَ عَمَلَهُمْ ، إِذْ لَوْ عَمِلَهُ لَكَانَ مِنْهُمْ وَمِثْلَهُمْ »(١) .

وَقَبْلَ أَنْ أُوَدِّعَ مَقَامِي هَذَا -أَيُّهَا النَّاسُ- أُلْقِي عَلَىٰ مَسَامِعِكُمْ قَصِيدَةً قِيلَتْ فِي رَثَاءِ الرَّسُولِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، وَهِيَ :

لِيَبْكِ رَسُولَ اللهِ مَنْ كَانَ بَاكِيًا ... فَلَا تَنْسَ قَبْرًا بِالْمَدِينَةِ ثَاوِيا
جَزَى اللهُ عَنَّا كُلَّ خَيْرٍ مُحَمَّدًا ... فَقَدْ كَانَ مَهْدِيًّا ، وَقَدْ كَانَ هَادِيا
وَقَدْ كَانَ رَسُولَ اللهِ رَوْحًا وَرَحْمَةً ... وَنُورًا وَبُرْهَانًا مِنَ اللهِ بَادِيا
وَكَانَ رَسُولُ اللهِ بِالْخَيْرِ آمِرًا ... وَكَانَ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالسُّوءِ نَاهِيا
وَكَانَ رَسُولُ اللهِ بِالْقِسْطِ قَائِمًا ... وَكَانَ لِمَا اسْتَرْعَاهُ مَوْلَاهُ رَاعِيا
أَيُنْسَى أَبَرُّ النَّاسِ بِالنَّاسِ كُلِّهِمُ ... وَأَكْرَمُهُمْ بَيْتًا وَشِعْبًا وَوَادِيا؟!
أَيُنْسَى رَسُولُ اللهِ أَكْرَمُ مَنْ مَشَى ... وَآثَارُهُ بِالْمَسْجِدَيْنِ كَمَا هِيَا؟!
تَكَدَّرَ مَنْ بَعْدَ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ... عَلَيْهِ سَلَامُ كُلِّ مَنْ كَانَ صَافِيا
رَكَنَّا إِلَى الدُّنْيَا الدَّنِيئَةِ بَعْدَهُ ... وَكَشَفَتِ الْأَطْمَاعُ مِنَّا مَسَاوِيا

(١) « شَرْحُ النَّوَوِيِّ عَلَىٰ مُسْلِمٍ» (١٦/ ١٨٦) .

وَكَمْ مِنْ مَنَارٍ كَانَ أَوْضَحَهُ لَنَا وَمِنْ عَلَمَ أَمْسَى وَأَصْبَحَ عَافِيا
إِذَا المَرْءُ لَمْ يَلْبَسْ ثِيَابًا مِنَ التُّقَى تَقَلَّبَ عُرْيَانًا ، وَإِنْ كَانَ كَاسِيا
وَخَـيْرُ خِصَالِ المَـرْءِ طَاعَةُ رَبِّهِ وَلاَ خَيْرَ فِيْمَنْ كَانَ لِلهِ عَاصِيا (١)

وَأَسْتَغْفِرُ اللهُ .

(١) «لَطَائِفُ المَعَارِف» (٢١٦) .

اجْتِمَاعُ النَّاس عَلَى أَبِي بَكْرٍ

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ :

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ أَشْرَفِ المُرْسَلِيْنَ ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

أَمَّا بَعْدُ :

تَقَدَّمَ الحَدِيْثُ مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنْ «أَثَرُ وَفَاةُ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلَىٰ أَصْحَابِهِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ-» ، وَالآنَ حَدِيْثِي مَعَكُمْ عَنْ «**اجْتِمَاعُ النَّاس عَلَى أَبِي بَكْرٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-**» .

لَقَدْ كَانَ خَبَرُ انْتِقَالِ الرَّسُولِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، إِلَىٰ الرَّفِيْقِ الأَعْلَىٰ -أَيُّهَا النَّاسُ- فَجِيْعَةٌ كُبْرَىٰ ، اشْتَدَّتْ وَطْأَتُهَا عَلَىٰ نُفُوسِ المُسْلِمِيْنَ، وَأَصَابَهُمْ بِالذُّهُولِ ، حَتَّىٰ إِنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- نَفْسَهُ لَمْ يُصَدِّقْ لِأَوَّلِ وَهْلَةٍ وَوَقَفَ يُهَدِّدُ النَّاقِلِيْنَ لِلْخَبَرِ بِقَوْلِهِ : « وَاللهِ مَا مَاتَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-» .

وَلَمْ يَقِفَ المُسْلِمُونَ عَلَىٰ الحَقِيْقَةِ إِلَّا حِيْنَ خَطَبَهُمْ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيْقِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- وَتَلَا عَلَيْهِمْ ﴿ **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن**

مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔاۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

ثُمَّ ظَهضَرَتِ الحَاجَةُ -أَيُّهَا النَّاسُ- إِلَىٰ البَحْثِ فِيْمَنْ يَلِي الأَمْرَ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَهَرَعَ المُسْلِمُونَ دُوْنَ إِبْطَاءٍ إِلَىٰ اجْتِمَاعِ السَّقِيْفَةِ حَيْثُ اجْتِمَاعِ الأَنْصَارِ .

فَفِي «صَحِيْح البُخَارِيِّ» (١)، مِنْ حَدِيْث هِشَام بْنِ عُرْوَةَ قَالَ أَخْبَرَنِي عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا-أَنَّ رَسُولَ اللهِ - صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَاتَ وَأَبُو بَكْرٍ بالسُّنْحِ - أَيْ بِالْعَالِيَةِ، فَقَامَ عُمَرُ ، يَقُولُ : وَاللهِ مَا مَاتَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، قَالَتْ : وَقَالَ عُمَرُ : وَاللهِ مَا كَانَ يَقَعُ فِي نَفْسِي إِلَّا ذَاكَ وَلَيَبْعَثَنَّهُ اللهُ فَلَيَقْطَعَنَّ أَيْدِيَ رِجَالٍ وَأَرْجُلَهُمْ .

فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَكَشَفَ عَنْ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَبَّلَهُ ، قَالَ : بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي طِبْتَ حَيًّا وَمَيِّتًا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُذِيقُكَ اللهُ الْمَوْتَتَيْنِ أَبَدًا ثُمَّ خَرَجَ ، فَقَالَ : « أَيُّهَا الْحَالِفُ عَلَىٰ رِسْلِكَ »، فَلَمَّا تَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ جَلَسَ عُمَرُ فَحَمِدَ اللهَ أَبُو بَكْرٍ وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِ ، وَقَالَ: « أَلَا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ فَإِنَّ اللهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ » ، وَقَالَ :﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الزُّمَر: ٣٠].

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٦٧٠) .

وَقَالَ: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ [آل عِمْرَان : ١٤٤] .

قَالَ : فَنَشَجَ النَّاسُ يَبْكُونَ ، قَالَ : وَاجْتَمَعَتْ الْأَنْصَارُ إِلَىٰ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ ، فَقَالُوا : مِنَّا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ .

فَذَهَبَ إِلَيْهِمْ أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ ، فَذَهَبَ عُمَرُ يَتَكَلَّمُ فَأَسْكَتَهُ أَبُو بَكْرٍ وَكَانَ عُمَرُ ، يَقُولُ : وَاللهِ مَا أَرَدْتُ بِذَلِكَ إِلَّا أَنِّي قَدْ هَيَّأْتُ كَلامًا قَدْ أَعْجَبَنِي خَشِيتُ أَنْ لَا يَبْلُغَهُ أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ تَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ فَتَكَلَّمَ أَبْلَغَ النَّاسِ، فَقَالَ : فِي كَلَامِهِ نَحْنُ الْأُمَرَاءُ وَأَنْتُمُ الْوُزَرَاءُ ، فَقَالَ : حُبَابُ بْنُ الْمُنْذِرِ لَا وَاللهِ لَا نَفْعَلُ مِنَّا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : لَا وَلَكِنَّا الْأُمَرَاءُ وَأَنْتُمُ الْوُزَرَاءُ هُمْ أَوْسَطُ الْعَرَبِ دَارًا وَأَعْرَبُهُمْ أَحْسَابًا، فَبَايِعُوا عُمَرَ أَوْ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ ، فَقَالَ عُمَرُ : بَلْ نُبَايِعُكَ أَنْتَ فَأَنْتَ سَيِّدُنَا وَخَيْرُنَا، وَأَحَبُّنَا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَأَخَذَ عُمَرُ بِيَدِهِ فَبَايَعَهُ وَبَايَعَهُ النَّاسُ .

فَقَالَ قَائِلٌ : قَتَلْتُمْ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ ، فَقَالَ : عُمَرُ قَتَلَهُ اللهُ .

وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَالِمٍ : عَنْ الزُّبَيْدِيِّ ، قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْقَاسِمِ ، أَخْبَرَنِي الْقَاسِمُ ، أَنَّ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- قَالَتْ : شَخَصَ بَصَرُ النَّبِيِّ

-صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، ثُمَّ قَالَ: فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَىٰ ثَلَاثًا،وَقَصَّ الْحَدِيثَ.

قَالَتْ : فَمَا كَانَتْ مِنْ خُطْبَتِهِمَا مِنْ خُطْبَةٍ إِلَّا نَفَعَ اللهُ بِهَا، لَقَدْ خَوَّفَ عُمَرُ النَّاسَ وَإِنَّ فِيهِمْ لَنِفَاقًا فَرَدَّهُمُ اللهُ بِذَلِكَ، ثُمَّ لَقَدْ بَصَّرَ أَبُو بَكْرٍ النَّاسَ الْهُدَىٰ وَعَرَّفَهُمُ الْحَقَّ الَّذِي عَلَيْهِمْ، وَخَرَجُوا بِهِ يَتْلُونَ ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔاۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ [آل عِمْرَان : ١٤٤] .

فَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» (١)، عَنْ مَعْمَرٍ عَنْ الزُّهْرِيِّ أَخْبَرَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّهُ سَمِعَ خُطْبَةَ عُمَرَ الْآخِرَةَ حِينَ جَلَسَ عَلَىٰ الْمِنْبَرِ، وَذَلِكَ الْغَدَ مِنْ يَوْمِ تُوُفِّيَ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، فَتَشَهَّدَ وَأَبُو بَكْرٍ صَامِتٌ لَا يَتَكَلَّمُ .

قَالَ : كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَعِيشَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حَتَّىٰ يَدْبُرَنَا ، يُرِيدُ بِذَلِكَ أَنْ يَكُونَ آخِرَهُمْ فَإِنْ يَكُ مُحَمَّدٌ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَدْ مَاتَ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ قَدْ جَعَلَ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ نُورًا تَهْتَدُونَ بِهِ ، هَدَىٰ اللهُ مُحَمَّدًا -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ صَاحِبُ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ثَانِيَ اثْنَيْنِ فَإِنَّهُ أَوْلَىٰ الْمُسْلِمِينَ بِأُمُورِكُمْ ، فَقُومُوا فَبَايِعُوهُ.

وَكَانَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ قَدْ بَايَعُوهُ قَبْلَ ذَلِكَ فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ ، وَكَانَتْ

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٧٢١٩) .

بَيْعَةُ الْعَامَّةِ عَلَىٰ الْمِنْبَرِ.

قَالَ الزُّهْرِيُّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ : سَمِعْتُ عُمَرَ يَقُولُ لِأَبِي بَكْرٍ يَوْمَئِذٍ : اصْعَدْ الْمِنْبَرَ ، فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّىٰ صَعِدَ الْمِنْبَرَ فَبَايَعَهُ النَّاسُ عَامَّةً» .

وَبِذَلِكَ تَمَّتْ البَيْعَةُ لِأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيْقِ -أَيُّهَا النَّاسُ- وَنَجَحَ الْمُسْلِمُونَ فِي أَوَّلِ امْتِحَانٍ لَهُمْ بَعْدَ وَفَاةِ نَبِيِهِمْ ، فَقَادُوا سَفِيْنَتَهُمْ إِلَىٰ شَاطِئِ الأَمَانِ .

اللهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ تَسْلِيْمًا كَثِيْرًا ، اللهُمَّ ارْضَ عَنْ صُحْبَةِ نَبِيِّكَ ، اللهُمَّ بِحُبِّنَا لِنَبِيِّكَ وآلِهِ وَأَصْحَابِهِ احْشُرْنَا مَعَهُمْ .

وَسُبْحَانَكَ اللهُمَّ وَبِحَمْدِكَ،أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ،أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ.

فِهرِس

فِهْرِس

من أحدث اصدارات دار الإيمان

ذَوْقِيَّاتٌ

مَعًا لِنَرْتَقِ بِأَخْلَاقِنَا

تأليف

أبي عبد الله فيصل بن عبده قائد الحاشدي

عفا الله عنه

دار القمة
الإسكندرية

دار الإيمان
الإسكندرية

من أحدث اصدارات دار الإيمان

الفريد في خطب التوحيد

تأليف

أبي عبد الله فيصل بن عبده قائد الحاشدي

عفا الله عنه

دار القمة
الإسكندرية

دار الإيمان
الإسكندرية